

كَلِمَةٌ

... واذا نضع هذا العدد بين ايدي قرائنا نذكر
بالاعتزاز ما قبل به العدد الخامس من تقييم
شجعنا على مضاعفة النسخ .

لاندعي تحقّق طموحاتنا كاملة ، ولكننا نأمل
بمؤازرة القراء ومساهماتهم ان نصل الى ما
هو احسن .

<http://Archivebeta.Sakina.com>

« التحرير »

الاجتهاد في افق العقيدة

دراسة في تطور الفكر العقائدي عند المسلمين

الدكتور هاشم يحيى الملاح

إنّ معنى الاجتهاد ، لغوياً : بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال (١) سواءً كان ذلك المجهود منصباً على استنباط حكم شرعي من أدلته التفصيلية كالقرآن والسنة أم أعمال العقل للتوصل إلى العقيدة الصحيحة عن طريق التأمل والتفكير في أسرار الكون والحياة ، أم بذل الجهد للتعرف على بعض الأحكام اللغوية أو العقلية أو الحسية .

□ غير أن الفقهاء الذين بدأوا يؤلفون في أصول الفقه منذ أواخر القرن الثاني للهجرة حاولوا توضيح معنى الاجتهاد وحصره في حدود استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية من قرآن وسنة وما يتبعهما من مصادر للفقه كالقياس والإجماع (٢) .

وقد عرف الامدي والمتوفى سنة ٥٦٣١هـ الاجتهاد بأنه : «استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز

(١) الفزالي أبو حامد : المستصفى ، مصر ١٩٣٧ ، ج ٢ ص ١٠١ . راجع أيضاً : ابن منظور ، جلال الدين : لسان العرب ، بيروت ١٩٥٦ ، ج ٣ ص ١٣٥ .

(٢) زيدان ، عبد الكريم ، الوجيز في أصول الفقه ، بغداد ١٩٦٢ ص ١٤ - ١٧ .

عن المزيدي فيه (٣). وقد اعتبروا المجتهد مأجوراً على اجتهداده سواء أصاب في التوصل إلى الحق أم أخطأ عملاً بقوله (ص) : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» (٤). ويلاحظ أن القرآن قد دعى الناس منذ البداية إلى الاجتهاد في البحث عن عقيدتهم ، لأنه كان يستهدف تعويل الناس من الشرك إلى عقيدة التوحيد لذا فقد حثَّ الناس على استعمال العقل للوصول إلى العقيدة الصحيحة في حوالي تسع وأربعين آية (٥) ، نحو قوله : «كذلك يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (٦) ، «قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون» (٧) «إنا أنزلناه قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (٨) ، كما لفت الأنظار إلى وجوب التفكير والتفكير في حوالي ثمان عشرة آية (٩) كقوله : «كذلك يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» (١٠) ، «قل : هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أفلا تتفكرون ؟» (١١) ، «وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (١٢) ، كذلك فقد بحث القرآن الناس على تدبر آياته في عدة مواضع ، كقوله : «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» (١٣)

<http://Archivebeta.Sakhalit.com>

- (٣) الأمدى ، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد : الأحكام في أصول الأحكام ، القاهرة ١٩٦٨ ، ج ٤ ص ١٤١ .
- (٤) الخالط المذري : مختصر صحيح مسلم (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني دمشق ١٣٨٩) ج ٢ ص ٤٠ .
- (٥) عبد الباقي محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مصر ١٣٧٨ ص ٤٦٨-٤٦٩ .
- (٦) سورة البقرة : ٢٤٢ .
- (٧) سورة آل عمران : ١١٨ .
- (٨) سورة يوسف : ٢ .
- (٩) عبد الباقي : المعجم المفهرس ، ص ٥٣٥ .
- (١٠) سورة البقرة : ٢٦٦ .
- (١١) سورة الانعام : ٥٠ .
- (١٢) سورة النحل : ٤٤ .
- (١٣) سورة محمد : ٢٤ .

«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب» (١٤).
لذا : فقد نعى القرآن الكريم على المشركين إهمالهم الاسترشاد بهدى عقولهم
وجمودهم على تقاليد آبائهم وأجدادهم من غير تمييز بين الصالح والطالح
منها في العديد من الآيات نحو قوله : « وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله
، قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا : أولئك كان آباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون ؟ » (١٥).

وقد اعتبر القرآن الكريم الجمود على تقاليد الآباء والأجداد ورفض قبول
العقائد الجديدة من سمات الطبقة المترفة الممسكة بزمام الأمور في المجتمع
ربما لأنها تجد في استمرار القديم ما يضمن بقاء مصالحها وتفوذها ، وقد وصف
القرآن ذلك بقوله : « بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها :
إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جنتكم
بأهلى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون » (١٦) ،
وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون » (١٧).
وقرر القرآن في آية أخرى : « وأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض
بغير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها ، وإن يروا سبيلا لرشد لا
يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيلا لغيري يتخذوه سبيلا » (١٨) .

لذلك فقد أطلق القرآن الكريم على هؤلاء المشركين المتعصين تعصبا أعمى
لتقاليد السلف وعقائدهم صفة « الكافرين » ، وذلك لأن الكفر يعني - في
لغة العرب - ستر الشيء وتغطيته (١٩) . ومن ثم ، فالكافر هو من يغطي

(١٤) سورة ص : ٢٩ .

(١٥) سورة البقرة : ١٧٠ .

(١٦) سورة الزمر : ٢٢ - ٢٥ .

(١٧) سورة سبأ : ٣٤ .

(١٨) سورة الأعراف : ١٤٥ .

(١٩) ابن منظور : لسان العرب ج ٥ ص ١٤٤ .

الحقيقة ويسترها رغم معرفته بها ، بدل أن يبحث عنها ويطلبها . وهذا ما حمل بعض علماء المعتزلة كالجاحظ (٢٠) وبعض علماء أهل السنة كالإمام الغزالي (٢١) من الأقدمين والشيخ محمود شلتوت من المعاصرين على تقرير أن: «الشرك الذي جاء في القرآن أن الله لا يغفره ، هو الشرك الناشئ عن العناد والاستكبار الذي قال الله في أصحابه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوًا)» (٢٢) .

ربما ، كان ما تقدم سر عطف الرسول (ص) على الأحناف الذين تركوا دين قومهم ، وخرجوا يبحثون عن الدين الحق ، فقد روى أن الرسول (ص) استغفر لأحدهم وهو زيد بن عمرو بن نفيل الذي توفي وهو يبحث عن الدين الحق ، وقال عنه : «إنه يبحثُ أمةً وحده» (٢٤) .

وموقف الرسول هذا ينسجم تماماً مع موقف القرآن المتعاطف من النبي إبراهيم حينما كان يبحث عن الإله الحق : «فلما جنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفلَّ قال لأحبُّ الآفلين» ، فلما رأى القمرَ بازغاً قال هذا ربي فلما أفلَّ قال لئن لم يهني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين ، فلما رأى الشمسَ بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلَّتْ قال يا قومي إنني بربى مما تُشركون» (٢٥) .

كما أن ماورد أعلاه يفسر لنا سر موقف الإسلام المتشدد تجاه المشركين حينما انتصر عليهم وأصبحت له السيادة في شبه الجزيرة العربية في حدود السنة التاسعة للهجرة ، فقد أعلن البراءة منهم وخيّرهم بين الإسلام والسيف (٢٦)

(٢٠) الآمدي : الأحكام ٤ ج ١ ص ١٥٥ .

(٢١) النزالي : أبو حامد ، القصور الموالي ، رسالة في فصل التفرقة بين الاسلام

والزندقة القاهرة ١٩٧٠ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢٢) سورة النمل : ١٤ .

(٢٣) شلتوت ، الشيخ محمود : الاسلام عقيدة وشريعة ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٢ .

(٢٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، مصر ١٩٥٠ ، ج ١ ص ٢٢٦ .

(٢٥) سورة الانعام : ٧٦ - ٧٨ .

(٢٦) سورة التوبة : ١ - ١٥ .

وذلك لأن الإسلام سبق أن عرض على المشركين «في المرحلة المكية» تحكيم المنطق والعقل ، ولكن هذا العرض لم يلق أية استجابة كما قلنا ، كما عرض عليهم حرية العقيدة ، بإعلانه أنه «لا إكراه في الدين» (٢٧) وأنه «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكبره» الناس حتى يكونوا مؤمنين» (٢٨) ، «وإيا أيها الكافرون ، لا أعبد متعبدون ، ولا أنتم عابدون» ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين» (٢٩) . إلا أنهم رفضوا هذا العرض ، أيضاً ، وأنطلقوا يضطهدون المسلمين ويعملون على فتنهم عن دينهم مما اضطهرهم للهجرة عن بلدهم طلباً لحرية العقيدة .

لذا ، يمكن اعتبار إلغاء الإسلام للشرك في شبه الجزيرة العربية إلغاءاً للجمود وللتعصب الأعمى لتقاليد الآباء والأجداد الذي كان حجر عثرة في طريق توحيد العرب وتقديمهم .

ويلاحظ أنه في الوقت الذي اتخذ الإسلام هذا الموقف تجاه المشركين ، نجده يعترف بحرية العقيدة بالنسبة لاتباع الديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية ويكتفي بإسناد الجزية منهم رمزاً لخضوعهم للسلطة الزمنية الإسلامية (٣٠) . وهذا ما حمل العديد من الباحثين غير المسلمين إلى الإعراف والإشادة بروح التسامح التي تحل بها الإسلام في عصوره الأولى تجاه أصحاب الديانات الأخرى (٣١) .

أما الدعوة إلى الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية كأحكام العبادات والمعاملات فلم ترد حولها في القرآن سوى إشارات

(٢٧) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٢٨) سورة يونس : ٩٩ .

(٢٩) سورة الكافرون : ١-٦ .

(٣٠) سورة التوبة : ٢٩ .

(٣١) كوكل زهير ، أكناس : العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة د. محمد يوسف موسى ود. علي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ، مصر ١٩٥٩ ، ص ٤٥-٤٧ .

مقتضبة نحو قوله : «ولو ردوه» إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعليه»
الذين يستنبطونه منهم» (٣٢) . ويرجع السبب في ذلك إلى أن القرآن كان
يتولى وضع الأحكام الشرعية التي تعالج هذه المسائل مباشرة ، وبالتالي فلم
تكن ثمة حاجة تدعو للاجتهاد في هذا المجال في عصر الرسالة .

ولكن بعد وفاة الرسول (ص) انقلب الموقف ، فلم تعد ثمة حاجة ملحة
إلى الدعوة للاجتهاد في البحث عن العقيدة بعد أن دخلت جزيرة العرب
بأجمعها في الإسلام ، وأخذت الجيوش الإسلامية تُصنّف الإمبراطورية
الساسانية من جهة وتهدد وجود الإمبراطورية البيزنطية من جهة أخرى . لقد
برزت في هذه المرحلة الحاجة إلى استنباط الأحكام الفقهية التي تعالج المشاكل
المستجدة التي أخذت تواجه الدولة الإسلامية لذا فقد اتجهت الجهود نحو
تشجيع النشاط الفقهي بكل قوة (٣٣) .

إن إهمال الدعوة للاجتهاد في أمور العقيدة لم يؤد إلى توقف الاجتهاد في
هذا المجال ، لأن الإسلام لم يفصل بين الدين والدولة ، وبالتالي فقد اكتسبت
المنازعات السياسية صبغة دينية . وهكذا فقد قاد الاختلاف في الاجتهاد
السياسي إلى خلاف في التصور الديني ، مما أدى إلى نشوء طوائف وفرق
دينية متميزة عن بعضها . وربما كان من أبرز الأمثلة التي تؤيد ما ذكر أعلاه،
التراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حول الخلافة وما ترتب
على ذلك من نتائج . فقد قاد هذا التراع إلى حرب ضروس بين أتباع علي
وأتباع معاوية وأخذ كل فريق يُكفّر الفريق الآخر . وحينما طُرحت
فكرة التحكيم لفض النزاع بين الطرفين أثناء معركة صفين وقبل بها علي بن
أبي طالب بعد تردد ، خرج عليه طائفة من أتباعه معلنين أن علي قد أخطأ
حينما قبل التحكيم لأنه جعل حقه في الخلافة موضع شك . وبذلك نشأت
فرقة جديدة سميت بالخوارج . وأخذت تتكون لديها مع الأيام آرائها العقائدية

(٣٢) القرآن : سورة النساء ٨٣٤ .

(٣٣) خلاف ، عبد الوهاب ، علم أصول الفقه ، الكويت ١٩٦٨ ص ١٥ .

المتميزة التي كان أبرز ما فيها تكثير أتباع علي ومعارية في آن واحد . وأن خليفة المسلمين يجب أن ينتخب من بين أصلح المسلمين بغض النظر عن نسه . أما أتباع علي بن أبي طالب من الشيعة فقد غلّو في حب علي وآله وأخذوا يكفّرون الأمويين وغيرهم ممن خلاصم علي حقه في الخلافة وأصبحوا يمررون الأيام فرقة متميزة لما فكرها الديني الخاص الذي يدور بصورة أساسية حول الإمامة وحصر حق توليها في علي وأولاده . أما الذين وقفوا على الحياد ورفضوا خوض غمار هذا الصراع السياسي الديني وبالتالي فقد رفضوا إدانة موقف أي من الطرفين المتخاصمين وقالوا فرجى الحكم عليهم إلى يوم القيامة فقد سموا مرجئة (٣٤) .

وقد قادت المناقشات بين الشيعة والخوارج والمرجئة إلى إثارة كثير من القضايا العقائدية كمحاولة تحديد من هو الكافر ومن هو المؤمن ، وما هو حكم مرتكب الكبيرة ، وأين مكانه يوم القيامة ، أي الجنة أم في النار ، وما إلى ذلك ... وكان من الطبيعي أن تساهم هذه المناقشات في ترسيخ فكر كل فرقة من هذه الفرق وتدفعه إلى التطور . كما ساهمت أيضاً في نشوء فرق أخرى كان أبرزها فرقة المعتزلة الذين قالوا أن مرتكب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين : الكفر وإيمان أي ، أنه فاسق (٣٥) .

ولم يكن الصراع السياسي بين المسلمين وحده سبباً في توسيع الاجتهاد في أمور العقيدة ، وإنما كان الصراع بين الفكر الإسلامي وبين الأديان والفلسفات الأخرى الموجودة في البلاد التي خضعت للدولة الإسلامية بشكل عاملاً آخر في توسع البحث في هذا المجال . ذلك أن أصحاب الديانات الأخرى كالمسيحيين واليهود أخذوا يثيرون بعض القضايا الفكرية الحساسة كشكالة التقدر ، وهل الإنسان مسير أم مخير . فتطلب ذلك من المسلمين الدخول في

(٣٤) الطبري ، محمد بن جرير ، تأريخ الطبري مصر ١٩٦٣ ، ج ٥ ص ٦٤-٦٥

أحمد أمين ، فجر الاسلام مصر ١٩٦٤ ، ص ٢٥٦-٢٨٢

(٣٥) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ٢٥٦-٢٠٣

مناقشات فلسفية معمقة ، خصوصاً وأن أهل الأديان الأخرى كانوا يتسلحون في نقاشهم مع المسلمين بالفلسفة اليونانية ، فحمل ذلك المسلمين على الاهتمام بالفلسفة وترجمتها إلى العربية للإستعانة بها في الدفاع عن عقيدتهم . وقد قادت هذه المناقشات إلى إثارة مسائل ، وظهور آتسامات لم تكن موجودة في السابق . وربما كان من أبرزها ظهور فئة من المسلمين تؤمن بالجبر فسموا الجبرية ، وأخرى تؤمن بالقدر فسموا القدرية (٣٦) .

في البداية ، كان الصراع حامياً جداً بين الفرق والفئات المشار إليها أعلاه وربما كان ذلك طبعياً ، لأن الإقسام الذي يرجع إلى أسباب سياسية ودينية من شأنه إثارة التعصب ويعد أصحابه عن روح التسامح في أغلب الأحيان . لذلك لم تعذر هذه الفئات بعضها بعضاً ولم تحاول مساعدتها على اعتبار أنها كانت مخلصمة ومجتهدة في البحث عن الحق . وإنما كفت كل طائفة خصومها وراحت ترسم تصوراتها عما يكفر به المرء وما لا يكفر . يقول أبو الحسن الأشعري وأختلف الناس بعد نبيهم - صلى الله عليه وسلم - في أشياء كثيرة ضلل فيها بعضهم بعضاً وبرىء بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين وأحزاباً متشتتين ، إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم (٣٧) .

وربما كان المرجعهم القنة الوحيدة التي حاولت أن تشيع التسامح بين هذه الطوائف المتصارعة حينما راحت تدعو الناس إلى إرجاء الحكم على أعمال الناس وعقائدهم إلى يوم القيامة ، حيث يحكم الله بينهم فيما كانوا فيه يختلفون . «فعدوا كل الطوائف الخالفة لهم من شيعة ومعتزلة وخوارج وغيرهم مؤمنين ، وعدوا كل من تأول واجتهد مؤمناً وإن أخطأ ، وليس كافراً إلا من أجمعت الأمة على كفره ، وليس أحد يخلد في النار من المؤمنين ، بل إما أن يعفو الله عن ذنوبهم أو يعذبهم عليها حيناً ، ثم يدخلهم الجنة» (٣٨) .

(٣٦) أحمد أمين ، فغير الاسلام ، ص ٢٨٢ - ٣٠٠ .

(٣٧) الأشعري ، أهر الحسن ، مقالات الاسلاميين ، مصر ١٩٥٠ ، ج ١ ص ٣٤ .

(٣٨) أحمد أمين ، عسى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٤ ، ج ٣ ص ٣٢٢ .

ورغم أن آراء المرجئة هذه لم تقابل في البداية بالترحاب نظراً لشدة الصراع وضراوته بين الطوائف الإسلامية المتنازعة ، إلا أنه بعد أن هدأت حدة الصراع ، وأخذت كل طائفة تحاول التخفيف من غلوها في النزاع ، بدأت آراء المرجئة تتسرب إليهم . فقد تسرب إلى عقائد أهل السنة من أقوالهم أن المؤمنين العصاة لا يخلّدون في النار ، وأنه لا يكفر أحد بذنب إلا في حدود معينة (٣٩) ، حتى لقد عدّ أبو الحسن الأشعري أبا حنيفة وأصحابه من المرجئة لأنهم كانوا يرون «أن الإيمان المعرفة بالله والإقرار بالله ، والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء به من عند الله في الجملة دون التفسير» (٤٠) . وقد كان أبا حنيفة يقول : «ولا تكفر أحداً بذنب ، ولا تنفي أحداً عن الإيمان» (٤١) .

كما ذكر الأشعري أن أكثر أصحاب أبي حنيفة «يحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم له والمحبة منه وترك الاستخفاف بحقه ، وأنه لا يزيد ولا ينقص» (٤٢) .

وقد تبني هذا الموقف التسامح من بعد مجموعة من كبار الفقهاء أمثال الغزالي ، والفخر الرازي وابن تيمية (٤٣) .

يقول أبو حامد الغزالي في كتابه «فصل الضلالة بين الإسلام والزندقة» من أن شرح ما يكثر به المرء وما لا يكثر يطول . لذا ، «فاقنع الآن بوصية وقانون أما الوصية : فأَنْ تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ، ما داموا قائلين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، غير مناقضين لها . والمناقضة تجوزهم الكذب على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعذر أو بغير عذر ، فإن التكفير فيه خطر والسكوت لا يخطر فيه ، أما القانون فهو : أن تعلم أن

(٣٩) المرجع نفسه ، ج ٣ ص ٣٢٤ .

(٤٠) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

أحمد أمين ، معنى الإسلام ، ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٤١) أحمد أمين ، معنى الإسلام ، ج ٣ ص ٣٢١ .

(٤٢) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٤٣) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، بيروت ١٩٦٩ ، ج ٤ ص ١٠٤ .

النظريات قسمان : قسم يتعلق بأصول القواعد ، وقسم يتعلق بالفروع .
وأصول الإيمان ثلاثة : الإيمان بالله ، ورسوله ، وباليوم الآخر . وما عداه
فروع واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلاً ، إلا في مسألة واحدة وهي أن
'يُنكَرَ أصلاً دينياً' علم من الرسول صلى الله عليه وسلم . بالتواتر (٤٤) ..
«التواتر ينكره الإنسان بلسانه ، ولا يمكن أن يجمله بقلبه . نعم ، لو
أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد ، فلا يلزمه به الكفر (٤٥) ولو أنكر ما ثبت
بالإجماع ، فهذا فيه نظر ، لأن معرفة كون الإجماع حجة قاطعة فيه غموض
يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه . وأنكر النظام كون الإجماع حجة أصلاً .
فصار كون الإجماع حجة مختلفاً فيه (٤٦)

لذا . فقد قرر الغزالي «أن الخطأ في أصل الإمامة ، وتعيينها وشروطها
وما يتعلق به ، لا يوجب شيء منه تكفيراً» فقد أنكر أن كيان أصل وجوب
الإمامة ، ولا يبرم تكفيره . ولا تلتفت إلى قوم يُعْطِشُونَ أمر الإمامة ،
ويتعللون الإيمان بالإمام مقروناً بالإيمان بالله ورسوله ، ولا إلى حصومهم
المكفّرين لهم بمجرد مدّهم في الإمامة . فكل ذلك إسراف . إذ ليس في
واحد من القولين تكذيب للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أصلاً (٤٧) ..
وقد أجاز الإمام العراقي للمجتهد أن يلجأ إلى تأويل النصوص الشرعية
حين يتعلل عليه الإقتناع بظاهر النص . ولم يجر لأحد أن يكفره بسبب ذلك
حيث يقول : «ولا يلزم كفر المؤولين ماداموا يلازمون قانون التأويل ...
وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه

(٤٤) الغزالي ، فيصل التفرقة (تحقيق الدكتور سليمان دنيا) مصر ١٩٦١ ص ١٩٥ .

(٤٥) إذا عسا أن الحديث المواتر لا يذكره المحدثون ، وهو قليل لا يكاد يروى في رو يذهب
كما جاء في كتاب تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، أدرك مدى خطورة رأي
الإمام الغزالي في هذا الصدد .

وأرجع السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، مصر ١٩٥٩ ص ٢٧١

(٤٦) المرجع نفسه : ص ١٩٦ .

(٤٧) للغزالي ، فيصل التفرقة ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

فأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل ، رحمة الله عليه . وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأعصرها أن تحصل الكلام محازاً ، أو استعارة ، وهو الوجود العقلي ، والوجود الشبهي . والحنبلي مضطر إليه وقائل به ، فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة يبنّون يقولون : إن أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط .

أحدها : قوله (ص) : (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) . فانظر ، الآن : كيف أولّ هذا ؟ حيث قام اليمين عنده على استحالة ظاهره ، فيقول : اليمين 'تقبل' في العودة تقريباً إلى صاحبها . والحجر الأسود يقبل أيضاً تقريباً إلى الله تعالى . فهو مثل اليمين ، لافي ذاته ، ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه ، فسمي ، لذلك ، يميناً . وهذا الوجود هو الذي سمّياه الوجود الشبهي ، وهو أحد وجوه التأويل . فانظر كيف أضطر إليه أبعد الناس عن التأويل (٤٨) .

إن ما نقله عبد الجليل عيسى عن الفصل الذي كتبه الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي في كتابه «تأويل الحميمية والمعتزلة» المخطوط بدار الكتب المصرية يعد تلخيصاً جيداً لأراء المتأخرين من أهل السنة في هذا المجال حيث يقول : «إن المعتزلة ، أو المرجئة ، وكثيراً غيرهم من الفرق الإسلامية مجتهدون ، لهم ما للمجتهدين فكما أن اسم الاجتهاد يتناول في العرف فروع الفقه ، فكذلك مسائل الكلام لعموم مفهوم الاجتهاد ، لغة وأصطلاحاً ، ووجوداً وكيف لانعد فرق المجتهدين في الأصول من المجتهدين وهي تستدل على دعواها بالقرآن أو السنة ، وترى أن ما ظهر لها منهما هو الحق دون سواه ؟ ولما تشابهت الآيات والأحاديث في مثل رؤية الإنسان لله سبحانه ، وفي مثل إيجاد الإنسان لأعمال نفسه . وفي مثل القرآن قديم أو محدث ، ذهب كل فريق إلى ما رآه أوفق لكلام الله ورسوله ، وأليق بعظمته ، فكانوا ، لذلك ، مجتهدين وفي اجتهادهم مأجورين . وإن كانوا في القرب من الحق متفاوتين .

ثم قال : ولا يصح ذم أهل الفرق على الإطلاق فقد تلقى أئمة الحديث على كثير منهم ، وحملوا السنة النبوية عنهم وجعلوهم في ذلك حجة بينهم وبين ربهم . وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عدد كبير من المعتزلة والأباضية والمرحنة والشيعة ، كما تراه في مقدمة «فتح الباري» لشرح صحيح البخاري ، و«التدريب شرح التقريب» للسيوطي ، و«ميزان الاعتدال» للذهبي ، وقد قال الإمام أحمد ، رضي الله عنه لو تركنا الرواية عن المعتزلة لتركنا أكثر أهل البصرة . وقال ابن تيمية : كان منهم خلق كثير من العلماء والعباد . وأخرج لهم البخاري ومسلم .

وقد أشتهر بين العلماء أن من كان منهم داعية إلى بدعة لم يروا عنه . ولكن العراقي اعترض على ذلك بأن الحارثي ومسلم احتجا بالدعاة من أهل الفرق ، فاحتج الحارثي بـ **عمران بن حطان الخارحي** واحتج هو ومسلم بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني وكان من دعاة المرحنة . ثم قال القاسمي : وبالجملة فكون هذه الفرق مجتهدة لها ما للمجتهدين ، أمر لا يرتاب فيه منصفه (٤٩) .

ولم يقف الأمر عند حدود توسيع مفهوم الاجتهاد ليشمل مسائل الخلاف في مفاهيم العقيدة بين الفرق والطوائف الإسلامية ، بل وجد من يعدده ليشمل الاجتهاد في اختيار العقيدة ذاتها ، وليعتبر المجتهد مأجوراً على اجتهاده في هذا المجال حتى ولو لم يؤده اجتهاده إلى الإيمان بالعقيدة الإسلامية ذاتها ، فقد ذكر الآمدي أن الجاحظ وعبيد الله العنبري من المعتزلة قد قالوا : «يحط الإمام عن مخالف ملة الإسلام إذا نظر واجتهد فأداه اجتهاده إلى معتقده ، وأنه معذور بخلاف المعاند» (٥٠) وقد استدلوا على وجهة نظرهم هذه بأن تكليف المجتهدين «باعتقاد نقيض معتقدهم الذي أدى إليه اجتهادهم ، واستفرغوا

(٤٩) عيسى ، عبد الجليل ، ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين ، الكويت ١٩٦٩

ص ٢٠٠ - ٢٠٢ .

(٥٠) الآمدي : الاسكاف ، ج ٤ ص ١٥٤ .

الوسع فيه ، تكليف بما لا يطاق ، وهو ممتنع للنص والمعقول . أما النص فقوله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وأما المعقول فهو أن الله تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم ، فلا يليق به تعذيبهم على مالا قدرة لهم عليه ولهذا . كان الأئمة مرتفعاً عن المجتهدين في الأحكام الشرعية مع اختلاف اعتقاداتهم فيها بناء على اجتهاداتهم المؤدية إليها « (٥١) » .

غير أن جمهور علماء المسلمين لا يميلون إلى قبول هذا الرأي ويرون أنه ليس كل مجتهد في العقليات مصيباً ، وأن الأئمة غير معطوط عن مخالف ملة الإسلام ، سواء نظر وعجز عن معرفة الحق أم لم ينظر « (٥٢) » . وقد استدلل الجمهور على رأيهم بقوله تعالى : « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » وقوله : « ودلكم طنكم بربكم أرادكم » وقوله تعالى : « ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون » . ووجه الاحتجاج بهذه الآيات هو أن الله تعالى قد ذم الكافرين على معتقدهم ونوعدهم بالعقاب عليه ولو كانوا معذرين فيه لما كان كذلك « (٥٣) » .

إلا أن أصحاب الرأي الأول يدعون هذه الحجة قوطم . إن غاية ماورد في الآيات المتقدمة هو ذم الكفار ، وذلك غير متحقق في محل النزاع ، لأن الكفر في اللغة مأخوذ من السر والتغطية ومنه يقال : الليل كافر ، لأنه سائر للحوادث ، ولخارث كافر لسره الحب ، وذلك غير متصور إلا في حق المعاند العارف بالدليل ، مع إنكاره لقتضاه « (٥٤) » .

كما يستدل الجمهور على رأيهم بسنة رسول الله (ص) : « فقد علم منه عليه السلام ، علماً لا مراء فيه تكليفه للكفار من اليهود والنصارى بتصديقهم ، واعتقاد رسالته وذمهم على معتقاداتهم وقتله لمن ظفر به منهم ، وتعذيبه على ذلك . مع العلم بالضرورة بأن كل من قاتله وقتله لم يكن معانداً بعد ظهور

(٥١) المرجع نفسه ، ج ٤ ص ١٥٦ .

(٥٢) المرجع نفسه ، ج ٤ ص ١٥٤ .

(٥٣) الاملي : الاسكام ، ج ٤ ص ١٥٥ .

(٥٤) للمرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٥ - ١٥٦ .

الحق له بدليله ، فإن ذلك مما تحيله العادة . ولو كانوا معذورين في اعتقاداتهم ، وقد أنوا بما كلفوا به ، لما ساع ذلك منه (٥٥) .

ويرد أصحاب الرأي الأول على هذه الحجة بقولهم : أنهم لا يسلمون أن الرسول (ص) قد أمر بقتل الكفار عقاباً لهم على ما اعتقلوه نتيجة أجتهدهم ، بل كان ذلك عقاباً للذين أصروا على إهمال البحث عن العقيدة الصحيحة والكشف عنها مع توفر امكانيات ذلك لديهم (٥٦) . وربما كان مما يقوي هذه الحجة ما ذكره القرآن الكريم عن المشركين الذين ححدوا الدعوة الإسلامية ظلماً وعلواً بعد أن استيقنتها أنفسهم . وقالوا : «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آثارهم مقتنون» (٥٧) . أما اليهود فقد أشار القرآن الكريم إلى أنهم كانوا يستنحون عبي الدين كمجبي النبي فلما جاءهم ما عرّفوا كمروا به حصداً من عند أنفسهم (٥٨) عناداً وتككاراً ولم يرد أن الرسول (ص) قد قتل أحداً بسبب عيبه ، فقط . بل أثبت أن الذين أمر بقتلهم كانوا مقاتلين للمسلمين .

وأخيراً ، فقد احتج الجمهور بأن إجماع الأمة قد انعقد قبل ظهور المخالفين وعلى قتال الكفار وذمهم ومهاجرتهم على اعتقادهم . ولو كانوا معذورين في ذلك ، لما ساع ذلك من الأمة المعصومة عن الخطأ (٥٩) .

غير أن أصحاب الرأي الأول يدفعون هذه الحجة بقولهم : «وأما الإجماع فلا يمكن الاستدلال به في محل الخلاف : كيف . وأنه يمكن حمل فعل

(٥٥) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٥ .

(٥٦) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٦ .

(٥٧) سورة الزمر : ٢٣ .

(٥٨) سورة البقرة : ٨٩ .

(٥٩) الامدي : الاحكام ، ج ٤ ص ١٥٥ .

أهل الإجماع على ما حمل عليه فعل النبي عليه السلام؟ «المشار إليه آتفاً (٦٠) ويبدو أن حجج أصحاب الرأي الأول قد حملت أبا حامد الغزالي على قبول رأيهم رغم مخالفته لرأي جمهور العلماء . فقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه : «فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» أن من كذب الرسول (ص) وبعد ما قرع سمعه التواتر عن خروجه وصفته ومعجزاته المخارقة للعادة - كشق القمر وتسبيح الحصا - ونبع الماء من بين أصابعه - والقرآن والمعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه ، فإذا قرع ذلك سمعه فأعرض عنه وتولى ، ولم ينظر فيه . ولم يتأمل ولم يبادر إلى التصديق . فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر . ولا يدخل في هذا أكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين ، بل أقول : من قرع سمعه هذه فلا بد أن تنبث به داعية الطاب ليستين حقيقة الأمر ، إن كان من أهل الدين ، ولم يكن من الدين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة . وإن لم تنبث هذه الداعية ، فذلك لركونه إلى الدنيا . وحلوة عن الخوف . وحظر أمر الدين ، وذلك كفر . وإن أنبث الداعية فتعصر في الطاب فهو أيضاً كافر ، بل ذو الإيمان بالله واليوم الآخر من أهل كل دلة لا يمكنه أن يتمتع بالطيب بعد ظهور المخايل بالأسباب المخارقة للعادة ، فإن استغل بالنظر والطاب ، ولم يقصر ، فأدركه الموت قبل تمام التحقيق ، فهو أيضاً مغفور له ثم له الرحمة الواسعة» (٦١)

(٦٠) المرجع نفسه : ج ٤ ص ١٥٦ .

• من الغريب أن يقلل الغزالي نسبة مثل هذه المعجزات لرسول وهو يقرأ آيات القرآن لمشركين على طلبات ماثلة لهذه المعجزات كي يؤمنوا به : «وقالوا لنؤمن بك حتى تعجز بنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تسجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي باله واللائكة قبلاً أو يكون لك بيت من حرير أو نرق في السماء ولنؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً» سورة الإسراء ٩٠ - ٩٣ .

راجع أيضاً سورة الفرقان : ٧-٨ وسورة هود : ١٢ .

(٦١) الغزالي ، التصور العوالي " رسالة في فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة " ، ص ١٥٦-١٥٧

غير أن الذي يقرأ كتاب «المستصمى» يلاحظ أن الإمام الغزالي كان يأخذ برأي الجمهور في هذه المسألة حيث يقول : «وهذا الذي ذكره (الملاحظ) ليس بمحال عقلاً لو ورد الشرع به ، وهو جائز ، ولو ورد أنتعبد كذلك لوقع ، ولكن الواقع خلاف هذا ، فهو باطل بإدلة سمعية ضرورية» (٦٢). ثم يرد بنص أدلة الجمهور التي قلنا ذكرها لتدعيم رأيهم مما يدل على أن الإمام الغزالي كان قد غير رأيه في هذه المسألة في أواخر سني حياته وذلك لأنه كان قد ألف كتاب «المستصمى» في ٦ محرم سنة ٥٠٣ للهجرة في نيسابور كما يروي ذلك ابن الأثير ، أي قبل وفاته بحوالي ستين ، بينما لم يؤلف كتاب «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» إلا في حدود سنة ٤٩٧ للهجرة أي قبل تأليف كتاب «المستصمى» بست سنوات (٦٣).

ومن الجدير بالذكر ، أن آراء الملاحظ التي عرضها الأمدي في هذا الصدد وناقشها لوجودها في كتبه التي وصلت إلى أيدٍ ، مما يدل على أنها قد وردت في بعض كتبه المفقودة وخصوصاً الكتب التي تنطرق فيها الملاحظ إلى بعض المسائل الأصولية والكلامية مثل كتاب «العتاب» وكتاب «حجج النبوة» (٦٤) وهنا قد يطرح تساؤل: ألا يحوز أن تكون هذه الآراء مسوبة إلى الملاحظ خطأً ؟ .. في الحقيقة ، إن ذلك مستبعد ، لأن الأمدي والإمام أبا حامد الغزالي قد نسا هذه الآراء إلى الملاحظ على سبيل الجزم ، وهو قريب عهد بهما نسباً ، مما يدل على أن كتبه التي وردت فيها هذه الآراء كانت متداولة في عصرهما . كما أن هذه الآراء تنسجم مع منهج الملاحظ في تمجيد العقل ودعوته إلى وجوب تحرر العالم من المألوف ومن المعرفة الأولى أثناء بحثه ومحاولة الوصول إلى الحقائق (٦٥) . كما أنه يُعدّ تطبيقاً لرأيه في مسألة

(٦٢) التبرالي ، أبو حامد . المستصمى من علم الأصول ، ج ٢ ص ١٠٦-١٠٧ .

(٦٣) عثمان ، عبدالكريم : سيرة الغزالي ، دمشق ١٩٦٢ ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٦٤) الحاجري ، الدكتور طه : الملاحظ ، حياته وآثاره ، مصر ١٩٦٢ ،

ص ٣١٢-٣٢٧ .

(٦٥) خفاسي ، محمد عبدالمتمم . أبو عثمان الملاحظ ، القاهرة ، ص ١٦٨ .

أن المعارف ليست من فعل الإنسان لأنها متولدة إما من اتجاه الحواس أو من اتجاه النظر. ولذلك قال : إن الإنسان في تحصيل معارفه ليس له إلا توجيه الإرادة ، وما يحدث بعد ذلك فاضطرار وطبيعة ، فإذا فتحت عينك فأدركت أن هذا الشيء أحمر ، وهذا أصفر ، وأن هذا أكبر من ذاك ، ففتحت لعينك عمل إرادي اختياري كسبي ، وأما المعارف التي تحصل منه أو بعبارة أخرى تتولد منه فاضطرارية ، وكذلك الشأن في توجيه الفكر إلى البحث واستعراض البرهان ، فتوجيه النظر عمل إرادي ولكن اقتناع الناشر أو عدم اقتناعه وتحصيل العلم به عمل ضروري أو اضطراري لأكسي (٦٦).

ويميل علماء الاجتماع إلى قبول المقارنة التي جاء بها الجاحظ بين المحسوسات والمقولات . فالعقل في رأي الجاحظ كالحس لا ينحصر الإرادة إلا ضمن نطاق محدود . والعلماء اليوم يعتبرون التفكير كإحساس محدوداً فأنت لا تستطيع أن تعقل شيئاً إلا إذا كان ذلك الشيء داخل نطاق المفاهيم والمقاييس الفكرية التي تعودت عليها في محيطك الاجتماعي (٦٧) .

ومن الجدير بالذكر أن أبا بكر الباقلاني (المتوفى عام ٤٠٣ للهجرة) قد ذكر أن بعض المتكلمين يرون أن مقلدة اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر ليسوا في النار (٦٨) . ورغم أن الباقلاني لا يوافق هؤلاء المتكلمين على رأيهم هذا إلا أنه يقرر أن الحكم في هذه المسألة (طريقه النظر دون التوقيف والخبر) (٦٩) أي أنه متروك لاجتهاد المجتهدين لعدم وجود نصوص قاطعة فيه .

أما نصير الدين الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ) فرغم اتفاقه مع الباقلاني في رفض رأي هؤلاء المتكلمين الذين يحكمون بنجاة مقلدة اليهود والنصارى

(٦٦) اسعد امين ، فنى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٤ ، ج ٣ ص ١٣٢-١٣٣ .

(٦٧) الوردي علي ، مهزلة العقل البشري ، بغداد ١٩٥٥ ، ص ٥٧ .

(٦٨) الباقلاني ابر بكر ، كتاب التمهيد ص ٣٥٣ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٣٥٣ .

وغيرهم من أهل الكفر من النار ، إلا أنه يتفق مع الجاحظ والغنيري في رفض نعت المجتهد الذي بالغ في الاجتهاد ولم يصل إلى المطلوب بنعت الكافر ولأن المبالغ في الاجتهاد إما أن يصير واصلاً أو يبقى ناظرأه وكلاهما ناجيان وعمال أن يؤدي الاجتهاد إلى الكفر فالكافر إما مقلد للكفر وإما جاهل جهلاً مركباً وكلاهما مقصران في الاجتهاد ولذلك حكموا بوقوعهم في العذاب» (٧٠)

ويلاحظ أن علماء المسلمين المحدثين لم يعيروا هذه المسألة كبير اهتمام رغم أن مفاهيم العصر الداعية إلى حرية الرأي والإعتقاد تدعوهم إلى بحثها بشكل ملح ما عدا الشيخ محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) والشيخ محمود شلتوت . فقد أصبح الأول عن ميل قوي لتبني رأي القائلين بحرية الاجتهاد في البحث عن العقيدة حينما قرر أن أول وأساس وضيع عليه الإسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح ، فقد أقامك منه على سبيل الحجة ، وقاضاك إلى العقل ، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته ، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور ؟ أو أن يشور عليه ؟ بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة : إن الذي يستقصي جهده في الوصول إلى الحق ، ثم لم يصل إليه ، ومات طالباً غير واقف عند الظن ، فهو ناج» (٧١) .

أما الثاني، فهو الشيخ محمود شلتوت فقد أعلن عن تبنيه رأي القائلين بحرية الاجتهاد في البحث عن العقيدة بصورة مطلقة حيث قرر أن من لم يؤمن بركن من أركان العقيدة الإسلامية ومستلزماتها لا يعد مسلماً ولا تجري عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين بعضهم ولكن ليس معنى هذا أن من لم يؤمن بشيء من ذلك يكون كافراً عند الله بخلافه في النار . وإنما معناه أنه لا تجري عليه في الدنيا أحكام الإسلام .. أما الحكم بكفره عند الله فهو يتوقف على أن يكون إنكاره لتلك العقائد أو لشيء منها بعد أن بلغته على وجهها الصحيح

(٧٠) الطوسي ، نصير الدين ، تلخيص المصل (مطبوع بذيول كتاب المصل الرازي ، مصر ١٣٢٢هـ ص ٧٤) .

(٧١) الشيخ محمد عبده ، الإسلام والتمرنانية مع العلم والمدنية ، مصر ١٣٧٣ ص ٥١ .

وأفتنع بها فيما بينه وبين نفسه ولكنه أبى أن يعتنقها ويشهد بها عناداً واستكباراً وطمعاً في مال زائل أو جاه زائف أو خوفاً من لوم فاسد . فإذا لم تبلغه تلك العقائد أو بلغته بصورة منفردة أو صورة صحيحة ولم يكن من أهل النظر، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفق لإليها وطل ينظر ويفكر طلباً للحق حتى أدركه الموت أثناء نظره فإنه لا يكون كافراً يستحق الخلود في النار عند الله . ومن هنا كانت الشعوب النائية التي تصل إليها عقيدة الإسلام أو وصلت إليها بصورة سيئة منفردة . أو لم يفقهوا حجته مع اجتهداهم في بجها بمنجاة من العقاب الآخروي ولا يطلق عليهم اسم الكفرة (٧٢) .

وهكذا يتضح كيف أن مفهوم الاجتهاد الاصطلاحي قد توسع عند طائفة من العلماء ليصبح غير مقصور على الاجتهاد في مسائل الفقه ذات الطابع العلمي بل امتد ليشمل الاجتهاد في بحث أمور العقيدة أيضاً . وبذلك عاد التطابق لديهم بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للكلمة كما كان سابقاً من أن الاجتهاد هو بدل الخهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال (٧٣) ، سواء كان ذلك الخهود مصباً على بحث أمر من أمور العقيدة أو مسألة من مسائل الفقه .

أما جمهور علماء المسلمين فقد استقر رأيهم على منع التقليد في مسائل العقيدة (الأصول) ووجوب الاجتهاد فيها . فقد ذكر الجويني (٤١٩-٨٤٧٨) أنه قد اجتمعت الأمة على وجوب معرفة الباري تعالى واستبان بالعقل أنه لا يتأتى الوصول إلى اكساب المعارف إلا بالنظر وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب (٧٤) . لذا فقد أكد سيف الدين الآمدي الشافعي (٥٥١-

(٧٢) شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ص ٣١-٣٢ .

(٧٣) النزالي ، المستصفي ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

(٧٤) الجويني : امام الحرمين . عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، كتاب الارشاد .

مصر ١٩٥٠ ، ص ١١ .

٥٦٣١هـ) على أن الاجتهاد واجب في هذا المجال حتى على المسلم العامي (٧٥) لأن النظر واجب وفي التقليد ترك الواجب (٧٦)، كما أن إجماع السلف منعقد على وجوب معرفة الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز (٧٧) إضافة إلى أن "التقليد مذموم شرعاً فلا يكون جائزاً" (٧٨) .

ومن الجدير بالملاحظة أنه رغم نفي جمهور علماء المسلمين عن التقليد في أخذ أمور العقيدة ودعوتهم إلى الاجتهاد فيها، فإنهم لا يميزون للمجتهد أن يتجاوز في اجتهاده حدود الأصول العامة للعقيدة الإسلامية وإلا وقع في الكفر (٧٩). فحرية الاجتهاد في أمور العقيدة لديهم إذا هي حرية نسبية عكس ما عليه الحال عند بعض مفكري المعتزلة وغيرهم من العلماء الذين وردت الإشارة إلى آرائهم آنفاً.

وفي الختام لن جاز للباحث أن يختار بين الرأي الداعي إلى حرية الاجتهاد في أمور العقيدة والرأي المعارض لها فإنه يجد الأدلة تسوقه إلى تبني الرأي الأول لا سيما وأن هذا الرأي يسجم مع دعوة القرآن الكريم إلى استخدام العقل وعدم الجحود على تقاليد الآباء والأجداد، ويضع أساساً راسخاً لإرساء روح التسامح والتعاون بين بني الإنسان طبقاً لقوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل ليتعارفوا" إن أكرمكم عند الله أتقاكم (٨٠)

الدكتور هاشم يحيى الملاح
عميد كلية الآداب - جامعة الموصل

(٧٥) الآمدي : الاحكام في اصول الاحكام ، ج ٤ ص ١٩٢ .

(٧٦) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٩٣ .

(٧٧) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٩٤ .

(٧٨) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٩٤ .

(٧٩) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٥٧-١٥٤ .

(٨٠) سورة المجرات : ١٣ .

نظم ديار بكر الإداري في عهد الأرتقة *

د. عماد الدين خليل

تمهيد

إن موضوع التنظيمات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ذو علاقة وثيقة بسياسات الامارات الارتقية وعلاقتها الخارجية ، إذ أن هذه التنظيمات كانت ، إلى حد ما ، القاعدة التي استند عليها الارتقة في توجيه نشاطهم نحو التوسع وإنشاء العلاقات بالدول والامارات المجاورة فمن طريق هذه التنظيمات يتمكن الأمير من السيطرة على الوضع الداخلي لامارته وتسييره وفق نظام معين يمكنه من استغلال الوسائل الاقتصادية والبشرية والحرية من أجل توسيع امارته وتحديد علاقاته بالآخرين . كما يمكنه من القضاء على الفوضى الداخلية والسير بامارته نحو التقدم والنمو في شتى المجالات .

□ وهكذا فإن بحث التنظيم ، على قلة المعلومات عنها وإتماد المصادر عن محاولة ايراد تفاصيل حولها ، ضروري لتوضيح الأساس الداخلي الذي استندت إليه علاقات الارتقة الخارجية ، السياسية والعسكرية ، والتي تشكل القسم الأكبر من هذه الرسالة . ويظهر أن الارتقة حاولوا تنظيم أوضاعهم الداخلية ، وتمكنوا من تحسين النظم السائدة في المنطقة في الفترة السابقة ، كما أنهم اقتبسوا كثيراً من النظم التي عاصرتهم . ولكن المشكلة التي تعترضنا هنا هي : هل أن الارتقة

• صفحات من المروحة دكتوراه بنتوان (الامارات الارتقية في ديار بكر).

أقاموا تنظيماتهم على انقاض جهاز سابق ، أم أنهم أنشأوها بالكلية انشاء جديداً ؟ . ومصدر هذه المشكلة هو عدم تأكيد المصادر على النواحي المتعلقة بالنظم وانصرافها إلى التأكيد على العلاقات السياسية والحروب بالدرجة الأولى ، ليس فقط بالنسبة لديار بكر ، وإنما بصورة عامة ، وهكذا تضعف الاشارات المحدودة عن النظم في خضم من التفاصيل السياسية والعسكرية . ولإعطاء صورة عن المعالم الأساسية للنظم الارتقية ، تجدر الإشارة الى عدد من الاعتبارات ، أهمها :

١ - هناك إشارات إلى عدد من التنظيمات الادارية والاقتصادية في ديار بكر في الفترة التي سبقت تكوين الامارات الارتقية مباشرة ، مما يشير إلى أن المنطقة كانت قد بلغت - في تلك الفترة - مرحلة لا بأس بها من النضج الاداري والاقتصادي . وبمقارنة هذه التنظيمات بتلك التي عرفت لدى الأرتاة يتضح مدى ما أخذته هؤلاء عن سبقهم ومدى ما استحدثوه في هذا المجال .

٢ - إن سكوت المصادر عن بعض التنظيمات والامور الادارية والاقتصادية والاجتماعية ... في فترات معينة من التاريخ لا يعني عدم وجودها ، بل من المحتمل أن المصادر ، بتركيزها على القضايا السياسية والحربية ، قد انشغلت عن ذكر الامور الحضارية . وهنا تجدر الإشارة إلى حقيقة هامة في المجال الحضاري تلك هي أن حدوث تحول سياسي أو حربي ، والانتقال من عهد إلى عهد آخر وسقوط الأمراء وقيام آخرين مكانهم ، لا يعني سقوط التنظيمات القديمة قاطبة وقيام أخرى جديدة لا علاقة لها بسابقتها ، إذ أن ذلك يناقض استمرارية التماسك الاجتماعي والنظامي والبيروقراطي (الوظيفي) بعد حدوث هذه الرجعات . فلا بد إذاً من القول بأن التنظيمات ، في خطوطها الأساسية ، لا يصيبها تغيير كبير إثر تلك الانقلابات ، وبصورة خاصة بالنسبة لطبقة الموظفين الصغار والمسؤولين الثانويين الذين يلعبون دوراً هاماً في استمرارية النظام والتماسك الإداري . وهكذا يمكن القول بأن الأرتاة

لم يقيموا مؤسسات ونظماً جديدة بالمرّة على المنطقة ، بل أن بعضها كان موجوداً ، واكتفى هؤلاء بإجراء بعض التعديلات عليها ، فضلاً عن ادخالهم نظماً جديدة مقتبسة عن الدول المعاصرة كالسلاجقة والأيوبيين والمماليك .

٣- لم تقم الامارات الارتقية دفعة واحدة ، بل قامت في فترات زمنية متباعدة ، وليس هذا فحسب ، بل أن كلاً من هذه الامارات بدأت بمدينة أو حصن واحد وأخذت تتسع بالتدريج بضم أماكن جديدة إليها . وهذا يشير ، من ناحية سياسية وحضارية ، إلى عدم حدوث تغيير أساسي إثر قيام الامارات الارتقية ، وان من المؤكد قيام الارتقية كثير من الأحيان ، باقتباس شبه تام لما كان موجوداً سابقاً . ويشير كاهين إلى أن التنظيم الداخلي للارتقية وحضارتهم بصورة عامة كانت تنقصهما الأصالة بحيث لا تستحقان دراسة شاملة خاصة بهما . فالإمارات الارتقية كانت تشكل ، فيما عدا خربتوت ، جزءاً من العالم الاسلامي منذ عهد الفتوحات الاسلامية وإن المناطق التي حكمها الارتقية استمرت تحكم من قبل نفس السكان ونفس القوانين التي كان يعمل بها سابقاً ، ويتساءل كاهين فيما إذا كان لنظام حكم الارتقية أية ميزات خاصة سواء اكانت أصيلة أم غير أصيلة . (١) هذا فضلاً عن أن ايران والعراق والشام كانت قد تأثرت جميعاً - كما يشير فيت - في هذه المرحلة التاريخية ، إلى حد كبير أو صغير بما أنشأ السلاجقة من نظم حربية واقتصادية وما جلبوا إليه من انشاء المدارس (٢) . وقد أشار الفلقشندي إلى هذه المؤثرات الحضارية للسلاجقة والأتاكيات التي تفرعت عنها في مختلف أنحاء المنطقة المذكورة ، بحيث أن أهم الدول والامارات التي قامت في أنحائها كانت تستمد نظمها من هؤلاء في معظم الأحيان . (٣) ويعود كاهين فيشير إلى أن دخول العنصر التركي - الذي ينتمي إليه الارتقية - إلى ديار بكر لم يكن له أي تأثير في فعاليات انقطة الاقتصادية التقليدية التي كانت قائمة

Enc. Isl . art. Artukids . New ed. (١)

L'Egypte Arabe, P. 330 . (٢)

(٣) صبح الاعشى ٤ / ٥ .

على الزراعة وتربية الحيوانات ومناجم الحديد والنحاس والتجارة مع العراق والأناضول (٤) . وهذا يشير بدوره إلى أن ناحية من أهم نواحي النظم الارتقية لم تكن مبتكرة وإنما اعتمدت على ما كان سائداً من قبل . هذا فضلاً عن أن السمة العربية الأصيلة للحضارة الارتقية استمرت تحتل مكانة كبيرة في ديار بكر متمثلة في الشعر العربي الذي لقي رواجاً لدى الأرائقة وفي العدد الكبير من الشعراء الذين خرجتهم أو استقبلتهم ديار بكر في عهد الأرائقة .

٤ - ثمة نتيجة تتممخص عن الاعتبار السابقة ، وهي أن كل دراسة للنظم التي التزمتها الدولة السلجوقية أو الدول والإمارات التي أخذت عنها كالأيوبيين (٥) تلقي ضوءاً في الوقت ذاته على المعالم الأساسية للنظم الارتقية ، خاصة وان الامارات الارتقية امتدت ، في بعض الأحيان ، فشملت مدناً ومواقع كانت ذات طابع سلجوقي كحلب والمواقع المحيطة بها .

٥ - شكل الأرائقة ثلاث إمارات صمّ كل منها عدداً من المدن والمواقع وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات الثانوية في نظم تلك الإمارات فيما بينها أو فيما يتعلق بنظم مدن كل إمارة منها على حدة ، إلا أنها تشابه جميعاً في خطوطها الأساسية وكبار موظفيها وطبقة حبانها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولذا سيبيح بحث حضارة ونظم هذه الإمارات والوحدات المدنية كوحدة كاملة دون تجزئة .

٦ - أورد بعض المؤرخين عدداً من الإشارات إلى ما كان سائداً من نظم في السنوات التي سبقت ورافقت ظهور أولى الإمارات الارتقية في ديار بكر حيث كانت تحكم الإمارة الروانية الكردية (٣٨٠ - ٥٤٧٨ - ٩٩٠ = ١٠٨٥ م) (٦) وبعض الأمراء السلاجقة ، مما يلقي ضوءاً على الأسس التي اعتمدها الأرائقة في تنظيماتهم . ويتضح من استعراض الروايات التي أوردتها الفارقي في هذا

(٤) Enc. Isl. art. Artukids, New ed.

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ٤ / ٥ .

(٦) الفارقي ، تاريخ آمد (القسم المنشور) ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ونقل عنه ابن شداد ، الأملق (مخطوطة ٩٩ آب) .

المجال ونقلها عنه ابن شداد ، إن ديار بكر كانت قد بلغت خلال الفترة المذكورة درجة لا بأس بها من النمو في نظمها الإدارية ، وظهر فيها عدد من الأجهزة والمناصب التي كان أصحابها يقومون بتسيير شؤون الإدارة كالقضاء ونياية القضاء (٧) والخطابة (٨) والحسبة (٩) والنظر على الوقف (١٠) والديوان (١١) والاستيفاء (١٢) والوزارة (١٣) والولاية (١٤) والحجابة (١٥) ومحافظة البلد (١٦) ودار الضرب (١٧) . وهناك من الضرائب المؤن و الاعشار والاقساط والكلف والخراج (١٨) ، كما يتضح الدور الهام الذي كان يلعبه القضاء في المجالين السياسي والعمرائي حيث كانت الظروف السياسية تلعب دورها في تسلمهم المناصب القضائية ، لذا لم يكن أحدهم يستقر في منصبه طويلاً . وقد تدخل القضاء في تعيين الحكام وعزلهم (١٩) . وكان المحتسب يتمتع ، كذلك ، بصلاحيات واسعة فكان يسهم في فرض الضرائب والرسوم على الأهالي ، كما كان يقوم أحياناً بتولي أمور المدينة (٢٠) أما

- (٧) الفارقي ، تاريخ آمد من ١٩٧-١٩٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩ .
- (٨) الفارقي ، تاريخ آمد من ٩٦٧-٩٦٧ .
- (٩) الفارقي ، تاريخ آمد من ٢٤٤-٢٤٧، ٢٦٦-٢٦٧ ، ابن شداد ، الأعلام (مخطوطة ٩٩٩٩) .
- (١٠) الفارقي ، تاريخ آمد من ١٩٧-١٩٩ .
- (١١) الفارقي ، تاريخ آمد من ٢٨٣-٢٨٤ ، ابن شداد ، الأعلام (مخطوطة ١٠١ آ ب) .
- (١٢) الفارقي ، تاريخ آمد من ٢٨٣-٢٨٤ ، ابن شداد ١٠١ آ ب .
- (١٣) الفارقي ، تاريخ آمد من ١٩٧-٢٠٠ ، ٢٣٦-٢٣٧ ، ٢٤٤-٢٤٧ ، ٢٧١ ، ابن شداد ٩٧ ب ، ٩٩ آ .
- (١٤) الفارقي من ٢٤٤-٢٤٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١-٢٨٢ ، ابن شداد ٩٩ آ ١٠١ آ .
- (١٥) الفارقي ، تاريخ آمد من ٢٧١ .
- (١٦) الفارقي من ٢٣٠-٢٣٢ ، ابن شداد ، الأعلام (مخطوطة ٩٧ آ) .
- (١٧) الفارقي من ٢٧٤-٢٧٥ .
- (١٨) الفارقي من ٢٣٦-٢٣٧ ، ٢٧٤-٢٧٥ ، ابن شداد ٩٧ آ .
- (١٩) الفارقي من ١٩٧-٢٠٠ ، ٢٣٠-٢٣٢ ، ٢٣٦-٢٣٧ ، ٢٤٤-٢٤٧ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤- ، ابن شداد ٩٧ آ ب ، ٩٩ آ ، ١٠٠ آ ب ١٠١ آ ب .
- (٢٠) الفارقي من ٢٦٦-٢٦٧ ، ٢٦٩ .

الوزير فكان يمثل السلطة العليا في البلاد ، وقد فوض في أحيان كثيرة صلاحيات واسعة شملت تنصيب ولي العهد أثر وفاة سلفه ، والاشراف على النواحي العمرانية والمالية مما أتاح لبعض الوزراء الحصول على الثروة عن طريق المصادر وابتزاز الأموال ، وبلغ من صلاحية الوزراء أن أحد حكام ميفارقين ردّ الى وزيره - المعين - «جميع الأمور» ، ويظهر أن الوزير بجمته بهذه الصلاحيات حدّ من أهمية الوالي الذي لم يعد له دور يذكر في تسير شؤون البلد ، اللهم إلا في الحالات التي كان الوزير يغيب خلالها ، أو تشغّر وظيفته (٢١) .

ولم تحدّ الروايات الآتفة طبيعة العلاقات الإدارية بين مختلف الموظفين بشكل دقيق . وتجدر الإشارة هنا إلى أن عدداً من الوظائف السالفة لم يكن ثابتاً بل كان معرضاً للاستغناء عنه في أحيان كثيرة .

وقد تأثر التقدم الاقتصادي والعمراني للمنطقة بالطرف السياسي تأثراً كبيراً بسبب اختلاف الحكم عليها واتباعهم أساليب مختلفة ، فمنهم من كان يعمل على الإصلاح بإسقاط الضرائب المحقة والتوسع في الإعمار (٢٢) ، ومنهم من كان ينجح أساليب البطش والتشكيل وزيادة الضرائب مما اضطر عدداً من الأهالي إلى الجلاء (٢٣) .

ويمكن القول بأن المنطقة بلغت درجة كبيرة من التقدم الإداري والعمراني والاقتصادي في أواخر حكم الإمارة المروانية في ديار بكر ، حيث انصرف حكامها إلى الإصلاح والإعمار (٢٤) ولكن ما أن سقطت تلك الإمارة ، حتى غدت ديار بكر عرضة للفتن والاطماع ، حيث تناوبها الحكام وطمع الأمراء المجاورون بضياعها وقراها مما أدى إلى تدهور أوضاعها العامة ،

(٢١) العارفي ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٤٤ - ٢٤٧ ، ٢٧١ ، ٢٨١ - ٢٨٢
ابن شداد ٩٧ ب ، ٩٩ أ ، ١٠١ آب .

(٢٢) العارفي ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ ، ابن شداد ٩٧ ب .

(٢٣) العارفي ص ٢٤٤ - ٢٤٧ ، ابن شداد ٩٩ أ .

(٢٤) العارفي ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ابن شداد ٩٣ آب .

فاستولى عليها ، كما ذكر القارقي « الظلم والجور والخراب ، وافقر أهلها ، وإلى الآن - حوالي منتصف القرن السادس - لم ترجع إلى عشر عشر ما كانت عليه في أيام نظام الدين (المرواني) » (٢٥) . وهذا يعطي صورة مقارنة عن الوضع الاقتصادي لديار بكر قبيل الأرتقية وفي مطلع حكمهم .

الادارة الأرتقية

كان نظام الحكم في الإمارات الأرتقية قائماً على الأساس الوراثي فالابن يعقب أباه في الحكم ، وأحياناً تنتقل السلطة إلى الأخ في حالة عدم وجود وريث أو عدم تمتع الابن بالمؤهلات الكافية ولكن كثيراً ما كان يحدث أن الوريث يختلف أباه على الحكم حتى ولو كان طفلاً ، وهذا هو الذي أتاح لبعض أفراد الحاشية الاستئثار بالحكم الفعلي وتوجيه الأُمراء الأطفال وفق هواهم (٢٦) وكانت المؤامرات داخل البلاط الأرتقي لا تقف عند حد ، ليس فقط بين الأُمراء وكبار رجال الحاشية ، بل بين الأُمراء أنفسهم (٢٧) .

(٢٥) القارقي ، تاريخ آله من ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ابن شداد ، الأملق (مخطوطة ٩٣ آ ب) .
(٢٦) قول حسان الدين بولاق أرسلان الحكيم بعد أبيه أيلداري عام (٨٠٠ هـ = ١١٨٤ م) وكان طفلاً فقام بتربيته نظام الدين المشي بموك أبيه وسائر الحكم هو ومولوك آخر يدعى لؤلؤ ولم يزل الأمر كذلك إلى أن توفي الولد عام (٨٩٥ هـ = ١١٩٩ م) ، وكان له أخ أصغر منه هو قطب الدين أرسلان فعينه اليقش مكان أخيه في الحكم « وليس له منه إلا الاسم ، والحكم النظام ولؤلؤ » . ولكن قطب الدين مالبث أن أخذ يتعين الفرص للتخلص من نفوذهما واطأ على ذلك جماعة من الأُمراء والمماليك ومن ثم تمكن من اغتيالها عام (٨٦١ هـ = ١٢٠٤ م) واخراج مناوليه من ماردين وتعزيز أنصاره ، وبذلك تمكن من ممارسة مهام الحكم بشكل فعلي . انظر ابن الأثير ، الكامل ١١ / ٢٠٧ ، ابن العبري ، مختصر ٣٨١ - ٣٨٢ ، ابن شداد ، الأملق (مخطوطة ١٠٥ ب) .

(٢٧) في عام ٦٣٦ (وقيل ٦٣٧ هـ) اغتيل الملك المنصور ارتقى أمير ماردين على يد مماليك بسبب الخلاف الذي حدث بينه وبين ابنه الملك السعيد ايلغازي واعتقال الأخير ، مما دفع ابنه إلى تدبير هذه المؤامرة لاغتيل جده والافراج عن أبيه . وما أن استقر السعيد في الحكم حتى قام باعتقال أكبر אחوته حيث كان يشكل خطراً على نفوذه ، ومن ثم استقام له الأمر . انظر : ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ١١٦ - ١١٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة ٨ / ٧٣٠ ، ابن شداد ، الأملق (مخطوطة ١٣٤ ب - ١٣٥ آ) . وفي عام ٧١١ هـ توفي الملك المنصور ايلغازي ، فقام ولي عهده الملك النادل بمحاولة لاغتيل أخيه شمس الدين الصالح لما كان يعلم من أنه وانه أحق بالملك منه -

ولم يشذ الأراقة عن قاعدة الوراثة في الحكم إلا في عهد قطب الدين سقمان ، أمير آمد وحسن كيفا ، حيث أنه عهد بولاية العهد إلى مملوك له يدعى اياز . وعندما توفي قطب الدين عام (٨٥٩٧ = ١٢٠٠م) تسم الحكم بعده مملوكه اياز واستمر فيه أياماً تمكن بعدها شقيق قطب الدين (ناصر الدين محمود بن محمد) من انتزاع الحكم منه ، ومن ثم لقي القبض عليه واعتقله (٢٨)

أما الألقاب التي اتخذها حكام الأراقة فقد تدرجوا فيها مستغلين الظروف السياسية المحيطة بهم فقسموا في البدء باسم الأمراء ثم الملوك (٢٩) ، وأول من تلقب منهم بالملك هو أرتق أرسلان عام (٨٦٠١ = ١٢٠٤م) حيث سمى نفسه الملك المنصور (٣٠) . ثم اتخذ حكام الأراقة بعدئذ لقب السلطنة . وأول من تلقب منهم بذلك هو نجم الدين المنصور المتوفى عام (٨٧١٢ = ١٣١٢م) ثم أبناؤه من بعده (٣١) ، واستمروا على ذلك حتى سقوط إمارة ماردين عام (٨٨١٢ = ١٤٠٩م) ولكن ذلك لم يمنع من تمسكهم بلقب الملك وخاصة في الفترة الأخيرة كالمملك الظاهر محمد الدين عيسى (٣٢) . وكان من عاداتهم إضافة نعتين إلى اسمهم الأصلي مثل (المنصور نجم الدين ابلغازي والعاذل علاء الدين علي) ، ومن المرجح أنهم افترضوا ذلك من الأيوبيين والمماليك (٣٣).

— فمارسه كبار الأمراء في ذلك المكانة الكبيرة التي كان يشتملها الصالح . ثم ما لبث العادل أن توفي بعد أيام ، ويقال أنه سمى على يد أحد الأمراء ، فانتقل الملك إلى أخيه الصالح . انظر : القواداري ، كثر الدور ٩ / ٢٤١ - ٢٤٢ ، ابن حجر ، الدور ٣ / ٢١٦ - ٢١٧ . (٢٨) ابن السامي ، الجامع المستنصر ٩ / ٥٣ .

(٢٩) هذا لقب الملك ، في العصر السلجوقي ، يطلق على الولاة القرميين بينما احتفظ رب الأسرة السلجوقية بلقب السلطان (مجلة بغداد ، ص ٢٦ ، عدد ٢٤ سنة ١٩٦٥) .

(٣٠) ابن تقي ردي ، المنهل الصافي (النسخ المخطوط ٢ / ٤٩٦) .

(٣١) القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٤ / ٣١٦ ، ابن تقي ردي المنهل الصافي (النسخ المنشور) حاشية ٣ ، ١ / ٢٢١ .

(٣٢) السبي ، الروض الزاهر ص ١٥ .

(٣٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ، ٥ / ٤٨٨ . وانظر من انتشار الألقاب لدى السلاجقة والذين أعقبهم : (مجلة بغداد ص ٢٤ - ٢٨ ، عدد ٢٤ سنة ١٩٦٥) .

ولا ريب أن السلطة الرئيسية في الحكم كانت بيد الأمير الأرمني ، وأنه كان يتمتع بنفس الصلاحيات التي كان يتمتع بها سلاطين وملوك وأمرء تلك الفترة : كمنح الاقطاعات ، ومكافأة الأمراء والأجناد ، والقيادة العليا للجيش ، وتعيين كبار موظفي الدولة وعزلهم وتأديبهم ، والنظر في المظالم أحياناً ، ومقابلة بعض ذوي الحاجات من الأهالي ، وتحديد سياسة الإمارة (٣٤) أما بقية الاختصاصات والأعمال فكانت تقع على عاتق الجهاز الإداري المكلف بتسيير شؤون الإمارة الإدارية والعسكرية والمالية .

يقف الوزير على رأس الجهاز الإداري لدى الأرانقة ، وكان يتمتع بصلاحيات واسعة في المهود الأولى من حكمهم ، وربما كان الأرانقة متأثرين في ذلك بالنظام السلجوقي الذي كان يعطي للوزير حق الاشراف على جميع الدواوين والمرافق المهمة في الدولة (٣٥) . وأول وزير تنطرق الروايات إلى ذكره هو أبو تمام بن عبدون الذي رافق ابنعماري لدى توجهه إلى أرمينية لقتال الكرج عام (٥١٤هـ = ١١٢٠م) (٣٦) . ويشير ورود اسم الوزير في هذه الفترة المبكرة إلى أن الأرانقة اتخذوا الورداء منذ فخر حياتهم السياسية . ثم نورد الروايات ، بعد ذلك ، اسم عبد الملك الذي استوزره حسام الدين تمر تاس عام (٥١٨هـ = ١١٢٤م) ، وقد استمر هذا في منصبه حتى عام (٥٢٧هـ = ١١٣٢م) حيث توفي . وكان يقوم بتعيين بعض كبار الموظفين كالشحنة (المحافظ) والمشرف على الوقف ، كما قام بمصادرة بعض كبار المسؤولين (٣٧) ، مما يشير إلى سعة الصلاحيات التي كان الوزير الأرمني يتمتع بها . وفي العام التالي (٥٢٨هـ) وصل إلى ماردين حبشي بن محمد بن حبشي قادماً من العراق (٣٨) ليدخل في خدمة تمر تاس

(٣٤) انظر علي ابراهيم حسن ، الممالك البحرية من ١٦٠ - ١٦٢ .

(٣٥) حسين أمين ، نظام الحكم في مصر السلجوقي (مجلة سور ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤) .

(٣٦) الفارقي ، تاريخ آند (المخطوطة ودية ١٠٣ - ١٠٤) .

(٣٧) الفارقي ، (المخطوطة ١٠٩ آ ب) .

(٣٨) كان حبشي قد خدم الياسياني أمير حماه ، ويظهر أنه لم يتم بواجبه على الوجه المطلوب فنقبض عليه الياسياني وعاقبه ، فانهزم وتنقل في البلاد إلى أن -

الذي ولاه الوزارة ومنحه سلطات واسعة فبلغ من الدولة ما لم يبلغه غيره وتحكم أو في تحكم» (٣٩) ، وتوجه إلى ميفارقين في مطلع العام التالي « فعمل هناك حساب أرباب الأعمال والكتاب ، وسلك بهم أعصف الطرق والخسف والقهر » وما أن وصل إلى هناك حتى أنهزم المستوفي المؤيد أبو الحسن عائداً إلى الجزيرة فقبض حبشي على شقيقه أبي سعيد وكان مستوفياً هو الآخر ، وعلى ابنه ، وصادر أموالهما ، فبقي الناصح في الاعتقال حتى وفاته ، وقام حبشي بتولية العميد أبو طاهر بن المحتسب مكانه ، وكان هذا معتقلاً طيلة ست سنوات فأطلقه حبشي (٤٠) . وفي عام (٥٣١هـ - ١١٣٦م) توجه حبشي إلى ميفارقين ثانية وصادر أهلها « وجرى عليهم منه مالا يوصف (٤١) وفي عام (٥٣٥هـ - ١١٤٠م) لعب حبشي دوراً مهماً في حماية ميفارقين من الخطر الذي دهمها لدى مهاجمة داود الأرتقي أمير حصن كيفا لها ، وكان حبشي آنذاك مقيماً بها فقام هو والحاجب يوسف بن ينال والي المدينة ، «بتدبير الناس وسياسة البلد» (٤٢) ويظهر أن العلاقات ساءت ، بعد ذلك ، بينه وبين حسام الدين تمرشاش بسبب طغيانه واستغلال منصبه للكسب الشخصي . ولكن تمرشان لم يستطع أن يقدم على خطوة جريئة ضده ، إلى أن استغل فرصة تغيبه عن ماردن عام (٥٣٦هـ - ١١٤١م) على رأس وفد لمفاوضة زنكي في الموصل ، فأطلق سراح المؤيد أبي الحسن الذي كان حبشي قد أعنتله منذ عام (٥٣٤هـ - ١١٣٩م) وعينه حسام الدين تمرشاش في الاستيفاء ورد إليه جميع الأمور (٤٣) . ويظهر أن هذه الخطوة التي اتخذها حسام الدين استغفرت حبشي - وهو في الموصل - فاتفق مع زنكي - سرراً - على

١- انتهى به المطاف في ماردن (الفارقي ، تاريخ آمد ، مخطوطة ١٠٩ب - ١١٠ ت) .

(٣٩) الفارقي ، تاريخ آمد (المخطوطة ١١٠ ت) .

(٤٠) الفارقي تاريخ آمد ، ورقة ١١٠ ت ونقل عنه ابن شداد ، الأملق ، ورقة ١٠٣ آب .

(٤١) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٢١ ت .

(٤٢) ابن شداد ، الأملق ، ورقة ١٠٣ ب ١٠٤ ت .

(٤٣) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٢٢ ب - ١٢٣ ت .

تسليمه ميفارقين ، ولكن المؤامرة أكتشفت ، عندما حاصر زنكي المدينة عام (٨٥٣٨-١١٤٣م) وكان حبشي مقيماً بها آنذاك ، فدخل على خيمته ليلاً اثنان من كبار مسؤولي المدينة وهما مؤمل الشاقصي ومحمد بن أبي المكارم وقتلاه وانجها برأسه إلى ماردين (٤٤) .

وتشير الروايات السابقة إلى مدى ما كان يتمتع به الوزير الارتقي من صلاحيات إدارية وسياسية كما كانت الحال في السابق ، حيث كان يقوم بفرض وتقدير الضرائب على أرباب الأعمال والكتاب ، ويصادر كبار الموظفين ، ويعزلهم ويوليهم ويرأس الوفود للمفاوضة ويشارك في تنظيم الدفاع عن المواقع التي يهددها الخطر . ولكن هذا التضخم في الصلاحيات التي يمارسها الوزير حدّ من سلطة الأمير الارتقي نفسه ، بحيث لم نعد نرى بعد حبشي وزيراً للارائقة تمتع بهذه الصلاحيات. وقد وصل إلى ماردين في العام الذي تلا مقتل حبشي الأمير إبراهيم بن منقذ المصري فولاه حسام الدين الوزارة (٤٥) ويظهر أن هذا حاول استغلال منصبه كسلفه فاعتقله حسام الدين عام (١١٤٥=٨٥٤٠م) قبل أن يتمكن من منصبه ولكنه استطاع أن يهرب من السجن بتدبير من بعض أفراد الحاشية الارتقية ومن ثم غادر ماردين سراً ، فلما علم حسام الدين بذلك أرسل فرسانه في طلبه فتمكنوا من القبض عليه وحملوه إلى حسام الدين فأطلقه دون عقاب (٤٦) .

ولم تشر المصادر إلى الوزير الذي أعقب إبراهيم بن منقذ طيلة خمس سنوات من هذا الحادث ، وتقفز إلى عام (١١٥٠=٨٥٤٥م) حيث يشير الفارقي إلى أن حسام الدين استوزر خلاله زين الدين أسعد بن عبدالخالق ، شقيق المؤيد الذي كان وزيراً للبرستي حاكم الموصل (٥١٥-٨٥٢٠=١١٢١-١١٢٦م) (٤٧) ، ولكن هذا لم يستمر في منصبه سوى عام واحد حيث

(٤٤) ابن شداد ، الأعلان ، ورقة ١٠٣ ب - ١٠٤ أ .

(٤٥) الفارقي ، تاريخ آيد ورقة ١٢٤ أ .

(٤٦) المصدر السابق ، ورقة ١٣٥ أ .

(٤٧) المصدر السابق ، ورقة ١٣٤ ب .

اغتيال في العام التالي (٨٥٤٦ = ١١٥١ م) بتدبير من حكام آمد . وبقي حسام الدين بعد قتل زين الدين بنير وزير وأكفى بالاجل مؤيد الدين - الذي كان يعمل في الإشراف على الديوان - وأغناه عن جميع من خدمه (٤٨) ويظهر أن حسام الدين أراد أن يتخلص من المشاكل التي جرها عليه معظم وزرائه ، فقرر أن يبقى بلا وزير ، وأن يعتمد على بعض كبار موظفيه لإنجاز ما كان يقوم به الوزراء من مهام رسمية .

وطيلة الفترة التي أعقبت وفاة حسام الدين (٨٥٤٧ = ١١٥٢ م) وحتى سقوط آخر إمارة آرتقية في ماردن عام (٨٨١٢ = ١٤٠٩ م) ، لم تقدم المصادر روايات متكاملة ومتتابعة عن الأشخاص الذين استوزروا من قبل الاراتقة ، وطبيعة الأعمال التي كانوا يمارسونها . فقبما عدا تاريخ الفارقي ، وابن شداد الذي نقل عنه ، لا نجد أي مصدر يهتم بالأمور الإدارية للاراتقة بالمقدار الذي نجده لدى الفارقي ، لذا فإن الفترة الطويلة التي أعقبت تاريخ الفارقي لانتخلها سوى روايات قليلة ومتباعدة تشير إلى بعض النواحي الإدارية . ففي عام (٨٥٨١ = ١١٨٥ م) ترد إشارة إلى مقتل قوام الدين عبدالله بن سحاق وزير نور الدين محمد بن قرا أرسلان أمير آمد وحصص كيما ، حيث احتال عليه بماليك الأمير المذكور فاستدعوه من الديوان الذي كان يجتمع فيه بكبار رجال الدولة وقالوا له : إن الملك يطلبك ، وما أن أنفرد في أحد الدهاليز حتى أنقضوا عليه وقتلوه (٤٩) ويظهر أنه حاول أن يتجاوز حدود سلطته ، أو أنه قتل بتحريض من قبل بعض منافسيه ، ومن المرجح أن ممارسته السلطة الفعلية باسم سيده هو الذي ألجأه عليه ودفعه إلى قتله (٥٠) .

وترد في عام (٨٦٥٢ = ١٢٥٤ م) إشارة إلى وفاة أحمد بن حلوان ، نجم الدين المعروف بابن العالة ، وإنه كان قد استوزر من قبل المسعود أمير آمد

(٤٨) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٣٥ ب - ١٣٦ آ .

(٤٩) ابر شامة ، الروضتين ٢ / ٦٧ ، ابن شامشاه ، مضمار الحقائق (مخطوطة ٣٠١ - ٣٠٢)

(٥٠) الكامل ٢٠٩ / ١١ ، ابر الفدا ، المختصر ٣ / ٧٣ ، ابن الوردي ، نسة ٢ / ٩٤ .

وحصن كيفاً فترة من الزمن ، بعد أن خلعته وحظي عنده بما كان يتمتع به من مهارات في العلوم والآداب ، ثم ما لبث الملك المسعود أن تقم عليه وصادر جميع ممتلكاته فاضطر إلى مغادرة آمد إلى دمشق حيث توفي هناك (٥١) . وفي عام (٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م) ترد إشارة إلى اشتراك صاحب شمس الدين شرف الدين التتبي ، وزير صاحب ماردين ، في الوفد الذي أرسله السلطان أحمد ابن هولاكو ، سلطان المغول ، لمفاوضة المماليك في مصر ، وانتهى الأمر باعتقالهم في دمشق ثم الإفراج عنهم فيما عدا ابن التتبي ، ونفرين أو ثلاثة قيل أن صاحب ماردين أشار بابقائهم لامر نقمه عليهم (٥٢) . وكان ابن التتبي فاضلاً مشاركاً في علوم النحو واللغة والحديث ، وروى عنه عدد من العلماء (٥٣) ولكنه لم ينبج ، كمعظم زملائه من وزراء بني أرتق ، من التتكيل والإضطهاد . وبعد فترة ليست بالطويلة (٦٩٨ هـ = ١٢٩٨ م) قام نجم الدين اليلغازي ، أمير ماردين ، بقتل وزيره المعروف بابن المرأة لدى اكتشافه بأنه كان يتآمر على قتله وتنصيب أحد إخوته مكانه (٥٤) . ويتطرق ابن بطوطة لذكر **وزير ماردين** في عهد زيارته لها (في حدود عام ٧٦٩ هـ = ١٣٦٧ م) وهو جمال الدين انسجاري الذي وزر للملك الصالح والذي يصفه بأنه : الإمام العالم وحيد الدهر وفريد العصر وإنه قرأ بتبريز - من بلاد فارس - وأدرك العناء الكبار (٥٥) ، مما يشير إلى أن الأرائقة كانوا يتوخون في وزراءهم العلم والثقافة . ومن ثم ترد الإشارة الأخيرة إلى وزراء الأرائقة على لسان ابن الفرات حيث يذكر أنه في العاشر من المحرم عام (٧٩٦ هـ = ١٣٩٣ م) حضر إلى القاهرة الحاج محمد وزير صاحب ماردين لاطلاع السلطان على آخر تحركات تيمورلنك (٥٦) مما يشير إلى أن الوزير الأرتقي كان يتمتع حتى الفرات

(٥١) البيهقي ، ذيل مرآة الزمان ١ / ٩٢ - ٩٥ .

(٥٢) المصدر السابق ٤ / ٢١٧ - ٢١٨ .

(٥٣) ابن حجر ، للدر الكاشفة ٣ / ٢٨٦ .

(٥٤) ابن القوطي ، الحوادث الجليلة ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

(٥٥) رحلة ١ / ١٨٣ .

(٥٦) تلخيص ابن الفرات ٩ / ٣٦١ .

المتأخرة ، ببعض الصلاحيات في تسير شؤون الإمارة وفي نشاطها الخارجي .
وليس الولاية بأكثر حفظاً من الوزراء فيما ورد عن أعمالهم وحدود سلطتهم
ففيما عدا ما قدمه الفارقي (ونقله عنه ابن شداد) وبخاصة قائمة نواب (أو
ولاية) حسام الدين تمرناش في ميفارقين فإن المصادر الأخرى لاتكاد تذكر
شيئاً عن الموضوع . وأول وال يرد ذكره لدى الأرائقة هو ابن ايلغازي ، الذي
نجهل اسمه ، والذي ولاه أبوه على نصيبين لدى استيلائه عليها عام (٥٠٠ هـ =
١١٠٦ م) (٥٧) ، وبللق بن اسحق والي ايلغازي على الأتارب القريبة من حلب
والذي لعب دوراً مهماً ضد الصليبيين (٥٨) ، ثم يرد بعد ذلك اسم الحاجب
غزغلي الذي كان والياً على ميفارقين في عهد ايلغازي ، وقد لعب هذا الوالي
دوراً في مساعدة شمس الدولة سليمان بن ايلغازي في الاستيلاء على ميفارقين
وتشكيل إمارة جديدة هناك ، دون حدوث أي اشتباك (٥٩) . ويرد بعد ذلك
اسم الحاجب يونس الدينسري الذي ولاه حسام الدين تمرناش على دارا لدى
استيلائه عليها في ذي الحجة من عام (٥٤٤ هـ = ١١٥٠ م) (٦٠) . ومن ثم يقدم
الفارقي قائمة لأبأس بها عن ولاية (نواب) حسام الدين تمرناش على ميفارقين
وهم : الحاجب أبو بكر بن خمرناش الحاج (عزل) ، بيرم ، ثانية ، (عزل) الحاجب
(عزل) عثمان بن خمرناش الحاج (عزل) ، بيرم ، ثانية ، (عزل) الحاجب
عبدالكريم بن علي (عزل) ، الحاجب يوسف ينال (عزل) ، قزغلي (توفي) ،
الحاجب يرتقش الحسامي (عزل) ، يوسف ينال ، ثانية وبقي حتى عام (٥٣٩ هـ =
١١٤٤ م) حيث توفي فولي بعده ناصر الدولة صندل في ذي القعدة ، وبقي
في الولاية إلى ربيع الآخر سنة (٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م) وعزل ، وعين أسر سلا

(٥٧) ابن شداد ، الأملق ، ورقة ٣٩ أ .

(٥٨) ابن العديم ، زبدة الخلب ٢ / ١٩٤ .

(٥٩) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٠٥ أ - ١٠٥ ب ونقل عنه ابن شداد ، الأملق ، ورقة

١٠٢ ب وقد حور التامخ اسم غزغلي فجهله كيخلي .

(٦٠) الفارقي ، المصدر السابق ، ورقة ١٣٢ أ

حتى وفاته في ربيع الآخر سنة (٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م) ومن ثم استقل ينال بالولاية واستمر فيها حتى وفاة حسام الدين عمر تاش عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) (٦١).

ويلاحظ من الاطلاع على هذه القائمة أن ولاية الأراتقة كانوا ، كوزرائهم لا يستمرون في مناصبهم طويلاً ، إذ كانوا معرضين للنزول ، وهكذا فإن معظم الولاة الذين حكموا ميفارقين عزلوا قبل أن تمضي على توليتهم فترة طويلة ، ولذا تعاقب على حكم هذه المدينة اثنا عشر والياً في فترة لا تزيد على ثلاثين عاماً . وربما كان هذا هو السبب الذي لقت انتباه الفارقي فقدم هذه القائمة واغفل ذكر ولاية المواقع الأخرى . ويلاحظ أن معظم هؤلاء الولاة ، الذين وردوا في القائمة ، كانوا يلقبون بالحاجب وهذا يشير إلى أحد احتمالين : إما أن يكون هؤلاء قد اشغلوا فعلاً وظيفة الحجابة للأراتقة قبل توليتهم ميفارقين ولأنهم ولوا بعدئذ على هذه المدينة تقديراً لخدمتهم وهو المرجح ، أو أن التقاليد الرسمية كانت تقتضي تسمية كل وال باسم الحاجب (فلان ..) .

ويذكر القلقشندي أن من ضمن مهام ولاية الأراتقة تلقي المكاتبات من الخارج ، حيث كانت توجه اليهم بعض المكاتبات من ثواب الممالك في دمشق وحلب (٦٢) ولا نعرف ، بعد ذلك ، شيئاً عن طبيعة المسؤوليات التي كلف ولادة الأراتقة القيام بها ، والجهاز الاقليمي الذي كان يعاونهم في شؤون الادارة وصلاحيه تعيين أعضائه ؟ . ولما كانت معظم المواقع (الولايات) الارتقية ذات قلاع وحصون فالمرجح أن أهم أعمال أولئك الولاة كانت ، حسبما ذكر القلقشندي وحفظ تلك القلاع ، وعبارة مادعت الحاجة إلى عمارته منها ، وأخذ بقلوب من فيها ، وجمعهم على الطاعة بالاحسان اليهم (٦٣) ، وتحصينها بالآلات الحصار وادخار آلات الحرب ومنهاتها ، والاعتناء بغلق

(٦١) المصدر السابق ، ورقة ١٣٧ - ١٣٨ ، ونقل عنه ابن شداد ، الأملق ، ورقة ١٠٤ ب - ١٠٥ أ .

(٦٢) صبح الأعشى ، ط ٨٤٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٩

(٦٣) انظر الفارقي ، تاريخ آند (المخطوطة ١٣٨ آب) وابن شداد ، الأملق (المخطوطة ١٠٥ أ)

أبواب القلعة وفتحها وتفقد أحوالها في كل صباح ومساء ، وإقامة الحرس وإدامة العسس ، وتعرف أحوال المجاورين لها من الأعداء ، والمطالعة بكل ما يتجدد لديه من الأخبار» (٦٤). هذا بالإضافة إلى مهمات الوالي المالية والعسكرية الأخرى كمساعدة الأمير الارتقي في عملياته الحربية بشكل مباشر ، أي بإمداده بالجند والميرة ، أو غير مباشر ، كأن يقوم بتوسيع منطقة ولايته ، والدفاع عنها ضد هجمات الأعداء . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما قام به الحاجب يوسف والي ميفارقين عام (٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م) عندما قام داود الارتقي ، أمير حصن كيفا ، بمهاجمة ميفارقين ، حيث أحسن الوالي وتدبير الناس وسياسة البلدة (٦٥) واستطاع بمساعدة بعض المسؤولين ، انقاذ المدينة من خطر محقق .

وهناك موظف على درجة كبيرة من الأهمية وهو نائب السلطنة في ماردين وقد استحدث الارتقة هذا المنصب في فترة متأخرة (٦٦) ويظهر انهم نقلوه عن الممالك في مصر والشام حيث كان نائب السلطنة هناك يتولى مهاماً خطيرة ، إذ كان يشترك مع السلطان في توزيع الاقطاعات ، وتعيين الموظفين ويعرض عليه كشفاً بأسماء الأشخاص الذين كان يجب ترشيحهم لهذه المناصب فيقرها السلطان ، ولا يرفض تعيين أحد المرشحين الا في القليل النادر (٦٧) وكان نائب السلطنة في ماردين يتلقى المكاتبات الرسمية من نواب الممالك في دمشق وحلب (٦٨) ، ومن الابواب السلطانية في القاهرة (٦٩) وقد حدد المسؤولون في دواوين الممالك صيغة الكتب التي كانت ترسل إلى هؤلاء

(٦٤) صحيح الأعي ١١ / ٩٢ .

(٦٥) ابن شداد ، الأملق (المخطوطة ١٠٣ ب - ١٠٤ أ) .

(٦٦) ابن القفراء ، تاريخ ٩ / ٤٥٣ .

(٦٧) المقرئزي ، مخطوط ٢ / ٣١٥ ، العمري ، التصريف ص ٩٢ - ٩٣ ، السبكي معيد النعم

ص ٣٤ .

(٦٨) القلقشندي ، صحيح الأعي ط ٢ / ٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ .

(٦٩) المصدر السابق ٧ / ٤٦٩ .

ومن أعمال النائب كذلك توقيع المراسيم والمنشورات وتنفيذ القوانين (٧٠) والركوب على رأس فرق الجيش في المواكب الرسمية (٧١) كما أن ديوان الجيش يجتمع برئاسة (٧٢)، ويكاتبه نواب المدن الأخرى بصدد الأمور المتعلقة ببناباتهم (٧٣). وهكذا كان النائب هو المتصرف في كل أمر حيث يراجع في الجيش والمال والجند والبريد، وكل ذي وظيفة لا يتصرف إلا بأمره وهو الذي يرتب الوظائف (٧٤) ويذكر فإن يرسم أن نائب السلطنة كان على رأس الموظفين لدى الممالك (٧٥) ويظهر أن نائب السلطنة لدى الأراتقة كان يتمتع هو الآخر، بصلاحيات واسعة فكان يمارس مهام الدفاع عن العاصمة وتحصينها، وبلغ به الأمر أن نصب أحد سلاطين ماردين (٧٦) ويبدو أن عدداً من أهم صلاحيات الوزير الأرتقي غدت ضمن اختصاصات نائب السلطنة الذي غدا المسؤول الأعلى في الإمارة بعد الحاكم الأرتقي، وما يؤكد هذا تدهور منصب الوزارة في الفترات الأخيرة من حكم الأراتقة وهي نفس الفترات التي بدأ يتردد فيها اسم نائب السلطنة.

اعتمد الأراتقة في أدراهم على موظف مركزي آخر يدعى والي القلعة (٧٧) والمرجح أن اختصاصاته كانت تشبه إلى حد كبير، اختصاصات نائب القلعة لدى الممالك حيث كان هذا يقوم بالإشراف على فتح وإغلاق باب القلعة المخصص لدخول الجند وخروجهم (٧٨) ويتفقد أسوار القلعة ومتافلها

(٧٠) المقرري، عخط ٢ / ٢١٤، السري، التتريف من ٦٥ - ٦٦.

(٧١) التلقشدي، صبح الأعشى ٤ / ١٧.

(٧٢) المصدر السابق ٤ / ١٦، المقرري، عخط ٢ / ٢١٤.

(٧٣) المقرري، عخط ٢ / ٢١٥.

(٧٤) نفسه.

(٧٥) علي إبراهيم حسن، للممالك البحرية من ٢١٥.

(٧٦) ابن الفرات، تاريخ ٩ / ٤٥٣ وانظر بشأن المهام الأخرى لنائب السلطنة لدى الممالك التلقشدي ط ٢ / ١١ / ١٤٨، السبيكي، معيد النعم من ١٩.

(٧٧) اليوناني، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤٥٧ - ٤٥٨، ابن شلدة، الأملق (مخطوطة ١٣٨ آب)

(٧٨) التلقشدي، صبح الأعشى ٤ / ٢٢ - ٢٣.

ويعمل على اصلاحها ، ثم أصبح من اختصاصه الفصل فيما يقع بين العامة من الخصومات (٧٩) ، وهي أشبه بوظيفة الشرطة أو الانضباط العسكري في الوقت الحاضر ، وكان يتمتع باستقلال كبير عن النائب (٨٠) .

اعتمد الجهاز الاداري للارائفة على عدد آخر من الموظفين لا يقلون أهمية عن سبق ذكرهم ، إلا أن المصادر ، بما تقدمه من اشارات مقتضبة عنهم ، لا تساعد على اعطاء صورة واضحة المعالم عن طبيعة عملهم وأشهر هؤلاء ناظر الديوان حيث يذكر الفارقي انه تمت في عام (٥٢٧ هـ = ١١٣٢ م) تولية الناصح علي بن أحمد الآمدي على النظر في الديوان (٨١) وكان قبيل ذلك يقوم بمهام هذه الوظيفة في آمد ، إلا أن اصحابها قبضوا عليه وصادروه بثلاثين الف دينار فاتجه إلى ميفارقين وولي أولاً الاشراف على الوقف ومن ثم النظر بالديوان (٨٢) وكان هذا الاسم يطلق ، لدى الماليك بصورة عامة على المسؤول الأعلى للديوان سواء كان ديوان انشاء او يريد أو نظر (أي مالية).. وكان يساعده في تسيير شؤون ديوانه عدد من الموظفين كالوكيل ومستوفي الدولة وعدد من صغار المستوفين (٨٣) كما كان يطلق بشكل خاص على المسؤول عن القضايا المالية وهو مخاطب عن كل ما يتم في معاملته من خلل (٨٤) وقد كانت مسؤولية الناصح من الصنف الأخير كما سيتضح من سياق الأحداث ، وكان يساعد الناظر الارتقي عدد من النظار على الجهات المحلية (٨٥) .

(٧٩) علي ابراهيم حسن ، الماليك البحرية ص ٢٣١ عن الخالدي ، المقصد ص ٧ .

(٨٠) علي ابراهيم حسن ، المصدر السابق ص ٢٣١ وانظر العمري ، التبريد ص ٩٤ - ٩٦ ، ١٤٨ - ١٤٩ .

(٨١) ابن شداد ، الأملق ، (مخطوطة ١٠٣ آب) .

(٨٢) الفارقي ، تاريخ آمد (مخطوطة ١٠٩ آ) .

(٨٣) علي ابراهيم حسن ، الماليك البحرية ص ٢١٣ .

(٨٤) ابن عثمي ، قوانين الدوليين ص ٢٩٨ .

(٨٥) ابن سببر ، الدرر ٣/٢٦٤ - ٢٦٥ .

وفي عام (٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م) وصل إلى ميفارقين المؤيد أبو الحسن بن محمد من جزيرة ابن عمر فرتب في الاستيفاء مع أخيه الناصح (٨٦) ، وكان قد ولي الديوان والاستيفاء في ميفارقين عام (٥١٠ هـ = ١١١٦ م) . قبيل استيلاء الارائقة عليها ، (٨٧) . ووظيفة الاستيفاء من الوظائف المهمة التي عرفت لدى الدولة السلجوقية . وكان المستوفي يلي الوزير في الأهمية ، وكان من واجبه الاشراف على حسابات الدولة وتلقيها وضبط الأموال المتعلقة بالجيش وإدارة ديوان الاستيفاء (٨٨) . هذا وقد اعتقل الناصح ، ناظر الديوان ، عام (٥٢٩ هـ = ١١٣٤ م) أي بعد تعيينه بـمدة قصيرة على يد حبشي بن محمد وزير الارائقة (٨٩) ، وولي مكانه أبو طاهر بن المحتسب الذي كان معتقلاً آنذاك (٩٠) ، واضطر المؤيد ، أخو الناصح ، إلى التخلي عن وظيفته هو الآخر والفرار إلى جزيرة ابن عمر تخلصاً من بطش حبشي (٩١) وهكذا يشير إلى السلطة الواسعة التي كان الوزير الارئقي يمارسها تجاه كبار الموظفين ويظهر أن العلاقات ساءت بين أبي طاهر وحبشي فقص عليه هذا واعتقله عام (٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م) ، فلما ذهب حبشي إلى الموصل عام (٥٣٦ هـ = ١١٤١ م) في مهمة رسمية ، قام حسام الدين تمرقاس بإطلاق سراحه وإعادة ثانية إلى الاستيفاء ورد إليه جميع الأمور (٩٢) وقد استمر هذا في منصبه إلى ما بعد عام (٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م) (٩٣) . وفي عام (٥٤٥ هـ = ١١٥٠ م) قام حسام الدين بتعيين المؤيد والمهذب في الديوان على حالهما (٩٤) ويظهر أنهما مارسا هذه الوظيفة قبل ذلك ، والراجح أن المؤيد المذكور هو الاجل أبو منصور الذي ورد ذكره لدى توليته الديوان مجدداً من قبل أبي بن تمرقاس الذي

(٨٦) ابن شداد ، الأملق (مخطوطة ١٠٣ آب) .

(٨٧) الفارقي ، تاريخ آمد ص ٢٨٣ ، ابن شداد ، الأملق (مخطوطة ١٠١ آب) .

(٨٨) حسين أمين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي (مجلة سور ، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤)

(٨٩) ابن شداد ، الأملق (مخطوطة ١٠٣ آب) .

(٩٠) الفارقي (مخطوطة ١١٠ آ) ، ابن شداد (مخطوطة ١٠٣ آب) .

(٩١) الفارقي (مخطوطة ١١٠ آ) .

(٩٢) المصدر السابق ١٢٢ ب - ١٢٣ .

(٩٣) المصدر السابق ١٢٤ ب .

(٩٤) المصدر السابق ١٣٤ ب .

أعقب أباه على حكم إمارة ماردين عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) كما قام البي بتعيين المذهب في الاشراف (٩٥) والراجح أن الارائقة نقلوا وظيفة الاشراف هذه عن السلاجقة. حيث كانت تعد من الوظائف المهمة لديهم ولها ديوان خاص يقوم المشرف بإدارته، وهو يعني بالاشراف على ضبط الحسابات والصادرات والواردات والموازنة بينهما، وهو في الحقيقة مكمل لديوان الاستيفاء ومثل المشرف كمثل المستوفي يستطيع أن ينب عنه في كل ولاية نائباً (٩٦)، وهكذا صرنا نجد لدى الارائقة عدداً من المشرفين على الدواوين المحلية (٩٧) ونظراً لما بين المستوفي والمشرف من علاقة يكون المستوفي مراقباً لديوان الاشراف (٩٨). وهذا ما يفسر الرواية التي أوردها الفارقي حول قيام البي بتعيين موظف ثالث يدعى أبا الفتح محمد بن أحمد لیساعد المذهب والمؤيد في أعمال الديوان (٩٩).

وهناك فضلاً عن الوظائف الساعمة، اشارات إلى وظائف أخرى في جهاز الارائقة الاداري كوقع السلطة في ماردين (١٠٠)، وكان يقوم بكتابة الأوامر (١٠١)، والحاجب (١٠٢)، الذي كان يقوم بالأعمال المعهودة للحجاب (١٠٣) وكاتب الانشاء (١٠٤). أما الامتدادية والخدام فيظهر أنهم كانوا يعملون سوية مع الحجاب في قضايا التشریفات والوفود وتنظيم أمور القصر وتلقي مكاتبات أحياناً (١٠٥).

- (٩٥) الفارقي، تاريخ آمد (مخطوطة ١٣٩ آ).
 (٩٦) حسين أمين، نظام الحكم في العصر السلجوقي، مجلة سومر، مجلد ٢٠ سنة ١٩٦٤.
 (٩٧) البيهقي، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤١٣.
 (٩٨) حسين أمين، المصدر السابق.
 (٩٩) الفارقي (مخطوطة ١٣٩ آ).
 (١٠٠) ابن حجر، الدور ١ / ٤٠٥.
 (١٠١) السبكي، معيد النعم ص ٢٤-٢٥.
 (١٠٢) الفارقي (مخطوطة ١٣٩ آ).
 (١٠٣) انظر السبكي، معيد النعم ص ٣٠-٣١.
 (١٠٤) البيهقي، ذيل مرآة الزمان ١ / ٤١٢-٤١٣، الكتبي، فوات الوفيات ٢ / ١٩٣.
 (١٠٥) انظر القلقشندي، صبح الأعشى ط ٢ / ٧، ٢٦٧-٢٦٩ / ٨، ٢٢٩٥-٢٢٩٠.

ولعب المحتسب دوراً مهماً في حكومات الأرائقة . وقد عين هؤلاء على كل بلد أحد المحتسبين (١٠٦) ، وكان المحتسب يقوم بدور هام في السيطرة على الأمن الداخلي ، وتسكين الناس في فترات الاضطراب ، أو عند وفاة الأمير ، فعندما توفي حسام الدين تمرش عام (٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) وانتشر الخبر لدى أهالي ميفارقين ، أسرع المحتسب بالركوب وتوجه اليهم وسكنهم بحيث اطمأنوا وطابت نفوسهم (١٠٧) . هذا فضلاً عن قيام المحتسب بالمهام المعتادة التي كان يضطلع بها المحتسبون في تلك الفترة ، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، كالنظر في الأمور المتعلقة بالنظام العام ، والجنيات التي تستدعي السرعة في الفصل ، والمحافظة على الآداب العامة ، ومراعاة تطبيق أحكام الشرع ، والإشراف على نظام الأسواق والمؤسسات التي تحتاج إلى إعمار وإصلاح (١٠٨) وكان للمحتسب نواب يطوفون في الأسواق لتنفيذ تعليماته (١٠٩) .

وفي حلب اعتمد الأرائقة في إدارتهم على الطم الممول بها سابقاً ، ولم يحاولوا أن يعبروا عليها تغييراً أساسياً ، **فالحاكم الأعلى** هاك هو نائب الأمير الأرتقي الذي ينتمي إلى العائلة الأرتقية ، وساعده في الإدارة مجموعة من الموظفين الذين عرفتهم حلب منذ فترة ليست بالقصيرة ، كرئيس الأحداث الذي كان يمارس سلطة فعلية ، ولذا كان معرضاً أكثر من غيره للعزل والتكيل على أيدي الأرائقة (١١٠) والأحداث هم جماعات مسلحة من سكان المدينة ، ازداد شأنهم ، في بلاد الشام ، في مستهل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وأصبحت لهم السيطرة على الحياة في دمشق ، وصار لهم رئيس

(١٠٦) ابن العماد ، شذرات الذهب ٥ / ١٢٥ .

(١٠٧) الفارقي ، تاريخ آمد ورقة ١٣٨ آ-١٣٨ ب .

(١٠٨) المقرئ ، خطط ١ / ١٦٤ ، مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٥-٢٢٦ .

(١٠٩) علي إبراهيم حسن ، المسالك البحرية ص ٣٠٤-٣٠٥ وانظر القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ / ٤ ، ٣٧ ، ١٩٣ ، ١١ / ٦٨-٧١ ، ٩٦-٩٧ ، ٣٠٩-٣١٦ ، العمري

التصريف ص ١٢٤-١٢٦ ، السبكي ، صيد النعم ص ٤٩-٥٠ .

(١١٠) ابن القيم ، زبدة الخلب ٢ / ١٨٦-١٨٧ ، ١٩٨-١٩٩ ، ٢٠٢-٢٠٣-٢١٧

٢٢٠-٢٢١ ، ابن القرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٣ ، ٨٥) .

الأحداث أو رئيس البلد ، ويقر والي المدينة اختياره ، وقد قلدت حلب أختها دمشق في ذلك وصارت رئاسة الأحداث فيها في عائلة (بني بديع) الذين قوي نفوذهم في حلب (١١١) .

وهناك والي القلعة (١١٢) ، الذي يقوم بالمهام التي سلف ذكرها لدى الكلام عن دور هذا الموظف في ديار بكر ووالي البلد (١١٣) ، الذي كان يرجع قيامه بنفس مهام والي المركزي لدى الأيوبيين والمماليك فيما بعد ، حيث كانت مهمته « الإستعلام عن مجندات ولايته من قتل أو حريق كبير (١١٤) وهو الذي يتخذ الأحكام ويقوم بالحدود ويتعقب المفسدين ومثيري الفتن ومدمني الخمر . ومن اختصاصه أيضاً مراقبة أبواب المدينة ، والطواف بأحياء التجارة والمال » (١١٥) ، أي أن مهمته أشبه بمهمة البلدية والشرطة في الوقت الحاضر وبالرغم من ذلك فقد مارس كل من والي القلعة ووالي البلد الظلم والمصادرة وسلطوا الجند والأتراك على مصادرة الناس بحيث أنهم استصفوا أموال جماعة من الأكابر والصدور ، مستغلين في ذلك الإضطرابات والفتن الذي ساد حلب خلال الحصار الصليبي لما (١١٦) . وكان يطلق على والي البلد ، أحياناً ، اسم الشحنة (١١٧) أي حاكم البلد أو صاحب الشرطة أو الأمير المشرف على حراسة المدينة (١١٨) لما بين الوظيفتين من تشابه واضح في الاختصاصات ،

(١١١) C. Cahen, *Mouvements Populaires*, pp. 11-16.

ابن العديم ، زبدة الخلب ٢ / ٦٨ - ٦٩ ، القريني ، الحروب الصليبية ١ / ٢٤ - ٢٥

(١١٢) ابن العديم ، زبدة الخلب ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ابن القرات ، تاريخ (مخطوطة ٢ / ٨٥) .

(١١٣) ابن العديم ، زبدة الخلب ٢ / ٢٣٠ .

(١١٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٦٠ .

(١١٥) علي إبراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٣٠ .

(١١٦) ابن العديم ، زبدة الخلب ٢ / ٢٣٠ ، بغية الطلب ٤ / ٢٧٧ .

(١١٧) ابن العديم ، زبدة الخلب ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ .

(١١٨) مسيم دوزي (Dozy : Sup .) ١ / ٧١٤ ، حاشية السلوك لقرنزي (٢) ، ٢ / ١

١ / ٩٧٩ وحاشية النجوم الزاهرة لابن تنويري (٢) ٥ / ٢٠١ عن القاموس القامري .

ومع ذلك فقد عين على حلب - أحياناً - شحنة خاصة لها (١١٩) دون أن يكون والياً للمدينة في نفس الوقت . وقد استغل هو الآخر منصبه لالينشر الأمن بل ليؤذي الناس ويكسب على حسابهم (١٢٠)

ولم يسكت الاراتقة على ما كان يقوم به كبار موظفيهم في حلب من ظلم وإساءة فكانوا ينكلون بهم ويعزلونهم عن مناصبهم (١٢١) . كما اتخذ نواب الاراتقة في حلب الوزراء ليساعدوهم في الحكم ، وكان مصير هؤلاء كرفاقهم في ديار بكر - هو العزل والتكيد والمصادرة (١٢٢)

وقد حظي القضاء ، وبعض المناصب المرتبطة به كالخطابة والافتاء ، لدى الاراتقة باهتمام كبير ، وأوردت المصادر عنه عدداً لا بأس به من الروايات ، حيث بررت أسماء عدد كبير من القضاة الذين انتمى بعضهم إلى عائلة بني نباتة الشهيرة التي لعبت دوراً هاماً في مجال القضاء . وكان أول من تولى منصب القضاء من أفراد هذه العائلة هو أبو القاسم يحيى بن طاهر بن نباتة الملقب بفخر القضاة ، وكان يعمل في الخطابة هو وآبائه منذ فترة طويلة قبل قيام الامارات الارترقية ، واختير عام (٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م) للقضاء في ميافارقين وولي ولده القاضي علم الدين أبو الحسن على الخطابة في نفس العام (١٢٣) ومن ثم اعتمد الاراتقة عليهم فيما بعد كما سترى .

وأول من ولي القضاء ، عند بدء حياة الاراتقة السياسية في القدس ، هو محمد بن موسى التركي البلاساغوني الحنفي ، وكان مطلعاً على علوم شتى ،

(١١٩) ابن المديم ، زبدة الحلب ٢ / ٢٠٠ ، ٢١٠ .

(١٢٠) المصدر السابق ٢ / ٢٠٢ .

(١٢١) المصدر السابق ٢ / ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ابن القفراء ، تاريخ (مخطوطة ٨٢ ، ٨٥) .

(١٢٢) المصدر السابق ٢ / ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢٢٠ - ٢٢١ ، العظيمي ، تاريخ ، ورقة ٢٠٠ ط ، ابن القفراء ، تاريخ (مخطوطة ٨٥ / ٢) .

(١٢٣) القفاري ، تاريخ آمد ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

ولكنه كان متعصباً للحنفية ، ويقال أن سيرته في القضاء كانت غير محمودة ، مما دفع أهالي القدس إلى أن يشكوه إلى سقمان ابن ارتق فعزله ، ومن ثم اتجه البلاساغوني إلى دمشق حيث تولى القضاء هناك وتوفي عام (٥٠٦ هـ = ١١١٢ م) (١٢٤) .

وفي ديار بكر تآلق اسم عائلة بني نباتة . ففي عام (٥١٤ هـ = ١١٢٠ م) استولى إيلغازي على نصيبين فسار إليه القاضي علم الدين أبو الحسن بن نباتة ، الذي كان إيلغازي قد أقره على قضاء ميافارقين لدى استيلائه عليها عام (٥١٢ هـ = ١١١٨ م) ، وجماعة من رجالات ميافارقين وهأؤوه بفتحها ، فخلع عليهم إيلغازي وأحسن إليهم وأعادهم (١٢٥) وعندما توجه لقتال الكرج في العام التالي (٥١٤ هـ = ١١٢٠ م) استصحب معه القاضي علم الدين وولده القاضي أبا الفتح الذي ولي قضاء ماردين إلى ما بعد منتصف القرن السادس (١٢٦) وتشير حادثة استصحاب إيلغازي لأحد قضاته في تلك الغزوة إلى احتمال اتحاد الاراتقة لقضاة العسكر الدين عرفوا لدى المماليك ، وكانوا يصحبون السلطان في أسفاره (١٢٧) ويقضون في العسكر ومن يتصل به من الصناع والعمال وغيرهم (١٢٨) . وفي عام (٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م) استدعى القاضي علم الدين بن نباتة من ميافارقين إلى ماردين ليتولى قضاءها بعد عزل قاضيتها مجد الدين داود بن السيد . وفي نفس العام ولي بهاء الدين

(١٢٤) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ٨ / ٤٤ .

(١٢٥) القفاري ، تاريخ آمد ، ورقة ١٠٢ آ ب ، ونقل عنه ابن شداد ، الأملق ، ورقة ١٠٢ آ .

(١٢٦) القفاري ، ورقة ١٠٣ ب - ١٠٤ آ .

(١٢٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ٤ / ٣٦ .

(١٢٨) علي إبراهيم حن ، المماليك البحرية ص ٢٩٢ . وانظر القلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ ،

١ / ٢٤ - ٣٦ ، ١٩٢ ، ١١ / ٩٦ ، ٢٠٤ - ٢٠٧ ، والمصري ، الصريف ص ١٢٣

- ١٢٤ .

أبو طاهر خطابة ميافارقين نيابة عن عمه علم الدين ، وبعد يومين من ذلك ولي خطابة ماردين أيضاً (١٢٩). وفي عام (٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م) حدثت بعض الخلافات بين أفراد عائلة بني نبانة تمكن على إثرها أبو الفتح ضياء الدين بن نبانة أن يحصل على قضاء ماردين (١٣٠) ، وبعد منتصف القرن السادس الهجري تضاعف دور بني نبانة في القضاء ولم تعد المصادر تشير اليهم الا نادراً وبرز محلهم عدد من القضاة ينتمون إلى عوائل شتى ومن أشهرهم عبد السلام المقدسي المارديني الذي ولي قضاء ماردين في أواخر القرن السادس الهجري (١٣١). والحكيم شعون الخرتبرتي قاضي خرتبرت الذي بلغ الغاية في الخط العربي (١٣٢). وعلي بن محمد بن التجار البغدادي الفقيه الحنبلي الأديب الشاعر الذي سافر من بغداد إلى ديار بكر وولي قضاء آمد حتى وفاته عام (٦٠٩ هـ = ١٢١٢ م) (١٣٣) ويحيى بن سعيد بن محمد الربيعي الفقيه الشافعي وهو من أهل تكريت ، درس في **بغداد والموصل** وولي قضاء ماردين (١٣٤) وعندما استولى التتر على الجزيرة والشام غدا قصة الأراقة في ديار بكر تابعين لقاضي القضاة الذي عينه التتر على كل مناطق الشام والجزيرة والموصل والذي كان مركزه في دمشق ، حيث أصغر هولاءكو في عام (٦٥٨ هـ =

(١٢٩) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٢٤ - ١٢٥ آ. وانظر بشأن الخطابة : الفلقشندي ، صبح الأعشى ط ٢ / ١١ ، ٢٢٢ - ٢٢٥ ، المصري ، التبريد ص ١٢٦ - ١٢٧ .
وكان الموطأ الذي يحول الخطابة لدى الأراقة يقوم - أحياناً - بوظيفة الإفتاء كذلك ، فضلاً عن القضاء ، لما بين هذه الوظائف من تشابه واستزادها جسيماً ثقافة فقهية ولغوية .
لذا كان الأراقة يولونها لأولئك الذين تفرسوا في هذه الثقافة (انظر ياقوت ، معجم الادباء ٢٠ / ١٨ - ١٩) .

(١٣٠) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٣٢ آب .
(١٣١) ابن البري ، مختصر ص ٤١٧ ، لقطي ، الحكماء ص ١٨٩ - ١٩٠ ويشير إلى أن والد عبد السلام وهو عبد الرحمن المقدسي كان قاضياً على دليس .
(١٣٢) ابن البري ، مختصر ص ٤٤٤ .
(١٣٣) ابن السكيت ، شذرات الذهب ٣٧/٥ - ٣٨ .
(١٣٤) انسان الميون ، مجهول ص ١٦٩ .

(١٢٥٩ م) منشوراً يقضي بتعيين القاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي الشافعي قاضياً لقضاة الشام والموصل وماردين وميافارقين والأكراد .. الخ (١٣٥). ولكن هذا النظام لم يستمر طويلاً إذ انتهى بمجرد زوال سيطرة التتر عن الشام ، فاستقل القضاء الارمني من جديد وأصبح المسؤول الأعلى عنه قاضي قضاة يمينه الارائقة .

ومن قضاة الارائقة المشهورين ، خلال الفترة التي أعقبت السيطرة الترية مهذب الدين محمد بن علي الدنيسري ، قاضي قضاة ماردين . منذ عام (٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م) وحتى عام (٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م) (١٣٦) ، وأبوه محمد بن سليمان بن علي الدنيسري الذي ولي قضاء ماردين طيلة خمس وثلاثين سنة وتوفي سنة (٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م) فعين ولده في منصبه (١٣٧) . وسليمان ابن داود بن عبد الحق الحنفي الذي اشتغل في الحديث والفقه وسافر إلى أماكن عديدة وولي القضاء بيقداد وماردين ، وتسلم مناصب إدارية في دمشق ومصر وتوفي عام (٧٦١ هـ = ١٣٥٩ م) (١٣٨) . وبرهان الدين الموصل قاضي قضاة ماردين في عهد الملك الصالح (٧٦٩ هـ = ١٣٦٧ م) وهو ينتسب إلى الشيخ الولي فتح الموصل ويتصف بالدين والورع والفضل ، ويذكر ابن بطوطة أنه كان يجلس للحكام بصحن مسجد خارج المدرسة ، كان يتعبد فيه ، فلذا رآه بعض من لا يعرفه ، ظنه بعض خدام القاضي وأعوانه (١٣٩) . والصلح أبو طاهر السمرقندي الذي تولى قضاء ماردين قبيل سقوطها (١٤٠) ، وهو آخر من وصلت إلينا أسمائهم من قضاة الارائقة .

كان القضاء لدى الارائقة منظماً تنظيمًا دقيقاً ، وبخاصة في اماره ماردين

-
- (١٣٥) ابو شامة ، ذيل الروغنين ص ٢٠٤ ، اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ٦٤/٢ - ٦٥ ، المقرئزي ، السلوك ٤٢٤/١/٢ ، ابن العباد ، شذرات ٣٢٧/٥ - ٣٢٨ .
 (١٣٦) ابن شداد ، الاملاق ، ورقة ١٣٥ آ ، اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ .
 (١٣٧) ابن شداد ، الاملاق ، ورقة ١٣٥ آ ، اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ .
 (١٣٨) ابن حبير ، كمدور الكلاسة ١١٩/٢ - ١٥١ .
 (١٣٩) رحلة ابن بطوطة ١٨٣/١ .
 (١٤٠) الصليخ ، تاريخ حلب ١٩٦/٥ - ١٩٩ .

فهناك قاضي القضاة وهو المسؤول الأعلى عن السلطة القضائية ، ومقره في العاصمة ماردين (١٤١) ويعين من قبل الأمير الارتقي مباشرة ، ويقوم هو بتعيين نوابه في البلاد التابعة للإمارة (١٤٢) وكان قاضي القضاة يتقاضى مرتباً كبيراً ، أو يقطع اقطاعاً يتناسب ومنصبه . (١٤٣) ولا ريب أن عمل قاضي القضاة لم يكن يقتصر على النظر في قضايا الأحوال الشخصية ، بل كان يمارس ، أسوة برفيقه في حكومات مصر والشام ، النظر في جميع القضايا المتعلقة بمهمته ، وإمامة المسلمين في الصلاة ، والإشراف على دار الضرب (١٤٤) والنظر في الأوقاف والعمل على تنمية مواردها وصرفها في وجوهها واستلام أموال المواريث (١٤٥) . أما جلسات المحاكم فتعقد في المساجد أو في دور القضاة (١٤٦) .

وقد لعب القضاة لدى الأرتقة دوراً هاماً في السفارات السياسية فكانوا يشتركون أحياناً في الوفود الموجهة إلى إحدى الجهات للمفاوضة (١٤٧) . كما كانوا يسهمون في تقرير الصفة الشرعية لأمراء الأرتقة - أحياناً - لدى تولي أحدهم الحكم بعد موت سلفه (١٤٨) . وفي حلب لعب قاضي الأرتقة أبو الحسن محمد بن يحيى بن الخشاب دوراً هاماً في الصراع الذي نشب طيلة

(١٤١) ابن شداد ، الأملق ، ورقة ١٣٥ آ ، انسان الميون ، مجهول ص ٢٧٧ - ٢٨٨ ، اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ ، ابن بطوطة ، رحلة ١٨٣/١ .

(١٤٢) ابن حجر ، الدور الكامة ٢٩٠/٢ .

(١٤٣) انسان الميون ، مجهول ، ص ٢٧٧ - ٢٨٨ .

(١٤٤) القلقشندي ، صبح الامنى ٣٤/٩ - ٣٥ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ١٠١/١ .

(١٤٥) المقريزي ، عطل ٩٢/٢ .

(١٤٦) أنظر : علي إبراهيم حسن ، المالك البحرية ص ٢٨٨ - ٢٩٠ ، النويري ، نهاية الارب (القسم السلوط) ٢٩٩/٢٩ آ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ١٠١/٢ ، ابن حجر ، رفع الاصر ص ١٤٩ آ

(١٤٧) ابن شداد ، الأملق ، ورقة ١٣٥ آ ، اليوناني ، ذيل مرآة الزمان ، ٣٤٢/١ - ٣٤٤ وأنظر ابن حجر ، الدور الكامة ٢٩٠/٢ ؛

(١٤٨) الفارقي ، تاريخ آمد ، ورقة ١٣٨ آ - ١٣٨ ب ، ابن شداد ، الأملق ورقة ١٠٥ آ .

العقد الثاني من القرن السادس الهجري ، بين الصليبيين وأهالي حلب . وقد استطاع ، بما عرف عنه من مهارة سياسية وشجاعة نادرة ونشاط لا يفتقر ، وما كان يتمتع به من حب شديد من قبل أهالي حلب ، أن يصمد بها أمام هجمات الصليبيين المركزة . وكان يتمتع بصلاحيات القائد الأعلى للحرب والإدارة ، كما كان يقوم بالإشراف على الأمور العمرانية (١٤٩) .

وهكذا نجد أن الإدارة الأرتقية اعتمدت إلى حد كبير على النظم المعاصرة المعمول بها لدى السلاجقة والأيوبيين والمماليك ، فضلاً عن ارتكازها على الأسس الإدارية السائدة في المنطقة (ديار بكر وشمال الشام) في العقود التي سبقت قيام الإمارات الأرتقية . ولئن حدثت تغييرات بسيطة في تسمية بعض موظفي الأمانة، إن وظائفهم بقيت ، في مهماتها الرئيسية ، تعمل وفق نفس النظم التي كانت تعمل بها الدول السالفة التي تأثر الأمانة بها في مؤسساتهم الإدارية. وهكذا فإن قيام الإمارات الأرتقية في ديار بكر لا يشكل حلقة في نظمها الإدارية بقدر ما يشير إلى رغبة الأمانة في توسيع الجهاز الإداري والاعتماد على مزيد من العناصر الكفوءة ، والإستفادة من كافة النظم السابقة والمعاصرة التي شهدتها الأمانة والتي أخذت تتبلور وتتخذ شكلها النهائي في عهد المماليك.

الدكتور عماد الدين خليل

أستاذ مساعد - قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة الموصل *

(١٤٩) ابن الدليم ، زبدة الخلب ٢/ ١٨٥ - ١٨٦ ، ٢١٤ - ٢١٦ ، العنبري ، تاريخ ، ورقة

١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ابن النعمة ، المنتخب ص ٨٧ - ٨٣ .

الحسين بن علي بن أبي طالب في العصر العباسي الأول

(١٣٢ هـ / ٧٤٩ م - ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)

د . فاروق عمر فوزي

مقدمة :

يقرأ الناس التاريخ ليستخرجوا العبر والدروس مما جرى فيه ، ذلك أن هدف الصناعة التاريخية في عصرنا الحاضر هو استخلاص **ألقيم الرمزية الفاعلة والدائمة** من الظاهرة التاريخية . والمعروف أن تاريخ المدن يجري تراثاً زائلاً من المثل الحية التي تُشير الطريق أمام أجيالنا الحاضرة لما تمده من عزيمة في تكوين الوجدان القومي وشحذ ألهم وإذكاء العزائم .

والموصل مدينة لها مكانتها في تاريخنا العربي ، فقد برز عبر تاريخها العديد من أبنائها في الميادين السياسية والعسكرية والحضارية . وسنستعرض في بحثنا هذا حقبة قصيرة من تاريخ هذه المدينة العريقة وهي فترة من فترات التاريخ العسيرة ، يتضح فيها ألوّاء وتبلور أليول وتُمْتحن العزائم ...إنها فترة انتقال السلطة من يد إلى يد إثر ثورة عارمة هي الثورة العباسية .

□ موقف الموصل من الثورة العباسية

لقد كان إقليم الجزيرة الفراتية ومن ضمنها مدينة الموصل في حالة من

الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار في أواخر عهد الأمويين ، وقد شاركت القبائل الموصلية في الصراع ضد خلافة مروان بسبب سياسته القبلية التي تعصبت للقبائل القيسية على حساب القبائل اليمانية . ورغم أن الكثير من شيوخ القبائل وزعمائها في الموصل وأطرافها لم يكونوا خوارج في عقيدتهم إلا أنهم انضموا إلى الحركات الخارجية كحركة الضحاك الخيري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م وشيخان اليشكري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م ضد مروان . وأكثر من ذلك فقد اشترك الخوارج من أهل الموصل في حركات خارجية ضد الأمويين خارج إقليم الجزيرة فقد اشترك بعض شيوخ القبائل الموصلية مع أبي حمزة الخارجي حين ثار باليمن وقاتلوا معه في « وقعة قدير » بالمدينة سنة ١٣٠ هـ / سنة ٧٤٧ / سنة ٧٤٨ م (١) وحين قامت الثورة العباسية على أكتاف القبائل اليمانية والربعية خاصة مبتدئة في خراسان ثم شملت بقية الأقاليم حيث دخلت الشيعة العباسية الكوفة سنة ١٣٢ هـ / سنة ٧٤٩ م حيث نوبع أبو العباس خليفة للدولة الجديدة (٢) . كان أول عمل واجهته الدولة الجديدة هو محاربة مروان بن محمد (٣) الذي خندق في موقع حصين قرب الزاب الكبير حيث حدثت معركة كشاف (٤) التي دامت عشرة أيام ارتكب أثناءها مروان الأموي خطأً استراتيجياً وذلك بعبوره إلى الساحل الأيسر من الزاب وفقد بذلك موقعه العسكري الحصين ، ما أدى إلى اندحاره في المعركة واضطراره إلى الانسحاب باتجاه الموصل التي كان قد اتخذها قاعدة له وخلف فيها بيت المال والخزائن . ولكن عامل الموصل وقبائلها لم يفتحوا له أبواب المدينة منكرين عليه الهروب مدعين أن الخليفة مروان لا يهرب وأنه ليس بمروان الذي يعرفونه . مما اضطر مروان إلى الانسحاب باتجاه حران ثم الشام (٥) .

(١) أبو زكريا الأودي ، تأريخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٨٠ ص ١١٣ .

(٢) مؤلف مجهول ، أخبار العباس وولده ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٤١٠ فما بعد .

(٣) F. Omar The Abbasid Caliphate, Baghdad 1969, P. 121

(٤) الأودي ، تأريخ الموصل ، ص ١٣٠

(٥) المصدر السابق ، ص ١٢٣

ولم يستطع مروان أن يبقى في دمشق طويلاً حيث آنقسم أهلها بين مؤيد ومعارض له فترك المدينة متجهاً نحو فلسطين ثم مصر . وكانت الشيعة العباسية تتبعه بقيادة عبدالصمد بن علي عم الخليفة أبي عون الأزدي الذي كان على مقدمته عامر بن اسماعيل المسلمي الموصلية مع كتيبة من الخيالة تسمى «الموصلية» . وقد فاجأ عامر الموصلية مروان الأموي وهو مختبئ بإحدى الكنائس في بوسير بصعيد مصر وقتله في تموز سنة ٧٥٠ م / ١٣٣ هـ (٦) . أما إنا مروان عبدالله وعبيدالله فقد هربا إلى بلاد النوبة جنوبي مصر .

لقد لعبت الفرسان الموصلية وعلى رأسها عامر المسلمي دوراً بارزاً في إنهاء حكم مروان . وقد فتحت مدينة الموصل ، التي أمنتعت عن إيواء مروان ، فتحت أبوابها للشيعة العباسية بقيادة عبدالله بن علي العباسي وأستقبلوهم بالتهاميل والترحيب ولس هشام بن عمرو الزهيري واني الموصل السواد شعار العباسيين للدلالة على ولائهم للدولة الجديدة ، وتسلم عبدالله بن علي خزائن مروان وأمواله وألمتهم (٧) .

ولعل السبب الأول الذي دفع الموصل لهذا الموقف العدائي من مروان هو سياسته القبلية المناهضة إلى القيسية فقد أعتمد مروان على زعماء القيسية في المهام الإدارية والعسكرية مما أثار عليه اليمانية ودفعهم للعمل ضده . إلا أن كراهية اليمانية لمروان لاتعني عداؤهم للخلافة الأموية ككل . فالمعروف أن ألقبائل اليمانية في بلاد الشام كانت الدعامة القوية للسلطة الأموية عند تأسيسها . فاليمانيون في الشام والجزيرة كانوا يريدون أنتخلص من مروان ولا يهدفون إلى تفويض الخلافة الأموية . والجدير بالذكر أن اليمانية كانوا في تلك الفترة يكتنون غالبية سكان مدينة الموصل ذاتها .

أما السبب الثاني لمعارضة أهل الموصل لسياسة مروان فهو الحروب العنيفة التي خاضها مروان في أواخر سني خلافته ضد الخوارج . وقد تركت تلك

(٦) الطبري ، ٣ ، ص ٣٨٢ - خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٢٢٨

(٧) الأزدي المصدر السابق ، ص ١٣٣

الحروب وما رافقها من فوضى وعدم استقرار آثارها السيئة سياسياً واقتصادياً على المدينة وأهلها الذين عاشوا في قلق دائم على أنفسهم وموارد عيشتهم وتجارتهم .

وربما أضفنا سبباً ثالثاً لعب ويلعب دوراً فعالاً في الملتزم السياسي بين المهاور والتكتلات التنافسة على السلطة ألا وهو «تبديل الولاء» . فالكثير من شيوخ القبائل ممن كانوا يدينون بالولاء للأمويين أدركوا بأن كيان الأمويين أصبح من الهزلة والتدهور بحيث قويت الاعتقادات بزواله لامحالة ، فكان من المناسب لهم أن لا يؤيدوا سلطة زائلة ضد سلطة قوية جديدة . وعلى حد قول أحدهم إن دولة الأمويين دولة مُدبّرة بينما أمر العباسيين مقبل يشر بالخير العميم (٨) وقد فسر اسحق العقيلي وهو أحد الشخصيات الجزرية البارزة آنهار الأمويين السريع بقوله المنصور :

«إن أمركم جديد» **والناس بين راجح وهاب** (٩)

كما برر زياد بن صالح الخائني عدم دفاعه عن الأمويين بقوله إنه لا يرى لماذا يقف مدافعاً ومعرضاً نفسه للمخاطر من أجل سلطة ضعيفة متهاوية (١٠) وبعد قيام الخلافة العباسية بقيت كل من الجزيرة والشام موضعاً للإضطرابات ومستودعاً للقلاقل المعادية للعباسيين . ومن أجل الحد من ذلك أتبع العباسيون اجراءات متنوعة منها : (١١)

أولاً- تعيين ولاية قديرين أغلبهم من رجال الدعوة العباسية أو من أئمة العباسي ولرسال كتائب من الشيعة الخراسانية للمرابطة في الموصل أو حران أو دمشق وغيرها .

ثانياً- محاولة كسب ود ألقبائل الجزرية والشامية وذلك باصطناع شيوخها وإكرامهم وتعيين بعضهم «صحابية» للخليفة في البلاط العباسي . كما حدث

(٨) الأزدى ، المصدر السابق ، ص ١٣٠

(٩) البلاذري ، أنساب الأشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩١ ب

(١٠) الدينوري ، الأعيان الطوال ، ص ٣٦٩

(١١) الدكتور غلوك عمر العباسيون الأوائل ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٧٦

مثلاً لأسحق بن مسلم العقيلي .

ثالثاً- قيام الخلفاء العباسيين كالمصور والمهدي والهادي والرشيد والمأمون
بعدة زيارات لتتحرى عن أحوال الإقليمين وأتعرّف على قبائلها .

رابعاً- إنشاء قلاع وحصون عسكرية في مدن مختلفة كالموصل وحران
وقنسرين . وبناء مدن جديدة في مواقع استراتيجية كالرافعة لامكان السيطرة
على هذه المنطقة .

ثورة الموصل ١٣٣/٧٥٠ م :

كان محمد بن صول أول وال للعباسيين على الموصل ، ولكنه لم يكن
حرياً بل مولى لقبيلة خثعم ولذلك أمتنع شيوخ القبائل ولم يرضوا بهذا
الإختيار ، فالأمويون عودوهم بأن يكون واليهم إما من رجال العرب
البارزين أو من آل بيت الأموي . فاستغربوا متسائلين :
أيلى علينا مولى خثعم ؟! (١٢)

ولم يستطع الخليفة أبو العباس أن يعالج الأمر بحكمة فرغم أنه امتعجب
لرغبة أهل الموصل فعين أخاه يحيى بن محمد العباسي لولاية المدينة إلا أنه
أبقى ابن صول قائداً عسكرياً لرابطة الموصل .

يقول الأزدي (١٣) : «كان محمد بن صول والياً قبله (يحيى) عليها فأقام
معه ، وقدم الموصل ومعه ١٢ ألف فارس وراجل ، بينهم ٤ آلاف من
الزنج (١٤) ، فتلّ قصر الإمارة الملاصقة للمسجد الجامع وأمر محمد بن
صول فتلّ قصر الحر بن يوسف وهو المنقوشة ونهاه عن التزلّ في نفس
المدينة ودخول سورها » .

(١٢) الأزدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٦

(١٣) الأزدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥

(١٤) المصدر السابق ص ١٤٩ ص ١٥١

لقد كان لإرسال يحيى بن محمد من الإجراءات الخاطئة التي قام بها الخليفة ذلك لأن يحيى لم يكن بالرجل السياسي أو الإداري الكفوء ، بل لم يكن معروفاً بالحصافة أو الشعور بالمسؤولية وتشير رواية تاريخية (١٥) أن يحيى هذا كان قد هدد أخاه إبراهيم الإمام في فترة الدعوة السرية بإخبار السلطات الأموية عن التنظيم السري للعباسيين إذا ما طُلَّ إبراهيم أو تأخر في إعطائه ما يحتاجه من مال . كما وأن إبراهيم الإمام حذر شيعته من الإتصال يحيى . هذا من جهة ومن جهة أخرى فلأن السماح ببقاء الوالي القديم محمد بن صول كفائد لحماية المدينة أدى إلى تعقد الموقف وتطوره نحو الأسوأ . فإن ابن صول المتورط أضمر شعوراً بالكراهية ورغبة في الإنتقام من أهل الموصل الذين رفضوه وبدأ يحرص يحيى على اعتقال أو إبعاد رجالات الموصل البارزين منهم لإيادهم بالولاء للأمويين والشعب .

والمعروف أن ابن صول كان قد اعتزل عدداً من مشايخ الموصل ثم قتلهم وتماذى في ذلك حين حرص الوالي الجديد على اعتقال عدد آخر الأمر الذي أدى إلى حدوث الإضطرابات فاستنكر ذلك الوالي وأمر ابن صول بأن يضع السيف في الثامس . فاغتم ابن صول الفرصة الذهبية وفكك بالكثير من أهالي الموصل الذين دخلوا منازلهم وتحصنوا بها .

لقد حاول المؤرخون الأوائل أن يفسروا أسباب النفور بين الموصل والعباسيين وأن يضعوا تبريرات للموقف الجديد الذي اتخذته الموصل ولعلنا نستطيع حصر هذه الأسباب بما يلي :

١ - عرفت بعض قبائل الموصل بميوها الأموية ورغم معارضتهم لسياسة مروان المبينة على العصية القبلية فإنهم ظلوا موالين للأمويين ودولتهم وتشير رواية إلى ذلك فتقول «سبب قتلهم ميلهم إلى بني أمية» (١٦) . وكذلك

(١٥) أخبار عباس وولده ص ٢٤١ .

(١٦) الازدى ، ص ١٤٥

وكان في أهل الموصل إذ ذاك عز ومنعة وكان البلد أمويًا (١٧). وفي رواية أخرى وكان أكبر الأمر في قتل يحيى بن محمد أهل الموصل ميلهم إلى بني أمية وكراهيتهم لبني العباس (١٨).

٢- لقد طغت العقيدة الخارجية على قبائل الجزيرة بل أنها أصبحت رمزاً لمعارضة الأمويين في أواخر عهدهم وأصبح الثوار يدعون للمذهب الخارجي أو يجعلونه رمزاً لحركاتهم سواء آمنوا به أم لم يؤمنوا به. ومع ذلك فقد وصفت بعض قبائل الموصل بترعتها الخارجية كما كانت الموصل مركزاً أنبثت منه بعض الحركات الخارجية في القرن الأول وبداية الثاني الهجريين. وتصف رواية للبلاذري (١٩) أهل الموصل بأنهم ثلاثة قطاعات اجتماعية:

لما نجار يمتنون البيع والشراء أو خوارج ديدنهم التمرد على السلطة أو لصوص يسرقون وينهبون. أما تجار فيرغون بالأمس والاستقرار لأنهما مفتاح أنتعاش تجارتهم وأما الخوارج فيهدقون إلى معارضة السلطة بأية وسيلة كانت وأما اللصوص فلا يتفهمون إلا بالقوضى وفقدان الأمس.

٣- لم يكن من طبيعة القبيلة أن تدعن لسلطة مركزية تقبدها وتنظمها فلكل قبيلة شيخها تأتمر بأمره ولم تنته هذه الميول بعد الإسلام بل كانت تظهر قوية في فترات الأزمات الحادة. ولم تكن القبائل الموصلية بأحسن حالاً من غيرها بل ربما كانت أعنف من غيرها وخاصة في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي ويسمي البلاذري أهل الموصل وخزر العرب (٢٠) وذلك لصلابتهم ولبدل على ميلهم للتمرد على السلطة أيّاً كان نوعها.

(١٧) المصدر السابق ، ص ١٥٠

(١٨) Ibid

(١٩) البلاذري ، أنساب الأشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٥ ب

(٢٠) البلاذري ، أنساب الأشراف (مخطوطة) ورقة ١٧٩٩

ويرد السبب الشخصي الذي حمل ابن صول على تأليب الوالي الجديد على الموصلين في بعض الروايات . فقد كان أهل الموصل أهل عز ومنعة ويفخرون بكونهم فرسان العرب وصناديدها ، ولذلك رفضوا ابن صول والياً عليهم فحقد عليهم ووجد في شخصية يحيى ابن محمد الضعيفة متنعه فأقنعه بتأمرهم على السلطة ومبوغهم الأموية وقرر يحيى أن يتغدى بأهل الموصل قبل أن يتعشوا فيه . وتشير رواية في الأزدي أن يحيى العباسي : (٢١)

وخاف وثوب أهل الموصل به فقال لأبن صول : إني لا آمن وثبة أهل الموصل فلو بادرواهم فذاك الصواب فوجه إلى وجوه منهم على جهة الر والتكرمة فإذا حصلوا في يدك فاقتلهم

على أننا لا نستطيع أن نجزم بأن سباً واحداً من هذه الأسباب كان الدافع الأول والأهم الذي عكس صفو العلاقات بين الوالي الجديد وأهل الموصل . صحيح أن الجزيرة عامة وصفت بأنها حرورية ولكن الموصل في القرنين الأولين للهجرة لم تنعت بكونها خارجية رغم أنها حارت مع الخوارج بعناد ضد مروان حتى حلف بقتل أهلها جميعاً (٢٢) والمعروف أن المجتمع الموصلي مجتمع عربي عريق يتكون من قطاعات قبلية مختلفة منها اليمانية ومنها الربعية ومنها المضرية . وكان لكل قطاع ولاء يختلف عن الآخر ولا شك فإن بعضها كان أموياً أو خارجياً أو عباسياً أو حبادياً لا ولاء له . وقد ضمرت هذه الميول في فترة الثورة العباسية، وهي فترة ترقب تثار فيها الآمال والأمان، لكنها مالبثت أن ظهرت بعد فترة وجيزة من تأسيس الدولة العباسية وكان المتنفس الأول لها هو الخلاف حول شخصية الوالي الجديد ابن صول . وحين قرر الوالي الثاني يحيى العباسي اعتقال بعض رجالات الموصل وأتفق مع ابن صول على قتل بعضهم من أجل تخويف الآخرين حدث الانفجار المتوقع فكانت

(٢١) الأزدي تاريخ الموصل ، ص ١٥٠ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٦٩ فما بعده .

ثورة الموصل وأصطدم الناس بالخراسانية في الشوارع حيث تشير رواية إلى أن ابن صول «وائب الناس بالسيف فحاربوه» (٢٣) ورغم أن عدداً من المؤرخين يتفقون بأن السبب المباشر للإضطرابات وقتال الشوارع كان لإراقة امرأة موصلية ماءً قدراً على جندي خراساني فظن أنها فعلت ذلك متعمدة فهاجم هو وأصحابه الدار وقتلوا من فيها فنفر الناس من ذلك، «وجرّ ذلك إلى ما فعل يحيى بن محمد» (٢٢٤)، فإننا نعتقد بأن الأسباب المباشرة للحروب والإنفاضات غالباً ما تكون على هذا النمط الإعتباطي البسيط إلا أن الأسباب الحقيقية تكون أعمق من ذلك وتكمن في حالة القلق والتأزم وعدم الإطمئنان على المصير التي عاشها أهل الموصل بعد اعتقال زعمائهم ومقتل بعضهم في سجن ابن صول وبتأييد من الوالي العباسي. فكان مافعلته المرأة الموصلية، إن صححت الرواية، والقشة التي قصمت ظهر الحمل، وقد آخذ الناس حارثهم وبيوتهم أماكن يتحصون فيها أثناء القتال حتى أمر يحيى العباسي بالأمان مودي ومن دخل المسجد فهو آمن بأمان الله» (٢٥). وما أن دخل الرجال إلى المسجد الجامع حتى أحاطت الجند بالمسجد وأمر ابن صول بقتلهم. وكان أول من قتل معروف العابد وأبنته ثم قتل بعدهما إبان إمام المسجد. وتختلف الروايات في ذكر عدد القتلى فتشير رواية للأزري لمنهم ١١ ألفاً ممن له خاتم ومن لاخاتم له خلق كثير. ويقول البعقوبي (٢٦) إن القتلى كانوا ١٨ ألفاً من صلب العرب غير الموالي والعبيد. ويؤكد ابن الأثير (٢٧) أن الهجرة شملت كل رجالات أهل الموصل ممن يأخذ العطاء. وتقول بعض الروايات (٢٨) أن الجند لم يفرقوا بين رجل وامرأة وصبي.

(٢٣) المصدر السابق ص ١٥٠

(٢٤) الأزدى، ص ١٤٥

(٢٥) المصدر السابق، ص ١٤٨

(٢٦) البعقوبي، تاريخ، الجزء الثاني، ص ٤٢٩

(٢٧) ابن الأثير، الكامل، ص ٣٤٠ فا بعد

(٢٨) الأزدى، ص ١٤٨. قارن ص ١٥١ و ١٥٣ حيث يرتفع عدد القتلى لدرجة كبيرة.

وعلى ذلك فإن عدد القتلى يتراوح بين ١٠ - ١٨ ألفاً على تباين الروايات والمبالغة التي فيها .

وفصل الأزدي في أحداث المجزرة ويذكر مشاهير القتلى وأشعاراً في رثائهم ويسمي الحادثة بالملحمة ليدل على كثرة القتلى ، كما ينعت القتلى بالشهداء . والجدير بالذكر أن بعضهم افلت من المجزرة ثم اعطوا الأمان ثانية وغدّر بهم بعد ذلك . ويظهر من روايات الأزدي أن أغلب القتلى من اليمانية تلك القبائل التي طبعت الموصل بطابعها وأثرت في سلوكها السيامي (٢٩) . ويندد الأزدي بالعباسيين وبسياستهم تجاه الموصل فيقول على لسان عويمر الأعرابي :

«كذب والله من زعم أن هؤلاء مسلمون!!» (٣٠)

ويروي حوادث مثيرة لأعمال تدل على العنف والقسوة التي عامل بها الخراسانية أهل الموصل حيث تركت الموصل عرضة للنهب والنهب والقتل ويشير اليعقوبي إلى ذلك بقوله

«إن دماء أهالي الموصل اختلطت بهر دجلة!!» (٣١)

إن انتفاضة الموصل التي بدأت بشكل سخط ضد إجراءات الوالي تطورت إلى حركة مسلحة ضد السلطة العباسية . ويصعب علينا معرفة الصيغة الحقيقية للعناصر التي اشتركت فيها والتي كانت يمانية في غالبيتها . ولعلنا نستطيع أنقول بأن الضرورات السياسية الآتية والأمزجة الشخصية للمنفذين من شيوخ العشائر والشرفاء والمقدمين لعبت دورها في تقرير موقف هذه القبيلة أو تلك من الوالي العباسي أو من زعماء الإنتفاضة .

إن الذي يؤيد ما ذكرناه من أن الثورة لم يكن لها لون عقائدي أو سياسي واضح ما ذكره الخليفة أبو العباس حين سئل عن سبب ما حدث في الموصل فأجاب بأنه لا يدري (٣٢) . وبقيت هذه المجزرة لغزاً غامضاً لفترة طويلة

(٢٩) الأزدي ، ص ١٥١ - ١٥٥

(٣٠) المصدر السابق ص ١٥١ -

(٣١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢

(٣٢) الأزدي ، ص ١٥١

حيث تشير رواية إلى أن الخليفة المعتضد سأل عن سبب قتل أهل الموصل سنة ٢٨٦ سنة ٨٩٩ وكان في طريقة إلى آمد ولكنه لم يعثر على جواب شاف لذلك .

على أن الخليفة أبا العباس عزل أخاه يحيى عن ولاية الموصل وأقتله أهلها وسوء أثره فيها ، (٣٣) وفي ذلك اعتراف من السلطة العباسية بسوء إدارته وإدانة له على أعماله . وأكد الوالي الجليلي اسماعيل بن علي العباسي عم الخليفة نفس الموقف حين خطب بالناس واعدأ بإياهم بحسن السيرة والعدل :
ويا أهل الموصل أنا أرد عليكم المظالم واعطيتكم ديات من قتل يحيى منكم (٣٤) وكنت إلى الخليفة يشرح له خراب البلد وسوء حالتها فأجابته وأرقق بالناس وتالفهم ، ولكن الخليفة لم يعاقب يحيى بل اكتفى بعزله وكذلك أبعد ابن صول (٣٥)

أما نتائج الهزرة الاقتصادية والاجتماعية فكانت شديدة الوقع على أهل الموصل فقد قتل آلاف الرجال تاركين وراءهم عوائلهم ، كما وأن وأسواق الموصل لم تضر ثلاث سنين بعد قتل أهل الموصل ، وفي رواية أخرى «الموصل مضطربة وأعمالها متفلسة وعمارتها ناقصة» (٣٦) وقد قامت السلطة العباسية بعدد من الاجراءات هدفها إعادة الاستقرار والازدهار الاقتصادي للمدينة منها:
١ - توزيع الديات على عوائل القتلى ، وفي هذا الاعتراف بواضح وضمني بمسؤولية السلطة وبأن يحيى قتل الناس ظلماً وعدواناً وعلى غير وجهه شرعي .

٢ - أقطع الخليفة أبو العباس حدها من مشايخ الموصل إقطاعات ، اعترافاً من العباسيين بدورهم في تعقب مروان وقتله ، وفي رواية « أن وائل

(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٥٦

(٣٤) Ibid

(٣٥) عل أن هذا الأخير لقي مصرعه بعد سنين ٧٥٤/١٣٦ عل يد عبادة بن علي التائري في الشام حيث ارسله المنصور ليتجسس على عبادة فاروق عبادة ذلك وقتله (الأزدي ، ص ١٣٤).

(٣٦) الأزدي ، ص ١٥٢ ، ١٦١

ابن الشَّحَّاج وإخوته قد جعلوا مع عبد الله بن علي في طلب مروان سنة ١٣٢ هـ. وحين وصل مروان بوصير تبعه الحارثي إسماعيل وشعبة بن كثير المازني ومعهما خيل أهل الموصل فقتلوه بها. كما قام المنصور بإقطاع وائل بقية القطيعة، ويذكر الأزدِّي نص الكتاب الذي أصدره الخليفة في هذا الشأن . (٣٧).

٣- زار أبو جعفر (المنصور) والي الجزيرة، وكانت الموصل تابعة لها، مدينة الموصل، وبقي بها وأخذوا إلى الهاشمية ليلتقي بالخليفة أبي العباس. ٤- قام والي البغدِيد باستئصال ما بقي من الأمويين، حيث قتل زعيمهم يحيى بن الحر بن يوسف بن الحكم الذي كان لا يزال يعيش في المدينة عيشة رغد ورفاهية، ورغم أن أبا جعفر والي الجزيرة أمر إبنه المهدي برد ضياعهم إليهم إلا أن الطاهر أن المهدي عوضهم عن أغلبها بمطايا تجري عليهم سنوياً .

ولا تشير مصادرتنا إلى سبب قتل يحيى بن الحر أو مصادرة ضياع الأمويين ولعل هذا الإجراء كان من جملة الإجراءات التي اتبعتها السلطة لتثبيت الأمويين (٣٨) أو ربما كان ليحيى بن الحر يد في حدث من اضطرابات .

لقد بقي إسماعيل بن علي والياً على الموصل حتى سنة ١٤٢ هـ سنة ٧٥٩ - ٧٦٠ م وحاول أن يحسن أحوال المدينة ولكن آثار التدهور لم تنح بسرعة حيث تشير رواية عن سنة ١٣٦ هـ لسنة ٧٥٣ م أي بعد ثلاث سنوات من وقوع الفتنة بأن أمر الموصل لا يزال وعلى ما ذكر من الاختلاف والاضطراب (٣٩). ويظهر أن هذا الحديث وما أعقبه من مجازر حدد موقف الموصل العدائي من العباسيين ولذلك كان الوالي يعتمد دائماً على حامية خراسانية ترابط في

(٣٧) الأزدِّي ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦١ - ١٦٢ . - الطبري ، ص ٩ . - ابن الأثير الكامل ، ص ١٥٩ .

(٣٨) الأزدِّي ، ص ١٥٢ .

(٣٩) المصدر السابق ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

في المدينة أو في أطرافها .

ولم يمض وقت طويل حتى ثار عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه الأزدي الموصلية وخلع المنصور سنة ١٣٧ / سنة ٧٥٤ ولكن ثورته مالبت أن خفت حيث أنها كانت ثورة زعيم قبلي أخذته العزة والأثقة على مافعله العباسيون بالموصل فثار معبراً عن امتناضه وقلقه ١١

ويظهر أن الموصل قد أعجبت الوالي اسماعيل بن علي فعزم على الإستقرار بها وكان مصلحاً حسن السيرة مع أهلها حيث تشير رواية أن الموصل به مقبلة . وحين عزله المنصور رفض الأمر ولكن قائد الحامية ابن مشكان انحاز إلى الوالي الجديد مالك بن الهيثم الخراشي بعد أن وصلت رسالته من المنصور يقول له فيها «إن كنت سامعاً مطيعاً فسر إلى مالك بن الهيثم» . ويمتدح الأزدي الوالي الجديد فكان «خير أمير وأنصفه وكان أحد نقياء بني العباس ورعاتهم» وكانت سيرته جميلة وأحوال الموصل مستقيمة (٤٠) . وقد أعطى عصيان اسماعيل العباسي في الموصل عظة ونجربة للخليفة فكان حذراً في التعامل مع والي الموصل الذي كان باستطاعته دائماً أن يعتمد على أهل الموصل ضد السلطة العباسية. فحين أراد عزل موسى بن مصعب سنة ٧٧٤/٧٧٥ عن ولاية الموصل أرسل ابنه محمد المهدي بصحبته خالد بن برمك متظاهراً بالذهاب إلى الرقة عن طريق الموصل محملاً لإياه أوامر سرية بعزل موسى والسيطرة على الموقف حال وصوله المدينة (٤١) . وكان المنصور يختار ولاية الموصل بدقة وخالباً ماكانوا من العباسيين أو من الشيعة العباسية الثقات . فقد اختار ابنه جعفر للولاية سنة ١٤٥ - سنة ٧٦١/٨١٤٧م ثم عين خالد البرمكي والياً على الموصل لأول مرة سنة ٨١٤٨ / ٧٦٥م وذلك «لانتفاض الموصل وانتشار الأكراد بها» (٤٢) ، وهؤلاء الأكراد نزحوا إليها من الجبال القريبة.

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ ، ١٨٠

(٤١) المصدر السابق ، ص ٢٢٤

(٤٢) المصدر السابق ص ٢٠٤

وكان إسماعيل بن عبدالله القسري البجلي الوالي الوحيد من أهل الموصل الذي وثق به المنصور وعينه على الموصل وسبب تعيينه أن المنصور سأله عن ظهور القحطاني ؟ (المنفذ اليماني المنتظر) فقال القسري قد ظهر ، وأنه المهدي ولي عهد المسلمين ابن أمير المؤمنين ابن اختنا ، وقد أعجب المنصور بقوله وعقد له على الموصل سنة ١٥١ / سنة ٧٦٨ م (٤٣).

الموصل وأحزاب المعارضة :

يمكننا تصنيف الفئات الرئيسية التي عارضت العباسيين في هذه الفترة إلى ثلاث : الخوارج والأمويين والعلويين

أما الخوارج فلم يتغير موقفهم بانتقال الخلافة إلى العباسيين . فالعباسيون في نظر الخوارج كالأُمويين مقتضون للخلافة التي يجب أن تكون ذات صبغة انتخائية يتقلدها أجدر المسلمين . ولقد حقق الخوارج في أواخر العصر الأموي نجاحات مهمة في منطقة الجزيرة الفراتية ولكن مروان تمكن من دحرهم وطردهم خارج المنطقة .

وأكثر ما يلاحظ في تاريخ هذه المنطقة في القرنين الأول والثاني للهجرة انتشار المذهب الخارجي الداعي إلى الثورة على كل سلطان لا يدين بعقيدته . وكانت أهم القبائل المستوطنة حول الموصل عدداً وشكيلة هي قبيلة بني شيان . ويظهر من مصادرنا التاريخية (٤٤) أن الحركة الخارجية تبدأ في أطراف الموصل ثم لا تلبث أن ترحف نحو المدينة ، ويعتصم الخوارج في داخلها تساندهم بعض القبائل والفئات المستامة من العباسيين . ولعل حركات ملهد بن حرملة وعبد السلام البشكري والصحيح الخارجي خير أمثلة على ذلك.

(٤٣) المصدر السابق ص ٢٤٤ . - كان شيوخ القبائل يذكرون أن المنصور كان جاداً في جعل إبنه خليفة من بعده ولذلك كانوا يتقربون من الخليفة بأظهار تأييدهم لهذه الفكرة مثلاً فعل إسماعيل القسري وعبد الله بن عباس الهذلي (راجع كذلك الأزدي ص ١٧٨ - ٧٩) (٤٤) الأزدي ، ص ٢٦٧ ، ١٦٦ ، ٢٤٢ . - ابن الأثير ، الكامل ، ص ١١٢ . - قارن الأزدي ص ٢٤٢ ، خليفة ص ٢ ص ٤٤٤ ص ٧٨ .

على أن ذلك لم يمنع أن تكون الموصل نفسها (٤٥) المركز الذي بدأت منه بعض الحركات الخارجية مثل حركات حسان بن مجالد وياسين التميمي وحمزة الخارجي ومهدي بن علوان الشاري. وفي محاولة لأقرار الأمن في هذه المنطقة عين المنصور حرب بن عبدالله الراوندي سنة ١٤٥ / سنة ٧٦٢م قائداً للحامية الموصل ويبرر الأزدي كثرة الجند في الموصل فيقول «وكان حرب الراوندي في رابطة في ألقب لمكان الخوارج» (٤٦) ، كما وان السلطة المركزية كانت تعين على الموصل والياً للصلاة والمعونة والخراج إن ضم إليه وصاحب رابطة يضغ لحرب الخوارج مما يدل على أهمية قائد الحامية وضرورة تكريس جهوده للأمور العسكرية وأمور الأمن في المدينة وضواحيها وقد هدد المنصور والرشيدي عدة مرات أهل المدينة بالقتل نتيجة لنكثهم ما اشترطوا على أنفسهم بعدم مساعدة الخوارج ولكن الفقهاء من أمثال ابن حنيفة وابن أبي ليلى وابن شرملة وابن يوسف القاضي كانوا يحولون بين الخلفاء وبين خطاهم. وقد هدم سور الموصل بأمر الرشيدي سنة ١١٨١م سنة ٧٩٧م كيلا يتمكن الخوارج من الاعتصام بها (٤٧) خاصة بعد حركة الوليد بن طريف لشاري الذي ثار سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م وهرم الجيش العباسي في معركة نصيبين وأخذ يحوم الجزيرة وأذربيجان وأرمينية حتى استطاع القائد يزيد بن يزيد الشيباني أن يراوغه ويقتله في هبت .

وكان من نتائج ثورات الخوارج عدم الاستقرار وسوء الحالة الاقتصادية وقلة الحاصلات الزراعية وعدم قدرة المزارعين على ضريبة الخراج فتشير رواية (٤٨) سنة ١٧٥هـ / سنة ٧٩١م «وفيها كسر خراج الموصل» . وقد امتنع أهل الموصل من تأدية الضريبة مما اضطر الرشيدي إلى إرسال يحيى بن خالد البرمكي لمناظرتهم وقد اتفق على دفع ربع الفلة وقلدها سبعة دراهم ونصف لجريب الحنطة وخمسة دراهم لثلثه من الشعير . ويظهر أن بعض الفلاحين

(٤٥) الأزدي ، ص ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٤٣ - الطبري ، ص ٥٨٨ - ابن الأثير ، الكامل ٦٠ ص ٩٥ ، ص ٥٨٤

(٤٦) الأزدي ، ص ١٩٥

(٤٧) المصدر السابق ص ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٤٨) المصدر السابق ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

كانوا يتخذون هجمات الخوارج عنراً يردون به امتناعهم عن دفع الضريبة محتجين بأن هجوم الخوارج قد دمر المحاصيل. (٤٩)
ولم يكن الخوارج وحدهم ينهبون الحاصل أو يدمرونه بل كان شيوخ القبائل المعارضون يفعلون نفس الفعل كما فعل العطاف بن سفيان الأزدي (٥٠) سنة ١٧٧هـ / سنة ٧٩٣م وهو من فرسان أهل الموصل وقد اجتمع الصعاليك وجي الخراج وحبس عمال الخليفة ، وحين خرج الرشيد بنفسه يريد الموصل سنة ١٨٠هـ / سنة ٧٩٦م قرر العطاف أن يكمن له ولكن شيوخ الموصل وصلحائها ناشدوه أن يدع ذلك وأن ينصرف عن المدينة لفترة فخرج في ٤ آلاف إلى أرمينية .

ولقد تعسف بعض الولاة في الجباية رغم هذه الظروف فقد طالب يحيى بن سعيد الحرشي (٥١) أهل الموصل بخراج ستين مئة سنة ١٨١هـ . وفي سنة ١٩٣هـ / سنة ٨٠٨م شدد الحسن بن صالح الحمدي على الأعراب وخرج بنفسه يطالبهم بدفع الصدقات (الركاة) ولاحق قبلة عزة الربيعية فاجتمع مع عزة بنو شيان وكنوا للوالي وقتلوه (٥٢) . والمعروف عن ربيعة أنها كانت أكثر القبائل تمرداً وإشغالاً لوالي الموصل . ولم تنته هذه الحادثة عند هذا الحد بل أدت إلى ثارات بين اليمن ممثلة السلطة وبين ربيعة المتمردة وهكذا فقد أنكسر الحلف اليماني - الربيعي القديم .

على أن الوالي لم يكن دائماً يرسل ريع الموصل إلى بغداد بل يحتفظ به أو يجزء منه ليعينه على حرب الخوارج وهذا مافعنه موسى بن مصعب سنة ١٥٧هـ فقد أجاب الخليفة بأنه يحتاج المال لأن البلد كثير الخوارج وأعدتها للرجال متى احتجت إلى محاربة خارجي ... (٥٣)

(٤٩) المصدر السابق ص ٢٧٦

(٥٠) المصدر السابق ص ٢٨٤

(٥١) المصدر السابق ٢٨٦ - ٢٨٨

(٥٢) المصدر السابق ص ٣١٤

(٥٣) المصدر السابق ص ٢٢٧

ولعلنا بعد ذلك نخلص إلى القول بأن الحركة الخارجية أشاعت عدم الاستقرار في الموصل خاصة ومنطقة الجزيرة النهرية عامة وشعلت بال السلطة المركزية لعدة سنوات . وبقيت خصائص الحركة الخارجية في الجزيرة ، على عكس الأقاليم الشرقية . تتسم بسمة العروبة سواءً على الصعيد التركي أو التنظيمي . بل أن العصبية ، القبلية طلت تتحكم بهم في هذا الإقليم . كما لعبت «النحو» دورها حيث كان خوارج الجزيرة النهرية يخشون لنجدة إخوانهم في المذهب أينما ثاروا .

ورغم أن أحد الأسباب التي أعطاها المؤرخون شهرة الموصل سنة ١٣٣ هـ هي ميولها للأمويين فلم تحدث في الواقع حركة ذات صبغة أموية في الموصل خلال العصر العباسي الأول . على أن أنصار الأمويين من الموصل وغيرها من مناطق الجزيرة النهرية تجمعوا حول اسمعق بن مسهم العقيلي وأحبه بكار وهما من قادة مروان الأخير وقد أعلن اسمعق اعتبلي ثورته في الجزيرة وأخذ سيماسط والرها مراكز له . كما انضم إليه أحد الأمراء الأمويين محمد بن مسلمة بن عبد الملك .

ولكن الحركة الموالية للأمويين في الجزيرة عموماً لم تكن منظمة ، حيث تشير رواية تاريخية ، وأمرهم مشئت وليس عليهم رأس يجمعهم (٥٤) ، وقد طلب اسمعق العقيلي نفسه الأمان من العباسيين بعد معرفته بمقتل مروان وقربه المنصور وجعله من صحابته في البلاط . وربما كان تخلص العباسيين من يحيى بن الحر أحد الموالين لبني أمية في الموصل يعود إلى كونه نقطة الالتقاء لأنصار الأمويين وشيعتهم وللعناصر المتأثرة للدولة العباسية الجديدة حيث قتله والي الموصل سنة ١٣٣ هـ سنة ٧٥٠م (٥٥)

(٥٤) فاروق صر ، العباسيون الأوائل ، الجزء الأول ص ١٣٦

(٥٥) يشير كتاب الأمانة والسياسة في رواية يتفرد بها (ص ٢٨ ص ١٥٩) إلى أن سليمان بن هشام الأموي قد هرب من البلاط العباسي وثار ضد العباسيين في الجزيرة في عهد أبي العباس . والرواية نسخة الإسكندرية

ولم يعرف عن الموصل ميلها إلى العلويين فقد وصفت بكونها أموية وخارجية كما شارك أهل الموصل بحركات قبلية ولكنهم لم يشتركوا في حركة علوية في هذه الفترة . وفي رواية تاريخية أن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن جاء الموصل سنة ١٤٤هـ سنة ٧٦١م متخفياً من ملاحقة المنصور له وبقي فيها فترة قصيرة من الزمن حيث لم يجد الأعوان من شيعة العلويين الذين يعتمد عليهم في حركة ضد العباسيين . ويظهر أن قبائل الخزيرة لم تستغ مذهب الشيعة العلوية ويتمثل موقفها في قول نصر بن شيبان العقيلي أحد شيوخ القبائل الخزيرية الذي ثار ضد المأمون فاقترح عليه أن يبايع خليفة علوياً فرفض قائلاً : (٥٦) «أولي بني السدوات .. إذ كان يقول كن وليته منهم : إنه خلقي وإنه يرزقي » .

الموصل والتعرات القبلية :

كانت الروح القبلية تستفحل في فترات متفاوتة إما بسبب ضعف السلطة المركزية وعدم قدرتها على كبح جماح هذه التعرات . وإما في أحيان أخرى بتحريض من السلطة المركزية أو والي المدينة الذي يُجاوب قبيلة على قبيلة أخرى . فقد تنصرت القبائل الموصلية من سياسة مروان الذي فصل المضربة (القيسية) على اليمانية . وحين جاء العباسيون قربوا اليمانية وفضلوهم في الوظائف الإدارية والعسكرية وكانت سياسة العباسيين الجديلة هذه بسبب مساندة اليمانية للدعوة العباسية من جهة ومن جهة ثانية ادراكاً من العباسيين بأن القبائل اليمانية هي الغالبة على الموصل ، فتؤكد رواية (٥٧) أن «اليمانية في البلد أظهر من التزارية» وأن «اليمانية هم المتغلبون على الموصل» .

ولعل ما ذكرناه آنفاً من ازدياد العصبيات أثناء ضعف سلطة بغداد يظهر واضحاً في عهد الرشيد حيث تفاقم النزاع بين الربعية والمضربة واستعانت

(٥٦) الأزدعي ، ص ١٨٠ ، ٢٣٤

(٥٧) المصدر السابق ص ٢٩٦

ربعية لا باليمن (٥٨) بل بقبائل ربعية من أقاليم أخرى . وفي سنة ١٩٨هـ سنة ٨١٣ م حدثت وقعة الميدان بين التزارية واليمانية حيث ادعى التزارية بأن اليمانية « يتهمونهم ويستقصون حقوقهم » (٥٩) وتزعمهم عثمان بن نعيم البرجمي الذي حاصر الموصل في ٢٠ ألفاً . ولكن اليمانية بقيادة علي بن الحسن الحمداني استطاعت أن تهزم التزارية رغم أنون الذي جاءهم .

ولاشك أن الخلافة العباسية كانت تعمل من أجل كسر الأحلاف القبلية القديمة الكبيرة وتشيتها فمثلما نجح المنصور في كسر ائتلاف اليماني - الرعي في اليمن وفي البحرين كذلك عمل هذا الخليفة والذين من بعده على كسر نفس الحلف في الجزيرة وذلك لئلا تكون هذه التحالفات خطراً على الدولة من جهة وليكون بالإمكان السيطرة على المناطق ذات التربة القبلية الحادة.

لقد كان لأهل الموصل رأي في اختيار وإليه فلم يرصوا بمحمد بن صول والياً وثاروا على سياسة يحيى بن محمد العباسي . وأجبروا إبراهيم بن العباس سنة ١٩٥هـ / سنة ٨١٠ - ٨١١م على التحي عن الولاية . ورفض أهل الموصل ولاية الحسن بن محمد التغلبي سنة ١٩٧هـ وقالوا : « لا يلينا ربي » . وفي عهد المعتمد انقص أهل الموصل وطردها وإليه سنة ٢٥٩هـ وعينوا بدله من رغبوا فيه واستمروا مجاهرين بالعصيان حتى سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤م (٦٠) وتشير رواية في الأردني : « ولما ضعف أمر السلطان وقات الحماية اجتمع أهل الموصل على علي بن الحسن الحمداني ليشرف على أمر البلد ويحوط أطرافه » (٦١)

والواضح أن أمر السيطرة على الموصل أصبح بين سنة ١٩٥هـ - سنة ٢٠٢هـ في يد بني الحسن الحمدانيين فعلياً أما الوالي الذي تعبته السلطة العباسية فكان لا يدخل المدينة إلا إذا حظي برضى بني الحسن الحمداني ولذلك كان من

(٥٨) ذلك لأن الحلف اليمني - البرجمي تقدم كان قد تمكن وقد تمت حادثة اغتيال الرائي . الحسن الحمداني آتفة الذكر الحوة بين الطرفين .

(٥٩) الأزد ص ٣٣٢

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ، ٣٣٢

(٦١) المصدر السابق ص ٣٢٤

الطبيعي أن ينحسب حسابهم في كل عمل يقوم به أو حكم يصدره وإلى ذلك يشير الرواية . «وكان الواي من ولاد السلطان إلى منذ هذا الوقت إلى انقضاء أيام بني الحسن فإذا رضوه أدخلوه وهم الغاليون على الأمر...» (٦٢) ولذلك أمتنع علي بن الحسن الحمداني عن الاعتراف بولاية الحسن الثغلي سنة ١٩٧هـ الذي أرساه الأمين ، وحين راسلهم طاهر بن الحسين سنة ١٩٨هـ مال إليهم بالحيادية • ولكن البيهانية أشفقوا على أنفسهم بالمرسل واحتدم الصراع على السلطة بين علي الحمداني والسيد بن أنس الأزدي وهُزِمَ الحمداني مما اضطره إلى الاستعانة بمهدي بن علوان الخارجي ولكن ذلك لم يعبه حيث تعلب عليه أن أس ثابةً وقتله . وقد برز ابن أنس قتله للحمدانيين واستيلائه على الموصل حين قابلي المأمون سنة ٢٠٤هـ سنة ٨٠٩م قائلا :
«أدخلوا الخارجي مدينتك وأعلوه على مدينتك وأدبوا دعوتك» (٦٣) وهكذا ضرب ابن أنس على رتر حساس فأقره مأمون على الموصل ولم يكن إحرأه الخليفة ذلك إلا عزافاً بأمر واقع . ونفي بن أنس والب على الموصل حتى مغتاء في مركزه ، ثم زريق في عي بر صدقه الموصلي سنة ٢١٢هـ سنة ٨٢٧م . ملحق بولاية الموصل خلال هذه الفترة (٦٤)

١٣٢هـ	محمد بن صول
١٣٣هـ	يحيى بن محمد العباسي
١٤١هـ	اسماعيل بن علي العباسي
١٤٢هـ	مالك بن المهيم الخزاعي
١٤٥هـ	جعفر بن المنصور
١٤٨هـ	خالد بن برمك
١٥١هـ	اسماعيل بن عبدالله القسري
١٥٤هـ	موسى بن مصعب الخثعمي

(٦٢) الأزدي ص ٢٢٤

(٦٣) الأزدي ص ٣٥٤

(٦٤) راجع الأزدي ، تاريخ الموصل ، - - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك طعة ايدن . -
قارن قائمة الدكتور علي حبيبة في آخر كتاب الأزدي آف الذكر . (ص ١٩٤ ف يهـ)

٥١٥٥	خالد البرمكي
٥١٥٩	موسى بن مصعب الخثعمي
٥١٥٩	خالد البرمكي
٥١٦٠	اسحق بن سليمان
٥١٦١	حسان السروي
٥١٦٢	عبد الصمد بن علي
٥١٦٤	محمد بن الفضل
٥١٦٦	أحمد بن اسماعيل بن علي
٥١٦٧	موسى بن مصعب
٥١٦٧	عبد الصمد بن علي
٥١٦٨	أحمد بن اسماعيل
٥١٦٨	هرثمة بن أعين
٥١٦٩	هاشم بن سعيد
٥١٦٩	عبد الملك بن صالح
٥١٧٤	اسحق بن محمد

الدكتور فاروق عمر فوزي

مستاذ مساعد - قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة بنه اد

دور النفط في التنمية الاقتصادية للوطن العربي مع دراسة تطبيقية عن النفط العربي

الدكتور محمد أزهر سعيد السامك

المقدمة

تحتل أقطار الخليج العربي بمكانة هامة
ومتميزة في عالم النفط . إذ تظفر بنحو
ربع إجمالي الإنتاج العالمي وتفرض سيادتها على
نحو نصف احتياطي النفط في العالم وقد بلغت
مجموع عائداتها منه زهاء ٣٩ بليون دولار
أي نحو ٣٣ مرة مما كانت عليه قبل عقد
ونصف من الزمن تقريباً (عامي ٧٤ و١٩٦٠)
غير أن أهمية منطقة الخليج النفطية الحالية
هذه قد لا تكون كذلك في المستقبل . طالما
أن النفط سلعة قابلة للتضروب والتفاد .

□ فقد حددت الدراسة عمره المتأثر بقراءة ٦٣ سنة فقط . وعلى الرغم من أن
التطورات التكنولوجية لعمليات البحث والتنقيب والاستخراج وغيرها ،
مما يمكن لها أن تحدث تغييرات هامة في حساب العمر المتأثر هذا ، إلا أنه
يمكن أن يكون دالة هامة لما يحتمل أن يحل بخريطة الخليج العربي أولاً ، والخريطة
العربية ثانياً ، من آثار سلبية تقعها عن تحقيق طموحاتها في بعث الأمة العربية

بأسرها . ما لم تع بمسؤولياتها كاملة مستهدفة النشاط ككافة أساسية لكل تنمية
اقتصادية هادفة طالما أن وجوده صدقة جيولوجية واقتصادية ليس الا ، كما
أن مدخرات سوائده المالية تتعرض بين آونة وأخرى إلى هبوط في اقيامها
نتيجة لتخفيض اقيام العملات الأجنبية المرتبطة بها .
وهذا يحتم على كافة أقطار الخليج العربي أن تخصص عوائد النفط جميعاً
لبرامج التنمية (الميزانية الإستثمارية) حتى يمكن تقطعات اقتصادياتها
الإنتاجية الأخرى (الزراعة - الصناعة - النقل - المواصلات - الخدمت)
أن تنمو ذاتياً وحتى يمكن التحرر من سيطرة القطاع السيلي على اقتصادياتها
ولخلق اقتصاد متنوع ومتطور ومتوازن .

وإذا كانت الحدود الإقليمية السياسية التي صعبها الإستعمار لتحرنة
الأمة العربية قد لا تنسج بحجم المدخرات المالية العربية النفطية هذه في بعض
أقطار الخليج . فإن **الحربسة العربية من الخليج** إلى سيطر إمكانياتها الجغرافية
والتكنولوجية الراسخة (الزراعية - الصناعية - التجارية الأخرى) بمقدورها
أن تكون بيئة جيدة الإستثمار والصور الإقتصادي الذي يربط في الآسرى اقتصاد
عربي نامي يحقق للمطقة العربية استقلالها الإقتصادي وسيادتها السياسية .
ونجى هذه الدعوة في وقت تشد فيه الحاجة إلى الوحدة العربية الشاملة
التي أمست هدفاً إستراتيجياً للشعب العربي من أجل بقائه وفرض سيادته
وتحرير ما انتزع من أراضيه وكبحاً لمطامع امبريالية مزبادة .

ويأتي انعقاد الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز دراسات الخليج العربي
في العراق تأكيداً للوعي القومي النبل الذي يؤمن به في ضرورة التخطيط
لما يحتمل أن يحل مختلفه منسيح بعربي من آثار سلبية في المستقبل
لذلك كله . يحاول هذا البحث دراسة دور عوائد النفط في التنمية الاقتصادية
لأقطار الخليج العربي مع دراسة تطبيقية عن القطر العراقي ، متممداً في ذلك
على ما توفره الاحصاءات والدوريات والمجلات الرسمية المختزنة من بيانات
ومعلومات كانت العون في تحديد أبعاد هذه الدراسة .

وهنا تكرر الصعوبة ذاتها التي تواجه أي بحث عن هذه المنطقة (وغيرها من أقطار لعلم الثالث) ، من نقص في البيانات وغيرها .
ويحاول هذا البحث في القسم الأول - أن يرسم الصورة العامة لامكانيات الخليج العربي النفطية . انتاجاً واحتياطياً وعوائداً . في محاولة لتوضيح إن سقت عوائده وما خلفته من آثار إيجابية لتطوير اقتصاديات تلك الأقطار ، مستعرضاً بذلك برامج التنمية الاقتصادية المختلفة لهذه المنطقة في حين أن القسم الثاني قد تفرغ لدراسة تجربة العراق في مجالات التنمية الاقتصادية المختلفة خلال الفترة ٥١ / ٩٧٤ من خلال تحليل إحصائي مقارن للمحصص والمسروف فعلاً لبرامج التنمية المختلفة لتحديد اتجاه استغلال عوائد النفط وتبيان مدى امكانية أخذ أقطار الخليج باستراتيجية خطط التنمية القومية للعراق ٧٠ - ٩٧٤ وما سبيلها .
وقد انتهى البحث إلى تحديد أبعاد الصورة المنظمة لاقتصاديات دول الخليج العربي من خلال التحليل المذكور لمورد البرزخ الاقتصادية المتاحة (زراعية - الصنعية - النفطية - والتعبية الأخرى) السكانية - المالية) في هذه المنطقة . وقد فرع إلى عدد من النتائج والتوصيات . يمكن لتخصصات ضيقة مختلفة أخرى أن تناوئها بالبحث والتعميق للأخذ بها وتعميمها على الوطن العربي الكبير .

وكان من تلك النتائج :

- ١ . إن زيادة اعتماد أقطار الخليج على النفط كمورد أساسي من موارد الدخل قد حدد هيكل وبنية اقتصاديات دول الخليج بشكله الحالي : اقتصاد أحادي السلعة - تبعية اقتصادية - ازدواجية اقتصادية . أيضاً .
- ٢ . سوء تخطيط واستثمار عوائد النفط في معظم أقطار الخليج فهي لم توجه الوجهة السليمة وكما ينبغي لتنمية اقتصاديات تلك الأقطار واعمارها وإنما صرفت في مجالات استهلاكية متعددة (الانفاق الاستهلاكي الحكومي)

إلى جانب استنزاف بعضها في مشروعات ترفيهية ودعائية أو لأغراض أخرى . بالإضافة إلى أن بعضاً من مدخرات تلك العوائد قد أُودع في المصارف الأجنبية مما عرضها للهبوط المستمر في اقيامها (٦٧ / ١٩٧٣) نتيجة لتبعيتها للنظم النقدية لدول تلك المصارف .

أما التوصيات فيمكننا أن نلخصها في تحديد أسباب وامكانية وواجه استثمار المدخرات المالية لأقطار الخليج الناجمة عن عوائد النفط لتحقيق تنمية اقتصادية عربية هادفة ، عن طريق انشاء مؤسسة خليجية عربية للتنمية والتخطيط . تضمن خريطة العربية استقلالها وسيادتها . وامكانية اعتماد تجربة العراق الرائدة في خطة التنمية القومية كنموذج عربي جدير بالتطبيق والتعميم ، لكي يتسنى إحداث تغييرات هامة في هيكل وبنية اقتصاديات أقطار الخليج وما يرافق ذلك من ظهور تغيرات ايجابية كبيرة في العناصر المكونة للبيئة الجغرافية العربية بأكملها .

ADCTIVE

جدول رقم (٢-أ)

التوزيع الموزون لعدد الدول الملتحقين بالجمعية العامة في دورات الجمعية العامة

الدولة	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧
البحرين	١	١	١	١	١	١	١	١
الكويت	١	١	١	١	١	١	١	١
السعودية	١	١	١	١	١	١	١	١
العراق	١	١	١	١	١	١	١	١
قطر	١	١	١	١	١	١	١	١
دبي	-	-	-	-	-	-	-	-
عمان	-	-	-	-	-	-	-	-
أصناف الملتحقين	١١٤٠	١١٤١	١١٤٢	١١٤٣	١١٤٤	١١٤٥	١١٤٦	١١٤٧
إجمالي عدد الملتحقين بالجمعية العامة	١١٤٠	١١٤١	١١٤٢	١١٤٣	١١٤٤	١١٤٥	١١٤٦	١١٤٧
ملاحظة: جميع	-	-	-	-	-	-	-	-
في جدول رقم (٢-ب)	-	-	-	-	-	-	-	-

جلول رقم (١-ب)

الأحد	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١
٢٤٣,١	٢٣١,٩	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣
٢٤٣,١	٢٣١,٩	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣
٢٤٣,١	٢٣١,٩	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
٢٤٣,١	٢٣١,٩	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣
-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
٢٤٣,١	٢٣١,٩	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣
٢٤٣,١	٢٣١,٩	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣
٢٤٣,١	٢٣١,٩	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣
٢٤٣,١	٢٣١,٩	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣
٢٤٣,١	٢٣١,٩	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣	٢٣١,٣

(١) در جال حداث : بولل العرب ، در العرة لفرقة مصر من ١٣٩٩-١٤٠١ من عود ٢٢ إلى ٢٠-١٤٠١ ع حزل ح
 Middle East Economic Survey, September 8 1972

- مجلة قط عرب ، نور ١٩٧٢ ، ص ٧ .

- القوت العربة لفرقة لفرقة ، مجلة لفرقة ، لفرقة عتي مشر ، نور ١٩٧٢

القسم الاول

بمعالج هذا الموضوع التقطتين التاليتين :

أولاً : التحليل المقارن لامكانيات دول الخليج العربي النفطية : (انتاجاً واحتياطياً وعوائداً) .

ثانياً : عوائد النفط وبرامج التنمية الاقتصادية لدول الخليج العربي (عرض موجز لبرامج التنمية في دول الخليج .. المملكة العربية السعودية، الكويت ، العراق) .

• • • • •

أولاً : التحليل المقارن لامكانيات دول الخليج العربي النفطية : (انتاجاً واحتياطياً وعوائداً) .

من تحليل الجداول المرقمة ٢٠١ - الاشكال المرقمة ٢ و٣ نستنتج :-

١. تتم منطقة الخليج العربي بأهمية نفطية عالية متميزة : انتاجاً واحتياطياً فقد بلغ إجمالي انتاجها عام ١٩٧٣ نحو (٧٦١) مليون طن أي نحو سبعة أمثال ما أنتجته قبل عقد من الزمن تقريباً . وهي بذلك فرضت سيادتها على نحو أقل من ثلث إجمالي الإنتاج العالمي بقليل (٢٦٩٪) . وقد هيا لها انتاجها هذا فرصة احتلال مركز الصدارة في خريطة العالم النفطية .

ولا تنحصر أهمية هذه المنطقة في خريطة الإنتاج الحالية بل تمتدّها إلى خريطة المستقبل المنظور أيضاً . يؤكد ذلك سيادتها على نحو نصف إجمالي الاحتياطي المؤكد في العالم .

غير أن أهمية منطقة الخليج العربي لاتنبع عن أهميتها العالمية - آتفة الذكر - فحسب بل لكونها المسؤول الأول والرئيسي عن أبعاد الخريطة النفطية للعالم العربي بأسره . صحيح أن أهميتها النسبية قد انخفضت من ٩٦٪ عام ١٩٥٢ إلى ٨٠٪ عام ١٩٧٣ نتيجة لظهور منتجين جدد كالجُمهورية العربية الليبية والجزائر . إلا أنه يمكن القول بأنها ستبوء مكانتها الأولى في السنوات القليلة القادمة . كما يدل على ذلك نسبة نصيبها من إجمالي احتياطي النفط المؤكد للوطن العربي (٨٧٪) .

وتتجلى خطورة هذه الحقيقة فيما لو علمنا بأن الموارد النفطية هي المسؤولة تماماً عن تحديد أبعاد خريطة العالم العربي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية الحالية والمستقبلية على حد سواء بالإضافة إلى أن هذه الموارد قابلة للنضوب . من هنا تبرر الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الخليج العالمية والعربية وما ينبغي عمله من أجل إحداث تغيرات ايجابية هادفة في الخريطة العربية بما يكفل وجودها واستقلالها وسيادتها .

٢.

تربع المملكة العربية السعودية على عرش دول الخليج إنتاجاً واحتياطاً مؤكداً . فهي تستأثر بنحو نصف إجمالي إنتاج دول المنطقة وزهاء سبع الإنتاج العالمي (١٩٧٣) . وقد تضاعف إنتاجها نحو تسع مرات خلال العشرين سنة الأخيرة . وقد آقترن ذلك بارتفاع أهميتها النسبية بالنسبة لإجمالي إنتاج النفط في العالم والخليج العربي . فقد بلغت نسبة مساهمتها عالياً نحو ١٢,٩٪ (١٩٧٣) مقابل ٦,٨٪ فقط عام ١٩٥٢ . ونحو ٤٧٪ عام ١٩٧٣ مقابل ٤٠٪ عام ١٩٥٢ بالنسبة لمنطقة الخليج العربي . وهي بذلك تفرد على دول الخليج - أفرداً ومجتمعين - إن لم يكن دول العالم النفطية أجمع - في نمو معدلات الإنتاج السريعة . وتتضح أبعاد الأهمية النسبية للسعودية فيما لو علمنا بأنها تظفر بنحو ربع الاحتياطي المؤكد من النفط في العالم . أي قرابة نصف احتياطي منطقة الخليج العربي وزهاء ٤٢٪ من جملة احتياطي الوطن العربي بأسره .

وهذا يعني أن المملكة السعودية قد حضيت وستحظى بالمرتبة الأولى بين دول الخليج العربي كما أن الزيادة السنوية السريعة بمعدلات إنتاجها وارتفاع إجمالي احتياطها :- كما توضحه البيانات - تشير لأول وهلة إلى الأهمية الكبيرة لهذه الرقعة من المنطقة العربية ، وتحدد أبعاد مهامها القومية المرتقبة في تحقيق خريطة اقتصادية عربية

نامية ومتطورة . إلا أن الدراسة قد كشفت عن اتجاه مضاد لهذه الحقيقة تماماً . فالنظـط وموارده لم تسحر لتحقيق تنمية اقتصادية هادفة بل استترفت في مجالات استهلاكية وترفيهية ودعائية وغيرها . كما سنرى لاحقاً عند دراسة النقطة التالية .

٣. وتأتي الكويت بالمرتبة الثانية بين دول الخليج العربي إذ تنعم بنحو ١٨٪ من إجمالي إنتاجها أي نحو ٤,٩٪ عام ١٩٧٣ من إجمالي الإنتاج العالمي مقابل ٦,١٪ عام ١٩٥٢ . والملاحظ هنا تراجع الأهمية النسبية للكويت من إجمالي الإنتاج العالمي خلال الستين المذكورين . والذي يرجع إلى النمو السريع لمعدلات الإنتاج في بعض مناطق الإنتاج النفطية الأخرى ، بالإضافة إلى شهور متتبعين جدد على مسرح الإنتاج مما كان له أثره في إحداث تغيرات سريعة في سلم التطور .

وعلى الرغم من أن الكويت والمملكة السعودية قد بدأنا الإنتاج بعد زمني ومعدلات إنتاجية صوية وبأهمية نسبية متقاربة كما يؤكد ذلك عام ١٩٥٢ إلا أن العفدين التاليين كانا كفايـين بتغير الصورة تماماً لصالح المملكة السعودية التي بلغ إنتاجها نحو ثلاثة أمثال نظيرتها وبالتالي ارتفاع أهميتها النسبية إلى درجة مطابقة لنمو حجم إنتاجها هذا . بيد أن خريطة الكويت المنتظرة قد لا تكون كذلك طالما أنها تسيطر الآن على نحو ثمن الإحتياطي العالمي (١٣,٣٪) وزهاء أكثر من نصف إحتياطي المملكة السعودية .

وما تجدر الإشارة إليه أن الكويت أسعد حظاً من سابقتها في تنفيذ بعض من عوائد مواردها النفطية لتغيير الملامح حريبتها الجغرافية الطبيعية والبشرية . إلا أن ذلك أقل مما ينبغي بكثير مما يكشف عن شواهر سلبية متعددة ألقوا ب حالت دون تأدية الغظ لرسائله في إحداث التغيير الأفضل كما سنرى فيما بعد .

٤. ويأتي العراق في المرتبة الثالثة بين دول الخليج العربي لإنتاجاً واحتياطياً مؤكداً . وهو لا ينعم سوى بنحو أقل من ثلث إجمالي إنتاج المملكة العربية السعودية وزهاء ثلاثة أرباع إنتاج الكويت إلا أنه يفوقهما قديماً في الإنتاج كما أنه أسعد حظاً في تنفيق واستخدام عوائده النفطية منذ بدء الإنتاج وحتى الآن عامة وخلال الفترة (١٩٧٤/١٩٧٠) بصورة خاصة في ظل خطة التنمية القومية كما منرى لاحقاً .

٥. أما باقي أقطار الخليج العربي فتظفر بالأهمية النسبية الباقية ٥,٨٪ و ٥,٧٪ من إجمالي إنتاج الخليج العربي والعالم على التوالي . وتحظى أبو ظبي بالمكانة الأولى بين مجموعة هذه الأقطار (٢,٢٪) وتليها البحرين (١,٢٪) قطر (١٪) فالمنطقة الهابدة الكويتية السعودية (٠,٩٪) فدبي (٠,٤٪) وذلك عام ١٩٧٣ .

والملاحظ هنا النمو السريع لحجم إنتاج هذه الأقطار خلال العشرين سنة الأخيرة بالإضافة إلى ارتفاع نصيبها من إجمالي احتياطي النفط المؤكد في المنطقة والعالم وهو بذلك يغوق نصيب باقي الوطن للعربي (الوطن العربي باستثناء منطقة الخليج) من احتياطي النفط المؤكد .

من هنا تظهر أهمية هذه الأقطار في المساهمة في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وسياسية هادقة تحقق للخريطة العربية طموحاتها القومية السامية .

غير أن ما أنجز في هذا المجال محدود جداً كما منرى . ولعل من المفيد أن نشير إلى حجم العوائد النفطية التي تسلمتها دول الخليج هذه . فمن تحليل جدول رقم (٢) نستنتج :

(١) حظيت دول الخليج العربي بمجموعة بنحو ٨١,٧١٦ مليون دولار خلال الفترة ١٩٧٤/١٩٥٠ كلإجمالي تراكمي وبذلك أتفردت بنحو أكثر من نصف إجمالي العوائد النفطية العربية (٥٧٪) والأبعد من ذلك أن منطقة الخليج هذه كانت تستأثر بمجملة

عوائد النفط تقريباً خلال السنوات الأولى لبدء الإنتاج وحتى نهاية عام (١٩٦٠). ذلك قبل بدء الإنتاج التجاري للأقطار العربية الأخرى في شمال أفريقية . وهذا يعني أن هذه المنطقة أسعد حظاً من غيرها من أرجاء الوطن العربي في هذا المجال سبقاً تاريخياً وأهمية نسبية انتاجاً واحتياطياً وعوائداً .

(٢) على الرغم من أن العراق كان قد ظفر بالمرتبة الأولى (٧٣٪) بين دول الخليج بالنسبة لإجمالي عائداته النفطية عام ١٩٤٠ ، إلا أنه سرعان ما فقد مكانته هذه أمام منافسين كبيرين هما .. السعودية والكويت . وما تحذر الإشارة إليه هنا هو النمو السريع والمطرد بمعدلات حجم العوائد النفطية لهاتين الدولتين مقارنة بالعراق . ذلك يرجع في اعتقادنا إلى النمو السريع في حجم إنتاجهما النفطي الذي يعكس رغبة الشركات الأجنبية العاملة فيهما بجلاء ، في حين أن معدلات الإنتاج العراقي قد آتست بالنمو البطيء مع وجود سنوات تدبذب كما في ١٩٦٧، ٦٦، ٦٢، ٥٨، ٥٦، ٤١ . مثلاً . ومع ذلك فإن العراق يعتبر من أول أقطار دول الخليج العربي تخطيطاً لعوائده النفطية في برامج تنمية مختلفة باعتراف الاقتصاديين الغربيين أنفسهم .(١) وكما سنرى لاحقاً .

(٣) والحقيقة الثالثة التي أود أن أظهرها هنا هي النمو السريع لحجم العوائد النفطية خلال السنوات الأربع الأخيرة (١٩٧٤/٧١) الذي يرجع إلى التآور السريع لأسعار النفط المعلنة وما نجم عنه من زيادة دخول حكومات دول الإنتاج — لاحظ الجدول رقم (٣) التالي—

(١) Murray, J.: The Economic Impact of Oil on the Arab Middle East, Bournemouth.

نتيجة تطبيق إتفاقية طهران (١). وشرق البحر المتوسط (٢).
 وصدور قانون تأمين شركة نفط العراق رقم (٦٩) لسنة ١٩٧٢ (٣).

جولون رقم (٣)

تطور الأسعار المعلنة للنفط العربي وحصة حكومات الدول المنتجة والمصدرة
 عن كل برميل بالنولار الأمريكي (٤)

الفترة الزمنية		متوسط حصة الدول (الربيع + الضريبة)	السعر المعلن للبرميل
١٩٦٥/٦٠	١٩٨٠	٠,٨٢	
١ كانون الثاني - ١٤ تشرين الثاني			
١٩٧٠	١٩٨٠	٠,٨١	
١٥ شباط - ٣١ آذار ١٩٧٢	٢,٢٨	١,٣٢	
١٩٧٣	٣,٠٧	١,٨٧	
١٦ تشرين الأول - ٣١ كانون الأول			
١٩٧٣	٥,١٢	٣,٠٥	
١ كانون الثاني ١٩٧٤	١١,٥٦	٧,٠٠	

- (١) عقدت إتفاقية طهران في ١٥/شباط/١٩٧١
 مجلة نفط "عرب" - العدد السادس - السنة الثالثة - آذار ١٩٧١ - ص ٢٢
 (٢) الوقائع العراقية : إتفاقية شرق البحر المتوسط - العدد ٢٠٠٨ - ٨ حزيران ١٩٧١ ،
 ص ٢١/٢٠
 (٣) صدر قرار التأمين في الفاتح من حزيران ١٩٧٢ .
 (٤) مجلة نفط العرب العدد الحادي عشر - السنة الخامسة - آب / ١٩٧٤ . ص ٢٥

نستخلص من كل ما تقدم : أن منطقة الخليج العربي هذه تحظى بمكانة هامة ومتميزة في عالم النفط ليس نتيجة للسبق التاريخي بالنسبة لبدء الإنتاج التجاري وغزارة الإنتاج وانخفاض تكاليف إنتاجه (١) وعوامل ايكولوجية أخرى فحسب ، بل نتيجة لمعدلات نمو الإنتاج السريعة وزيادة أهميتها النسبية الحالية والمستقبلية من إجمالي العالم عامة والوطن العربي بوجه خاص . كل ذلك يتطلب ، وبالضرورة أن يتخذ النفط وموارده مادة أساسية لكل عملية تنمية هادفة تحقق لهذه المنطقة والوطن العربي كل ما تصبو إليه بما تقدمه من إمكانيات تعتبر مادة التغيير الأساسية الطبيعية والبشرية على حد سواء .

وتقف المملكة العربية السعودية والكويت والعراق على رأس قائمة دول الخليج هذه لما لها من إمكانيات نفطية كبيرة أنتاجاً واحتياطياً وعوائداً . والسؤال الذي يُثار الآن : ماذا حققت هذه الدول في مجالات التنمية ؟ أو أين نفقت عوائد النفط منذ بدء الإنتاج التجاري وحتى الآن ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في النقطة التالية .

ثانياً : عوائد النفط وبرامج التنمية الاقتصادية لدول الخليج العربي (عرض موجز لبرامج التنمية المختلفة في دول الخليج . المملكة العربية السعودية ، الكويت ، العراق) .

هنا سنحاول أن نجيب عن السؤال الآنف الذكر وللوصول إلى هذا الهدف فإننا ستعرض بالدراسة لواقع التنمية في الأقطار الثلاثة الأولى في منطقة الخليج العربي : إنتاجاً واحتياطياً وعوائداً وهم : (المملكة العربية السعودية ، الكويت ، العراق) .

(١) المملكة العربية السعودية :

في أول الستينات وضع أول برنامج للتنمية في المملكة العربية (١) ثمرة التفاصيل عن تباين تكاليف الإنتاج وعوامل انخفاضها بالنسبة لإنتاج النفط العربي عامة ونفط الخليج خاصة ، راجع :

Adelman, M.A: "Oil production Costs in Four Areas," Reprinted From the proceedings of the Council of Economics, February 28 march 1966, P. 114.

السعودية ، حددت مدة تنفيذه بعشر سنوات (١) . وقد حققت السنوات الثمان الأولى لتنفيذه ٦٢ / ٦٣ / ٧٠ / ١٩٧١ / ١٣٨٢ / ١٣٨٣ و ٩٠ / ١٣٩١ هـ ، معدل نمو بلغ نحو ١٠٪ وهو ضعف المعدل المقرر للأقطار النامية الأخرى (٢).

ولعل المقصود هنا بمعدلات النمو حجم الناتج المحلي (الدخل القومي) الذي يرجع أساساً إلى النمو في حجم معدلات الإنتاج بالنسبة لقطاع النفط لا غيره . وبالتالي ارتفاع حجم عوائده المالية ، كما يؤكد ذلك التقرير الذي نشره مركز الأبحاث والتنمية الصناعية في المملكة (٣) . ويؤكد ذلك أيضاً ريادة الأهمية النسبية لقطاع النفط بالنسبة لإجمالي مكونات الدخل القومي في البلاد خلال الفترة ١٣٨٤ / ١٣٨٥ (١٩٦٤ / ١٩٦٥) و ٩٠ / ١٣٩١ هـ (١٩٧٠ / ١٩٧١) من نحو ٦٢٪ إلى ٧٢٪ .. (٤) . وهذا نتساءل أوليس المقصود بالتنمية بعث الحياة في وتاثر النمو المختلفة لقطاع الاقتصاد الوطني ؟ وإذا كان كذلك فهل استطاعت القطاعات الأخرى في اقتصاديات المملكة أن تحدث تغيرات إيجابية هامة مثلاً ؟

إن نسبة مساهمة قطاع الزراعة والأحراس وصيد الأسماك من إجمالي الدخل القومي (الوطني) بلغت ١٣٩٠ / ١٣٩١ هـ نحو ٧٪ مقابل ١٢٪ عام ١٣٨٥ / ٨٤ هـ وهي سنة التخطيط الأولى وكما أعتمدها التقرير آنف الذكر . وليس حال قطاع الصناعات التحويلية أفضل مما سبقه . فالأهمية النسبية لصناعة تكرير النفط والصناعات التحويلية الأخرى قد أتسمت بالثبات

(١) المملكة العربية السعودية ، مركز الأبحاث والتنمية الصناعية : التركيب الصناعي من الناحيتين الفنية والإقتصادية واحتالات السر في المملكة العربية السعودية ، ج ١ (التقرير والتوصيات) محرم / ١٣٩٣ هـ ، شباط ١٩٧٣ ، ص ٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٧

(٤) إن النسب المثيرة الواردة في هذا البحث هي جسيماً من حسابات الباحث معتمداً عل الأرقام المطلقة الواردة في جدول رقم أ-٣ الوارد بالمصدر التالي :
المملكة العربية السعودية / مركز الأبحاث والتنمية الصناعية ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

طيلة الفترة ١٣٨٤ / ١٣٩١ هـ (٩٪ و ٢,٦٪) لكل منهما على الترتيب .
والأبعد من ذلك أن قطاع الكهرباء والغاز والمياه والخدمات الصحية قد
انخفضت أهميته النسبية من نحو ١,٧٪ إلى ١,٦٪ خلال الفترة ذاتها .
هذا بالإضافة إلى ارتفاع نسبة زيادة تسرب الأموال العربية (مدفوعات
عوامل الدخل إلى الخارج) السعودية إلى الخارج . (للإيداع في البنوك أو
الاستثمارات الأجنبية) خلال الفترة ١٣٨٤ / ١٣٩١ هـ بمعدل يفوق معدلات
نمو الناتج المحلي الإجمالي كما يؤكد ارتفاع الأهمية النسبية لها خلال العام
١٣٩٠ / ١٣٩١ هـ التي بلغت نحو ٣,٧٪ مقابل ٣,٠٪ عما كانت عليه عام ١٣٨٤ هـ
حاصل ما تقدم يعكس بجلاء مدى سيطرة القطاع التنموي واستمرارية
معدلات نموه على حساب القطاعات الإنتاجية الأخرى التي لم تتل بعد في
اعتقادنا ما تستحقه من عناية تناسب وأهميتها لاقتصاديات الدولة . وهنا
تكمن الخطورة ، إذ أن قطاع النفط قطاعاً أجنبياً وأن الإسراف في الاعتماد
على موارده قد يجعل اقتصاديات أي قطر اقتصاداً تابعاً ويربط اقتصاديات
ذلك القطر باقتصاديات دول الشركات ذلك . وبمجل أقول أنه يخلق هيكلأً
اقتصادياً متداعياً لا بنياناً اقتصادياً نامياً ومنظوراً .

جدول رقم (٤)

نصيب الفرد في الكويت من الخدمات التعليمية والصحية مقارنة (١)
بغيره من دول العالم عام ١٩٦١ ، بالدبنار الكويتي .

جنسية الفرد	نصيبه في حقل التعليم	نصيبه في حقل الخدمات الصحية
كويتي	٢٨	٢٦
إيطالي	٨,٢	٧
بريطاني	٢١	١٧
سويدي	١٧,٩	٥,٣
في الأنظار العربية	من ٢/١ إلى ٢	من ٣,٠ إلى ٤,٠

(١) دولة الكويت : وزارة التجارة والصناعة ، إدارة البحوث الاقتصادية والأحصاء ،
النشئة في دولة الكويت ، نيسان ١٩٧٣ ، ص ١٠

جدول رقم (٥) التوزيع القطاعي لحملة الإستثمارات القومية الإجمالية في الخطة الخمسية الأولى ٦٧ / ٦٨ - ٧١ / ١٩٧٢ (١)

القطاعات الاقتصادية حكومي مشترك خاص	القطاع القومي		الإجمالي	
	خلال الحطة	بالنسبة / للمجموع	خلال الحطة	بالنسبة / للمجموع
نفط وغاز طبيعي	—	١٠,٠	٦٠	٧,٧
الصناعة	٢,١٠	٣٩,٠	٢٦	٩,٤
الزراعة والثروة الحيوانية	٥,٠	—	٣	٠,٩
الثروة السمكية	—	—	٤	٠,٤
الطاقة (كهرباء وغاز)	٦٤,٨	—	—	٧,١
المياه والري	٧٢,٠	—	—	٧,٩
النقل والمواصلات	٩٠,٢	٨,٠	٥٤	١٦,٧
الإعلام والإرشاد الوطني	١٣,٣٠	—	—	١,٤
البحث والتدريب	٧,٠	—	٢	١,٠
الخدمات التعليمية	٥٠,٠	—	٢	٥,٧
خدمات اجتماعية ودينية	١٧,٠	—	١	٢,٠
خدمات صحية	٣٠,٠	—	٣	٣,٦
اسكان ومباني عامة	٧٥,٠	٢,٠	١٠٠	١٩,٤
تجارة ومال وسياسة مرافق عامة وخدمات بلدية	٦,٠	١,٠	١٥	٢,٤
بلدية	٤٦,٠	—	—	٥,٠
خدمات أمن وعدل	١٠,٠	—	—	١,١
التغيير في المنز و السلامي	—	—	٧٥	٨,٢
جملة الإستثمارات القومية الإجمالية	٥٠٧,٠	٦٠,٠	٣٤٥	٩١٢,٠
				% ١٠٠,٠

(١) نفس المصدر ص ٣٣ .

اضف إلى ذلك أن أكثر من ثلث إجمالي الناتج المحلي يتجه بعيداً عن الرقعة الجغرافية للدولة ،وعموماً فإن النفط يغذي الميزانية الحكومية بنحو ٩٠٪ من إيراداتها ،بينما لاتساهم الرسوم الكمركية مثلاً سوى بنحو ٣٪ من إجمالي إيرادات المملكة (١).

وعليه ،فإن مثل هذه المؤشرات - على قلتها - تعكس وبوضوح الواقع السلبي للتنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية . وهذا وليس من اليسير مناقشة خطة التنمية الحالية (الخطة الاولى المعتمدة في منتصف ١٣٩٠) للمملكة لعدم توفر البيانات والمعلومات الكافية إذ لازالت البلاد تفتقر إلى تعداد سكاني شامل يمكن أن يكون القاعدة الأساسية التي تستند عليها أية تنمية هادفة

٢- الكويت :

اعتمدت الكويت سياسة استثمارية خاصة خلال السنوات ١٩٥١ / ١٩٦٧ م .ويمكن تحديد إنجازات رئيسي ه هما :-
الانجاء الأول : التأكيد على تنمية المرافق العامة والقوى البشرية عن طريق رفع المستوى التعليمي والخدمات الصحية .كذلك خلال الفترة ١٩٥٢/١٩٦٠م كما يظهرها الجدول رقم (٤) .

الانجاء الثاني : التأكيد على الاستثمارات الانتاجية المباشرة والتوسع في الاستثمارات الأخرى .ومن أجل ذلك فقد قدمت حكومة الكويت لأول مرة -خطة التنمية الخمسية الاولى إلى مجلس الامة للمصادقة عليها عام ١٩٦٧ ،الا أن ذلك لم يتم فعلاً (٢). غير أن مشروعاتها قد نفذت من خلال الميزانيات . فقد رصد في الخطة المذكورة ٩١٢ مليون دينار تستثمر في القطاعات المختلفة .وقد استأثر القطاع العام بنحو ٥٥,٦٪. وحظي القطاع

(١) المملكة العربية السعودية : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩ .
(٢) التفاصيل عن التنمية في الكويت انظر : دولة الكويت ، وزارة التجارة والصناعة ، إدارة البحوث الاقتصادية والإحصاء (قسم الإحصاء) : التنمية في دولة الكويت ، نيسان ، ١٩٧٣ ، ص ١٠ .

الخاص بنسبة ٣٧٫٨ ٪، والنسبة الباقية للقطاع المشترك. وقد وزعت الاستثمارات على النحو الذي يظهره الجدول التالي : (جدول رقم ٥)

ومن تحليله يتضح : -

١. أن معظم قطاعات الانتاج لم تحظ بأهمية كبيرة في جدول هذه الخطة، فقطاع الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية لم ينعم سوى بأقل التخصيصات المعتمدة في جدول هذه الخطة. إذ بلغت نسبة مساهمته فيها نحو ١٣ ٪ من اجماليها فقط. وكذلك بالنسبة للقطاع الصناعي الذي لم تزد نسبة مساهمته من إجمالي التخصيصات عن ٩٤ ٪. وقد ورد في التقرير الخاص عن التنمية الذي أصدرته دولة الكويت (١) ... « أنه روعي تجنب الطفرة في التصنيع والتدرج في عملية التصنيع بشكل يتوافق مع توافر القوة العاملة المتخصصة والمهارات البشرية ».

(١) نفس المصدر . ص ٣٤

جول رقم (٦)

مساهمة القطاعات الاقتصادية في الناتج القومي خلال عام ١٩٧٠/٦٩
(الكويت)

المساهمة بالناتج القومي ١٩٧٠/٦٩

النشاط الاقتصادي

النشاط الاقتصادي	مليون دينار	%
المناجم والمهاجر	٥٥٧	٥٦,٦
الخدمات (أ)	١٩٠	١٩,٣
التجارة (ب)	٨٥	٨,٦
التشييد والبناء	٣٩	٤,٠
الصناعة التحويلية	٣٦	٣,٧
الكهرباء والماء والغاز	٣٦	٣,٧
النقل والمواصلات والتخزين	٣٥	٣,٦
الزراعة والصيد	٥	٠,٥
المجموع	٩٨٣	% ١٠٠

(١) نفس المصدر ، ص. ٥٠ .

- (أ) تضم الخدمات الحكومية الإدارية ، الخدمات الإجتماعية ، خدمات الأعمال ، الترفيه والتسلية ، الخدمات الشخصية .
- (ب) تضم تجارة الجملة والفرد والبنوك والمؤسسات المالية ، التأمين ، المقاربات وخدمات المال والتجارة .

ولعل من المفيد أن نسأل : أوليس بالامكان مضاعفة الأهمية النسبية بالنسبة للقطاع الصناعي ضمن برامج الخطة الخمسية هذه ضمن المعطيات المتاحة حالياً ؟ لاسيما وأن هناك نسبة قد تصل إلى النصف أو تزيد من إجمالي المشتغلين في هذا القطاع هم من غير الكويتيين . ولماذا إذن نؤمن بأحداث طفرة سريعة في نمو قطاع آخر أقل أهمية بالمقارنة الدقيقة (اقتصادياً وإجتماعياً وسياسياً) مع القطاع الصناعي لعملية التنمية الهادفة : الآ وهو قطاع الاسكان والمباني العامة الذي استأثر بالمرتبة الاولى أي بنحو خمس إجمالي التخصيصات (١٩,٤ ٪) . والسؤال الثالث أوليس من المعقول أن تتناسب معدلات النمو للقطاعات المختلفة ضمن خطة التنمية (وطنياً وقومياً) مع معدلات نمو حجم إيراداتها النفطية ؟

إن التنمية الهادفة في اعتقادنا هي التي تتخذ من قطاعات الانتاج الأساسية الصناعة والزراعة والغل والخدمات هدفاً أساسياً لها وبحكم توفر المقومات الجغرافية : الطبيعية والبشرية من أجل تنوير معالم الخريطة الحالية نحو الأفضل لتتمكن من البقاء والنمو بعد نفاد النفط أو تبدل أهميته النسبية مستقبلاً . (٢) ظفر قطاع النقل والمواصلات بأهمية نسبية معقولة بلغت نحو ١٦,٧ ٪ إذ أن تطوير الموانئ البحرية والجوية والطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية تعتبر اموراً حيوية للتنمية .

أما النسبة الباقية فهي لصالح قطاع الخدمات الانتاجية والاجتماعية الأخرى والتي استأثرت جميعاً بنحو ٣٩ ٪ من إجمالي التخصيصات . إن هيكل الخطة الخمسية الاولى هذه لا يتناسب وامكانية الكويت النفطية ولا مع واقع تعداد سكانها حالياً ، وعليه فإننا نرى بأن خطة التنمية الهادفة هي التي تأخذ في ستراتييجيتها الاعتبارات الآتية :

أ - تحقيق وتآثر نمو سريعة لقطاعات الاقتصاد الوطني والقومي عامة ويعتمد قطاعات الانتاج الرئيسة هدفاً لها .

ب- تحقيق مبدأ التوازن بين تخصيصات الخطة ومعدلات النمو لايراداتها بحيث لاترك فائضاً من الدخرات المالية تودع في البنوك أو للاستثمارات الأجنبية .

ج- الأخذ بعين الاعتبار أن النفط مورد فاني لامحال وأن اسعاره آخذة في التزايد المستمر- كما رأينا - وعليه فان التوجيه الأمثل يقضي بضرورة برجة الانتاح بما يتلائم تماماً مع خطط التنمية وطنياً وقومياً .
والخلاصة ، أن الموارد النفطية لازالت هي السمة المميزة للاقتصاد الكويتي فالنفط يغذي الميزانية الاعتيادية (١٩٧٢/ ١٩٧٣) بنحو ٩٤,٥٪ من إجمالي ايراداتها (١). وهو يساهم بنحو ٥٦,٦٪ من إجمالي الناتج القومي (١٩٧٠/ ٦٩) في حين لاتساهم لقطاعات الاقتصادية الأخرى سوى بنحو ٣,٧٪ بالنسبة للصناعة وزهاء ١,٥٪ بالنسبة للقطاع الزراعي كما يؤكد ذلك جدول رقم (٦) :-

وهذا يعني أن الاقتصاد الوطني واقع تحت رحمة القطاع النفطي وهو قطاع أجنبي حالياً أولاً. وأن الاقتصاد الكويتي أحادي السلعة ثانياً. وهو تابع لاقتصاديات دول الشركات بالضرورة ثالثاً . من هنا تبرز أهمية الأخذ بأبعاد استراتيجية جديدة للتنمية تكفل تحرير الاقتصاد الوطني من تبعية قطاع النفط .

٣- العراق :

يعتبر عام ١٩٥٠ نقطة التحول الأولى في الاقتصاد العراقي نحو الإنماء . فقد شهد هذا العام ميلاد مجلس الإعمار (٢) . وفي عام ١٩٥٣ ، أنشئت وزارة الإعمار . وقد قدم المجلس إلى الحكومة ثلاثة برامج (خطط للتنمية «الإعمار») . الأول عام ١٩٥١ (للفترة ١٩٥٦/ ٥١) استناداً إلى توصيات

(١) نفس المصدر . ص ٢٠

(٢) الحكومة العراقية : قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٠ والقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٥١

والقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٥١

والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٢ .

بعثة البنك الأولى للإتحاد والإعمار L: B. R. D' (١) والثاني عام ١٩٥٥ (لفترة ٥٥ / ١٩٥٩) وقد جاء تنفيذاً لتوصيات اللورد سولتر Salter (٢). أما البرنامج الثالث لفترة (٥٦ / ١٩٦١). وقد جاء نتيجة لاستكمال دراسي سولتر وهيئة آرثر . دي . لتل (٣) Arthur D. Little ومن دراسة تلك البرامج يمكن أن نقول إنها أهتمت بدرجة كبيرة بقطاعات الزراعة والري والنقل والمواصلات والإسكان . ولم ينل القطاع الصناعي إلا حوالي ١٦٪ بالمتوسط من إجمالي تخصيصات القطاعات المختلفة في البرامج الثلاثة . ناهيك عن نسبة التنفيذ الفعلي كانت دون ذلك بكثير ، كما سنرى لاحقاً . بالإضافة إلى أن البرنامج الثالث كان أكثر حظاً من سابقيه في تمتعه بفرص البقاء والتنفيذ . كما أن مشروعات تلك البرامج كانت تنسم بطابع المحافظة التامة بالنسبة لكافة المشروعات والتي من شأنها الحفاظ على العلاقات الاجتماعية والسياسية السائدة ، خاصة ، في أقطاع الزراعي . كما أنها لم تكن جادة في إقامة صناعات تعتمد على الحماية الكمركية بالإضافة إلى إهمالها تنمية القوى البشرية .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن تلك البرامج قد ساهمت فعلاً في تغيير بيئة العراق طبيعياً وبشرياً ، سواء بالسيطرة على المياه واستغلالها أم بالنمو العمراني في مناطق البلاد المختلفة .

أما في ظل سنوات العهد الجمهوري فقد شرع أربعة برامج .
البرنامج الأول: الخطة الاقتصادية المؤقتة (٥٩ / ١٩٦٢) (٤) والثاني : الخطة الاقتصادية التفصيلية (٦١ / ١٩٦٥) . والثالث الخطة الاقتصادية الخمسية (٦٥

(١) International Bank of Reconstruction and Development: "The Economic Development of Iraq" Baltimore 1952 .

(٢) قدم لورد سولتر تقريره في ١٤ نيسان ١٩٥٤ .

لورد سولتر : أعمار العراق (خطة العمل) ، بغداد ١٩٥٦ مرس ١٣٢ - ١٣٣

(٣) Little, A.D.: "Aplan for Industrial developments in Iraq" Cambridge (٢) Massachusetts May 1956 .

(٤) الوقائع العراقية : رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٩ (الخطة الاقتصادية المؤقتة ، السنة الثانية ، العدد

٢٨١ ، ٢١ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

والعدد ٤٩٤ : قانون تعديل الخطة الاقتصادية المؤقتة ، السنة الثالثة ٧ آذار ١٩٦١ .

جدول رقم (٧)

دراسة مقارنة لتخصيصات السنوية والاستثمارات الفعلية لقطاعات الاقتصاد الرئيسية سن برامح

القطاعات	مجموع الفترة ١٩٥٨/٥١ سنوات بعد النشوء					
	المجموع المتوسط السنوي					
	٦٣	٦٢	٦١	٦٠	٥٩	٥٨
الزراعة والري والصرف						
واصلاح الأراضي						
التخصيص السنوي	١٤٢,٨	١٧,٩	٢٢,١	٢٩,٦	١٥,٦	٢٠,٢
المصرف الفعلي	٧٤,١	٩,٢	١٠,٩	١٠,٨	١١,٩	٦,٣
نسبة ١ : ٢ بالمائة	٥١,٩	٥١,٩	٤٧,٢	٣٦,٥	٧٦	٣١
الصناعة والتعدين وتوليد الطاقة						
التخصيص السنوي	٦٢,١	٧,٧	٩,٤	٢١,٣	١٢,٥	٢٤,٧
المصرف الفعلي	٣٠,٩	٣,٨	٤,٩	٥,٧	٧,٢	١٠,٣
نسبة ١ : ٢ بالمائة	٥٠	٥٠	٥٢,١	٢٦,٩	٥٨	٤٢
النقل والمواصلات والتخزين						
التخصيص السنوي	١٠٩,١	١٢,٦	٢١,٣	٥٧,١	٢٥,٥	٢٢,٤
المصرف الفعلي	٥٥,١	٦,٨	١٢,٧	٨,١	١٤,٢	١٥,٨
نسبة ١ : ٢ بالمائة	٥٠,٤	٥٠,٤	٦٤,٤	١٤	٥٦	٤٩
المباني والإسكان						
التخصيص السنوي	١٠٣,٥	١٢,٩	٢٩,٨	١٢٦,٧	٤٤,٨	٣٠,٨
المصرف الفعلي	٣٠,٩	٣,٨	٢٥,١	٢٢,٩	٣٣,٤	٢٦,٤
نسبة ١ : ٢ بالمائة	٢٩	٢٩	٨٤,٥	١٨	٧٥	٨٦
المجموع العام						
التخصيصات	٤١٨,٥	٥٢,٣	٨٣,٦	٢٣٤,٧	٩٨,٤	٩٨,١
المجموع العام للمصروفات الفعلية	١٩١,٥	٢٢,٩	٥٤,٦	٤٧,٥	٦٦,٧	٥٨,٨
نسبة ١ : ٢ بالمائة	٤٥,٧	٤٥,٧	٦٥	٢٠	٦٨	٥٩

أخذت أرقام ١٩٥٢/٥١ إلى ١٩٦٧/٦٦ من : مجلة عالم الاقتصاد : العدد الثالث ، السنة الأولى
استعملت - مع المقارنة - بقية الأرقام من : وزارة التخطيط : تقسيم النمو الاقتصادي في العراق

التعليمة في المرافق للسنوات ١٩٦٩/٥١ (بملايين الدنانير) (١).

١٩٦٩/٥٩		١٩٦٩/٥١		١٩٦٩/٥٩		١٩٦٩/٥١		١٩٦٩/٥١	
المجموع	المتوسط	المجموع	المتوسط	المجموع	المتوسط	المجموع	المتوسط	المجموع	المتوسط
١٩٦٩	٦٨	٦٧	٦٦	٦٥	٦٤	٦٣	٦٢	٦١	٦٠

٢٢,٨	٤٥٣,٤	٢٨٨	٣٠٩,٦	٢٢,٥	٤٥٣,٤	٢٢,٥	٤٥٣,٤	٢٢,٥	٤٥٣,٤
٩,٤	١١٩,٥	٩,٥	١٠٤,٩	١٦,٦	١٤٨	١٠,٤	٦,٨	٥,٢	٦,٧
٢٩,٥	٣٩,٥	٢٣,٧	٢٣,٧	٧٥,٥	٣٧	٣٥	٢١	٢١	٢٧

٢١,٦	٤١٣,١	٢١,٩	٣٥١,٥	٢١,٥	٣٩,٥	٢١,٨	٤٢,٦	٢٢,١	٤٣,٥
٩,٥	١٧١,٩	١٢,٨	١٤١,٥	١٩,٥	١٣,٤	٢٢,٧	١٨,٩	١٢,٩	١٦,٥
٤١,٦	٤١,٦	٤٠,١	٤٠,١	٦٠,٥	٢٢,٩	٥٨,٥	٤٤	٤٠	٣٨

٢٢,٥	٤٢٩,٦	٢٩,١	٣٢٥,٥	١٢,٥	٢٥,٧	٢١,٥	٢٢,٦	٢٩,٦	٢٧,٩
١٥,٧	٣٠٤,٤	١٢,٦	١٤٩,٣	١١,٦	١٢,٤	١٤,٨	١٢,٥	٩,٥	١٨,٩
٤٧,٧	٤٧,٥	٤٦,٥	٤٦,٥	٩٦,٧	٥٩,٩	٧٥,٥	٥١	٣٦	٦٨

٢٩,٧	٥٦٥,٣	٤٢,٥	٤٦١,٨	٣٥,٩	٣٥,٥	٣٢,٢	٢٢,١	٣٥,٧	٢٥,٢
١٥,٩	٣٠٣,٢	٢٤,٨	٢٧٢,٣	٢٦,٧	٢٤,٨	٢١,٤	٩,٤	١٢,٤	١٤,٥
٥٣,٥	٥٣,٩	٥٩	٥٩	٨٦,٤	٨٢,٧	٦٩,٥	٤١	٤٥	٥٨

٩٧,٩	١٨٦,٤	١٣١,١	١٤٤٢,٩	٨٥,٩	١٣٥,٢	١٢٢,٧	١١٨,٩	١١٤,٦	١٢٥,٨
٤٥,١	٨٥٨,٥	٦٥,٧	٦٦٧,٥	٧٣,٩	٦٥,٤	٦٩,٣	٤٧,١	٤٥,٥	٥٦,٦
٤٦,٣	٤٦,١	٤٦,٢	٤٦,٢	٨٦	٥٥	٥٧	٤٥	٣٥	٤٧

مايس ١٩٦٨، بغداد من ٣٨-٣٩.

١٩٧٠/٥ ، ج١ ، الملحق الاحصائي رقم ٣ و ٤ .

(١٩٦٩) (١) والرابع : خطة التنمية القومية (١٩٧٤/٧٠) (٢) .
ومن دراسة تلك الخطط يتضح أن فترة التخطيط في العهد الجمهوري
قد اتسمت خلال السنوات العشر الأولى بعدم الاستقرار نتيجة للاوضاع
السياسية والاقتصادية التي عمت البلاد . والملاحظ أن قطاع الاسكان قد حظي
بالمرتبة الاولى في قائمة هذا العهد . بالرغم من كونه قطاعاً استهلاكياً ، لكن
مالئ القطاع الصناعي أن يحتل تلك المرتبة في ظل الخطة التفصيلية والخمسية
غير أن القطاع الزراعي استأثر بالمرتبة الاولى في ظل خطة التنمية القومية
حتى يسهم في احداث ثورة زراعية هادفة في البلاد . إن اهتمام هذه الخطة
بتنمية القطاع الزراعي يتماشى مع منطلقات نظرية النمو (٣) فالتنمية الزراعية
في أقاليم الجهات الجافة وشبه الجافة تتطلب السيطرة الكاملة على مياه الأنهار
لتنظيم ري محكم وهذا يتطلب مريداً من الاتفاق على البنبن الأساسي للانتاج
الذي سوف تسأخر مردوداته الاقتصادية وهذا يتماشى مع وفرة
العوائد النفطية حالياً

ولما كان ما تقدم غير كاف لتصبح أعداد الصورة العامة للتنمية في
العراق ، فإن دراسة نسب التنفيذ الفعلي (المخصص و المصروف فعلاً) يمكن
أن يحقق هذا الهدف . هذا ما سنتصدى لدراسته في القسم الثاني من هذا البحث

(١) : الوقائع العراقية رقم ٨٧ لسنة ١٩٦٥ : قانون الخطة الاقتصادية الخمسية لسنوات
١٩٦٩/٧٠ ، العدد ١١٣ ، السنة السابعة ١ تموز ١٩٦٥ .

(٢) الوقائع العراقية : رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٠ : قانون خطة التنمية القومية لسنوات ١٩٧٤ / ٧٠ ،
العدد ١٨٦٢ ، السنة الثانية عشر ، ١ نيسان ١٩٧٠ .

(٣) ايكون كيبيش - النفط كمصدر مؤقت من مصادر تمويل عملية التنمية : التروة العلمية
المالية (النفط كسلح) ابحاث التروة ٢١٠ المجلس الوطني للعلم والافسان ، بغداد تشرين الثاني
١٩٧٢ م ض ٢٠ .

« القسم الثاني »

يحاول هذا القسم الإجابة عن التساؤلات التالية : لماذا لاتتخذ دول الخليج العربي من النفط عوائداً ودخولاً - أداة للتغيير الأفضل والمرتبب للخريبة العربية بأسرها . طالما أن وجوده صدقة جيولوجية وإقتصادية ليس إلا وإن موارده قابلة للضبوب ؟ ؟ وإذا كانت بعض دول الخليج كالعراق قد آمنت فعلاً بهذا الحتم الجغرافي لواقع النفط متخذة منه أداة التمويل الأولى لخطط التنمية الاقتصادية المختلفة الحالية والمستقبلية ، فما هي الخطوات التي قطعنها في هذا المجال ؟ وهل بالإمكان أخذ تجربة العراق كنموذج يؤخذ به لدعم اقتصاديات دول هذه المنطقة ؟

إن الدراسة التالية تنصدي للإجابة عن مثل هذه التساؤلات وعليه فلإننا نحاول دراسة تجربة العراق في مجالات التنمية الاقتصادية المختلفة خلال الفترة ١٩٧٤/٥١ ، من خلال تحليل إحصائي مقارن لمخصص والمصرف فعلاً لبرامج التنمية لتحديد اتجاه استعمال عوائد النفط وتبيان مدى إمكانية أخذ أقطار الخليج بـستراتيجية خاصة التنمية القومية للعراق .

ولتحقيق هذا الهدف لابد من تحليل جدول رقم (٧) ومنه نستنتج :

١. بلغ المجموع العام للتخصيصات الاستثمارية - خلال هذه الفترة - نحو ٤ ١٨٦١ مليون دينار استثمر منها فعلاً نحو ٥ ٨٥٨ مليون دينار ، أي حوالي ١ ٤٦٪ . فقط . ظفرت السنوات الثمان قبل الثورة بنحو ٥ ٤١٨ مليون ديناراً من إجمالي تخصيصاتها في حين هبطت مصروفاتها الفعلية إلى نحو ١٩١ مليون ديناراً أي زهاء ٧ ٤٥٪ من إجمالي تخصيصاتها . بيد أن نسبة التنفيذ الفعلي هذه قد ارتفعت خلال سنوات بعد الثورة ، ولكن ببطء شديد جداً حتى بلغت نحو ٢ ٤٦٪ بالرغم من أن متوسط السنوي للمصروفات الفعلية لسنوات ما بعد الثورة (١٩٥٨) قد بلغ مرتين

ونصف تقريباً مما كان عليه خلال سنوات قبل الثورة. وذلك يرجع أساساً إلى تزايد المخصص السنوي أيضاً بنسبة مشابهة تقريباً. وعموماً فإن المتوسط السنوي لنسبة التنفيذ العملي العام خلال هذه الفترة لم يتجاوز ٤٦٣٪ أي أن هذا المعدل قد نما ببطء شديد خلال فترة العهد الجمهوري وإن كان هناك هبوط ملحوظ للسنوات ٦٠ / ٦٣ / ١٩٦٥ .

ويوضح ذلك أن أكثر من نصف تخصيصات مشروعات التنمية لم تنفذ، وقد عجزت عن تحقيق أهدافها المرسومة . ولإنها استنفذت في مجالات الإنفاق الاستهلاكي للدولة . وهذا ينطبق بدرجة كبيرة على السنوات العشر ٥٨ / ١٩٦٨ نتيجة للأحداث السياسية والأزمات التي أحاطت بالبلاد .

٢. **إستأثر القطاع الزراعي بالمرتبة الأولى ببرامج التنمية قبل الثورة تخصيصاً واستثماراً .** إذ بلغ مجموع تخصيصاته نحو ٢٤٣٨ مليون ديناراً صرف منها نحو ١٧٤ مليون ديناراً . أي أكثر من نصفها تقريباً (٩٠٪) . ساهم هذا القطاع بحو ٣٤٪ و ٨٠ ر ٣٨٪ من إجمالي تخصيصات ومصرفات هذه الفترة (٥١ / ١٩٥٨) على التوالي . إن ارتفاع نسبة المصروفات الفعلية يعكس الاهتمام الشديد لمجلس الإعمار بتنمية قطاع الزراعة في العراق لما يتفق وتوصيات الخبراء الأجانب آنذاك .

أما في سنوات بعد الثورة فإن قطاع الاسكان قد قفز ليحتل هذه المرتبة إذ بلغت تخصيصاته نحو ٤٦١٨ مليون ديناراً ، صرف منها نحو ٣٧٢٢ مليون دينار أي زهاء ٥٩٪ منها . إن نصيب هذا القطاع قد بلغ نحو ٣٢٪ و ٤٠٪ من إجمالي تخصيصات ومصرفات مناهج الاستثمار في هذه الفترة (٥٩ / ١٩٦٩) على التوالي مما يدل على عناية العهد الجمهوري بهذا القطاع كما تؤكدتها نسبة التنفيذ الفعلي . أن العناية بتنمية هذا القطاع في بلد متخلف اقتصادياً كالعراق - آنذاك - لا يعني إلا تبيداً لموارده الاقتصادية في

مشروعات عتيقة - خاصة خلال العرة ١٩٦٣/٥٩ - يمكن أن نطلق عليها مشروعات استرضاء الجماهير أو مشروعات السمعة كما تسمى مما دفع بالخطوة الاقتصادية الخمسية ١٩٦٩/٦٥ إلى تقليص نصيب هذا القطاع .

٣. ساهم قطاع النقل بالمرتبة الثانية قبل الثورة . إذ بلغ مجموع تخصيصاته نحو ١٠٩,١ مليون دينار صرف منها فعلاً نحو ٥٥,١ مليون ديناراً، أي نصفها تقريباً . حظي هذا القطاع بنحو ٢٥٪ و ٢٨٪ من إجمالي التخصيصات والمصروفات الفعلية لهذه الفترة . إن تنمية هذا القطاع كان أمراً ضرورياً وملازماً لتنمية القطاع الأول الزراعة والري لاسيما في المنطقة الشمالية من البلاد .

واصل العهد الجمهوري الاهتمام بهذا القطاع . وإن كان بدرجة أقل نسبياً ، مما يمكن وضعه بالمرتبة الثالثة بين القطاعات الأخرى . فقد بلغ إجمالي المصروفات الفعلية نحو ١٤٩٣ مليون ديناراً أي نحو ثلاثة أمثال مصروفات سنوات قبل الثورة .

٤. سيطر القطاع الصناعي على المرتبة الثانية بين برامج التنمية بعد الثورة . إذ بلغت إجمالي تخصيصاته نحو ٣٥١ مليون ديناراً صرف منها فعلاً نحو ٤٠١٪ أي أنه حظي بحوالي ٢٤٪ و ٢١٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات كافة القطاعات الاقتصادية في العراق خلال هذه الفترة في حين لم يكن يحظى سوى بحوالي ١٤٪ و ٢٥٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات مجلس الإعمار (قبل الثورة) على التوالي . وهذا يدل على مكانة القطاع الصناعي في برامج التنمية بعد الثورة . ويؤكد ذلك ارتفاع المتوسط السنوي للمصروفات الفعلية له التي بلغت حوالي ١٢,٨ مليون دينار بعد الثورة ، مقابل ٣,٨ مليون دينار قبل الثورة أي نحو أكثر من ثلاثة أمثالها تقريباً وهي بذلك تشكل أعلى المتوسطات في هذا المجال بعد قطاع الإسكان . ومع ذلك ، فإن نسبة التنفيذ الفعلي لهذا القطاع

بعد الثورة (٤٠,١٪) كانت أقل بكثير مما كانت عليه قبل الثورة (٥٠,٥٪) إن هذه الظاهرة تعبر عن طبيعة الظروف السياسية والاقتصادية التي آكستت البلاد بعد الثورة .

٥. يذيل قطاع الزراعة قائمة برامج التنمية في سنوات بعد الثورة إذ بلغت نسبة مساهمته نحو ٢١٪ و ١٥٪ من إجمالي تخصيصات ومصروفات هذه للفترة على التوالي : إن هبوط نسبة مصروفاته الفعلية من الإجمالي العام يدل على قلة الاهتمام به ويؤكد ذلك المتوسط السنوي للمصروف الفعلي الذي بلغ نحو ٩,٥ مليون دينار طيلة الفترة ١٩٦٩/٥١ على الرغم من زيادة تخصيصاته خلال الفترة ١٩٦٩/٥٩ عما يقابلها (٢٨,١٪ و ١٧,٩٪ قبل الثورة وبعدها على التوالي) . فلا غرابة إذن أن يتدهور نصيب هذا القطاع من إجمالي الدخل القومي العراقي ، والحقيقة إن ما أنجز من مشروعات في هذا المجال يفوق مسجلات السنوات التالية مما يحتم ضرورة الاهتمام بهذا القطاع والعمل على رفع معدلات نموه بشكل يتناسب على الأقل واحتياجات التطور . وبالفعل فإن حكومة الثورة قد أولت اهتماماً بالغاً بهذا القطاع في خطة التنمية القومية .

٦. إن مقارنة المتوسط السوي للاجمالي العام المخصص والمصروف الفعلي يظهر بوضوح العناية الكبيرة التي حظي بها قطاعاً الاسكان والنقل في برامج التنمية في العراق خلال الفترة ١٩٦٩/٥١ . على النقيض من قطاعي الصناعة والزراعة، بالرغم من أهمية الأخيرين في تنمية الاقتصاد الوطني وما يمكن أن ينجم عنه من تغيرات أفضل في توزيع السكان وأنماط حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية المختلفة فلم يتجاوز المتوسط السنوي للمصروف الفعلي تسعة ملايين دينار و ٩,٤ مليون ديناراً لكل من الصناعة والزراعة على التوالي ، مقابل ١٥,٩ و ١٠,٧ مليون دينار لكل من الاسكان والنقل على التوالي . مما يؤكد مرة أخرى ضرورة الاهتمام بهذين القطاعين لتنمية البلاد .

وأخيراً فإن انخفاض نسب التنفيذ العملي لبرامج التنمية إلى أقل من النصف بقليل يعني تبدد إيرادات تلك البرامج بنفس النسبة تقريباً . وإذا كانت عوائد النفط قد أمدت برامج التنمية بنحو ١٠٨٥,٩ مليون ديناراً طيلة الفترة ١٩٧٠/٥١ أي نحو ٨٩,٨٪ من إيراداتها ، فإن هذا يعني أن نصف هذه العائدات تقريباً قد انخرفت عن مجالات استثماراته المرسومة ليمتصه الانفاق الاستهلاكي الحكومي . أما النصف الآخر فقد استهلك في تنمية قطاعات الإسكان والنقل أولاً والزراعة والصناعة ثانياً . إن هذه الصورة لابد أن تكون مرآة لعدة مشكلات أعاقَت نمو الاقتصاد الوطني ، يمكن إجمالها بما يلي : -

١. إهمال تنمية الموارد البشرية : فهي لم تستهدف تنمية الموارد والقدرات البشرية المتاحة . فلم تكن بتوسيع قاعدة العمل الوطني . أن أي تخطيط هادف يجب أن يهيئ الكادر البشري اللازم لإدارة مشروعاته على الأقل على الأقل جنباً إلى جنب مع مشروعاته الأخرى أي أن واقع برامج التنمية في العراق يظهر تناقضاً كبيراً بين مجموع استثماراتها وبين فرص العمالة التي ستتيحها . أي أن تلك البرامج أخذت بمبدأ زيادة حجم الكفاءة الانتاجية عند أقصى حدودها ، وتعتبرها الهدف الأساسي ، لمشروعاتها غالباً ما تعتمد على التقدم التكنولوجي إلى حد بعيد . فهي تتطلب مبالغ كبيرة من رؤوس الأموال ولم يراعى فيها تكثيف الانتاج بشكل يقتصد في استخدام العمال وبتوسيع في استخدام العمال (١) Labour Intensive policy . وهذا يرجع غالباً إلى الاختيار العشوائي لمشروعات التنمية المختلفة وكانت محصلة ذلك شيوع ظاهرة البطالة بشتى أنواعها : الدائمة والموسمية والمقتنعة ، وحتى بطالة المثقفين . كل ذلك يقترن بسوء تخطيط وتنفيذ برامج التنمية عامة . غير أن خطة التنمية القوية ٧٠ / ١٩٧٤

(1) Wrigley E.A. Industrial Growth and population change Cambridge 1962, p.56.

استطاعت أن تكبح جماح العديد من المظاهر السلبية هذه كما يشهد بذلك قرارات ٧ شباط عام ١٩٧٤ التاريخية التي امتصت كافة العمل العاطل المتاح بما هيأته له من فرص استخدام جديدة ومتطورة نتيجة تنفيذ مشروعاتها المختلفة .

ب. ضعف الأجهزة الادارية والحكومية : إن أجهزة الدولة المسؤولة عن تخطيط وتنفيذ تلك البرامج تعاني من النقص الكبير في الاختصاصات الفنية والاقتصادية وغيرها مع وجود تضخم مناقض في أجهزتها في عدد الموظفين حالياً . لذا يبدو من الضروري التنسيق بين برامج التنمية ومشروعاتها وسياسة لتعليم العالي في البلاد ، وفعلاً فإن خطة التنمية القومية أخذت في ستراتيجيتها مسألة تنمية الخبرات الفنية والكفاءات الفنية والكفاءات العلمية بعمدة كبيرة كما يؤكد ذلك ارتفاع عدد طلبة البعثات الدراسية العليا في السنوات الأربع وتشريع قانون رعاية أصحاب الكفاءات العراقيين والعرب رقم ١٥٤ لسنة ١٩٧٤ .

ج. نقص البيانات الإحصائية وعدم كفاءة أجهزة الإحصاء : إن البيانات الإحصائية الدقيقة والمتنوعة هي الوسيلة الأساسية لبلوغ أعلى درجات النجاح في التخطيط وإذا كانت الإحصاءات في العراق تعاني من النقص وعدم الدقة الشيء الكثير فلا غرابة إذن أن تعجز برامج التنمية عن تحقيق أهدافها المرجوة .

د. عدم وجود تنسيق بين السياسة المالية (الميزانية الإعتيادية) والسياسة الإعمارية (الميزانية الإستثمارية للدولة) : فالميزانية الإعتيادية يجب أن تكون جزء من الخطة غير أن واقع الحال عكس ذلك إذ أصبحت الأخيرة تابعة للأولى ، ومتأثرة بها (١) . والملاحظ أن الدولة عمدت إلى تخصيص جميع عوائد النفط للميزانية الإستثمارية قبل عام ١٩٥١ لكنها خفضتها إلى نحو ٧٠٪ إلى ٥٠٪ عامي ٥٢=٥٩ على التوالي . أما النسبة

(١) الدكتور جواد محمود هاشم : تخطيط الاقتصاد القومي في العراق ، ص ٤١ .

الباقية فتنصب في مجالات الإتفاق الإستهلاكي للدولة الذي أخذ بنمو بشكل يفوق نمو الدخل القومي للبلاد .

والآن إذا كانت خطة التنمية القومية ١٩٧٤/٧٠ قد أخذت على عاتقها مهمة إحداث تنمية هادفة في القطر من خلال استراتيجية معينة تهدف - فيما تهدف إليه - معالجة المشكلات آتفة الذكر وغيرها فهل حققت هذه الخطة نجاحاً في مهمتها ؟؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تستلزم دراسة المخصص والمصروف فعلاً ونسب التنفيذ إلا أن الصعوبة هنا هو عدم توفر كافة البيانات التي تعين الباحث في هذا المجال . ومع ذلك فبالإمكان تحليل الجدول رقم (٨) ومنه نستنتج :-

أ. إن نسبة التنفيذ لقطاعات الخطة بمنحمة قد تضاعفت خلال العام ٦٩ / ١٩٧٠ عما كانت عليه عام ١٩٦٩/٦٨ وقد حققت خطة التنمية القومية في عمها الأول إنجازات هامة فقد بلغت نسبة التنفيذ لتخصيصات قطاعاتها المختلفة بمنحمة نحو ضعف (٩١,٥٪) ماحققته الخطة السابقة (٤٥٪) ١٩٦٩/٦٥

ب. تضاعفت نسب التنفيذ للقطاعات النوعية المختلفة في شل الخطة القومية، (١٩٧٠/٦٩) . فقد بلغت نسب التنفيذ للقطاع الزراعي نحو ٧٩,٥٪ مقابل ٤٧,٨٪ والخدمات ٧٨,٧٪ مقابل ٥٤,٩٪ . ولعل ارتفاع نسبة التنفيذ الفعلي للقطاع الزراعي يأتي هنا تأكيداً لما ذهبنا إليه سابقاً من أن الخطة القومية أعترمت خلق ثورة زراعية في البلاد . كما يدل على ذلك أيضاً ارتفاع الأهمية النسبية لهذا القطاع مقارنة مع قطاعات الإنتاج الأخرى .

هذا بالإضافة إلى أن هناك مؤشرات أخرى يمكن الإستدلال بها على أن هذه الخطة كانت أفضل مما تقدمها تخطيطاً وتخصيصاً وتنفيذاً

وقد حققت إنجازات كبيرة ومتنوعة ، مما يوحي بالقول إن ما رسم لها من أهداف - سنأتي لتحديد لها لاحقاً - قد تحققت فعلاً .

فبظلمها صدر القانون رقم ٦٩ لسنة ١٩٧٢ : قانون تأميم شركة نفط العراق المحدودة ثم أعقبه قوانين أخرى ذات علاقة كالقانون رقم (٢٨) لسنة ١٩٧٣ ثم القوانين الخاصة بتأميم حصة الشركات الأمريكية والمولندية والبرتغالية (كولينيكيان) من أسهم شركة نفط البصرة . ثم صدور قرارات ٧ شباط ١٩٧٤ التي أتاحت فرص العمل أمام جميع المتعطلين من المثقفين وغيرهم ورفع المستوى المعاشي للجماهير وتخفيض أسعار بعض السلع الاستهلاكية الأساسية وبعض الضرائب وغيرها . ولعل النقاط التالية تمثل الأبعاد الإستراتيجية لخطة التنمية القومية :- (١)

١. دعم الإقتصاد القومي عن طريق تنمية قوى الإنتاج وتقديم أنتاجية العمل واستخدام كل إمكانيات التكنولوجيا الحديث
٢. التوسع في الإستثمار المادي والبشري
٣. الربط بين سياستي الإستثمار والإدخار بحيث يكون التركيز على توفير المدخرات الوطنية حتى يمكن الإعتماد عليها في عملية التمويل الذاتي للتنمية .
٤. الإرتفاع بمستوى معيشة المواطنين عن طريق الربط بين سياسة الإستهلاك ومتطلبات التنمية .
٥. إحداث توعية جماهيرية هادفة عن التنمية وضرورتها حتى يمكن للجميع المساهمة الإيجابية في تحقيق الأهداف المنشودة .
٦. اعتماد مبدأ النمو المتوازن في تخطيط التنمية مما يستلزم استغلال الموارد الزراعية والتعدينية استغلالاً أمثل بالإضافة إلى تنمية الصناعات المختلفة بما يكفل تحقيق اقتصاد متنوع ومتطور .

(١) الوقائع العراقية : المجلد ١٨٩٢ ، ص ١٢٥ - ١٢٦

٧. توسيع قاعدة التصدير وتنوع هيكل الصادرات الوطنية .
٨. تحديد أهداف الإنتاج والاستيراد على النحو الذي يحقق تحسين كمي ونوعي لحياة الجماهير .
٩. الأخذ بمبدأ التركيز والتكامل في المشروعات المختلفة
١٠. العمل على خلق المناخ الملائم للتنمية القطرية والقومية والعالمية .
١١. دعم القطاع الخاص بما يتلائم والإمكانات التي يمكن أن يؤدي دوره في عملية التنمية .

«النتائج والتوصيات»

نستخلص مما تقدم :

١. إن منطقة الخليج العربي تزخر بإمكانات جيولوجية وجغرافية كما يؤكد الجدول رقم (٩) . **فهي تحظى بنحو نصف إجمالي الإحتياطي المؤكد للنفط في العالم ، وتسهم بحو ربع إجمالي إنتاجه السنوي .** بالإضافة إلى غناها بتراسبات معدنية أخرى . كما أنها تضم نحو مليون كيلو متر مربع من الأراضي الصالحة للزراعة . (المروج والمراعي) . صحيح أن عشرها فقط مما يمكن : لإخصاها لأنماط الزراعة العلمية الحديثة بالسيطرة على المياه السطحية (العراق فقط) وإخصاها للنظام الرأسي والأفقي في عمليات الإنتاج ، إلا أن باقي المناطق يمكن الإنتفاع منها بتوسيع عمليات أستغلال مياهها الجوفية .

أضف إلى ما تقدم ، فإن منطقة الخليج تضم نحو ٨٠٪ من القواضر المالية لإجمالي الوطن العربي . إن المؤشرات الثلاثة أعلاه تتيح الفرصة أمام هذه المنطقة باعتماد استراتيجة تنموية عربية هادفة تحقق لخريطة العربية طموحاتها . إن الدعوة لاعتماد مثل هذه الاستراتيجة تنسجم تماماً مع الإمكانيات البشرية المحدودة لهذه المنطقة بالإضافة إلى ضرورتها القومية والإنسانية .

جداول رقم (٩)

توزيع موالد الزوجة من دول الخليج العربي

دول الخليج	إجمالي الخطوط	مكثبات تربية	المساحة (الأراضي لحدائق الزوجة (١))	عدد السكان	معدل الزوجة للزوجة
العربي	١٩٧٢	سويدي	ألماني	ك	ك
السعودية	١,٨	١٢,٤٤٤	١١٢,٦٠٠	٩,٢٥٠	٢,٤
الكويت	١٠,٢	١٢,٤٤٤	١٢,٤٤٤	١٠,٢	١٠,٢
السعودية	١,٨	١٢,٤٤٤	١١٢,٦٠٠	٩,٢٥٠	٢,٤
البحرين	١,٨	١٢,٤٤٤	١١٢,٦٠٠	٩,٢٥٠	٢,٤
قطر	١,٨	١٢,٤٤٤	١١٢,٦٠٠	٩,٢٥٠	٢,٤
أبوظبي	١,٨	١٢,٤٤٤	١١٢,٦٠٠	٩,٢٥٠	٢,٤
عمان	١,٨	١٢,٤٤٤	١١٢,٦٠٠	٩,٢٥٠	٢,٤
الإمارات	١,٨	١٢,٤٤٤	١١٢,٦٠٠	٩,٢٥٠	٢,٤
إجمالي دول الخليج (٢)	٢٨,٩	١٢,٤٤٤	١١٢,٦٠٠	٩,٢٥٠	٢,٤

(١) قطر العرب : لعدد الثاني عشر ، السنة الثانية ، يناير ١٩٧٢ ص ١١ .

(٢) قطر العرب : لعدد الثاني عشر ، السنة الثانية ، نوفمبر ١٩٧١ ص ١١ .

ثم قفز مع قطر العرب ، أكتوبر ١٩٧٢ ص ٩ .

(٣) بطن إجمالي للزوجة (تقوالت) بداية لمرحلة نحو ١١ ص ١١ .

٢. على الرغم من أن عوائد النفط لدول الخليج قد بلغت حتى نهاية عام ١٩٧٣ نحو أكثر من ٨١ بليون دولار إلا أن ما أتفق منها في المجالات الإستثمارية كان محدوداً كما كشفت الدراسة عن ذلك. فلم تزد نسبة النفقات الإستثمارية عن ٥٠٪ في العراق خلال السنوات ١٩٦٩/٥١ و ٣٨٪ في الكويت والسعودية خلال النصف الثاني من ستينات هذا القرن. (١) هذا ناهيك عن التخصيصات القطاعية المختلفة التي تمثلت في ألقطاعات الإستهلاكية والإستملكات والقروض الأجنبية كما هو الحال بالنسبة للمملكة السعودية والكويت .

أي سوء تخطيط وأستثمار عوائد النفط في معظم أقطار الخليج. فهي لم توجه لوجهة السليمة وكما ينبغي لنسبة آتصاديات تلك الأقطار وإعمارها ، وإنما صرفت في مجالات استهلاكية متعددة (الإنفاق الإستهلاكي الحكومي) إلى جانب أستنزاف بعضها في مشروعات ترفيهية أو لأغراض أخرى . بالإضافة إلى أن بعضاً من فوائض العوائد قد أودع في المصارف الأجنبية مما عرضها للهبوط المستمر في أقيامها (١٩٧٣/٦٧) نتيجة لتبعيتها للنظم النقدية لدول تلك المصارف. فقد خفض الباون الأسترليني عام ١٩٦٧ بنسبة ١٤,٣٪ كما خفض الدولار مرتين أولاًهما عام ١٩٧١ وثانيتها عام ١٩٧٣ بنسبة ٧,٦٪ و ١٠٪ على التوالي .

إن الهبوط المستمر لأسعار العملات العالمية: الباون الأسترليني والدولار الأمريكي ماهو إلا محاولات جديدة للسيطرة على عوائد نفط دول الإنتاج ثانية .

ولعل المنطق يُملي على دول الإنتاج هذه مسؤولية برمجة إنتاجها وتخطيطه بما يتفق وأهداف خططها التنموية ، لا أن تُسرف في أستنزاف

(١) المجلس الوطني للعلم والتخامن : الندوة العلمية العلمية للنفط من أبحاث الحلقة ١٠ ص ٢

مواردها النفطية وتحويلها إلى عملات أجنبية تودع في مصارف دول الشركات وما يمكن أن يصيبها من أضرار مادية ملموسة ومستمرة . فالجدير بها أن تبرمج إنتاجها بما يتلاءم وأهداف خططها الخمسية فالنفط الحبيس في مكانه يمكن أن يحقق مزيداً من المدخرات المالية نتيجة لزيادة الأسعار فخلال عام ١٩٧٤ زادت أسعار النفط أربع مرات . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن دول الخليج لاستهلاك من إنتاجها سوى أربعة بالمائة ٤٪ فقط في حين تصدر النسبة العظمى الباقية خاماً . وهنا تكمن خسارة أخرى كبيرة لهذه الدول . إذ أن ما يضيفه طن واحد من النفط الخام مسن دخل لدول الخليج لا يعادل سوى ثمن ما يمكن أن يضيفه لاقتصاديات دول أوروبا الغربية بعد تصنيعه (١) . لما يمكن أن يقدم من فرص التشغيل والقيم المضافة الناجمة عن التكرير والتصنيع والنقل والتوزيع والاستهلاك وغيرها . وهنا تبرز مسألة جوهرية أخرى وهي ضرورة الإسراع بمشروعات الصناعات البتروكيمياوية المزمع إنشاؤها وتخطيط غيرها من خلال استراتيجية تنمية عربية موحدة . حتى يمكن تبديد صباب المستقبل الذي خلفه العمر المتسفر لنفط العالم .

هذا بالإضافة إلى أن زيادة اعتماد أقطار الخليج على النفط كورد أساسي من مورد الدخل قد حدد هيكلاً وبنية اقتصاديات دول الخليج بشكله الحالي . (اقتصاد أحادي السلعة فالنفط لازال يغذي الدخل القومي لأقطار الخليج بنسب كبيرة تتراوح بين الثلث والثلثين مسن لإجماليه وتساهم الصادرات النفطية بالمتوسط بنحو أكثر من ٩٠٪ من إجمالي قيمة الصادرات لأقطار الخليج كما أن حجم التجارة الخارجية ونسبتها إلى إجمالي الدخل القومي تظهر هي الأخرى سيطرة القطاع النفطي ٤٠٪ للعراق و ٥٤٪ للسعودية و ٦٤٪

(١) نفط العرب : العدد الأول ، السنة المباشرة ، ت ١ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٠

و نفط العرب : العدد ١١/السنة الخامسة/ آب ١٩٧٤ ، ص ٥-٧

للكويت . كما أن الموازين التجارية لأقطار الخليج تظهر اختلالاً واضحاً لصالح القطاع النفطي) .. وتبعية اقتصادية متمثلة في ارتباط اقتصاديات أقطار الخليج باستثناء العراق باقتصاديات دول الشركات النفطية الأجنبية المستغلة .

وازدواجية اقتصادية متمثلة في الجمع بين ييتين متناقضتين الأولى بيئة حضرية متطورة هي بيئة الشركات في مدن البترول ومنشآته ، وبيئة رعوية وبدوية متخلفة هي عموم البيئة العربية للمنطقة وعليه يجب على دول الخليج أن تعيد النظر في خططها التنموية الحالية وأن تأخذ في حساباتها استراتيجية هادفة . تعتمد النفط وعوائده أساساً لكل تخطيط اقتصادي ناجح يعتمد قطاعات الإنتاج الأساسية حتى تحرير اقتصادياتها من سيطرة قطاعها النفطي . لاسبما وأنها باستثناء العراق تخضع لنفوذ الشركات الأجنبية المستغلة .

وهنا تبرز ضرورة تأميم شركات النفط العاملة في المنطقة والأخذ بتجربة العراق الناجحة والاستفادة من إمكانياته البشرية في هذا المجال ، خاصة وأن سوق النفط الآن هو سوق المنتج ، ما يمكن معه استبعاد أية مشكلات تسويقية محتملة . حتى يمكن برعة إنتاجها وتسمية مرافقها النفطية بما يتلائم وخطط التنمية المنتظرة . (١٧)

٣. كشفت الدراسة إلى أن الأبعاد الاستراتيجية لخطط التنمية في العراق يمكن أن تكون نموذجاً جديراً بالتطبيق والتعميم لما تضمنته من أهداف وطنية وقومية وأنسانية سامية .

ويمكن تحقيق ذلك فيما لو تم إنشاء ومؤسسة خليجية عربية مشتركة للتنمية والتخطيط تقع على عاتقها مسؤولية برجة إنتاجها النفطي وتخطيط أوجه استثماراته مستفيدة بذلك من مدخرات عوائدها النفطية المتزايدة

(١) هنا يمكن الإشارة إلى التقرير الذي أعده معهد ستانفورد للأبحاث في الولايات المتحدة لحساب السعودية الذي جاء فيه : أن كل خطط التنمية بالسعودية يمكن تمويلها بموارد إنتاج ثلاثة بلايين نفط يومياً بموجب الأسعار الحالية. هذا في الوقت الذي تنطلق فيه المملكة إلى زيادة انتاجها إلى نحو ١١ مليون برميل يومياً .
مجلة نفط العرب : العدد (٩) / السنة الثامنة / حزيران ١٩٧٤ - مقابل ص ٤٦ .

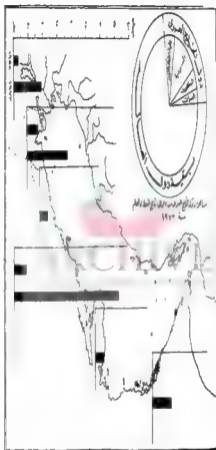
التي تقدر بنحو ٣٥ بليون دولار ، متخذة من الخريطة العربية بأسرها مسرحاً جغرافياً لتنفيذ برامجها .

صحيح أن هناك خطوات إيجابية في هذا المجال متمثلة في الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية (١٩٦١) (١) . . والمؤسسات التي أنشأت بموجب اتفاقية التنسيق والتعاون الاقتصادي العربي ، كالمؤسسة العربية لضمان الاستثمار (٢) . والمؤسسة العربية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية واتفاقية استثمار رؤوس الأموال العربية (٣) .. والصندوق العراقي للتنمية الخارجية (٤). إلا أنها لازالت دون الحد الأدنى لطموح شعبا العربي في حجم امكانياتها وفعاليتها وقراراتها ودبلوماسيتها إنجازاتها .

إن المؤسسة الخليجية العربية المشتركة للتنمية والتخطيط يمكن أن تقوم مقام الإسمنت في بناء **الوحدة العربية** المنتظرة من الخليج إلى المحيط . طالما لا يوجد من ينكر الأهمية الاستراتيجية العظمى والمتزايدة للتكتلات الاقتصادية والسياسية في عالمنا الحاضر .

- (١) التفاصيل أنظر : عبد الطيب يوسف المجدد الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ومنجزاته . نقط العرب ، عدد خاص من الكويت ، ملحق العدد الرابع ، السنة السادسة لك / ١٩٧١ ص ٥٨ - ٩٠ . وكذلك د. نعيم الشمار : فوائد عائدات النفط ، ومؤسسات التمويل العربية مجلة بترول المؤسسة المصرية العامة للبترول (المجلد الحادي عشر / العدد الثاني / تموز - آيب ١٩٧٤ ، ص ٢٦ - ٣١ .
- (٢) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الامانة العامة) اتفاقية تسوية منازعات الاستثمار بين الدول المضيفة للاستثمارات العربية وبين مواطني الدول العربية : مطبوع بالرونيو ص ١٣ - ١ .
- (٣) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الامانة العامة) : اتفاقية استثمار رؤوس الاموال العربية وانتقالها بين البلدان العربية ، مطبوع بالرونيو ، ص ١ - ٣ .
- (٤) أنشيء بموجب القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٧٤ ، التفاصيل أنظر : مجلة الاقتصاد (وزارة الاقتصاد) العدد ٤٨ ، السنة الرابعة ، ت ١ ، ١٩٧٤ ، ص ٥٣ - ٥٥ .





شکل ۱۱: توزیع منابع نفتی در ایران، ۱۹۷۳ و ۱۹۸۴



مصادر البحث

- البنك المركزي العراقي : التقرير السنوي لسنة ١٩٧١ (دائرة الاحصاء والأبحاث) بغداد ١٩٧٢ .
- ايكون كيمنش : النفط كصنعة مؤقت من مصادر تمويل عملية التنمية : الندوة العلمية العالمية (النفط كسلاح) أبحاث الندوة . المجلس الوطني للسلم والتضامن ، بغداد ، تشرين الثاني ١٩٧٢ .
- دولة الكويت ، (وزارة التجارة والصناعة) إدارة البحوث الاقتصادية والاحصاء والتنمية في دولة الكويت ، نيسان ١٩٧٣ .
- جان ارنست : التخطيط الاقتصادي ، مجلة الاقتصادي العراقي ، العدد الثاني السنة السادسة ، بغداد ، تموز ١٩٦٥ .
- د. جمال حمدان : نبرس العرب . دار المعرفة ط ١ ، القاهرة ١٩٦٤
- د. جواد محمود هاشم . **تخطيط الاقتصاد القومي في العراق** .
- الحكومة العراقية : قانون الأعمال العمرانية الرئيسية لسنة ١٩٣١ ، رقم ٨٩٧٩ لسنة ١٩٣١ . مجموعة القوانين والأنظمة لسنة ١٩٣١ .
- الحكومة العراقية : قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٠ والقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٥١ والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٥١ والقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٢ .
- الحكومة العراقية : (مجلس الاعمار) : المنهاج العام لمشاريع مجلس الاعمار للسنوات ٥١-١٩٥٦ و ٥٥-١٩٥٩ والتعديل ٥٦-١٩٦١ .
- عبد اللطيف يوسف الحمد : الصنوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ومنجزاته فقط العرب ، عدد خاص — ملحق العدد الرابع ، السنة السادسة ، كانون الثاني ١٩٧١ .
- لورد سولتر : إعمار العراق (خطة العمل) بغداد ١٩٥٦ .
- مديرية الحسابات العامة : التقرير السنوي عن حسابات الدولة العراقية ١٩٣٦ مجلة الاقتصاد : (وزارة الاقتصاد) العدد ٤٨ ، السنة الرابعة ، تشرين الأول ١٩٧٤ .

مجلة عالم الاقتصاد : العدد الثالث ، السنة الأولى ، بغداد ، مايس ١٩٦٨ .
مجلة فقط العرب (مكتب عبد الله الطريقي للاستشارات البترولية)

العدد السادس	آذار	١٩٧١
و العدد الثاني عشر	أيلول	١٩٧٢
و العدد التاسع	حزيران	١٩٧٤
و العدد العاشر	تموز	١٩٧٤
و العدد الحادي عشر	آب	١٩٧٤
و العدد الاول	تشرين الاول	١٩٧٤
و العدد الثاني	تشرين الثاني	١٩٧٤

مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الأمانة العامة) : اتفاقية تسوية منازعات
الاستثمار بين الدول المضيفة للاستثمارات العربية وبين مواطني الدول
العربية (مطبوع بالرونيو) .

مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (الأمانة العامة) : اتفاقية استثمار رؤوس
الأموال العربية وأقتصادها بين البلدان العربية (بالرونيو) .
المملكة العربية السعودية ، (مركز الأبحاث والتنمية الصناعية) التركيب الصناعي
من الناحيتين الفنية والاقتصادية وأحتمالات النمو في المملكة العربية
السعودية ج ١ و ٢ ، الرياض شباط ١٩٧٣ .

المؤسسة المصرية العامة للبترول : مجلة البترول ، المجلد الحادي عشر ، العدد
الثاني ، تموز ١٩٧٤ .

د.نعيم الشعار : فوائض عائدات النفط ومؤسسات ائتمويل العربية ، مجلة البترول
المصرية ، المجلد الحادي عشر ، تموز - آب ١٩٧٤ .

وزارة الاعلام ، مديرية الاعلام العامة : المعالم الأساسية لخطة التنمية القومية
للسنوات ٧٠ - ١٩٧٤ في العراق ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
بغداد ١٩٧٠ .

وزارة التخطيط : (الدائرة الاقتصادية) التقرير السنوي عن متابعة تنفيذ
الخطة الاقتصادية الخمسية للسنة المالية ٦٨ - ٦٩ آذار ١٩٧١

الوقائع العراقية : قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٦ ، العدد ١٥٠٠ ، ٣١ آذار ١٩٣٦
الوقائع العراقية : العدد ١٨١ ، السنة الثانية ، رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٩ ، قانون
الخطة الاقتصادية المؤقتة .
الوقائع العراقية : العدد ٥٩٢ ، السنة الرابعة ، رقم ٧٠ لسنة ١٩٦١ ، قانون
الخطة الاقتصادية التفصيلية .
الوقائع العراقية : رقم ٨٧ لسنة ١٩٦٥ للسنوات ٦٥ - ١٩٦٩ ، العدد
١١٣٥ ، السنة السابعة ، تموز ١٩٦٥ .
الوقائع العراقية : العدد ٤٩٤ ، قانون تعديل الخطة الاقتصادية المؤقتة ، السنة
الثالثة ، ٧ آذار ١٩٦١ .
الوقائع العراقية : اتفاقية شرق البحر المتوسط ، العدد ٢٠٠٨ ، ٨ حزيران
١٩٧١ .
الوقائع العراقية : رقم ٧٠ : قانون خطة التنمية القومية للسنوات ٧٠ - ٧٤
العدد ١٨٦٢ ، السنة الثانية عشر ، ١ نيسان ١٩٧٠ .
(المذكرة التفسيرية) .

Adelman, M. A. " Oil Production Costs in Four Areas," Reprinted
from the Proceedings of the Council of Economics ;
February 28 March 1966 .

International Bank of Reconstruction and Development : " The Economic
Development of Iraq , " Baltimore 1952 .

Little, A. D. : " A plan for Industrial Development in Iraq ;
Cambridge , Massachusetts , May 1956 .

Middle East Economic Survey , September 8, 1972 .

Middle East Economic Digest No. 10. May 1972 .

- Murray, J : "The Economic Impact of Oil on the Arab Middle East , " Bournemouth .
- United Nations : " Statistical Yearbook 1973 , " New York 1974 .
- Wrigley, E. A. : " Industrial Growth and Population Change , " Cambridge 1962 .

الدكتور محمد ازهر السماك

مدرس - كلية الآداب
جامعة الموصل

بحث أقيم في الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز دراسات الخليج العربي
التي عقدت خلال الفترة ٢٩ / ٣١ آذار ١٩٧٥ . في البصرة .

المسكوكات الفضية العباسية في البحوث الأثرية والحضارية لجامعة الراس

عبد الواحد الرمضاني

مقدمة

تضم مجموعة البحوث الأثرية والحضارية لجامعة الراس
الموصل مجموعة كبيرة من النقود الفضية والنحاسية
(غير المدروسة) تختلف المهود الإسلامية ، ويحوي
هذا البحث دراسة تحليلية دقيقة للمسكوكات الفضية
العباسية التي تحتويها هذه المجموعة ممهداً لها بدراسة
للسكة المعدنية وتطورها منذ مختلف العصور وحتى
الفترة الزمنية للنقود موضوعة البحث .

ولقد كان التطور الزمني لمسار السكة الفضية العباسية (موضوعة البحث)
هو الأساس الذي ارتكزت عليه في طريقة بحثي لها ، فقد تضمن دراسة
نصوص كتاباتها وأماكن ضربها وأسماء خلفائها وألقابهم وسني حكمهم
وكذلك زخرفتها ونقوشها ، كما تضمن وزن وقياس أقطار جميع هذه القطع
النقدية ، فضلاً عن تخطيطات دقيقة لكل الزخارف والنقوش التي وردت
على هذه النقود ، وأوضحت هذا كله في جدول زمني يحوي أرقامها في
مركز البحوث وأقطارها وأوزانها وسني ضربها ومكانه وكذلك أسماء الخلفاء
العباسيين الذين قاموا بسكها .

وأبعثته أخيراً بنماذج واضحة المعالم من صور السكة المدروسة في هذا البحث
السكة : تعدد تعريف المؤرخين للسكة ، فدارت جميع هذه التعريفات حول
النقود المختلفة التي تداولتها الشعوب الإسلامية من فلوس نحاسية أو دراهم
فضية أو دنانير ذهب .

وفي معنى من هذه المعاني قصد بالسكة : تلك النقوش التي تزين النقود
وفي معنى آخر : قوالب السكة التي تحتم محل العملة المتداولة ، أو وظيفة السك
نفسها التي كان يجب أن تقوم تحت إشراف الدولة .

أما المعنى الأكثر شيوعاً فهو إطلاق (السكة) على النقود العربية التي
تضرب في مختلف دور السك والتي أصبحت فيما بعد وسيلة التعامل الرئيسة
بين مختلف الشعوب الإسلامية (١) .

إن السكة لا تقتصر على المعدن فقط في أسم العالم القديم بل أن السلع النقدية
كانت تفرضها ظروف معينة في بلد معين وبهذا اختلفت السلع بين الشعوب
فكانت في بلاد مادة استهلاكية كاللار والشاي وفي بلاد أخرى عبيداً أو
خيولاً أو جلود ، كما استعمل الحار كذلك في الصين كوسيلة رسمية للتبادل
حتى القرن الرابع ق . م واستعمل الثور في اليونان كذلك كوسيلة للتبادل ،
ويذكر هومبروس أن بعض الأسلحة كانت تساوي تسعة ثيران وبعضها
مائة والجارية قلوت بأربعة ثيران .

والحق أنه ليس هناك أي حرج في هذا مادامت النقود وسيلة للمبادلة

(١) ابن خلدون / المقدمة ، أعادت طبعه مكتبة المثلث في بغداد من ١٨٢ - ١٨٣ .

أنظر : د. عبد الرحمن مهدي / فبر السكة العربية (مطبعة دار الكتب بمصر) سنة ١٩٦٥

ص ٢٧ . النقود العربية ما فيها وحاصرها من سلسلة المكتبة الثقافية رقم (١٠٣) ١٥

فبراير سنة ١٩٦٤ ص ٨ .

وأنظر د. باقر الحسيني / السلة الإسلامية في العهد الأتابكي (مطبعة دار الحماض) بغداد

سنة ١٩٦٦ ص ١٤ ، تطور النقود العربية الإسلامية (مطبعة دار الحماض) بغداد سنة

١٩٦٩ ص ١٢ .

يرتضيها الناس في معاملاتهم تحقيقاً للمنافع (١) .

ولم يكن للعرب في جاهليتهم سكة يختصون بها ويتداولونها دون غيرهم من الشعوب المجاورة ، بل كانت نقود الدولتين الساسانية والبيزنطية قد استعملت كوسيلة للتبادل في معاملاتهم التجارية (٢) فلقد كان لقريش رحلة تجارية في الشتاء إلى بلاد اليمن ورحلة أخرى في الصيف إلى الشام (٣) كما كانت لهم رحلات أخرى إلى بلاد العراق . وكان رجال هذه القوافل يستصحبون معهم الدنانير الذهبية البيزنطية والدراهم الفضية الساسانية وكذلك الفلوس الحميرية بكمية قليلة (٤) .

وحين بعث الرسول العظيم في هذه الامة أقر تداول السكة واستمرار التعامل بها ، بل تعامل نفسه بها وكذلك أهل بيته (٥) وأصحابه كما استلم منها هدايا وأمر أن نسلم بها الركاة التي هي ركن من أركان الدين الجديد ، فجعل في كل خمس أواني من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وفرض في كل عشرين ديناراً نصف دينار (٦) .
وقد كانت قريش تزن الذهب بوزن اسمه ديناراً وتزن الفضة بوزن معين أيضاً أسميته درهماً وكانت كل عشرة أوزان الدرهم سبعة أوزان الدنانير

(١) د . عبد الرحمن مهدي / النقود العربية / ص ١٢ .

(٢) البلاذري - / فوج البلدان (نشر الاب انتاس الكرمل في كناية النقود العربية وعلم

النيايات الجزء الخامس بالنقود من كتاب البلاذري (لندن ١٨٦٦) .

وانظر إلى كتاب الكرمل القاهرة ١٩٣٩ م ص ١٠ (ويشير إلى ورود دنانير ذهبية بيزنطية

إلى أهل مكة) عبد الرحمن مهدي / فجر السكة العربية / ص ٢٨ - ٢٩

(٣) القرآن الكريم سورة قريش آية ٢٤

(٤) يوسف شنيعة / النقود اليابسة - مجلوسومر م ١٣٩٩ - ١٩٥٣ ص ٩٨

(٥) ابن سلام / كتاب الاموال صححه محمد حامد الفقي القاهرة ١٣٥٣ هـ ص ٥٢٥ (روى

علي بن ابي طالب انه قال زوجي رسول الله صل الله عليه وسلم غاطمة عليها السلام حل

اربعمائة وثمانين درهماً ووزن ستة (دوانيق) .

(٦) المقرئ - نشر الاب انتاس الكرمل في كتابه (النقود العربية وعلم النيات) الجزء

الخامس بالنقود من كتاب المقرئ (النقود القديمة الاسلامية) القاهرة ١٩٣٩ م ص ٣٠ .

أي أن وزن الدرهم $\frac{7}{16}$ من وزن الدينار كما أن الشعيرة $\frac{1}{16}$ من وزن الدرهم (١).
وكان الدينار البيزنطي الذهبي الذي تداوله المسلمون في فجر الاسلام قد
تعمل به في بلاده الأصلية (الدولة البيزنطية) وبلاد العرب على أساس
وزنه الذي هو ٤.٢٥ غم أي مثقالاً ، وبهذا أصبح المثقال من الذهب يساوي
ديناراً (٢)

والدرهم الفارسي الفضي شكل قرصي مستدير صور على وجهه الأول
الجزء العلوي من صورة كسرى فارس يعتمر تاجاً وهو بشكل جانبي
Profil ، أما الوجه الثاني من الدرهم تصور عليه معبد نارساني ، يقوم
حارسان مدججان بالسلاح على حراسته ، كما حوت هذه السكة كتابات
بهلوية تذكر اسم الملك الذي صربها مع دعاء لاسرته ويلاحظ كذلك ثمة
زخرفة تشتمل على نجمة يحتضنها هلال وهي في الهامش الخارجي للدرهم
وهذه الزخرفة ترمز إلى الرفاه عند الشرقيين عددها بين ٣ - ٤ (٣)
اما الدينار البيزنطي فكان قرصاً ذهبياً مستديراً أقل قطراً من الدرهم
الساماني صور على أحد وجهيه الامبراطور البيزنطي الذي أمر بسكه . وفي
فجر الاسلام كانت الصورة لهرقل وحده أو مع ولديه هرقليناس وقسطنطين
وقد قبض كل منهم على صليب طويل وتوج كل منهما بصليب آخر .
أما الوجه الثاني من السكة فكان عليه صليب قائم على أربعة مدارج يحيطها
عبارات من الدعاء تشير إلى مكان ضرب الدينار مكتوبة بالأحرف اللاتينية

(١) الكرملي ص ١١

(٢) يوسف غنيم / النقود العباسية / ص ١٠٠ .

والدينار كلمة رومية من Denarins قيمتها عشر اساتو الأس في الأصل من النقود
النحاسية .

والدرهم تعريب (دوم) ، الفارسية ومنها (دراخمي) اليونانية التي أصبحت (درهما)
بالسريانية وهو وحدة من النقود الفضية .

يوسف غنيم / النقود العباسية / ص ١١٥

(٣) عبد الرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها / ص ١٤

واليونانية (١) .

واستعمل العرب كذلك الفلّس البرونزي الذي كان أيضاً قرصاً مستديراً على أحد وجهيه صورة للإمبراطور واقفاً متوجاً يعلوه صليب ويده اليمنى عصا المطرانية وباليسرى كرة ، ويعلو كل منهما صليب أيضاً وهو الشارة المسيحية المقدسة ، أما الوجه الثاني فعليه رمز نقدي حرف (M) أي رقم (٤٠) في اليونانية ويعني أن القطعة تساوي (٤٠) نيميا (٢) .

وحين جاء الخليفة أبو بكر ومن بعده الخلفاء الراشدون بقيت السكة الذهبية والفضية والنحاسية ذات الصور الآدمية والكتابات البهلوية واليونانية جارية ومتداولة بين الصحابة والمسلمين ، فأقروا السكة بما فيها وما عليها (٣) ،

كما أمر عمر بأخذ الجزية من شعوب البلاد المفتوحة بالسكة المتداولة فأُخذت بالدرهم على أهل الفضة وبالدينار على أهل الذهب (٤) كما زاد سنة ١٨هـ بأن أمر بضرب (الدرهم على نقش الكسروية وشكلها وكذا فعل عثمان ومعاوية) (٥) بعده وأضاف على الدرهم عبارة (الحمد لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) وفي بعضها الآخر (لا إله إلا الله وحده) ، أما عثمان فقد نقش على الدرهم عبارة التكبير (الله أكبر) (٦) .

(١) ناصر النشيتي / الدينار الإسلامي في المتحف العراقي (بغداد ١٩٥٣ ص ١١)

ياقر الحسيني / السلة الإسلامية في العهد الأتابكي / ص ١٥ .

عبدالرحمن فهمي / الشارات المسيحية والرموز التبعية على السكة الإسلامية (مقالة في كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية المتقدمة في مدينة فاس سنة ١٩٥٩) ص ٣٣٨
لوحه ٤١ ، ٢ .

(٢) عبدالرحمن فهمي / النقود العربية ما قبلها وحاضرها ص ٢٧ .

(٣) عبدالرحمن فهمي / غير السكة العربية / ص ٣٠ - ٣١ .

(٤) ابن عبد الحكم / فوح مصر وأخبارها طبعه هنري صاميه القاهرة / ١٩١٤ ص ١٥٢ .

(٥) المقرئزي - المصدر السابق - ص ٣١ - ٣٢ .

Walker, Arab Sassanian Coins London 1941 PP,3,5

(٦) عبدالرحمن فهمي / النقود العربية ما قبلها وحاضرها / ص ٢٥ .

ولقد بدأ الطراز النقدي الجديد يوطد نفسه كلما وطمد المنتصرون أنفسهم في البلاد الجديدة كما ظهرت كلمات مضافة بحروف عربية مثل كلمة (جائز) و (طيب) (١) .

وفي زمن معاوية بن أبي سفيان ٤١ - ٨٦٠ (٦٦١ - ٦٨٠ م) ضربت دنانير ذهبية نقش عليها صورته متقلداً سيفاً ، وبشير المقريري إلى أن بعضاً منها وقع بين يدي شيخ من الجند فقال للخليفة (يامعاوية إنا وجدنا ضربك شرّ ضرب) (٢)

ومع هذا فإن هذه الدنانير لم يعثر عليها حتى الآن (٣) وقد يكون السبب صهرها زمن عبد الملك بن مروان عند اصلاحه السكة أو عدم وجودها أساساً لأن ظهورها في هذه الفترة قد يكون سبباً لصراع بين الأمويين والبيزنطيين كما سيحدث زمن عبد الملك بن مروان ، ولقد قام معاوية أيضاً بضرب فلوس برونزية حملت دار ضربها (ابلبا) بفلسطين وصور عليها صورته مفروق الشعر يحمل السيف بيضاء ، كما قام بضرب الدراهم الفضية وزن كل عشرة دراهم منها صبعة مثاقيل (٤) .

إلا أن أهم الإصلاحات التي طرأت على النقود الإسلامية كانت زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٨٦ (٦٨٥ - ٧٠٥ م) فلقد تولى الخليفة الأموي الحكم في فترة مضطربة جداً من حياة الدولة الإسلامية كان فيها عبدالله بن الزبير وأخوه مصعب قد ثارا في الحجاز والعراق على التوالي ، فقام الخليفة الجديد بضرب الحركات المناهضة لسلطانه فقتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢ هـ وأخاه عبدالله سنة ٧٣ هـ وبذلك أحكم سيطرته على الدولة الإسلامية .

(١) عبدالرحمن نهدي / غير السكة / ص ٣٦ .

(٢) مقريري المصدر السابق ص ٣٣ .

(٣) يلاحظ عدم وجود أي دينار من دنانير معاوية في أي كتوكشور النقود فضلا عن انطباعات الشخصية المنتشرة .

(٤) عبدالرحمن نهدي / غير السكة / ص ٣٧ .

وقد ألغت عبدالمملك بن مروان نحو توحيد الأمة الإسلامية وصيغها بصيغة عربية في كافة المجالات الادارية والمالية ، وبدأ بضرب أول نقود عربية صرفة سنة ٧٧هـ كضرورة من ضرورات الاستقرار الاقتصادي والاداري والسياسي في الإصلاح الجديد(١).

إن الإصلاحات النقدية التي قام بها الخليفة عبدالمملك بن مروان جاءت على مراحل متعددة وبصورة تدريجية (٢) ، إلا أنها انتهت أخيراً في سنة ٧٧هـ بتعريب كامل للدينار الاسلامي حيث احتلت الكتابات العربية وجهي الدينار العربي واختفت الدنانير المصورة ، وأصبحت الدنانير الجديدة على الشكل التالي :

المركز : لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش :

محمد رسول الله أرساه بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله

الظهر :

المركز : الله أحد الله

الصمد لم يلد

ولم يولد

الهامش :

بسم الله ضرب هذا الدين سنة (سبع وسبعين)
ولقد حصل تغيير بسيط في كتابة الدنانير في أقاليم شمال أفريقيا والأندلس

(١) عبدالرحمن نهدي / النقود العربية ماضيها وحاضرها / ص ٣٤ .

(٢) عبدالرحمن نهدي / فجر السكة العربية / ص ٤٣ .

على الشكل التالي :
الوجه

المركز : لا إله إلا
لا إله
وحده

الهامش :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق

الظهر :

المركز : بسم الله
الرحمن
الرحيم
الهامش :

(بدون تسمية) ضرب هذا الدين ستة (سبع وسبعين)
كما ظهرت أجزاء للدنانير مثل النصف والثالث .

أما الدراهم الإسلامية فقد عرت ستة ٥٧٩ وما بعدها وكانت تحمل النصوص
الكتابية للدنانير الشرقية مع تكملة النص القرآني من سورة الانخلاص إلى (أحد)
على مركز وجه الدرهم وأكملت عبارة الهامش إلى (ولو كره المشركون)
وذلك لاتساع قطر الدرهم الفضي عن قطر الدينار الذهبي .

وأما الفلوس البرونزي الذي كان عملة مساعدة لرواج العمليات التجارية
فقد تم تعريبه وحمل شهادة التوحيد والرسالة المحمدية وأقدم هذه الفلوس
يرجع إلى سنة ٥٩٠ هـ (١) .

وبانتهاء عبدالملك بن مروان من هذه الصيغة الجديدة لسك العملة العربية

(١) عبدالرحمن فهمي / فجر السكة العربية / ص-١٩-٥٠-٥١ .

بدأ عهد من الاستقرار المالي للدولة وأصبحت السكة إسلامية عربية صرفة مستقلة بذاتها مع احتمال حصول بعض التغير في وزن السكة وخاصة للدنانير التي كان يحقق وزنها بصنح الزجاج (١) المخصصة لهذا الغرض .
وقد بقيت السكة الإسلامية تضرب بالطريقة هذه مع الاختلاف الحاصل عادة في سني الضرب طيلة عهد الأمويين .

وبعد مجيء العباسيين إلى الحكم سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م) أبقى على الصنح المكتوبة على السكة الإسلامية الذهبية فيما عدا مركز الوجه الذي تغير من سورة الإخلاص (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد) إلى (محمد رسول الله) (٢) زمن الخليفة العباسي السفاح وكذا المنصور ١٣٦ - ١٥٨هـ (٧٥٤ - ٧٧٥م) وأبنت المهدي ١٥٨ - ١٦٩هـ (٧٧٥ - ٧٨٥م) والخليفة المهدي من بعده ١٦٩ - ١٧٠هـ (٧٨٥ - ٧٨٦م) . إلا أنه بمجيء الخليفة هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ (٧٨٦ - ٨٠٨م) حصل تغير رئيس في سك النقود وذلك بأن أمر بكتابة اسمه واسم أبنته على المدير ، كما أمر بأن يتولى ورثته وولائه وعمال ماله الإشراف على السكة فونه وذلك بعد أن كان الخلفاء من قبل يتولون الإشراف مباشرة على عيار الدنانير والدراهم (٤)

وقد حصل تطور هام في زمن الخليفة المأمون ١٩٨ - ٢١٨هـ (٨١٣ - ٨٣٣م) وذلك في السنة التاسعة لحكمه سنة ٢٠٧هـ حيث أضاف الخليفة إلى السكة بعض الآيات القرآنية على وجه الدينار في هامش ثان نصه (لله الأمر من قبل

(١) الصنح الزجاجية : هي قطع زجاجية تستعمل للتحقق من الوزن صنمت زمن الخليفة عبد الملك بن مروان .

انظر عبدالرحمن فقي / صنح السكة في فجر الإسلام / مطبعة دار الكتب المصرية / سنة ١٩٥٧ ص ٢ .

(٢) ياقوت الحموي / المعلة الأتابكية / ص ٢٠ - ٢١

(٣) ستانلي لين بول / طبقات سلاطين الإسلام / ترجمة عباس إتيال ومكي طاهر الكبي / دار منشورات البصري سنة ١٩٦٨ ص ٢٢ .

(٤) ياقوت الحموي / المعلة الأتابكية / ص ٢١

ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) كما أضيفت البسلة كاملة على عبارة الضرب وأصبح نصها (بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار سنة أما ظهر الدينار فقد أضيفت إليه عبارات أخرى فأصبح نصها : (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) :

ويلاحظ أن الدراهم العباسية كانت قد سبقت الدنانير الذهبية في تسجيل أسماء الخلفاء عليها وذلك ضمن أكتابات الواردة في نصوصها وذلك منذ زمن الخليفة المهدي ١٥٨ - ١٦٩ هـ كما يلاحظ في المسكوكات العباسية الفضية التي هي مادة هذا البحث وهي مضروبة بالعراق .

ويلاحظ كذلك أن النقود العباسية الفضية (الدراهم) المضروبة بمصر نادرة جداً سواء كانت زمن المهدي أو غيره من الخلفاء العباسيين حيث لا يوجد أيها منها حتى الآن بين أيدي الباحثين عدا أعداد قليلة من الدراهم منذ سنة ١٨١ هـ زمن الخليفة هارون الرشيد . أحدها في مجموعة المكتبة الأهلية بباريس (٢) .

الخليفة المنصور (٣) ١٣٦ - ١٥٨ (٧٥٤ - ٧٧٥م)

وفي زمن المنصور نقص أوزن الدراهم الفضية ثلاث حبات فصار الدرهم

(١) عبدالرحمن فهدى / غير السكة / ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) يوجد درهم بالمتحف البريطاني غرب مصر سنة ١٨٢ هـ .

Lane- pade : Catalogue of oriental coins in the British Museum
(London 1875) VOL. T . P . 83 no-227

انظر عبدالرحمن فهدى / غير السكة / ص ١٠١ .

(٣) يعتبر الخليفة المنصور من أهم خلفاء العباسيين الذين حكموا في الدولة العباسية ، وكانت فترة حكمه التي استمرت نحواً من اثنين وعشرين سنة فترة ازدهار الدولة العباسية وقد بنى عاصمة هذه الدولة في بغداد سنة ١٤٥ هـ وأغنى حل نظام إدارته المركزية كما ركز جميع السلطات بيده بعد أن قضى على شعوب الدولة كمنه عبدالله بن علي وأبي مسلم الحراني .

وقد توفي المنصور تاركاً الملك لابنه وولي عهده المهدي .

انظر الطبري / تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٦٦

ص ٧٦١ - ٦١٤ .

ثلاثة ارباع القيروط (١)

الخليفة المهدي (٢) ١٥٨ - ١٦٩ هـ (٧٧٥ - ٧٨٥ م)

وقد كان المهدي أول من 'ذكر اسمه من الخلفاء على القود (٣) كما
'ذكر أسم ولديه هارون الرشيد وموسى الهادي فضلاً عن ولاته في الأقاليم
المختلفة (٤) .

الخليفة المعتض بالله (٥) ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ (٨٩٢ - ٩٠٢ م)

وفي هذا البحث مسكوكة فضية للخليفة المعتض ضربت سنة ٢٨٥ هـ في
مدينة السلام (٦) .

(١) يوسف خنيفة / القود العباسية ص ١٠٨

وكان المقتال = ٢٢ - ٢٠ قيراط

كل عشرة دراهم = ٧ مثاقيل

الدرهم = ١٤ قيراط

الوقية = ٤٠ درهم

الرحل = ١٢ وقية

انظر الكرملي / ص ١٠٥ - ١٠٦

(٢) جاء المهدي بعد أبي المنصور وقد حكم إحدى عشرة سنة ثم تنسبها سروب أو فن اشلية وقد

اعتم بالفنون والعمارة واسطبح تاريخ عاصمت بغداد بمظاهر العز والأيمة .

د. علي ابراهيم حسن / التاريخ الاسلامي العام / مكتبة النهضة المصرية / سنة ١٩٧٢

ص ٣٩٧ - ٣٩٨

(٣) يوسف خنيفة / نفس المصدر السابق / ص ١٠٨

(٤) وداد القزاز / الدرهم العباسي / سور مجلد ٢٠ ج ١ ص ٢٤ ، سنة ١٩٦٤ ص ٢٥٩ .

(٥) جاء بعد الخليفة المنصور وهما من خلفاء العصر العباسي الثاني الذي امتد أكثر من أربعة قرون

كان فيها الخلفاء تحت سيطرة الأتراك واليوهين ثم السلاجقة وقد تميز عصر المعتض بخروج صر

ابن الليث واستيلائه على الكثير من بلاد فارس كما قصد بغداد نفسها إلا أنه هزم ورد على اعتقابه .

انظر : د. علي ابراهيم حسن / التاريخ الاسلامي العام / ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

وانظر : حسن ابراهيم حسن / تاريخ الاسلام السياسي ٣ أجزاء القاهرة سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٨

ج ٣ ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٦) انظر مسكوكة المعتض بالله بالبحث رقم ٣٨ ص وانظر شكل رقم ١١ .

الخليفة المقتدر بالله (١) ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ (٩٠٨ - ٩٣٢ م)

وفي هذا البحث مسكوكة فضية له ضربت بمدينة الموصل (٢)

لقب الخليفة

وهو لقب لرئيس الدولة لُقّب به أول مرة أبو بكر الصديق كخليفة
لرسول الله ثم استمر الخلفاء يلقبون أنفسهم به حتى محيي الخليفة العباسي
المأمون حيث لقب نفسه بخليفة الله (٣) .
مدن الضرب :

أما مدن الضرب التي ضربت فيها هذه المجموعة من النقود فهي : مدينة الموصل (٤)
ومدينة السلام (٥) ومدينة الكوفة (٦) .

(١) جاء بعد الخليفة المكتوم وكان من أنصف خلفاء الدولة العباسية فقد استولت النساء عليه وخاصة
أمه حيث أصبحت تتعالم أمور الدولة وتديرها وغلبت المال من الأموال واعتصفت أمور

المسلمين في عهده ثم تطلع وأعيد ثم قُتل سنة ٣٢٠ هـ

ابن طباطبا / الفخري في الآداب السلطانية والوقول الإسلامية / دار صادر - بيروت سنة ١٩٦٦ . ص ٢٦٤

(٢) انظر مسكوكة المقتدر بالله بالبحث رقم ٣٩ ص وانظر شكل رقم ١٢

(٣) حسن إبراهيم حسن / علي إبراهيم حسن / العلم الإسلامي / مجلة القاهرة سنة ١٩٣٩ ص ٢٢

(٤) سميت الموصل لأنها وصلت بين الحرير والبرسات أو لأنها رصب بين سجد وحديث

وتيل بل المثلث الذي أحدها كان يسمى الموصل ، وهي مدينة تدعى تقع على طرف دجلة
ومقابلها من الجانب الشرقي بيوت .. وقال أهل السير إن أول من استحدث الموصل وأول من

بني راسف الأزدي ، وقال حمزة لأصفهاني : كان اسم الموصل في أيام الفرس مورا ودشير

انظر : ياقوت الحموي / معجم البلدان / دار صادر للطباعة والنشر طبعة بيروت سنة ١٩٥٧

مجلد ٥ ص ٢٢٣ .

(٥) بدأ ببناء مدينة السلام الخليفة المنصور سنة ١٤٥ هـ في موضع صالح للملكة وسميت العاصمة

الجديدة (بغداد) و (المدينة المدورة) وقد اشرف بنفسه على مائة البناء المخصصة لبياتها

وقد صرف عليها نحو ثمانية ملايين من الدنانير حيث حاكت في عظمتها وجلالها القسطنطينية

عاصمة الدولة الرومانية الشرقية وقد قسمت قسمين الكرخ وهو الجانب الغربي والرافدة

وهو الشرقي وقد بنى الخليفة فيها بدي قصراً له فيها سماء الرصافة .

انظر : الطبري / نفس المصدر / ج ٧ ص ٦١٤ .

علي إبراهيم حسن / التاريخ الإسلامي العام / ص ٣٥٨ .

أبو القدا / تقويم البلدان / طبعة باريس سنة ١٨٣٠ م ص ٣٠٣ .

(٦) سميت كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل أي تجمع . مصرت زمن الخليفة عمر -

أو حلقة كبيرة تليها حلقتان تتوالى ثلاث مرات كما في الشكل التالي (١)

أو حلقتان صغيرتان تليها حلقة تتوالى ثلاث مرات أيضاً كما في الشكل التالي (٢)

أو حلقة كبيرة داخلها حلقة صغيرة وتليها حلقتان صغيرتان تتوالى ثلاث مرات كما في الشكل (٣)

وبلاحظ كذلك في السكة الفضية العباسية (الدراهم) دوائر مفردة (٤) أو مزدوجة (٦) أو ثلاث دوائر (٥) متتالية تحيط بالمركز أو الهامش الكتابي وهي على شكل حلقي .

والحق أن هناك زخارف أخرى ليست بين أيدينا على السكة العباسية فهناك سكة نحاسية ضربت زمن الخليفة محمد الأمين في الكوفة سنة ١٩٥ هـ عليها زخرفة مختلفة عن الزخارف السابقة وهي على شكل دائرة كبيرة تتكون من دوائر صغيرة وحولها دائرة أخرى (٧) من نقاط كما في الشكل التالي .



•• يحذف الشكل (الدائرة الكبيرة) بنقط

رقم التسلسل	١	الخليفة المنصور
رقم القطعة	٣٧ مس	١٣٦ - ١٥٨ هـ (٧٥٤ - ٧٧٥ م)
نوع المعدن	فضة	دراهم
القطر بالمليمتر	٢٥ مليمتر	

- (١) انظر مسكوكة رقم ٣٤ مس وانظر شكل رقم ٢ .
 - (٢) انظر مسكوكة رقم ٤٠ مس وانظر شكل رقم ٢ .
 - (٣) انظر مسكوكة رقم ٣٧ مس وانظر شكل رقم ١ .
 - (٤) انظر مسكوكة رقم ٣٤ مس وانظر شكل رقم ٢ .
 - (٥) انظر مسكوكة رقم ٤٠ مس وانظر شكل رقم ٢ .
 - (٦) انظر مسكوكة رقم ٣٧ مس وانظر شكل رقم ١ .
 - (٧) يوسف غنية / النفود العباسية / مجلة سور / مجلد ٩ ج ١ ١٩٥٣ ص ٢٦٠ .
- في الحلقة الكبيرة يوجد حلقة صغيرة

الوزن بالغرام ١ ٢,٧٥٠ غم

سنة الضرب ١ ١٤١ هـ

مكان الضرب ١ الكوفة

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصّها :

لااله الا

الله وحده

لاشريك له

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصّها
بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة سنة إحدى وأربعين ومئة.
ويحيط بالهامش والمركز ثلاث دوائر متلاصقة ترخرفها بالخط
دوائر احادية ومزدوجة |
الظهر :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصّها :

محمد

رسول

الله

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصّها :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق (ليظهره) على الدين
كله ولو كره المشركون .

ويحيط كل من الكتابة المركزية والهامشية دوائر متعددة تزين
الدائرة الخارجية منها دوائر صغيرة .
ويلاحظ أن الدرهم مثقوب . (١)

(١) انظر شكل رقم (١) .

الخليفة المتصور

(دروهم)

رقم التسلسل ٢
رقم القطعة ١ ٤٠ مس
نوع المعدن ١ فضة
القطر بالمليمتر ١ ٢٤ مليمتر
الوزن بالغرام ١ ٢,٧٥٠ غم
سنة الضرب ١ ١٥٥ هـ
مكان الضرب ١ مدينة السلام
الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوالية نصها :

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

٥٠

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة خمس وخمسين ومئة .

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين تزخرهما بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

محمد

رسول

الله

(بخ) بخ

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله ولو كره المشركون .
ويحيط كل من الكتابة المركزية والهامشية دوائر
متعددة ، تزين الدائرة الخارجية دوائر صغيرة .
ويلاحظ أن الدرهم مثقوب (١).

الخليفة المهدي	٣	١	رقم التسلسل
(١٥٨ - ١٦٩ هـ (٧٧٥ - ٧٨٥ م)	٣٤	١	رقم القطعة
		١	نوع المعدن
		٢٤	القطر بالمليمتر
	٢٨٠٠	١	الوزن بالغرام
	١٦٢	١	سنة الضرب
	مدينة السلام	١	مكان الضرب
			الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها
لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة اثنين و(ستين) ومئة .
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين تزخرهما
بالحيط دوائر احادية ومزدوجة .
الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :
محمد رسول

(١) انظر شكل رقم (٢) .

الله صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس عقرب الساعة نصها
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون .
ويحيط كل من الكتابة المركزية والهامشية دائرة تزين
الخارجية منها خمسة دوائر صغيرة .
ويلاحظ أن الدرهم مثقوب (١)

رقم التسلسل	٤	الخليفة المهدي
رقم القطعة	٣١ مس	(درهم)
نوع المعدن	فضة	
القطر بالمليمتر	٣٣ ملمترا	
الوزن بالغرام	٢,٤٩٥ غم	
سنة الضرب	١٦٢ هـ	
مكان الضرب	مدينة السلام	
الوجه :		

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها
لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

الهامش :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها
بسم (الله ضرب هذا الدرهم) بمدينة السلام سنة اثنين وستين ومئة

(١) انظر شكل رقم (٢)

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين ترزخرفها
بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

محمد رسول

(الله) صلى الله

عليه وسلم

ال خليفة المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق لي(ظهره

على الدين كله ولو كره المشركون) .

ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة.

ويلاحظ أن الدرهم ناقص ومشقوب (١)

الخليفة المهدي

(درهم)

Lebata Sakhr

رقم التسلسل ١ ٥

رقم القطعة ١ ٣٥

نوع المعدن ١ فضة

القطر بالمليمتر ١ ٢٣

القطر بالمليمتر ١ ٢٣

الوزن بالغرام ١ ٢,٧٢٠ غم

سنة الضرب ١ ١٦٢ هـ

مكان الضرب ١ مدينة السلام

الوجه :

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها

لا اله الا

(١) انظر شكل رقم (٤) .

الله وحده

لا شريك له

: الهامش

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها:

بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة اثنتين وستين ومئة
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين ترخرفها
بالمحيط دوائر احادية ومزدوجة .

: الظاهر

المركز: كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها:

محمد رسول

الله صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

: الهامش كتابة هامشية تدور عكس عقرب الساعة نصها:

(محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره

على (الدين كله) ولو كره المشركون .

ومحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة

والدرهم ناقص ومثقوب (١)

الخليفة المهدي

(درهم)

رقم التسلسل ٦ ١

رقم القطعة ٣٦ مس ١

نوع المعدن ١ فضة

القطر بالمليمتر ٢٣ مليمتراً ١

الوزن بالغرام ٢,٧٧٠ غم ١

سنة الضرب ١٦٢٢ هـ ١

(١) انظر شكل رقم (٥) .

مكان الضرب مدينة السلام

هذا الدرهم مشابه للدرهم رقم (٣٠) من حيث صاحب الضرب (الخليفة المهدي) وسنة ومكان الضرب .
الا أن جزءاً كبيراً من الكتابة غير واضحة على ظهر الدرهم كما انه مشقوب (١).

الخليفة المهدي	٧	رقم التسلسل
(درهم)	٣٣ مس	رقم القطعة
	فضة	نوع المعدن
	٢٤ مليمتراً	القطر بالمليمتراً
	٢,٨٥٠ غم	الوزن بالغرام
	١٦٢ هـ	سنة الضرب
	مدينة السلام	مكان الضرب

هذا الدرهم مشابه للدرهمين رقم ٣٠ ، ٣٦ من حيث صاحب الضرب الخليفة المهدي (سنة ومكان الضرب كما أن الدرهم مشقوب (٢).

الخليفة المهدي	٨	رقم التسلسل
(درهم)	٣٢ مس	نوع القطعة
	فضة	نوع المعدن
	٢٣ مليمتراً	القطر بالمليمتراً
	٢,٨٥٠ غم	الوزن بالغرام
	١٦٣ هـ	سنة الضرب
	مدينة السلام	مكان الضرب

الوجه :

(١) انظر شكل رقم (١) .

(٢) انظر شكل رقم (٧) .

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :

لااله الا

الله وحده

لاشريك له

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة ثلث (وستين) ومئة.
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين ترخرفها
بالحيط دوائر احادية ومزدوجة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

محمد رسول

الله صلى الله

عليه وسلم

الخليفة المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون
وبحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة ترين
الخارجية منها دائرتان صغيرتان .
ويلاحظ أن الدرهم مثقوب (١)

رقم التسلسل	١	٩	
رقم القطعة	١	٢٩	الخليفة المهدي
نوع المعدن	١	فضة	(درهم)

(١) انظر شكل رقم (٨) .

القطر بالمليمتر	١	٢٣ مليمتر
الوزن بالغرام	١	٢,٧٨٥ غم
سنة الضرب	١	١٦٥ هـ
مكان الضرب	١	مدينة السلام
الوجه :		

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة خمس وستين ومئة .
والكتابة المركزية والهامشية محاطة بثلاث دوائر متلاصقة تزخرفها
بالحيط دوائر صغيرة مزدوجة

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من خمسة سطور متوازية نصها :

محمد رسول

الله صلى الله

عليه وسلم

ال خليفة المهدي

بخ

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

محمد رسول (الله) أرسله بالهدى (ودين الحق) ليظهره

على الذين كله ولو كره المشركون .

ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامشية دائرة

والدرهم مقنوب (١)

(١) انظر شكل رقم (٩)

رقم التسلسل	١	١٠	الخليفة المهدي
رقم القطعة	١	٣٥	(درهم)
نوع المعدن	١	فضة	
القطر بالمليمتر	١	٢١ مليمتر	
الوزن بالغرام	١	٢,٥٩٥ غم	
سنة الضرب	١	—	
مكان الضرب	١	—	
الوجه :			

المركز : كتابة مركزية من ثلاثة سطور متوازية نصها :

لا اله الا

الله (وحده)

(لا) شريك له

الهامش . كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

هنا بالدرهم

والكتابة المركزية والهامشية محاطة بدائرتين متلاصقتين يزخرهما بالمحيط دوائر إلا انه لا تظهر منها سوى دائرة واحدة فقط وذلك لتأكل المسكوكة .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

○

محمد رسول

الله صلى الله

عليه (وسلم)

(الخليفة) المهدي

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

محمد رسول الله أرسله (بالهدى ودين الحق ليظهره على

الدين كله ولو كره المشركون .
ويظهر بقايا دائرة كانت تحيط كلا من الكتابة المركزية
والهامشية

والدرهم متأكل جداً ومكسوراً (١) .

رقم التسلسل	١	١١	الخلافة المعتضد بالله
رقم القطعة	١	٣٨ مس	٢٧٩ - ٢٨٩ هـ (٨٩٢ - ٩٠٢ م)
نوع المعدن	١	فضة	
القطر بالمليمتر	١	٢٢	مليمتر
الوزن بالغرام	١	٣,٣٨٠	غم
سنة الضرب	١	٢٨٥ هـ	
مكان الضرب	١	مدينة السلام	

الوجه : المركز : كتابة موكرية من ثلاثة سطور متوازية نصها

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش الداخلي: كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام (سنة) خمس وثمانين ومائتين .
الهامش الخارجي: كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :
لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ (يفرح) المؤمنون بنصر (الله)
ويحيط كلا من الكتابة المركزية والهامش الداخلي والهامش الخارجي دائرة .
الظهر :

المركز : كتابة مركزية من خمسة سطور متوازية نصها :

لله

محمد

(١) انظر شكل رقم (١٠) .

رسول

الله

المتنص بالله

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون .
والكتابة المركزية محاطة بدائرة (١).

رقم التسلسل	١	١٢	الخليفة المقتدر بالله
رقم القطعة	١	٣٩ مس	٢٩٥ - ٥٣٢٠ (٩٠٨ - ٩٣٢ م)
نوع المعدن	١	فضية	
القطر بالمليمتر	١	٢٢ مليمتر	
الوزن بالغرام	٢٠٠	٢,٥٢٠ غم	
سنة الضرب	١	-	
مكان الضرب	١	الموصل	
الوجه :			

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوازية نصها :

(لا) اله الا

الله وحده

لا شريك له

أبو العباس بن

أمير المؤمنين

الهامش الداخلي :

كتابة هامشية تدور عكس إتجاه عقرب الساعة نصها :
بسم الله ضرب هذا الدرهم بالموصل سنة

(١) انظر شكل رقم (١١) .

الهامش الخارجي :

كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها
(لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ) يفرح المؤمنون
بنصر الله .

الظهر :

المركز : كتابة مركزية من أربعة سطور متوالية نصها

محمد

رسول

الله

المقتدر بالله

الهامش : كتابة هامشية تدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصها :

(محمد رسول الله أرسله بالهدى) ودين الحق ليظهره على

الدين كله ولو كره (المشركون) .

ويلاحظ في هذا الدرهم أن مركز الوجه تكرر صرب قاله مما

أدى إلى تكرار السطر الثالث منه كما أن حزمه كبيراً من وجه وظهر

الدرهم غير واضح (١).

(١) انظر شكل رقم (١٢) .

« جدول الاقطار والاوزان والسنين وأماكن الضرب »

رقم القطعة	رقم القطعة في المركز	نوع القطعة	القطر بالمليمتر	الوزن بالغرام	سنة الضرب	مكان الضرب	الحليقة العنق
١	٣٧	فضة	٢٥ مليمتر	٢,٢٥٠ غم	١٤٩ هـ	الكوفة	المنصور
٢	٤٠	فضة	٢٤ مليمتر	٢,٢٥٠ غم	١٥٥ هـ	مدينة السلام	المنصور
٣	٣٤	فضة	٢٤ مليمتر	٢,٨٠٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٤	٣١	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٤٩٥ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٥	٣٠	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٧٢٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٦	٣٦	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٧٧٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٧	٣٢	فضة	٢٤ مليمتر	٢,٨٥٠ غم	١٦٢ هـ	مدينة السلام	المهدي
٨	٣٢	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٨٥٠ غم	١٦٣ هـ	مدينة السلام	المهدي
٩	٢٩	فضة	٢٣ مليمتر	٢,٧٨٠ غم	١٦٥ هـ	مدينة السلام	المهدي
١٠	٣٥	فضة	٢١ مليمتر	٢,٥٩٥ غم	—	—	المهدي
١١	٣٨	نحاس	٢٢ مليمتر	٢,٣٨٠ غم	٢٨٥ هـ	مدينة السلام	المستفيضة
١٢	٣٩	فضة	٢٢ مليمتر	٢,٦٢٠ غم	—	الموصل	المستفيضة

المراجع العربية والأجنبية

- ١ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ
بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد
المقدمة كتاب العبر وديوان المثنأ والخبر أعادت طبعه
- ٢ - ابن سلام (أبو عبيد القاسم) ت ٢٢٤ هـ
كتاب الأموال (صححه وعلق على هوامشه محمد
حامد الققي) القاهرة ١٣٥٣ هـ
- ٣ - ابن طباطبا (محمد بن طباطبا) المعروف بان الطقطقي
المصري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية
دار صادر - بيروت سنة ١٩٦٦
- ٤ - ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٥٧ هـ
فتوح مصر وأخبارها
طبعة هنري ماسية - القاهرة ١٩١٤
- ٥ - أبو الفدا (إسماعيل بن عماد الدين) ت ٧٣٢ هـ
تقويم البلدان . طبعة باريس سنة ١٨٣٠ م
- ٦ - انستاس الكرملي (الأب)
التقود العربية وعلم النجيات
القاهرة ١٩٣٩ م
- ٧ - البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩ هـ
كتاب فتوح البلدان
وقد نشر الكرملي الجزء الخاص بالتقود
ليدن ١٨٦٦ م
- ٨ - محسن ابراهيم حسن (الدكتور)
تأريخ الاسلام السياسي
٣ أجزاء - القاهرة سنة ١٩٥٤ - ١٩٤٨ م

٩) حسن ابراهيم حسن (الدكتور) علي ابراهيم حسن (الدكتور)

النظم الإسلامية طبعة القاهرة سنة ١٩٣٩م

١٠) الحسيني (الدكتور محمد باقر)

العملة الإسلامية في العهد الأماني

مطبعة دار الجاحظ - بغداد سنة ١٩٦٦م

_____ (١١)

تطور النقود العربية الإسلامية

مطبعة دار الجاحظ - بغداد سنة ١٩٦٩م

١٢) الطبري (أبو جعفر محمد بن حريز) ت ٣١٠هـ

تاريخ الرسل والملوك دار المعارف بمصر ١٩٦٦ تحقيق أنو آلفس

ابراهيم

١٣) عبدالرحمن فهمي محمد (الدكتور)

فجر السكة العربية

مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٦٥هـ

_____ (١٤) النقود العربية ماضيها وحاضرها

من سلسلة المكتبة الثقافية رقم (١٠٣)

١٥ فبراير سنة ١٩٦٤م

_____ (١٥) الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الإسلامية

مستل من كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية

المنعقد في مدينة فاس سنة ١٩٥٩م

_____ (١٦) صنع السكة في فجر الإسلام

مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٧م

١٧) علي ابراهيم حسن (الدكتور)

التاريخ الإسلامي العام

مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٢م

(١٨) لين بول (ستانلي)

طبقات سلاطين الإسلام

ترجمة عباس إقبال ومكي طاهر الكعبي

دار منشورات البصري ١٩٦٨م

(١٩) المقريري (نقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ

النقود القديمة الإسلامية

(نشرة الأب أنستاس الكرمل في كتابه النقود العربية

وعلم التمثيل) القاهرة ١٩٣٩م

(٢٠) النقشبندی (ناصر الدين)

الدينار الإسلامي في المتحف العراقي بغداد ١٩٥٣م

(٢١) وداد القزاز الدرهم العباسي في زمن الخليفة المهدي والهادي

مستل من مجلة سومر المجلد العشرون الجزء الأول

والثاني بغداد سنة ١٩٦٤م

(٢٢) باقوت (شهاب أبو عبدالله الحموي الرومي) ت ٦٢٦هـ

معجم اللغات (٥ مجلدات) دار صادر للطباعة والنشر

— طعة بيروت سنة ١٩٥٧م

(٢٣) يوسف (غنيمة)

النقود العباسية

مستل من مجلة سومر المجلد التاسع الجزء الأول

بغداد سنة ١٩٥٣م

(٢٤)

Lane-Poole (stanley)

Catalogue of oriental coins in the British Museum

London-1875-1890

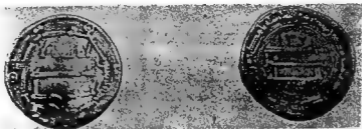
(٢٥)

Walker (John):

·Acatologe of the Arab-Sassanian Coins (London 1941)

وجه

ظهر



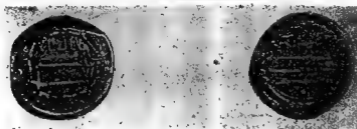
درهم رقم ۱



درهم رقم ۲



درهم رقم ۳



۱۰۰۰ ریال درهم رقم ۴۴



۱۰۰۰ ریال درهم رقم ۴۴





درهم رقم ۷



درهم رقم ۸



درهم رقم ۹



درهم رقم ١٠



درهم رقم ١١



درهم رقم ١٢

عبدالواحد الرمضاني

مدرس مساعد قسم التاريخ

كلية الاداب جامعة الموصل

عبدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ مُحَمَّد بنُ عمرو بنِ جَزْءٍ الانصاري

(ت ١٢٠ - ١٣٥ هـ / ٧٤٧ - ٧٥٢ م)

وَكِتَابُهُ التَّارِيخِيَّةُ فِي السَّبِيْرَةِ وَالْمَعَارِي

محمود ياسين التكريتي

تمهيد :

ساهمت مدرسة المدينة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين في نشوء فكرة التاريخ وتطورها عند المسلمين (١) إذ اتخذت هذه الفكرة في بداية نشوئها التأكيد على دراسة الحديث والإهتمام به (٢) لكونه أحسن مرجع أمام الصحابة لمعرفة التشريع وفائدته (٣) فلانبرى قسم منهم لكتابة حديث رسول الله (ص) والتركيز على أقواله وأفعاله .

- (١) سوف لا أتناول في البحث العوامل التي أدت إلى نشوء فكرة التاريخ وتطورها عند المسلمين راجع بهذا الصدد فرانز روزنثال / علم التاريخ عند المسلمين / ٩٥ - ٩٩ ، الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٣ - ٢١ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / مجلة المجمع العلمي العراقي / الجزء الأول / ٤٤ - ١٥٣ السنة الأولى ١٩٥٠ .
- (٢) دائرة المعارف الإسلامية / ٧٢ / ٣٣٨ تراجع مادة الحديث . مقالة كتبها المشرق جوينيل ، بشار عواد / مقالة أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين / (نشرها كاتب المقال في كراس صغير) .
- (٣) دائرة المعارف الإسلامية / ١٢٢ / ٤٤٠ ، (مادة السيرة) .

□ وهذا ، لاشك . يمثل الاتجاه الإسلامي الذي انتهجته مدرسة المدينة (١) دار سنة الرسول ومركز حكمه وإلى جانب هذا الاتجاه أصبح للصرة والكوفة إتجاه قبلي ، وصار لكل إتجاه مدرسة تاريخية . ونتيجة للتأثير المتبادل بين المدرستين تفوق الإتجاه الإسلامي فتغلب اتجاه أهل الحديث (٢) وعلى هذا فالطاهرة النذرة التي دراها على المؤرخين التقدماء أن " أغلبهم كانوا من أصحاب الحديث (٣) وأعتمد على مادتهم في التنظيم الإداري وفي شؤون الحياة . (٤) كانت الجهود التي بذلت في كتابة الحديث ودراسة بداية لظهور الكتابة التاريخية عند المسلمين (٥) كما ساعدت في نفس الوقت على تطور فكرة التاريخ عندهم (٦) بالإضافة إلى كونها تكشف لنا علاقة الحديث بالتاريخ . وتوسعت جهود أهل المدينة من جيل التابعين في دراسة الحديث لتتعدى أحاديث الرسول (ص) لتشمل تسجيل أقوال الصحابة وأعمالهم ، وفعلاً أثمرت تلك الجهود في أواخر القرن الأول الهجري لتشمل أخيراً فعاليات الأمة بكاملها (٧) وبدأ بعدها تأليف كتب الإدارة والآداب والقضاء .

أخذت الدراسة الأولى لحياة الرسول ولني قام بها التابعون وتابعو التابعين أساساً لمادتها التاريخية دراسة أحوال الرسل والأنبياء الذين جاءوا من قبله (٨) ويعلق الأستاذ جواد : على هذه الدراسة بقوله : (يمكن أن يقال عنها : بداية السيرة ولذلك قبل لها : المبتداء أو : المبدأ) . (٩) وأعقب هذه الدراسة

- (١) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ .
- (٢) المرجع السابق / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ .
- (٣) جواد علي / مقالة - موارد تاريخ الطبري / ٥٦ ، منشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي - الجزء الأول من السنة الأولى ١٩٥٠ .
- (٤) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ .
- (٥) أنظر هذا الصدد / الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ١٩ ، ٣٣ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٦ - ١٥٧ .
- (٦) يشار عواد / أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين / ٥ .
- (٧) الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٠ .
- (٨) جواد علي / مقالة - موارد تاريخ الطبري / ١٥٠ - ١٥١ .
- (٩) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥١ .

التركيز على غزوات الرسول (ص) (١) وتدوينها ، ثم شملت فترة الرسالة تبعها جهود التابعين (٢) في هذا المضمار وأتممت كتاباتهم بالدقة والتحري والإهتمام بالإستناد .

علق هورفيتس على هذه الناحية بقوله : « إذا كانت مادة أحاديث عدد من الصحابة المدونة في الصحائف والكتب مشكوكاً في صحتها وقيمتها فإنه لا يوجد شك في أن مثل هذه الكتب كانت نادرة في جيل التابعين الذين أخذوا معارفهم عن الصحابة » (٣) .

لقد أطلق حول هذه الدراسات الأولى التي شملت حياة الرسول أسم المغازي (٤) وقد ذكر الأستاذ هاملتون حبـه أن المغازي أو الغزوات اصطلاح أطلق على النصوص الأولى التي ألقت السير (٥) ، وبين أيدينا آراء أخرى حول معنى المغازي فقد ذكر الأستاذ الدوري أنها « تعني لغوياً غزوات الرسول (ص) وحروبه » (٦) وذهب الأستاذ جواد علي إلى إلحاقها بالسيرة فقال : « ثم صار يعرف أن بلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له المغازي وهو القسم الثالث والخاتمة » (٧) ، وعلى ضوء ماتقدم نستنتج اتساع أفق الكتابة التاريخية وتطور التدوين التاريخي عند المسلمين

(١) ذكر لبني دلائلها في مقالته عن السيرة (أن إنصراف الجيل الثاني من المؤمنين إلى تخليد ذكرى

المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في الجمالية) وعليه فهو يضيف سبباً آخر من الأسباب

التي دعت المسلمين إلى كتابة المغازي / دائرة المعارف الإسلامية ، ١٢م / ٤١٠

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٧م / ٢٣١

(٣) يوسف هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٢ .

(٤) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٠ .

(٥) انظر دائرة المعارف الإسلامية / ٤م / ٤٨٦ (مقالة كتبها جب ، مادة علم التاريخ) .

(٦) الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / :

(٧) جواد علي / موارد تاريخ الطبلي / ١٥٦

بدليل أنها شملت فترة الرسالة بكاملها (١) في وقت زاد الإهتمام فيه بجمع الحديث وتسجيله على نطاق واسع على أن دراسة السيرة (٢) إنما أوردت خاصة في المدينة ونمت في صورتها الواسعة إلى جانب الأحاديث (٣) ومن هنا يتضح لنا أن السيرة ذات مفهوم عام وشامل .

ومن الذين القوا من جيل التابعين في السيرة والمغازي عروة بن الزبير بن العوام ت ٨٩٤ / ٧١٢ م (٤) أعقبه أبان بن عثمان بن عفان ت سنة ٩٥ هـ - ٨١٥ (٥) ومن معاصري عروة شرحبيل بن سعد ت ٨١٢٣ / ٧٤٠ م (٦) عقب هؤلاء ثلاثة من العلماء ألقوا في المغازي ، وهم : عبدالله بن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت ١٣٠ - ١٣٥ / ٧٤٧ - ٧٥٢ م) وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ٨١٢٠ / ٧٣٧ م) (٧) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت ٨١٢٤ / ٧٤١ م . غير أن كتب هؤلاء فقدت ولم يبق منها غير الإقتباسات التي وردت في الكتب (٨) وما يؤكد ذلك فقدان تلك الكتب ما قاله فرائز روزنثال في تعليقه على الصور الأساسية لعلم التاريخ الإسلامي بقوله : « لذلك قد يبدو أن الكتب الأولى التي دونت في تاريخ الخبر وكذلك الأشكال الرئيسية الأخرى كانت كتماً خاصة دونها العلماء ولم تنق عنها

(١) هورتس / المغازي الأولى ومؤلفوها ٢ ، الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٠ ، دائرة المعارف الإسلامية / ١٢م / ٤٤٩ ، بشار حواد / أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين / ١٢ .

(٢) أشار حاجي خليفة إلى أن الإمام محمد بن اسحاق رئيس أهل المغازي هو أول من كتب بالسيرة وقد حددت سنة وفاته ١٥١ / ٧٦١ م ، حاجي خليفة / كشف الظنون ١١١ - ١١٢ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية / ١٢م / ٤٥٠ ، راجع مادة السيرة .

(٤) انظر في / خليفة بن خياط / الطبقات ٤ / ٦٠٢ القديم / تذكرة الحفاظ ١ / ١١٦ .

هورتس: للمغازي الأولى ومؤلفوها ١١-١٥ الدوري: بحث في نشأة التاريخ عند العرب ٢٠-٢١

(٥) راجع حوله / ابن خياط / الطبقات ٤ / ٦٠١ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٠٥ .

(٦) انظر في خليفة بن خياط / الطبقات ٤ / ٦٦١ الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٢ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٢ .

(٧) انظر في / القديم / تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٦ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب ٥ / ٥٤٠ .

(٨) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٣ .

معلومات واضحة أودقيقة » (١) .

لقد استمر العلماء المسلمون السابقون في الكتابة التاريخية إلى أن حلّ القرن الثاني الهجري حيث شهد نشاطاً ملحوظاً للأخباريين واللغويين والنسابين (٢) كلٌّ في حقله إلى أن أنتجت هذه الدراسات جميعاً مادة تاريخية واسعة على مستويات مختلفة من الدقة . (٣) وأخيراً يمكننا القول أن دراسة السيرة لم تستقر إلا في منتصف القرن الثاني الهجري وتلمس هذا من خلال تعرفنا على تراث الزهري ومن تبعه من كتاب مدرسة المدينة إذ راعى الجميع التسلسل التاريخي في تدوين الحوادث التاريخية ، وكما عبر عنه الأستاذ الدوري في دراسته بقوله : « ودراسة رواياته التي وصلتنا جعلتنا نميل إلى أنه كان أول من أعطى السيرة — وهو التعبير الذي استعمله — هيكلًا محدوداً ورسم خطوطها بوضوح » . (٤) ثم قال : « وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة » . (٥)

تركز دراستنا هذه على جهود محدث عاصر الزهري في حياته وأخذ عنه بعض رواياته ، كتب في السيرة والمغازي ، وحاول في نفس الوقت أن يكتب عن تاريخ الأمة وأحداثها . هو عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم الأنصاري ، ولأجل معرفة أسلوبه في الكتابة التاريخية وجب التعرف على حياته .

(١) فرائز روزنثال / علم التاريخ عند المسلمين / ٩٩ .

(٢) الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٣٤ - ٣٥ .

(٣) بعد التوسع في دراسة المغازي والسيرة ، وبعد استعراض تطور الكتابة التاريخية خلال القرن الثاني الهجري نلاحظ ظهور النقد التاريخي والإلتزام به ، وأصبح ضمن أسلوب مدرسة المراق إلى جانب أسلوب مدرسة المدينة .

(٤) الدوري / بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب / ٢٣ .

(٥) المصدر السابق / التاريخ عند العرب / ٢٣ .

حياته :

هو عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي من بني النجار (١) يقال له أبو بكر المدني (٢) ولد (٣) من أسرة مدنية خدم أساؤها الإسلام وقيام دولته منذ عهد النبي (ص) (٤) وتقلد بعضهم مناصب إدارية فيها (تسعة ١٣٠ - ١٣٥هـ / ٧٤٧ - ٧٥٢م) بعد أن عاش سبعين عاماً .

يبدو أنه درس على يد علماء عصره من المحدثين والرواة وأخذ بعض رواياته من بيته وخاصة أسرته (٦) إذ اشتهر من بينها حده محمد بن عمرو ابن حزم الأنصاري، ووالده الراوية أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري وشالة أبيه عمرة بنت عبدالرحمن بن اسعد بن زرارة التي روت الحديث عن عائشة (رضى) .

أما جده الأكبر عمرو بن حزم الأنصاري كد من بين من بعثهم الرسول (ص) إلى أمصار الجزيرة العربية حتى نراه يستقر عاملاً في اليمن (٧) بعد أن ولّاه الرسول (ص) وودعهم ليقتضهم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره فيه بأمره (٨)

- (١) ابن حجر المسقلاني / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٨ .
- (٢) ذكر خليفة بن عياط كنيته بأبي محمد / خليفة بن عياط / الطبقات / ١ / ٦٦٠ .
- (٣) تجهل المصادر التاريخية سنة ولادته وتاريخ حياته
- (٤) هودغيس / المنازي الأول ومؤلفوها / ٣٧ .
- (٥) احتلفت المصادر التاريخية حول سنة وفاته بل وودت إلينا إشارة في كتاب الطبقات خليفة ابن عياط ان سنة وفاته هي ١٢٣٠هـ زمن أبي جعفر و قصد به الخليفة أبو جعفر المنصور ، كما حددوها جواد علي سنة ١٢٣٦هـ .. راجع بصددها / خليفة بن عياط / الطبقات / ٤ / ٦٦٠ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ٢٠٩ ، عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٣ .
- (٦) انظر محمد بن سعد / الطبقات / ٧٢ / ٢١٧ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / تاريخ الطبري / ٢١٧ / ٣ / طبعة المعارف بمصر / ابن حجر المسقلاني / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٨ .
- (٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٥٩٤ - ٥٩٥هـ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٢٦ .
- (٨) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٥٩٤ - ٥٩٥هـ هودغيس / المنازي الأول ومؤلفوها / ٣٧ .

وبقي في اليمن إلى أن ولي أمر نجران حينما فرق الرسول (ص) أعمال اليمن على جماعة من المسلمين (١) ويبدو أن عمرو بن حزم بقي على نجران إلى وفاة الرسول (ص) ، وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله « كان على نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبو سفيان بن حرب ، وعمرو بن حزم على الصلاة وأبو سفيان بن حرب على الصدقات » (٢) أما البلاذري فقد ذكر أن « أباً سفيان بن حرب ولي نجران بعد عمرو بن حزم » (٣) وعلى ضوء ما سبق يتضح لنا أن عمرو بن حزم لم يستمر في عمله الإداري في نجران إذ ترك أرضها وغادرها بسبب الردة التي حدثت بعد وفاة الرسول (ص) إذ أنتقصت اليمن والبلدان وأرتد باليمن الأسود العنسي (٤) بعد أن كانت منحج العنسي وواعده نجران فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعد بن العاص وأنزلوه منزلتهما (٥) . وتقطع أخباره حتى توفي سنة ٨٦٣ يوم الحرة (٦) حينما هزم الأمويون أهل المدينة ، وما لاشك فيه أن عمرو بن حزم من أصحاب الرسول (ص) وكان يخرج بعض الأحيان في صحته ، سمع حديثه . ولا شك أن أنه أباً بكر حدث عن أبيه بعض حديثه ورواه عنه ابنه عبدالله بن أبي بكر بن حزم .

أما والده أبو بكر فكنته عبد الملك (٧) وأمه فاطمة بنت عمار (٨)

- (١) في سنة ٨١٠ حج الرسول (ص) بالمسلمين حجة الوداع ورجع إلى المدينة وقد وجه إمارة اليمن وفرقها بين رجال وأنزلك رجل بميزه - واستعمل عمرو بن حزم على نجران / انظر / أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري / فتوح البلدان / ق ٨٢/١ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ٢٢٨ .
- (٢) الطبري / تاريخ الطبري / ٣١٨/٣ .
- (٣) البلاذري / فتوح البلدان / ق ٨٢/١ .
- (٤) الطبري / تاريخ الطبري / ٣١٩/٣ .
- (٥) الطبري / تاريخ الطبري / ١٨٥/٣ . طبعة دار المعارف .
- (٦) المصدر السابق تاريخ الطبري / ٥ / ٤٩٠ . ط. دار المعارف .
- (٧) ذكر ابن حجر السقلائي كنته أبو محمد وقيل إسمه أبو بكر وقيل إسمه وكنيته - والتصويب من الطبري / كنته عبد الملك / انظر المنتخب من ذيل المبدل / ١٢٨٠٥ (الطبعة الأوردية) .
- (٨) هو عمارة بن حرم وكان عقيقاً (أي من شذيرة العقبة مع الرسول (ص)) بدوياً وهم عم بني عمرو بن حزم روى الحديث الطبري / تاريخ الطبري / ١٠٦/٣ .

القاضي المدني روى الحديث عن أبيه وأرسل عن جده وعبد الله بن يزيد ابن عبيد بن الأتصاري وعن خالته عمرة بنت عبد الرحمن وآخرين ثقاة (١). وكان من محدثي أهل المدينة وثقاتهم أهم بكتابة الحديث ، ودراسته ومما زاد من اهتمامه هو طلب عمر بن عبد العزيز منه كتابة الحديث وروى لنا عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة وأم سلمة : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن عمرو بن حزم أن أنظر ما كان من حديث الرسول (ص) أو سنة ماضية أو حديث عمرة فأكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله (٢) وربما ساعدت على ثقة عمر بن عبد العزيز به هو شهرة تحره في الفقه (٣) إذ درس على يد أبان بن عثمان بن عفان (٤) فضلاً عن كونه ذا إلمام ومعرفة بالقضاء قال (أبو ثابت عن ابن وهب عن مالك : لم يكن عندنا أحد بالمدينة عبده من علم القضاء ما كان عبد أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (٥) . ونقلد قضاء المدينة في سنة ٨٦ هـ في ولاية عمر بن عبد العزيز لها ، وهذا يكشف عن إشارة عمر عليه في كتابة الحديث جاءت على عهد ولايته للمدينة كما شهد عمر بن عبد العزيز على قلوبه وعينه فقال لقاضييه (ما وجدت من أمر هو ألد عندي من حق وحق هو لك) (٦) !

ووردت إلينا إشارة عند اللادري تصحح لنا بأنه نقلد مكة (وكان يتخاصم إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في أجور اللور بمكة فيقضي بها على من

-
- (١) ابن حجر المصقلاني / تهذيب التهذيب / ٣٩/١٢ .
 - (٢) ابن سعد / الطبقات / ٢٢٤ / ٢٢٤ ، وأضاف ابن حجر المصقلاني قائلا . وكان ولاء عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له من العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد / ابن حجر / ٣٩ / ٢ .
 - (٣) هورنيس / المنازي الأولى ومؤلفوها / ٣٨ .
 - (٤) الذهبي / تراجم رجال ذوي عنهم ابن اسحاق / ٩٠ .
 - (٥) ابن حجر المصقلاني / تهذيب التهذيب / ٣٩/٢ .
 - (٦) ابن سعد / الطبقات / ٢٤٥ / ٥ ، ٢٥٢ .

أكثرها وهو قول مالك وآبن ذئب (١) ومع هذا لم تسعنا المصادر التاريخية بمعلومات نستطيع على صحتها إثبات أو نفي ما أشار اليه البلاذري في أنّ أبابكر بن حزم تقلد قضاء مكة ورعاً وقع في خطأ أو وهم في التعبير فكنت مكة بدل المدينة .

تنقل بين المناصب الإدارية للدولة الأموية فعيه الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ ولاية المدينة وقضاءها (٢) وعاق هورعيس عليها بقوله : « تلك الولاية لم يتقلدها قبله أحد من أهل المدينة في عصر الأمويين » (٣) واستمر في منصبه هذا على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أن عزله الخليفة يزيد الثاني من منصب الولاية وبقي محتفظاً بمنصب القضاء إلى سنة ١١٨ هـ حيث عاد فقلده منصب ولاية المدينة من جديد لبضعة أيام وتوفي سنة ١٢٠ هـ (٤) .

ترك أبو بكر بن حزم كساً في حديث تمثل آثاره التاريخية فقد ذكرها ابن حجر بقوله « وزاد غيره فسألت أبنته عبدالله بن أبي بكر عن تلك الكتب فقال ضاعت » (٥) ، وكان له فصل علمي على ولده عبدالله بن أبي بكر بن حزم فزاد بحثه على دراسة الحديث والتأكد من صحته عن طريق المقارنة والتحري (النقد) ويقول له : « إني أراك تحب الحديث وتحالسن أهله فلا تستقبل صدر حديث إلا إذا سمعت عجزه استدلل بأعجازها على صلورها » (٦) وأشهر من

(١) البلاذري / فتوح البلدان / ١٥ / ٥٠ .

(٢) الذهبي / تراجم رجال روى عنهم ابن اسحاق / ٨٩ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٩ / ١٢ .

(٣) نقل هورعيس تليفه هذا من ابن حجر / انظر بهذا الصدد / ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٩ / ١٢ ، هورعيس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٣٨ .

(٤) اختلف حول سنة وفاته فقد أخطأ خليفة بن عياط بذكرها سنة ١١٠ هـ ، وقال الهيثم بن عدي (وابن أبي بكر مات سنة ١١٧ هـ) والأصح هو ما رواه ابن حجر عن الواقدي أن سنة وفاته

هي ١٢٠ هـ ، بدليل أنه بقي في ولاية المدينة إلى سنة ١١٨ هـ / ابن حجر / تهذيب التهذيب

/ ٣٩ / ١٢ .

(٥) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٩ / ١٢ .

(٦) الذهبي / تراجم رجال روى عنهم ابن اسحاق / ٩١ .

روى عنه الحديث انه عبد الله (١) ومحمد وابن عمه محمد بن عمارة بن عمرو ابن حرم وعمرو بن دينار والزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى . وخلف من الأولاد عثمان ومحمد أباً بكر الفقيه وأم كلثوم (٢) ولهذا نشاهد ولده كان أحد الشيوخ الذين درس على يدهم عبد الله بن أبي بكر بن حرم

ومن الرواة الآخرين الذين أخذ منهم رواياته عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة من بني النجار حالة أبيه ، روت الكثير من الأحاديث عن أسيرة النبوة ، خاصة وأنها تعيش مع عائشة (رض) وفي حجرها (٣) وعن سلمة وكانت من الثقة في الحديث ومن بين من روى عنها محمد بن شهاب الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى ففي مدينة ناعية (٤) . أما الشيوخ الآخرون الذين روى عنهم الحديث فهم عروة بن الزبير بن العوام (٥) ومحمد بن شهاب الزهرى (٦) ويحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، وعبد الله بن كعب . وصفية بنت حيي بن أخطب ، والعباس بن سهل بن سعد الساعدي وآخرون غيرهم ، كما روى الكثير من الروايات تدور ذكر الإسناد .

شهدت المدينة نشاطاً ثقافياً واسعاً تركز في دراسة الحديث وكتابته في الفترة التي عاش فيها عبد الله بن أبي بكر بن حزم فترك أثراً في شخصيته العلمية . وخاصة الأحاديث المتعلقة بمغازي الرسول (ص) والتي شكلت في دورها أبعاد السيرة النبوية ، وإن هذا الارتباط من الأحاديث والسيرة ترك أثراً لا يمحى

(١) روى عنه الحديث بن أبي بكر بن حزم الحديث عن أبيه وعدد رواياته التي عثرت عليها ثلاثة من مجموع الروايات المسندة ، كما روى ما يقرب من سبع روايات عن عمرة بنت عبد الرحمن حالة أبيه .

(٢) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٩/١٢ .

(٣) ابن سعد / الطبقات / ١٣٤/٢ ، ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٣٨/١٢ .

(٤) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ٤٣٩/١٢ .

(٥) الطبري / تاريخ الطبري / ٢١٤/٤ - طبعة المعارف .

(٦) ابن هشام / ١٣ / ٢٦٥ / انظر الطبري / تاريخ الطبري / ٩١/٢ .

في أسلوب التأليف التاريخي (١) وفي الوقت نفسه زادت ثقة الناس في روايات التابعين وتابعيهم (٢) فأقدم العلماء على الدراسة والكتابة ومن بينهم عبد الله بن حزم الذي وجد من البيئة الثقافية عاملاً حثه على الدراسة خاصة وقد سبقه في هذا الحقل الثقافي دارسون اعتبروا من مؤسسي مدرسة المدينة أمثال أمان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد (٣) ، فعاد ليضيف إلى ما كتبوا قائمة من الروايات التي ربطت مدرسة المدينة في الجيل الثاني بعد عروة وشرحبيل فصلاً عن أن الزهري هو المؤرخ المعاصر له إذ توفي (سنة ١٢٤ هـ) (٤) والذي أعطى للمغازي والسيرة بدراسة الواسعة هيكلها وعليه اجتمعت العوامل البيئية والثقافية والاجتماعية لتساهم في توجيه عبدالله بن أبي بكر بن حزم للدراسة الحديث وروايته. يضيف هورفيتس إلى ماسبق عاملاً آخر شجعه على الدراسة والكتابة هو ابتعاده عن الأعمال الرسمية (٥) معتمداً على مادكره ابن حجر العسقلاني حول ذلك بقوله : (عن ابن القاسم عن مالك أخبرني أن حراجه (٦) قال : قال لي : شهاب من بالمدينة يعني أحابه فقال : من شهاب منهم مثل عبدالله بن أبي بكر ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه أنه حي) (٧) مما لاشك فيه أن عدم اشتغاله في منصب إداري وجهه نحو الكتابة ولكننا نجهل الأسباب التي منعت من تقلده للمناصب الإدارية . كما لم تتوفر أمامنا المعلومات التاريخية عن حياته اليومية وبهذا تبقى الجوانب الأخرى غامضة ، ولم يصل إلينا غير نص يؤكد بلبوره على أنه عاش محدثاً في المدينة وفي مسجدها . (٨)

- (١) دائرة المعارف الإسلامية / ٤م / ٤٨٧/ (راجع مادة التاريخ) .
- (٢) دائرة المعارف الإسلامية / ٧م / ٢٣١/ (راجع مادة الحديث) .
- (٣) من التصريف بهم مايقاً .
- (٤) عبدالعزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٣ ، كما وصلنا بعض النصوص التي رواها عبدالله بن أبي بكر عن محمد بن سفيان الزهري .
- (٥) هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٤٠ .
- (٦) ورد رسم كلمة (حراجه) في هورفيتس الحاشية بكلمة عزابه والتصويب من ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٦٤/٥ .
- (٧) ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٦٤/٥ - ١٦٥ .
- (٨) انظر النص : في الطبري / تاريخ الطبري / ٣٨٦/٣ - ٣٨٧

انتار بصدقه وكثرة رواياته للأحاديث ووصفه أبو حاتم والنسائي بأنه ثقة (١) وأضاف ابن سعد أنه كان كثير الحديث عالماً ، وقال مالك : من أهل العلم والبصرة ، وقال عنه ابن عبد البر : كان من أهل العلم ثقة ومحدثاً وفقهاً مأموناً حافظاً (٢) . ووضع ابن حياط ضمن الطبقة السابعة من محدثي أهل المدينة (٣) وعليه فقد التمت المصادر على ذكره ضمن طبقة المحدثين الثقات .

إن التعرف على جوانب الدراسة التاريخية التي قام بها عبدالله بن أبي بكر بن حزم لأينم إلا بالرجوع إلى كتب التاريخ التي حفظت لنا بين نصوصها بعض آثاره بالرغم من فقدان كتابه الذي يشمل المغازي والسيرة . وتمثل هذه الآثار مقتبسات من النصوص التي ذكرها المؤرخون مثل ابن هشام والواقدي والطبري والبلاذري وابن سيد الناس وابن كثير .

كتابته التاريخية :

تناولت دراسته الأحداث التاريخية القريبة من بيئة الرسول (ص) وبهذا ساهم في الكشف عن بعض الجوانب التاريخية عن (العصر الجاهلي) ثم انتقل إلى دراسة الفترة الإسلامية وشملت حياة الرسول (ص) بما فيها الفترة المكية وذكر الوحي وفروا جبرائيل ، متابعة الأوس والخزرج للرسول (ص) وموقف قريش من مبايعة الأنصار ، ثم يأتي تركيزه على الفترة المدنية أكثر من الفترة المكية . ذكر مثلاً أول جمعة أقيمت بالمدينة وإسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وذكر أول من توفي بالمدينة وأول من ولد فيها بعد الهجرة ، ثم ينتقل بالكتابة عن مغازي الرسول (ص) مبتدئاً بغزوة بدر الكبرى (٥) وتصدي المسلمين لقافلة أبي سفيان بن حرب ، وموقف أبي سفيان ، واستنصار قريش ضد المسلمين ، وذكره في بدر ، وذكره القتلى والأسرى من قريش . ثم ينتقل

(١) الدعي / تراجم رجال روى عنهم ابن اسحاق / ٢٥٠ ابن حمر / تهذيب التهذيب / ١٦٥/٥ .

(٢) ابن حجر الملقاني / تهذيب التهذيب / ١٦٥/٥ .

(٣) خليفة بن خياط / الطبقات / ٦٠٢/٤ .

(٤) بلغ عدد الروايات التي رواها عبدالله بن حزم (٦) نصوص آثاره التاريخية .

(٥) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ١٤ / ٦٠٦ - ٦٠٧ / ١٤ / تاريخ الطبري / ٢٢٧/٢

إلى ذكر غزوة حمراء الأسد (١) وغزوة الحندق ، وغزوة عطفان ، وغزوة بني
 لحيان ، وغزوة ذي قرد ، وغزوة بني المصطلق وسرية زيد بن حارثة إلى وادي
 أم القرى ، ثم غزوة خيبر ، وسرية غالب بن عبد الله . وغزوة ذات السلاسل .
 وغزوة مؤتة ثم فتح مكة ، يوم الخندق ، وغزوة حنين . وغزوة تبوك (٢) .
 ثم يقدم مادة تاريخية طيبة عن الوفود التي قدمت إلى الرسول (ص) كوفد
 تميم وحمير سنة ٩ هـ . ووفد الأزد ، ووفد ربيد (٣) ، ووفد عمرو بن معد
 بن بكر ، ووفد عبد القيس . كما ذكر الوفود التي بعثها الرسول (ص) إلى
 أمصار الجزيرة العربية كارساله وفدا الى نجد يدعوهم إلى الإسلام سنة ٣ هـ (٤) ،
 وفد الرسول إلى نجران سنة ٩ هـ (٥) .

ونقل لنا عبد الله بن أبي بكر بن حرم بعض كتب الرسول إلى عماله ووصاياه
 أولئك التي أرسلها إلى القائل العربية أو ملوك المناطق المجاورة ومن هذه الكتب
 كتاب ملوك حمير إلى الرسول (ص) وحواب رسول عليه (٦) وكتاب
 الرسول (ص) إلى خالد بن الوليد سنة ١٠ هـ . وحواب خالد عليه ، (٧)
 ووصيته لمعاذ حين بعثه إلى اليمن . وكتاب الرسول إلى كسرى أنوشروان (٨)
 ثم كتاب مسيلمة إلى الرسول والحواب عليه (٩) . ويبدو أنه ساهم في حفظ
 جزء من الوثائق الرسمية لدولة الإسلام عن طريق روايته أخبار الكتب والسفارات

- (١) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٣ / ١٠٢ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٥٣٥ طعة المعارف -
 مصر - ابن سيد الناس / عيون الأثر في منون المعاني والشمائل والسير / ٢ / ٢
- (٢) سيأتي ذكر هذه الغزوات أثناء إمتراض المادة التاريخية التي قدمها لنا عبد الله بن أبي بكر
 ابن حزم .
- (٣) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، مطبعة المعارف ، مصر
- (٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٣ / ١٨١ الطبري تاريخ الطبري / ٢ / ٤٥ ، ٤٦
- (٥) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٣ / ٥٢٨ .
- (٦) الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ١١٥ .
- (٧) المصدر السابق / ٢ / ١٢٦ .
- (٨) نفس المصدر السابق / ٢ / ٦٥٥ .
- (٩) الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ١٢٦ .

التي بعثها الرسول (ص) في عهده أو الولاية على عهده . فضلاً عن كشفها عن طبيعة الدبلوماسية عند المسلمين (على عهد الرسول (ص)) .

ولم تقتصر دراسته على هذه النواحي بل روى أخباراً وقعت في عهد الرسول (ص) وهو بالمدينة مثلاً هجرة زينب بنت الرسول (ص) ووقوع أبي العاص زوجها بالأسر في يوم بدر ، واستشارة رسول الله المسلمين باطلاق تجارتهم . والحديث عن إسلامه (١) ، وحديث الإفك (٢) والحديبية . وحروح الرسول معتمراً إلى مكة (٣) وبيعة الرضوان تحت الشجرة (٤) . كما تطرق الى ذكر مرض الرسول (ص) وأمره إلى أبي بكر بالصلاة في الناس (٥) ثم نقله خبر وفاة الرسول (ص) سنة ١١ هـ ويوم دفنه (٦) . وصلاة العباس بالمسلمين على الرسول . واللقاء المعيرة بن شعة حاتماً في قبر الرسول أثناء دفنه . (٧) .

ويتحفا عبدالله بن أبي بكر بن حرم بعض المعلومات الاقتصادية كالتي والغنائم والأصناف الدين ضمنهم فحة الأموال من المسلمين من أموال المؤلفة قلوبهم من غنائم حثير (٨) كما يرد في رواياته ذكر لعمال الرسول وبعض ولايته على الوفود الذين بعثهم إلى القائل العربية أو ملوك الدول المجاورة : كما قدم لنا بعض أسماء الذين استخلفهم الرسول على المدينة أثناء خروجه غازياً

- (١) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٤٥٠ - ٤٥١ ، الطبري / تاريخ الطبري / ١٦٦/٢ - ٤٦٧ .
- (٢) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٩٧/٢ - ٢٩٩ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٦١١/٢ .
- (٣) ابن هشام / السيرة النبوية / ٣٠٩/٢ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٦٢٣/٢ .
- (٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ٣١٥/٢ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٦٢٣/٢ .
- (٥) ابن سعد / الطبقات / ٢٣ / ٢٠١ .
- (٦) راجع ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٢٢ / ٢ ، ٦٦٤ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢١١ / ٣ ، ٢١٣ ، ٢١٧ .
- (٧) الطبري / تاريخ الطبري / ٢٤١ / ٣ ، ابن سعد / الطبقات / ٢٣ / ٧٨/٢ .
- (٨) انظر ابن هشام / السيرة / ٦٤٢/١ ، ٢٤٤ / ٢٤٥ - ٢٤٤ / ٢٤٤ / ٢ - ٥٤٤ .

بالمسلمين (١) . وذكره عمال الرسول على الأمصار لجمع الصدقات . (٢)
ويستمر عبدالله بن حزم في تقديم الأخبار عن عهد الخلافة الإسلامية ، ففي
عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رض) يذكر لنا استشارة عبدالرحمن بن عوف
لعمر بن الخطاب حول مبايعة أبي بكر بالخلافة واستقرار رأي عمر على مبايعته
أمام الناس بالمدينة (يوم القبية) (٣) ثم حديثه عن الردة بما فيها ردة هوازن
وسليم وعامر وحضرموت . وقلوب الأشعث إلى الرسول وإسلامه (٤) ،
وتوجيه الجيوش إلى الشام ووقعة قرقر (الجسر) (٥) ، وتكلمه على معركة
القادسية . (٦) .

شملت دراسته أيضاً عهد الخليفة عمر بن الخطاب . كتوليه الخلافة وذكر
خطبته في المسلمين سنة ٢٣ هـ ، وقسمة عمر بن الخطاب لوائي أم القرى بين
المسلمين بعد إجلاء اليهود من حير (٧) وذكره قصة وقعت في نجران على
عهد عمر بن الخطاب وشاهد أثراً لروايته في عهد الخليفة عثمان بن عفان
فيورد لنا نصاً واحداً عن مقتبه سنة (٣٥ هـ) . فقال (نزول المؤذن عليه
يأذنه بالصلاة فرفض وخرج إلى الإمام علي فقام وصلى بالناس في اليوم الآخر
من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ حتى قتل (رض) . (٨)

أما العهد الأموي فقد وصل إلينا نص واحد كان قد رواه عبدالله بن حزم
الأنصاري ، ويتعلق بمقتل ابن الزبير وجماعة من المسلمين ، قال : (بعث
الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبدالله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن

(١) مر ذكر هذه الوفود سابقاً ، كما سيأتي ذكرها ضمن آثاره التاريخية انظر الطبري / تاريخ الطبري
١٤٧ / ٣ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٦٥٧ .

(٣) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ٢٦٥ / ٣ ، ٢٦٦ ، ٢٢٩ .

(٤) المصدر السابق / ٣٨٧ / ٣ ، ٤٥٩ .

(٥) المصدر السابق / ٥٧٥ / ٣ .

(٦) المصدر السابق / ٢١٤ / ٤ .

(٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ٣٥٧ / ٢ .

(٨) الطبري / تاريخ الطبري / ٤٢٣ / ٤ .

حزم إلى المدينة فتصبت بها ثم ذهب إلى عبد الملك بن مروان ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان (١)

تناولت دراسته حياة الرسول وفترة الرسالة ، بعد أن روى لنا بعض النصوص المتعلقة بالفترة القريبة من عهد البعثة النبوية (العصر الخاهلي) منتقلاً إلى ذكر الفترة المكية مستعرضاً ومفصلاً الفترة المدنية مع تركه لنا اشارات تعود إلى العهد الراشدي والأموي تمثل تاريخ الخلفاء .

نستنتج مما سبق كله وجود محاولة لدى عبدالله بن أبي بكر للكتابة عن السيرة بالرغم من تركيزه الواضح على مغازي رسول الله (ص) (٢) وتفصيله في بعضها . ولاشك أنه استمد رواياته هذه من محدثي أهل المدينة الثقات بالإضافة إلى اهتمامه بالتسلسل التاريخي (الزمني) في عرض مادته التاريخية ففكرة التاريخ واضحة عند ابن حزم .

أسلوبه :

تميزت كتابته بالدقة والحياد إذ كتبها بأسلوب مدرسة المدينة ، وحير ما يفسر هذا تعبيره عن الحادثة الواحدة بأكثر من نص تاريخي أحياناً . أما الحياد فيتضح من خلال فكرته فلم تكن لديه أية ميول فكرية أو سياسية ، بالإضافة إلى ما امتاز به أسلوبه من البساطة والوضوح بعيداً عن المبالغة والتأثير .

ترك عبدالله بن حزم في كتابته مجالاً لذكر الشعر مستشهداً به على لسان رجال ساهموا في الأحداث التاريخية التي قالوا فيها شعرهم ، فقد أوردته في معركة بدر الكبرى (٣) وفي غزوة حمراء الأسد (٤) وفي غزوة خيبر (٥) (٧) وفي غزوة بني الحياض سنة (٨) وما قاله كعب بن مالك (٦) وما قاله عبدالله

(١) الطبري / تاريخ الطبري / ١ / ٥٥٤ .

(٢) وقد نقل عن عبدالله بن أبي بكر قال أبو جعفر وكانت غزوة نفسه ث وعشرين غزوة ويقول بعضهم هن سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة ذي (ص) خيبر ، وغزوة من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أهلها إلى منزله ولكنك مضى منها إلى وادي القرى / راجع الطبري / تاريخ الطبري ٣ / ١٥٢ / ١٥٨١ .

(٣) راجع ابن هشام / البيرة النبوية / ١٥ / ٤٥٠ - ٤٥١ الطبري / تاريخ الطبري

(٤) انظر مقالته عهد الخزامي من الشعر / بعد أن روى الرسول وصحبه الكرام في هذه النزوة ابن هشام / البيرة النبوية / ٢٣ / ١١٢ . (٥) المصدر السابق / ٢٣ / ٣٦١ الطبري . تاريخ الطبري / ٣ / ٢٢١ . (٦) ابن هشام / البيرة النبوية / ٢٣ / ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٢ / ٤٦٤ .

بن رواحة في غروة مؤته . (١) وما قاله حماس بن فيس بن خالد (أخو بني بكر) في يوم الخندمة قبل دخول الرسول (ص) مكة (٢) وما ارتجز به كرز بن حابر يوم الخندمة أيضاً (٣) وما قيل على لسان وفد زيد سنة ١٠ هـ من الشعر أمام الرسول (ص) (٤) . وما ردد في ردة هوازن وسليم وعامر سنة ١١ هـ (٥) كما وردت أبيات مبعثرة من الشعر في مواقف أخرى من الأحداث التاريخية التي كتب عنها .

علق هورفيتس على ادخال عبدالله الشعر في الأحداث التاريخية بقوله (إن أسرة عبدالله كانت محبة للشعر) . إن هذا التعليق حول الملكة الشعرية التي اتصفت بها أسرة عبدالله بن حزم لا يكفي أن يثبت أن عبدالله كانت له القدرة على نظم الشعر أو أنه كان محباً له . ولكن نظم الشعر أو كثرته هو تعبير عن طابع البيئة الثقافية التي عاش أو كتب فيها عبدالله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (٦) ويدعم هورفيتس رأيه هذا بقوله : ولدي في كتاب الأغاني (خبر عن محمد بن أحمد أبناء أبي بكر بن محمد) لا يمكن أن تقطع أكان عبدالله نفسه أم أحد إخوته (٧) للفرزدق أن ينظم قصيدة مثل إحدى قصائد حسان التي كان يعجب بها (٨) ، إن عدم معرفة اسم الشخص من أولاد أبي بكر بن حزم

(١) ابن هشام / البيرة النبوية / ٢٧٧٦/٢ - ٢٧٧ الطبري / تاريخ الطبري / ٥٧/٢ .

(٢) ابن هشام / البيرة النبوية / ٢٧٧/٢ - ٤٠٨ ، (٣) المصدر السابق / ٢٠٨/٢ .

(٤) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١٣٤٠١٣٢/٣ .

(٥) الطبري (تاريخ الطبري ٢٨ - ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٦) راجع هذا المصدر / عبد العزيز الدوري في تعليقه عن غروة بن الزبير ، وكلامه على محمد بن

سلم الزمري / الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٢٣٤٢٢ ، .

(٧) لم تصلنا أية معلومات تؤكد على أن عبد الله بن حزم لديه احرة ، والاصح كان لديه

أغ واحد فقط هو القاضي محمد ، انظر ابن حجر / تهذيب التهذيب / ١٢ / ٣٨ .

(٨) راجع / ابي الفرج الاصفهاني / الاغانى / ٣٨/١٩ - ٣٩ ، يفيان / كتاب النقاظ

(نقاظ جرير والفرزدق / ٥٤٦/٢ ، هورفيتس / المغازي الاولى ومؤلفوها / ٤٤ - ٤٧

والذي تحدى المرزوق بمعارضة شعر حسان لا يصلح - دليلاً قاطعاً على أن عبد الله كانت لديه الملكية والموهبة الشعرية على حسب ما ذهب إلى تفسيره هورفيتس ، ولكنه استطاع أخيراً أن ينقذ تعليله بالقول : (وتحدث القصة في شباب عبدالله أو أحد إخوته وترينا للمرة الثانية مبلغ عناية أهل الفقه والحديث برواية الشعر ودرسه) . (١)

كما وصلت إلينا منه إشارة إلى آيات قرآنية لها صلة بالحوادث كاستشهاده بآية من سورة النساء في غزوة الخندق (٢) وما قالته عائشة (رض) في حديث الألفك (٣) وما ذكر في وصية الرسول (ص) لعمر بن حزم جيسا ولله وفد الحارث بن كعب وبعثه إلى اليمن . (٤)

وتجدر الإشارة إلى قصص الأيام ضمن أسلونه فقد وردت في كتابته اشارات ضعيفة ، ولم ترد في جميع ما رواه من نصوص سوى إشارتين لها بالإشارة الأولى تدور حول قصة وقعت في بجران . قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حرم أنه حدث أن رجلاً من أهل بجران كان في زمان عمر بن الخطاب (رض) حمر حربة من غرب بجران لبعض حاجته فوجدوا عبدالله بن النضر تحت دمن منها قاعداً واضعاً يده على صريرة في رأسه ممسكاً بيده عليها فإذا أخرت يده عنها تنبعت دماً وإذا أرسلت يده ردها عليها فأمسكت دمه وفي يده خاتم مكتوب فيه (ربي الله) فكتب فيه إلى عمرو بن الخطاب يخبره بأمره فكتب اليهم عمر (رض) أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا) ، وبمجرد القاء نظرة على النص السابق الذي ينتهي استناده إلى عبدالله نرى أن عبدالله روى النص بعبارة (أنه حدث) ولذا

(١) هورفيتس / المنار الأول ومؤلفوها / ٤٧ .

(٢) القرآن الكريم / سورة النساء ، آية ٥١ - ٥٥ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٦٥/٢ .

(٣) سورة يوسف (ع) / آية ١٨ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٦١١/٢ .

(٤) سورة المائدة / آية / ١١ انظر أيضاً سورة هود / الآية / ٨ ، وراجع كذلك وصية الرسول في / ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٤ / ٥٩٤ .

لا يترك مجالاً للشك أو نذراً لروايته . بالرغم من أن مدرسة المدينة عرفت بالميل إلى الحديث فانخذت شكل الرواية المجردة من النقد . (١) كما تفصح لنا كلمة (حدث) ورأي قاطع أنه نقل النص من كتاب قرأه أو رواية نقلها مشافهة من الآخرين . فلذا يترك في دراسته مجالاً للنقد والتمحيص .

أما الإشارة الثانية فيعود حديثها إلى معركة بدر : قال ابن إسحاق : وحديثي عبدالله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال : حدثني رجل من بني غفار قال أقلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بها على بدر ونحو مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب قال : فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فيها حميمة الخيل فسمعت قائلاً يقول أقدم حيزوم فاما ابن عمي فأنكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكنت أهلك ثم تماسكت (٢) ، والملاحظ على هذا النص أن عبدالله بن حزم يروي به نفس طريقة رواية النص السابق ونحو عبارة (أنه حدث عن ابن عباس) . وبهذا الأسلوب من الإسناد استطاع أد بدفع الشك عن روايته كما استطاع بنفس الوقت أن يكشف لنا عن أسلوب مدرسة المدينة الذي لانجد في كتابتها صدى لقصص الأيام . أما الإسناد فلم يهتم به عبدالله اهتماماً واضحاً ، فأكثر نصوصه التاريخية خالية من الإسناد وليس هذا معناه أنه تخلّى عن أسلوب المدينة التي تركز بدورها على الإسناد وهتم به ، فزاه يركز على الأسناد في رواياته التي تتعلق بفترة ما قبل الإسلام ، أما الفترة الإسلامية (الفترة الحكيمة ، والفترة المدنية) فيذكر الإسناد في بعضها ويترك القسم الآخر بدون اسناد أما الروايات المستندة فيلاحظ عليه فيها أنه يهتم بالاسناد الجمعي إذ يذكر سلسلة من الرواة ، (٣) كما يذكر في بعض نصوصه عدة روايات على الحادثة الواحدة . (٤) وهذا يدل على الدقة ، وفي قسم من رواياته يعطي رأيه في الأحداث بدون سند ، ويعمله هذا بضعف

(١) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٣ .

(٢) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / (١٤) / ٦٣٣ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٤٠٣ / ٢ .

الاصفهاني / الاغانى / ١٩٨٤ .

(٣) مر بنا قسم من هذه النصوص سابقاً .

(٤) مر ذكر هذه الروايات سابقاً

معلومات جديدة إلى قائمة ما كتبه في دراسته وهي نفس الوقت تمثل محوثة الشخصية التي اعتمد في كتابتها على جهوده . (١) أما رواياته الحالية من الإسناد فزاه يحسن تقديم المادة التاريخية فيها ويبدأها في عبارة أنه حدث (٢) أو حدثه بعض أسلم (٣) أو عن عبدالله بن كعب من لآتهم : قال (٤) بالاضافة إلى هذا فقد وردتنا أكثر رواياته غير المسندة عن تلميذه محمد بن اسحاق قال : حدثني عبدالله بن أبي بكر قال : (٥) وهذا فإنه يدخل إلى رواية النص بدون ذكر صاحب القول . بعد أن ينتهي إليه الإسناد ، وبعمله هذا يكون غير متقيد بقواعد الرواية (٦) وبهذا فإنه يكمل نصوصه المسندة بروايات غير مسندة يحسن فيها تقديم المادة التاريخية .

مما سبق نلاحظ أن عبدالله بن أبي بكر بن حزم ساهم في وضع إطار الدراسة التاريخية التي كان مركزها الأول المدينة المنورة . مع المحدثين من معاصريه تلك الدراسة التي آخذت دراسة لحديث أساساً لها ، إذ أن (أغلب المؤرخين القدماء كانوا من أصحاب الحديث . فكانوا يشعرون في تنوينهم ومعالجتهم للتاريخ أسلوب المحدثين) (٧) وهذا ما نلاحظه في دراسة عبدالله بن حزم ، التي تتسم بوجود نقص في مادته التاريخية التي كتبها فهذا ناتج عن ضياع بعضها ، فلم يصل إلينا منها سوى مقتضات متناثرة وروايات متفرقة إلا أنها تنمي بحاجة البحث وتكوين دراسة حوله . (٨) ومع هذا تبقى الصكوة التاريخية

- (١) انظر مثلاً رأيه في بيعة الانصار قرسول (ص) / الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٣٦٧ ، رأيه في جبريل عليه السلام ونزول الوحي / الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٣٨٦-٣٨٧ .
- (٢) انظر ابن هشام / السيرة النبوية / ٢/ ٥٩٠ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ١٢٤، ٣٦٧ . ج ٣/ ١١٥ الاصفهاني / الاغانى / ٤/ ١٩٨ .
- (٣) ابن هشام / السيرة / ٢/ ٣٢٢ الطبري / تاريخ الطبري / ٣/ ١٠ .
- (٤) الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٥٩٦ .
- (٥) انظر ابن هشام / السيرة / ١/ ٤٥٠- ٤٥١ ٢/ ٣٤٨ الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ١١٦ .
- (٦) جواد علي / موارد تاريخ الطبري / ١٥٧ .
- (٧) المصدر السابق / ١٥٧ .
- (٨) سبق وان مر بنا الاشارة حول تركيزه على الفترة المدنية ، وسفاري قرسول (ص) الا أن ذكر بعض غزوات الرسول لم تصلنا معلومات عنها عن طريق روايته ، كمزوة ذات العشرة وتيفاق والسيق والقردة ، وذات القراع وأحد .

كاملة لديه عندما يجبرنا في ثلاثة نصوص أن غزوات الرسول (ص) كانت ستاً وعشرين غزوة (١) ، وأما إشارته للأحداث التاريخية التي وقعت في عهد الرسول (ص) أو تلك التي حدثت بعد وفاته ، كانتخاب أبي بكر (رض) أو الردة وتوجيه الجيوش إلى أمصار الجزيرة العربية والشام ، فهي تعبير حي عن واقع الأمة . وعن صلة الحوادث التاريخية بعضها ببعض مكونة بمجموعها فكرة التاريخ (تاريخ الأمة) . فهو لم يكتب عن السيرة والمغازي فحسب بل تخطى إطارها فكتب عن تاريخ الحلفاء في العهدين الراشدي والأموي بالرغم من كونها إشارات معدودة ومحدودة المعلومات وبمكنا القول بأنه كان قد جمع في دراسته هذه أسلوب المحدثين والمؤرخين . بدليل أن الدراسة التاريخية على عهده لم يتضح منهجها ، ولم يكتمل إطارها إلا على يد تلميذه محمد بن اسحاق (٢) الذي قلّد مسج استاده سواء في الكتابة التاريخية فنقل بعض رواياته (٣) أو في استعارته التسلسل التاريخي منه في عرض مادته لغزوات الرسول (٤) . وعليه فقد آهّم عبدالله بالتسلسل التاريخي للحوادث . وإلى جانب أسلوبه وفكرته فهو يشير إلى الأماكن الجغرافية للحوادث ، ولمواقع المعارك . وهذا يكمل الفكرة التاريخية لديه ولدى القارئ لمادته مثلاً ذكره وفاة أمّية بنت وهب أم الرسول (ص) بالأواء بين مكة والمدينة (٥) ، وذكره مكان تجمع المشركين من بني ثعلبة ومحارب بذي أمر في غزوة غطفان (٦)

(١) مر ذكرها ضمن الأسلوب / انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١٥٨١٥٤ / ٣ .

(٢) عبد العزيز الدوري / بحث في نشأة التاريخ عند العرب / ٧٦ .

(٣) يبلغ ما رواه محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أربعون رواية / انظر فهرست الطبري / مطبوع مع الجزء المأثور / تاريخ الطبري / ٣٠٥ ، جواد علي / موارد تاريخ الطبري ٢٠٩ /

(٤) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١٥٢ / ٣ / ١٥٤٤ ، ١٥٨ . هورفيتس / المغازي الأولى ومؤلفوها / ٢٢ .

(٥) ابن هشام / السيرة / ١ / ١٦٨ الطبري / تاريخ الطبري / ١٦٥ / ٢ .

(٦) الواقدي / مغازي رسول الله / ١٥٩ .

وكذلك ما أورده في غزوة خيبر سنة ٥٧ هـ حيث فتح الله على يد المسلمين حصن الصعب بن معاذ وهو حصن كثير الطعام في خيبر (١) ومن فتح مكة وصول المسلمين إلى ذي طوى - وادي نمكة - (٢) وقدم لنا بعض الأرقام عن عدد جيش المسلمين في غزوة غطفان فتدب الرسول (ص) أربع مائة رجل وخمسين (٣) كما ذكر لنا عدد من أصيب من المشركين في يوم الخندمة والمسلمون سائرون للدخول إلى مكة فقال : (وأصيب من المشركين ناسٌ قريب من إثني عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً) . (٤) فهذه أمثلة تاريخية تعود ضمن الروايات التي قدمها لنا ابن حزم وهي أرقام مقولة إلى حد ما ، وهي بنفس الوقت تكشف لنا مدى دقته وتمحيصه للمعلومات ، مبتعداً عن المبالغة ولهذا غلبت على أسلوبه طابع الساطة والوضوح

وينصح لنا من خلال دراسته اهتمامه المكر بالزمن والتاريخ . فذكر وفاة أم الرسول (ص) وهو ابن ست سنين ، (٥) ومكث الرسول في غزوة غطفان إحدى عشرة ليلة بعد أن استخلف على المدينة عثمان بن عفان (٦) . كما تطرق إلى الزمن (التاريخ) في حوادث أخرى ، وأخيراً يبدو لنا أنه راعى أهمية الوثائق المكتوبة (مراسلات الرسول (ص)) . فقلها لنا إلى جانب نصوصه التاريخية ورواياته . وما يكسب الأهمية لهذه جميعاً أنه رواها عن محدثين ثقة كعائشة ، وعمر بنت عبد الرحمن والزهري وعاصم بن قنادة ، وابن عباس وغيرهم . وهذا لاشك يعطي لرواياته قيمة تاريخية بالرغم مما حدث لكتابه من فقدان وضياح قد تبقى على أثرها الدراسة التاريخية حولها غير واضحة الخطوط ناقصة .

(١) انظر الطبري / تاريخ الطبري / ١٠/٣ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٥ / ٤٠٥ .

(٣) الواقدي / منازل رسول الله (ص) / ١٥١ .

(٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٥ / ٤٠٨ .

(٥) الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ١٦٥ .

(٦) الواقدي / منازل رسول الله / ١٥٣ .

وأخيراً أترك القارئ الكريم يعرف على آثار عبد الله التاريخية التي كتبها.
فترة ما قبل الإسلام (التاريخ الجاهلي)

١. قصة ذبح إبراهيم لولده (١)
 ٢. ذكر قائد الفيل وسائمه بمكة ، ومصيرهما (٢)
 ٣. قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب (٣)
 ٤. حديث أساف وناثلة ومسخرهما حجّرين بالكعبة (٤)
 ٥. وفاة أمّة أم الرسول (ص) وهو آبن ست سنوات بالأبواء بين مكة والمدينة (٥)
 ٦. وصية عبد المطلب لآله أبي طالب برعايته لرسول الله (ص) من بعده (٦)
 ٧. ذكر الحديث المحسر عبد فريش وموقف الرسول (ص) منها (٧)
- أما فترة الإسلام فقد تناول فيها :

٨. من بيعة العقبة الأولى إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير من الأنصار (٨)
٩. تسمية نقباء الأوس من قبل رسول الله (ص) (٩)

- (١) الطبري / تاريخ الطبري / ٢٦٥/١ .
- (٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٥٧ ، علي بن برهان الخليلي / السيرة الخليلية / ج ١ / ١٠١/١
- (٣) المصدر السابق / ١٥ / ٧٦ . ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٧٦ .
- (٤) ابن هشام / السيرة / ١٥ / ٨٢ - ٨٣ .
- (٥) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ١٦٨ ، الطبري / تاريخ / ٢ / ١٦٥
- (٦) الطبري / تاريخ / ٢ / ٢٧٧ .
- (٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .
- (٨) ابن هشام / السيرة / ١٥ / ٢٣٥ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٣٥٩ ، ابن سيد الناس / صيوان الاثر / ١ / ١٥٩
- (٩) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٥ / ٢٤٦ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٣٦٣ . ابن كثير / البداية والنهاية / ٣ / ١٦٢ .

١٠. ما قاله العباس بن عباد في الخزرج قبل مبايعتهم للرسول (ص) (١).
١١. موقف قريش من بيعة الأنصار (٢).
١٢. الوحي ومهمة جبرائيل عليه السلام (٣).
١٣. ذكر أول من تولى بعد هجرة الرسول في المدينة (٤) وأول من ولد بعد الهجرة في المدينة (٥).
١٤. اسلام عبدالله بن سلام بعد الهجرة (٦).
١٥. من سنة ٥٢ : وحول غزوة بدر الكبرى ذكر تصدى المسلمين لقافلة أبي سفيان . وموقف أبي سفيان من الرسول . وأستناره قريش لقتال المسلمين (٧).
١٦. حديثه حول إشارة سعيد بن معاذ على الرسول (ص) ببناء عريش له خلال معركة بدر . ومقتل أمة بن خلف (٨).
١٧. حديثه عن شهود الملائكة في وقعة بدر ومقتل أبي جهل (٩).
١٨. كلامه على العيم وأسرى بدر قتال عمرو بن أبي سفيان بن حرب (١٠) وأمر أبي العاص أن الربع روح ريش أمة رسول الله (ص) وهجرة زينب إلى المدينة، موقف قريش منها مشوره أبي سفيان حولها (١١).

- (١) الطبري / تاريخ الطبري / ٣٦٤/٢ .
- (٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢/ ٢٥ - ٤٤٨ - ٤٤٩ الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٢٦٧ .
- (٣) الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٢٨٦ - ٣٨٧ ، ابن سعد / الطبقات / ١/ ١٩١ ، الواقدي / معاني رسول الله / ٤٠ .
- (٤) ابن هشام / السيرة النبوية / ١/ ٥٠٧ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٢٩٧ .
- (٥) أبو الفرج الأصفهاني / الأثافي / ٤/ ١١٥ .
- (٦) ابن سيد الناس / عيون الآثار / ١/ ٢٠٨ .
- (٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ١/ ٦٠٦ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٤٢٧ .
- (٨) ابن هشام / السيرة النبوية / ١/ ٦٣١ ، ٦٣٠ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٤٥١ ، ٤٤٠ .
- (٩) ابن هشام / السيرة النبوية / ١/ ٦٣٢ - ٦٣٤ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٤٥٢ - ٤٥٤ .
- (١٠) ابن هشام / السيرة النبوية / ١/ ٤٥٠ - ٤٥١ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٤٦٦ .
- (١١) ابن هشام / السيرة النبوية / ١/ ٦٥٣ - ٦٥٤ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٤٦٧ - ٤٦٨ .

- موقف الرسول من تجارة أبا العاص وإسلامه . (١)
١٩. استنكار كعب بن الأشرف جبر . قتل المشركين يوم بدر غزوة حمراء الأسد . واستعداد أبي سفيان للقاء المسلمين . (٢)
٢٠. خبر قدوم أبي ذرء عامر بن مالك من نجد إلى الرسول (ص) لإرسال الرسول وفداً إلى عبد . القدر بالوفد وفاتهم . (٣)
٢١. جلاء بني النضير من المدينة ، ترك أموالهم . قسمة أموالهم بين المسلمين ذكر من أسلم منهم . (٤)
٢٢. ذكر من يستحقهم الرسول (ص) في غزواته . (٥)
٢٣. ذكره غزوة الخندق . وخروج بني النضير إلى مكة . وتحالفهم مع قريش . ولقاءهم بعطشان بن قيس وأنفاقهم على حرب الرسول . وإشارة سلمان الفارسي . حبر الخندق . ومقتل سعد بن معاذ في يوم الخندق . (٦)
٢٤. غزوة بني الحباب . عروة ذي قرد . قتال بن الأكرخ وبلاءه . موقف الرسول منه . موقف المسلمين من الرسول في القتال . تنظيم الرسول المسلمين . (٧)
٢٥. غزوة بني المصطلق سنة ٨٦ . وسب عرو الرسول لهم . موت رجل من الأنصار ، اقتتال جهنجاه بن مسعود وسنان بن وبر الجهنني ، غضب عبد الله ابن أبي بن سلول وتحريضه الناس ضد المهاجرين أعذاره أمام (٨) الرسول (ص) .

-
- (١) ابن هشام / السيرة النبوة / ١٥ / ٦٥٨ الطبري / تاريخ الطبري / ٤٧١/٢ .
- (٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٤ / ١٠٢٠٥١ الطبري / ج ٢ / ٨٧ / ٥٣٥٠ ، ابن سيد الناس / عيون الآثار / ج ٢ / ٣٧ .
- (٣) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٤ / ١٨٤ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٤٤٥ - ٤٤٦ .
- (٤) الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٥٥٤ - ٥٥٥ .
- (٥) الواقدي / سناخي رسول الله / ١٤١ - ١٤٥ .
- (٦) ابن هشام / السيرة / ٢٤ / ٢٥١ ، ٢٨٠ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٥٦٥ - ٥٦٦ ، ٥٩٥ .
- ابن سيد الناس / عيون الآثار / ج ٢ / ٢٥١ .
- (٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢٤ / ٢٨١ - ٢٨٣ الطبري / تاريخ الطبري / ٢ / ٥٩٦ .
- (٨) ابن هشام / السيرة / ٢ / ٢٩٠ - ٢٩١ ، ابن سيد الناس ، عيون الآثار / ٢ / ٩١ .

٢٦ حديث الإفك في غزوة بني المصطلق . سبب تخلف عائشة عن ركب المسلمين ، مرور صفوان بن المعطل السلمي بها لإعراض الرسول عنها(١)
٢٧. من قصة الحديبية ، خروج الرسول معتمراً إلى مكة وتجبه (ص) لقاء قريش رأيي الحليس بن علقمة . ثم ذكر رسول قريش إلى الرسول (ص) (٢) .

٢٨. بيعة الرضوان تحت الشجرة . وسرية ريد بن حارثة إلى بني فزارة (٣).
٢٩. كتاب رسول الله (ص) إلى كسرى أنوشروان . (٤)
٣٠. غزوة خيبر سنة (٥٧) وضع في سهم الأسلمين في الغزوة . قصة أموال خير على المسلمين ، لإرسال عبدالله بن رواحة حارساً على المسلمين ويهود خيبر (٥).

٣١. ومن سرايا الرسول (ص) سرية غالب بن عبدالله في رمضان إلى الميمنة وصف حالة الرسول (ص) عندما دخل مكة معتمراً سنة ٥٧ . (٦)
٣٢. غزوة ذات اليلال (٧).
٣٣. غزوة مؤتة ومقتل جعفر بن أبي طالب ، وصية الرسول بأهله وحزبه عليه ، تشجيع عبدالله بن رواحة المسلمين على القتال ، آثار مؤتة على المسلمين ، وحديث سلمة بن هشام في المدينة (٨)

-
- (١) ابن هشام / السيرة / ٢٩٧/٢ق - ٢٩٩ الطبري / تاريخ الطبري / ج ٢/ ٦١١.
 - (٢) المصدر السابق / ٢ق/ ٣٠٩ ، ٣١٢ ، الطبري / تاريخ الطبري ج ٢/ ٦٢٣ ، ٦٢٨ .
 - (٣) ابن هشام / السيرة / ٢ق/ ٣١٥ . الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٦٢٣ ، ٦٤٣ ، ابن سيد الناس / حيون الاثر / ١٠٨/٢ .
 - (٤) الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٦٥٥ .
 - (٥) ابن هشام / السيرة / ٢ق/ ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، وانظر ابن كثير / البداية والنهاية / ١٨١/٤ .
 - (٦) ابن هشام / السيرة / ٢ق/ ٣٧١ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٢٤٤ .
 - (٧) الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٣٢٢ .
 - (٨) ابن هشام / السيرة / ٢ق/ ٣٧٦ - ٣٨٣ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٤١ ، ٤٢ .

٣٤. فتح مكة سنة (٥٨هـ) ، وصول الرسول (ص) إلى وادي طوى - يوم الخنعة ، وذكره من أصيب من المسلمين والمشركين في يوم الخنعة. (١)
٣٥. غزوة حنين (٥٨هـ) عدة المسلمين ، وضع أم سليم بنت ملحان في أقتال (٢)
٣٦. تقسيم الرسول أموال هوارن والمؤلفة قلوبهم من غنائم حنين أخبار الرسول (ص) عند رجوعه من حنين. (٣) غزوة تبوك .
٣٧. أمر الرسول (ص) بالتهيب لقتال الروم ، قصة وقعت لرجلين من المسلمين . محنة المسلمين ومطر السماء عليهم . (٤)
٣٨. ذكره للوفود التي قدمت إلى الرسول (ص) وفد تميم ، وفد حمير وكتائبهم إلى الرسول في رمضان سنة ٥٩هـ (٥) وصية الرسول لمعاذ حين بعثه إلى اليمن (٦) وفد الرسول إلى نجران ، قدوم وفد الازد إلى الرسول ، وفد زبيد . وفد عمرو بن معد بن بكر . وفد عبد القيس . (٧)
٣٩. كتاب مسيلة الكذاب إلى الرسول (ص) والجواب عليه . (٨)
٤٠. ذكره عمال الرسول وتوزيعهم للجمع الصدقات على الأمصار . (٩)
٤١. ذكره لعدد عزوات الرسول (ص) . (١٠)
٤٢. ذكره وفاة الرسول (ص) والصلاة عليه ودفنه (١١) المغيرة بن شعبه وإلقائه الخاتم في قبر الرسول (ص) أثناء دفنه . (١٢)
- أما كتابته عن العهد الراشدي فهي :

- (١) ابن هشام / السيرة / ٢٤ / ٤٠٥ ، ٤٠٧ - ٤٠٨
- (٢) المصدر السابق / ٢٤ / ٤١٦ الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ٧٣ ، ٧٦
- (٣) انظر الطبري / ٩٣ ، ٩٠ / ٣ .
- (٤) ابن هشام / السيرة / ٢٤ / ٥١٦ ، ٥٢٢ / الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٠٥ ، ١٠١
- (٥) الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١١٥ ، ١٢٠
- (٦) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢ / ٥٩٠ .
- (٧) المصدر السابق / ٢٤ / ٥٢٨ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ .
- (٨) الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٤٦ .
- (٩) المصدر السابق / ٣ / ١٤٧ .
- (١٠) الطبري / تاريخ الطبري / ٣ / ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ .
- (١١) ابن هشام / ٢٤ / ٦٦٢ ، ٦٦٤ / الطبري / ٣ / ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٤١ .
- (١٢) ابن سعد الطبقات ج ٢ / ٢٤ / ٧٨ .

ما ذكره في يوم السقيفة ، وانتخاب أبي بكر (رض) مشورة عبدالرحمن
 بن عوف لعمر بن الخطاب حول مبايعة أبي بكر ، استقرار رأي
 عمر بمبايعته أمام الناس . (١)

حديثه عن الردة - ردة هوازن وسليم وغامر (٢) وردة حصر موت .
 قدوم الأشعث إلى أبي بكر وإسلامه من جديد (٣) . توجيه أجوش
 قبل أبي بكر إلى الشام ، وقعة القرقس أو القس قر (الحسر) . (٤)
 ذكره لمعركة القادسية سنة ١٤ هـ . (٥)

أما خلافة عمر بن الخطاب فقد ذكر عنها :-

١ خطبة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بالمسلمين عندما وني خلافة
 سنة ٢٣ هـ (٦)

٢ فسمه عمر بن الخطاب لؤادي لفرى بن أنس بن عبد إجلال اليهود عن
 خير . (٧)

٣ ذكره لقصة وقعت في نجران على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٨) .
 أما خلافة عثمان بن عفان (رض) فقد نظرق إلى ذكر مقتله (٩)
 وهو النص الوحيد الذي وصل إلينا من بن رواياته والتي تعود إلى خلافة
 عثمان بن عفان . أما العهد الأموي :- فقد وصلنا منه نص واحد ذكره
 لمقتل جماعة من المسلمين على يد الحجاج في خلافة عبدالملك بن مروان (١٠)

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢/ ٢٥٧

(٢) الطبري / تاريخ الطبري / ٣/ ٢٦٥-٢٦٦

(٣) المصدر السابق / ٣/ ٢٢٩

(٤) المصدر السابق / ٢/ ٣٨٧ ، ٤٥٩

(٥) المصدر السابق / ٣/ ٥٧٥

(٦) المصدر السابق / ٤/ ٢١٤

(٧) ابن هشام / السيرة النبوية / ٢/ ٣٥٧

(٨) ابن هشام / السيرة النبوية / ١٣٦/ ١٣٦ ، الطبري / تاريخ الطبري / ٢/ ٢٢

(٩) الطبري / تاريخ الطبري / ٤/ ٤٢٣

(١٠) الطبري / تاريخ الطبري / ٦/ ١٩٢

المراجع، ومصادر البحث

١. القرآن الكريم

٢. ابن حجر العسقلاني :

شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي (ت ٨٥٢هـ)
تهذيب التهذيب ١٢ جزء ١ ط ١ دائرة المعارف النظامية -
حيدر آباد - الدكن ١٣٢٦هـ - ١٣٢٧هـ .

٣. ابن خياط

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)
الطبقات (رواية أبي عمران موسى بن زكريا) ٤ أجزاء
حققه سهيل ركارم مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٦٦ .

٤. ابن سعد

محمد بن سعد كاتب الواقدي
الطبقات الكبير . أبي نصر حبيبه أدوارد سحاوم ١ - ٩ .
لندن - بريل ١٣٢١هـ - ١٣٤٧

٥. ابن سيد الناس

فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد (ت ٥٣٤هـ)
عيون الأثر في فنون المعاري والسير جزءان مطبعة
القدس والسعادة - القاهرة ١٣٥٦هـ

٦. ابن كثير :

عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)
البداءة والنهاية ١٤ جزءا مطبعة السعادة - القاهرة ،
١٣٥١هـ / ١٩٣٢ م

٧. ابن النديم :

الفهرست مكتبة الخياط بيروت . ١٩٦٤ .

٨. ابن هشام :

أبو محمد عبد الملك بن هشام : الحميري (ت ٢١٣ - ٢١٨هـ)
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته - القسم

الأول جزءان والقسم الثاني ج ٣ . ٤ / ط ٢ مطبعة
مصطفى الحلبي - القاهرة - ١٩٥٥ .

٩. الأصفهاني :

أبي الفرج علي بن الحسين (ت ٨٣٥٦)
الأغاني - ٢١ جزء - مطبعة التقدم - القاهرة .

١٠. البلاذري :

أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ على الأغلب)
١. فتوح البلدان ٣ أقسام - نشره صلاح الدين المنجد
مطبعة البيان العربي - القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٥٧ هـ .
٢. أنساب الأشراف ١٠ تحقيق محمد عبدالله -
مطابع المعارف - القاهرة - ١٩٥٩ م .

١١. حاجي خليفة

مصطفى بن عبدالله

كشف الطنون عن أسامي الكتب والنون .
١٢ - ٢ أعادت طبعه بالافست مكتبة المثنى بغداد .

١٢. الحلبي

علي بن برهان الدين (ت ٩٧٥ / ١٠٤٤ م) .
٣ أجزاء - إنسان الميؤن في سيرة الأمين والمأمون (السيرة
الحنينية) مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده - ط ١ القاهرة -
١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

١٣. الذهبي

أبو عبدالله شمس الدين (ت ٥٧٤٨ هـ)
١. تذكرة الحفاظ جزءان - ط ٣ - مطبعة المعارف .
حيدر آباد - الدكن - ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م .
٢. تراجم رجال روى عنهم بن اسحاق بريل -
لين ١٨٩٠ م .

١٤. الطبري :

أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
١٠ أجزاء - تحقيق محمد أبو الفضل - دار المعارف
القاهرة ١٩٦١ - ١٩٦٩ ج ٢، ٣ - الطبعة الأوربية -
بريل - لندن - ١٩٨٣ هـ - ١٩٨٥ هـ .
المنتخب من ذيل المذيل .

١٥. الواقدي :

أبي عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ)
مغازي رسول الله (ص) ط (مطبعة السعادة - القاهرة)
- ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

المراجع الحديثة :

١٦. دائرة المعارف الإسلامية :-

نقلها إلى العربية أحمد الشتاوي ورفاقه

١٧. الدوري عبدالعزيز

بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ .

١٨. روزنثال :

فرائز

علم التاريخ عند المسلمين - ترجمة د. صالح أحمد
علي - الناشر مكتبة المثنى بغداد .

١٩. علي

جواد

مقالة موارد تاريخ الطبري - منشورة في مجلة المجمع
العراقي - ج ١ السنة العاشرة مطبعة التفتيش ، بغداد ١٩٥٠

٢٠. معروف

بشار عواد
مقالة . أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين - دار
الجمهورية - بغداد - ١٩٦٦ . (طبعت في كراس صغير)

٢١. هورفيتس :

يوسف
المغازي الأولى ومؤلفوها . ترجمة حسين نصار - مطبعة
مصطفى الحلبي - الطبعة الأولى - ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩ م

محمود ياسين الشكريتي

مدرس متقاعد - قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة الموصل

سكانة العرب وفوزهم في العصر العباسي

٥١٣٢ - ٥٢٣٢

صلاح عبدالهادي الحيدري

تعتبر قريش أعز القبائل العربية في الجاهلية والإسلام ،
لذا أبجاء والثروة والرياسة والسيادة الدينية . وقد طالت كذلك
طوال عهد الراشدين لا يشاركها في ذلك منازع .
وحين جاء الأمويون اتبهم سياسة عربية في غالب أمورهم ،
لأنهم حشروا على أنفسهم العرب في الضياع والاندماج مع
العناصر الأجنبية . خاصة عندما أخذ عدد الداخلين في
الإسلام من الأعاجم في الازدياد بسبب كثرة الفتوحات
وتوسيع رقعة الدولة فاعتمدوا على العرب دون غيرهم ،

□ فحصروا بهم الوظائف الإدارية والعسكرية ، ونقلوا الدواوين من الفارسية
والرومية والقبطية إلى العربية . وضربوا السكة والتفود وكتبوا عليها اللغة
العربية . علاوة على ذلك كان فيهم بيت الخلافة وأشراف المناجحين وكبار
العمال والولاة .

ويبدو أن شعور العرب بالتفوق والتعصب تجاه العناصر الأخرى في
العصر الأموي لم يكن قاصراً على رجال الحُكم ومظاهره ، بل امتد إلى العرب
أنفسهم حتى قيل وإن بعضهم كان إذا مرت جنازة عربي صاح (واقوماه)

وإذا مرت به جنازة غير عربي قال (مال الله يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء) (١). وهكذا ظل للعرب المكان الأول في الدولة الأموية حتى سقوطها .

وما أن جاء العصر العباسي الأول الذي شهد نمواً ملموساً في نفوذ الفرس لمساعدتهم بني العباس في الوصول إلى مركز الخلافة ، حتى بادر هؤلاء بمكائدهم بتولي وممارسة تقاليدهم ونظمهم الإدارية كالوزارة مثلاً ، وهذا مادعا السيوطي (٢) إلى القول بأنهم وقدموهم على العرب حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها ،

وعلى الرغم مما أدعاه السيوطي إلا أنهم في الواقع كانوا موضع رية وشك من قبل السلطة وعلى رأسها الخليفة العباسي الذي كان يحاربهم كما يبدو في بداية الأمر لأن الدولة العباسية في بداية نشوئها . فكان العباسيون يحتاجون إلى من يؤازروهم في تلك الفترة العصية لاسبباً وأن أعداء الدولة كانوا مريبين بها .

ولكن ما أن ثبتت الدولة العباسية أقدامها حتى نكثوا بهم ، وقمعوا تطلمعهم إلى النفوذ والسيطرة ، فضتلوا أنا سلمة الحلال وأنا مسلم الخراساني . كما نكبوا بعض العوائل الفارسية المتنفذة كالبرامكة وآل سهل .

لقد كان معظم رجالات العرب الذين اعتمد عليهم العباسيون يتمون إلى قبائل عربية مشهورة ، كخزاعة ، وباهلة ، وبني أمهلب ، وبني حمير ، وبني الحارث (٣) ، وبني تميم ، وبني عبد القيس (٤) ، وغيرها من القبائل العربية . وقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً في مساندة الدعوة العباسية وهي في مهدها ، إذ كان غالبية المشرفين على تنظيمها وسير أمورها من بين رجال

(١) درورة ، محمد عزة - تاريخ العرب في الاسلام من ٥٨١ هـ ، منشورات المكتبة المصرية.

(٢) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن - تاريخ الخلفاء من ٢٦٩ - من ٢٧٠ القاهرة ١٣٨٩ هـ .
= ١٩٦٩ م ط ٤ .

(٣) البقري ، أحمد بن أبي يعقوب - البلدان من ٢٥٢ ، لندن ١٨٩١ م .

(٤) اللبدي ، أبي جعفر محمد بن جرير - تاريخ الرسل والملوك ج ٧ من ٤٦٤ القاهرة ١٩٦٦ ،
المعداني ، أبو بكر أحمد بن ابراهيم ، مختصر كتاب البلدان من ١٧٠ لندن ١٣٠٢ هـ .

تلك القبائل ، فكانوا نقيباً للدعوة (١) . وهؤلاء النقباء هم (٢) :
 قحطبة بن شبيب الطائي . مالك بن الحيثم الخزاعي . خالد بن ابراهيم الذهلي .
 موسى بن كعب التميمي . لاهز بن قريظ التميمي (٣) ، سليمان بن كثير
 الخُسزاعي . عمرو بن اعين الخزاعي .
 القاسم بن محاشع التميمي . شبل بن طهمان مولى بني أسد ، عمران بن
 اسماعيل مولى آل أبي معيط . طلحة بن زريق مولى طلحة الطلحات ، عيسى
 ابن عيين مولى بريدة بن حصيب الأسلمي . وبذلك نرى أن عدد النقباء العرب
 هم أكثر من الذين كانت اصولهم فارسية .

كما ساهمت تلك القبائل العربية فيما بعد عند اندلاع الثورة العباسية في مساعدة
 الجيوش العباسية الماثرة بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي . الذي عينه ابراهيم
 الإمام قائداً أعلى للجيش العباسي ، والذي تمكن من إحلال الكوفة هو وأبنائه (٤).

وبعد قيام الدولة العباسية لم يتوان الخلفاء العباسيون في الإستعانة
 بقواد من العرب في القضاء على أعدائهم وحصولهم السياسيين .

(١) تشير المصادر التاريخية إلى أن عدد نقباء الدعوة بين عشيرتي بني هاشم وبني عبد مناف كان هناك نظراء النقباء
 وعددهم اثنا عشر أيضاً ، ينحدر عن أحد النقباء هؤلاء ، ومعظمهم من العرب (انظر
 مؤلف مجهول - أخبار الدولة العباسية - ص ٢١٥ - ص ٢١٩ بيروت ١٩٧١ م ، الدكتور
 عمر ، فاروق - طبيعة الدعوة العباسية - ص ١٥٩ بيروت ١٩٣٨٩ م = ١٩٧٠).

(٢) انظر - مؤلف مجهول - أخبار الدولة العباسية - ص ٢١٥ - ص ٢١٧ ، عمر ، فاروق
 طبيعة الدعوة العباسية - ص ١٥٩

(٣) ويسيه صاحب كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ١٥٩ (لاحظ بن قريظ التميمي) .

(٤) مؤلف مجهول - أخبار الدولة العباسية - ص ٢٢١ وما بعدها ، ابن قتيبة الدينوري ، أبي
 محمد عبد الله - الإمامة والسياسة - ص ٢٢٥ القاهرة ١٩٠٤ م ، الخصري ، محمد - تاريخ
 الأمم الإسلامية - ص ٢٥ القاهرة ١٩٧٠ م ، فاروق عمر - العباسيون الأوائل - ج ٢
 ص ٣٨ - ص ٣٩ - ص ١٩٧٣ م ، طبيعة الدعوة العباسية - ص ١٩٧ - ص ١٩٨

فهذا أثر العباس السفاح عندما أراد قمع ثورة مصور بن جمهور (١) في سنة ١٣٤هـ إستعان بقائد عربي من صميم العرب هو موسى بن كعب . بعثه على رأس جيش عدته ثلاثة آلاف من العرب وأنوالي بالصرة . والف رجل من بني تميم خاصة . (٢)

وتشير بعض المصادر التاريخية (٣) إلى أنه غلب عليه شخصية أبي الجهم بن عطية الداهلي ، كما إنخذ لنفسه سماراً وجلساء من العرب منهم أبو بكر الهذلي . وحالد بن صفوان ، وجبله بن عبدالرحمن الأزدي . كما وإنه أوكل إلى بعض رجالات من العرب بعض المناصب المهمة والخطرة في نفس الوقت كالشرطة والحرس الخاص ، فعين عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي قائداً للشرطة العامة . كما عين أبا بكر بن أسد الخزاعي قائداً عاماً للحرس الخاص (٤) . يتضح من دراسة تلك الصور أن الخليفة العباسي كـ العباس السفاح كان يثق هؤلاء الرجال ، ويعتمد عليهم في إدارة شؤون البلاد السياسية والعسكرية والإدارية ، ولذلك عهد إليهم تلك المهمات الحسنة ولم يقف عند هذا الحد بل فراه أيضاً يسمح بعقد المظاهرات في محله بين رجالات من العرب يتناطرون فيها بأعجادهم وأساسهم وأحوالهم وهو في كل ذلك يستمتع بمحادثتهم وكلامهم العربي الأصيل (٥) .

(١) وهو منصور بن جمهور بن حمى بن عمرو الكلبي من بني كلب بن وبرة ، كان من سكان الحيرة ، من ضواحي دمشق . وخرج مع يزيد بن الوليد على ابن عمه الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ ثم سار إلى العراق ، فقيل أنه أقتل عهداً على لسان يزيد بامرة العراق ، فحكم به أوبعين يوماً ، وجعل على شرطه حجاج بن أرطاة . ثم أنه عزل صار نحو بلاد السند ، فعلب عليها مدة . ولما استولى السفاح سنة ١٣٢هـ وجه لقتاله موسى ابن كعب ، فالتقاء فانهزم . منصور ومات بالمقاومة بين السند وسجستان عطشاً . انظر - الزركلي - خير الدين - الأعلام ج٨ - ص ٢٣٥ - ص ٢٣٦ تلخيص الثالثة .

(٢) الطبري - تاريخ - ج٧ - ص ٤٦٤

(٣) كمشوي - تاريخ - ج٢ - ص ٢٦١ ، ص ٢٨٩ للنجف - ١٢٥٨هـ ، احمداني - مختصر البلدان - ص ١٦٧ .

(٤) المصدر السابق - ج٢ - ص ٢٦١ ، ص ٢٨٩ .

(٥) احمداني - مختصر البلدان - ص ١٦٧ .

وأخذت مكانة العرب ومزنتهم في العلو عندما ارتقى عرش الخلافة العباسية أبو جعفر المنصور الذي لعب دوراً كبيراً في تأسيس الدولة العباسية حتى اعتبر مؤسسها وكان يميل إلى العرب . وليس أدل على ذلك من قوله عندما حاصر ابن هيرة . ومن معه من القبائل اليمانية في مدينة واسط محاصراً بإيادهم السلطان سلطانكم . والدولة دولتكم ، (١) .

وهكذا اعتمد المنصور على رجال تلك القبائل العربية واتخذ منهم قادة أشداء يذودون عنه ويحمونه وقت الشدائد والملمات . فاستعان بهم في قمع الحركات المماثلة للسلطان العربي ومنها الحركات الشعبية (٢) . فعندما ثار الخراسانيون الفرس بزعامة سباز (٣) على أثر مصرع أبي مسلم الخراساني على يد الخليفة المنصور سنة ١٣٧ هـ هب القبايل العربية أبو جعفر جهور بن مرار لإخمادها (٤) . كما ونشر بعض المصادر تزييف إلى أنه في سنة ١٥٠ هـ ثار امتدادسيس . لمقتل أبي مسلم الخراساني . فاستولى على كثير من المدن الخراسانية كهرأة وددعيس وبستان . فعظم الأمر على المنصور ، فاختار

(١) الفهرست - الإمامة والولاية - ص ١٨٠

(٢) الشعبية هي تسمية وهي الشعوب الأخرى بخلاف الفرس ، ومحاولتها ضرب التكيان العربي وإزالة شعاع العرب . وهي وثيقة الصلة بتاريخه . - البدر - الدكتور البوري عبد العزيز - الجذور التاريخية لقومية العربية - ص ٣٥ - ١٦ - بيروت ١٩٦٠ م .

(٣) كان سباز رجلاً مجوسياً من بعض قرى نيسابور وكان من أصحاب أبي مسلم الخراساني وصناته ، فلما قتل أبو مسلم ثار سباز وكثير أتباعه واطاعه أكثر أهل الجبال للواقعة . جوب بحر قزوين أو بحر طبرستان وغلب على كثير من بلاد خراسان ، واضطر المنصور أن يرسل إليه جيشاً كثيفاً غاضى معه معارك واسعة انتظر - ابن المقفلي - محمد بن علي بن طباطبا - النعمري في الآراء السلطانية - ص ١٥٣ ط شالون ١٨٩٤ م (ويرى الدوري : أن سباز القب في حولة الحرية والملاة وشرف ثورته نهاية سلطان و من أنه يريد الدخا إلى المحار وهذه الكلمة) . الجذور التاريخية لقومية عربية - ص ٤٠ وي رآب أن هذه الحركة الشعبية والحركات الأخرى المتأثرة للسلطان العربي كانت قد أخذت من مقتل أبي مسلم الخراساني ، حجة لقيام بأعمالها المضادة .

(٤) الفهرست - تاريخ - ج ٢ - ص ٣٦٨ ، ابن المقفلي - النعمري - ص ١٥٣

لهذه المهمة أحد رجالات العرب وهو خازم بن خزيمعة الذي أستطاع إلحاق
المزيمعة بخصمه ثم تمكن من أسرهِ وحمله إلى بغداد (١) .

ويمكن أن نتبين منزلة العرب في عهد المنصور من خلال تخطيطه لمدينة
بغداد، إذ أقتطع القطائع لرجالات من العرب وأمكنهم فيها—منها قطيعة الصحابة
على نهر الصراة وقد سكنتها جماعات من قريش وربيعة ومضر واليمانية (٢) .
كذلك أختط العرب لأنفسهم أرباض الكرخ وقطائعها فالإهم تنسب الدروب
والسكك (٣) ، وبنيت قصور لحاشية الخليفة في درب سليمان ؛ وينسب هذا
الدرب إلى سليمان بن أبي جعفر في الشارع الأعظم على دجلة بين باب
خراسان والبحسر . وعند بنائه الجانب الشرقي من بغداد أسكن العرب فيه
وأقطعهم القطائع أيضاً، فقد أشار اليعقوبي إلى قطائع لبني هاشم على رأس
البحسر من جهة الشرق (٤) . كما أشار إلى قطائع تنسب إلى الخزاعيين
والباهليين والمهالبة وتصل بقطائع بني هاشم المذكورة (٥)، وقطائع أخرى
لبني حمير وبني الحارث (٦) .

والحقيقة أننا لو دققنا النظر في تلك النصوص التاريخية لوجدنا أن تلك
القطائع والأرباض لم تمنح من قبل المنصور إلا للأتباع المخلصين أولاً ثم
للذين وثق بهم أو حاول كسبهم .

وقد اتخذ المنصور سميراً وجلساء من العرب منهم هشام بن عمر التغلبي ،
وعبدالله بن الربيع الحارثي ، وإسحاق بن مسلم العقيلي ، والحارث بن عبد الرحمن

(١) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٥ ، ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد - المبر وديوان

الجبند وأتبر - ج ٢ - ص ١٩٨ القاهرة - ١٢٢٨ هـ ، السيوطي - الخلفاء - ص ١٧٤ .

(٢) اليعقوبي - البلدان - ص ٢٤٣

(٣) نفس المصدر - ص ٢٤٦ .

(٤) اليعقوبي - البلدان - ص ٢٥٢ .

(٥) نفس المصدر - ص ٢٥٢ .

(٦) نفس المصدر السابق - ص ٢٥٢ .

الحرشي (١) وكان يوصي حاجب بأن يأخذ لهم بالدخول عليه عندما يأتون مباشرة ويتسلمهم على غيرهم (٢) .

كما أسند بعض المناصب الإدارية الهامة مثل مناصب الولاية لرجالات من العرب منهم :

ولاية أفريقية (تونس)	يزيد بن حاتم المهلي (٣)
ولاية مصر	محمد بن الأشعث الخزامي (٤)
ولاية اليمن	معن بن زائدة الشيباني (٥)
ولاية أرمينية	يزيد بن أسيد السلمي (٦)
ولاية السند - ثم فلسطين - ثم القبروان	روح بن حاتم المهلي (٧)
ولاية خراسان	المسيب بن زهير العبدي (٨)

(١) اليعقوبي - تاريخ - ج ٢ - ص ٣٦١ ، ص ٣٦٩ .

(٢) ابن المقفع - رسالة في السياسة - (رسائل البلقاء) - ص ١٣٠ - ط ١ القاهرة - ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م

(٣) اليعقوبي - تاريخ - ج ٢ - ص ١١٨ ، وقد أشار الزركلي ، ج ١ ص ١١٨ - في كتابه الأعلام ج ٣ - ص ١٢ ط ١ (يل أن يزيد بن حاتم كان والياً على أرمينية في زمن الرشيد أيضاً) .

(٤) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (وهو محمد بن الأشعث بن عتبة الخزامي ، كان من كبار قواد المنصور ، ثم ولاء على بلاد مصر سنة ١١٤١ هـ وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١١٤٩ هـ) انظر - الزركلي - الأعلام - ج ٦ - ص ٢٦٤ .

(٥) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (وقد ولاء المنصور على بلاد اليمن وقد توفي سنة ١١٥١ هـ) انظر - الزركلي - الأعلام - ج ٨ - ص ١٩٢

(٦) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (ولاء المنصور ولاية أرمينية وبقي فيها حتى بعد مجي' المهدي بن المنصور فخلع) انظر - الزركلي - الأعلام - ج ٩ - ص ٢٢٩ .

(٧) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (وكان حاجباً للمنصور ، ثم ولاء ابنه المهدي على بلاد السند ثم نقله إلى البصرة فالكوفة . وولاه الرشيد على فلسطين ثم أرسله والياً على القبروان وبقي فيها إلى أن مات سنة ١١٧٤ هـ) انظر الزركلي - الأعلام - ج ٣ - ص ٦٣

(٨) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (كان قائداً للمنصور ثم تولى رئاسة الشرطة في زمن المنصور والمهدي والرشيد في بغداد ، وقد ولاء المهدي ولاية خراسان ، وقد توفي سنة ١١٧٥ هـ) انظر الزركلي - الأعلام - ج ٨ - ص ١٢٤

هشام بن عمرو التغلبي (١) ولاية السند

خالد بن ابراهيم الذهلي (٢) ولاية خراسان

قثم بن العباس بن عبدالله بن العباس (٣) ولاية اليمامة وخراسان

وكان يكثر من اعتماد هؤلاء الولاة لثقتهم فيهم وثيقته من إخلاصهم .
أما معظم القضاة الذين يفصلون بين الناس في أيامه فقد كانوا من العرب
في الجانبين الشرقي والغربي من بغداد (٤) .

وهكذا عظمت مكانة العرب عند الخلفاء العباسيين حتى أصبحوا موضع
استحسانهم وتقديرهم يركنون اليهم وقت الشدائد والأيام العصيبة ، فقد حظى
آل المهلب وآل قحطبة بمنزلة عظيمة عند الخلفاء العباسيين وخاصة المنصور .
فأطلقوا أيديهم في شؤون الدولة حتى أصبحوا مضرب الأمثال وقد أشار
الأستاذ المدور (٥) إلى أن المهلبين كانوا من عطاء العرب ومن لهم الرأي
المقدم عندهم ، والأمر المطاعة عليهم ، فقد كانوا هم وآل قحطبة من القواعد
الذين نصروا العباسيين على بني أمية ، ثم استمروا في مناصرتهم لهم ، فقدمهم
أبو جعفر في المراتب من هذه الوجهة حتى انصرف اليهم الوجوه وانطلقت
الألسن في مدحهم بالقصائد التي تعظم عن أن يقال مثلها في الخلفاء أنفسهم
كقول المغيرة بن حنبل :-

أسمى العباد لعمرى لاغيث لهم

إلا المهلب بعد الله والمطر

هذا يلود ويحمي عن ديارهم

وذا يعيش به الانعام والشجر

(١) اليعقوبي - تاريخ - ج ٣ - ص ١١٨ (ولاية المنصور سنة ١٥١ هـ جل بلاد السند ، وقيل
انه لما بلغها اتسع كشعره والملتان والندهار وبني فيها مسجداً ، وانصبت البلاد في ولايته
واستر بها ست سنوات ثم عاد الى بغداد سنة ١٥٧ هـ حيث توفي في ذلك العام) - انظر -
الزركلي - الاعلام - ج ٩ - ص ٨٦ - ص ٨٧ .

(٢) الزركلي - الاعلام - ج ٢ - ص ٢٢٣

(٣) السيوطي - الخلفاء - ص ٢٦٩

(٤) ابن سعد ، محمد - الطبقات الكبرى - ج ٧ - ص ٢٣ - ص ٧٥ ليدن ٨١٣٣٨ .

(٥) المدور جميل نغمة - حفرة الاسلام في دار السلام - ص ٣٨ ٢٥ - القاهرة - ١١٢٣

ولم يقف الخلفاء العباسيون عند هذا الحد ، بل نرى انهم يتدخلون ضم حرساً من العرب ، مبالغة في الحيلة ، فقد ذكر ان المهدي - عندما رجع من الحج سنة ١٦٠ هـ أخذ خمسمائة من الأنصار يكونون حرساً له بالعراق وأقطعهم واجرى عليهم الأرزاق (١) .

كما ولّهم أبقوا على إجماد العرب في الجيش العباسي رغبة منهم في المحافظة على توازن العناصر المؤلفة للجيش العباسي : وكان معظمهم يتكون من القبائل المضرة واليمانية (٢) ، وقد عرفوا بأسم - وعرب الدولة (٣) ، ويذكر الأستاذ هل بأن عددهم كان يصل إلى ما يقرب من ١٢٥.٠٠٠ ألف جندي عربي (٤) .

وتشير بعض المصادر العربية إلى أن الخلفاء العباسيين اتبعوا سياسة العطاء ومنح الأرزاق لرجال من العرب . وهي السياسة التي كان قد اتبعها الأمويون من قبلهم . فقد ذكر أن المنصور كان يجري عليهم الأرزاق والمعونات على حسب منزلتهم (٥) . ومن الطريف أن زياد بن عديله الحارثي ، كان قد طلب في كتاب بعثه إلى المنصور يسأله زياده في عطائه وأمراته . . فأجابه المنصور إن الغنى والبلاغة إذا احتمنا في رجل أبطرتاه . وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك ، فأكتف بالبلاغة (٦) .

كما وأن ابنه المهدي قسم في سنة ١٦٤ هـ على بني هاشم أكثرهم خمسة وستين ديناراً وأقلهم خمسة وأربعين ديناراً ومشبعة القرشيين وأكثرهم خمسة وأربعين ديناراً وأقل القرشيين سبعة وعشرين ديناراً ومشبعة الأنصار أكثرهم

(١) ابن الأثير - الكامل - ج ٥ - ص ٥٧ .

(٢) الدوري - العصر العباسي الأول - ص ١٠١ بنسب ١٩٤٥ م .

(٣) لويس ، برنارد - العرب في التاريخ - ص ١٢٠ بيروت ١٩٥٤ م .

(٤) ي . حل - الحضارة العربية - ص ٨٤ القاهرة - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

(٥) ابن المقفع - رسالة في الصحابة (رسائل البلد) - ص ١٣٠ .

(٦) السيوطي - الخلفاء - ص ٢٦٧ ط القاهرة - ١٣٥٩ هـ - ١٩٦٩ م .

سبعة وعشرين ديناراً وأقل الأنصار سبعة عشر ديناراً والعرب أكثر من الموالى (١) ولما نزل المهدي عسباد أمر أن تكتب أسماء أولاد المهاجرين والأنصار وفرق فيهم ثلاثة ملايين درهم فأغنى كل فقير وأحبر كل كسير (٢) . ثم قام الرشيد أيضاً . فأجرى للمهاجرين والأنصار دوحه أهل الأنصار (٣) . أما عن حياتهم الخاصة فقد امتلكوا الضياع والأراضي الزراعية الشاسعة (٤) وكانوا على ما يبدو يملكون تلك الأراضي بواسطة أحرار وفلاحين من غير العرب . لأنهم كانوا يأمنون من مزاوله المهن اليدوية (٥) . لذلك كانوا يتركون هذه الحرف في العصرين الأموي والعباسي إلى الأعاجم

ونتيجة لهذه المكانة الاجتماعية الثلاثية ، فقد حرص انكثيرون من رجالات القروس على الإلتواء إلى بعض القبائل العربية (٦) رغبة في الوصول إلى تلك المكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها العرب ، ومن ادل على ذلك من أشار بن برد الذي يشتر أولاده لبني شيب فيقول

إنني ممن سبي شيب . س كعب

موضع السيف مس طلي الأعناق (٧)

- (١) الحطيب البغدادي ، أبي بكر أحمد بن علي - تاريخ بغداد - ج ١٣ - ص ١٩١ القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٣١ م
- (٢) الأربلي ، عبد الرحمن - خلاصة الذهب المبوك - ص ٦٦ القدس ١٨٨٥ م
- (٣) الجهمياري ، أبي عبد الله محمد بن عبدوس - الوزراء والكتاب - ص ١٧٧ ط ١ - القاهرة - ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .
- (٤) التنوخي ، أبو علي الحسن بن علي - التفرج بعد الثقة - ج ١ - ص ١٣١ - ص ١٣٢ القاهرة ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م
- (٥) الماحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر - الحيوان - ج ٥ - ص ٣٨٩ القاهرة ١٣٣٨ هـ = ١٩٤٥ م ، البلي ، صالح أحمد - التنقيحات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري - ص ٦٥ ط ٢ - بيروت - ١٩٦٩ م
- (٦) يرى فان قلوش : (أن المسلمين من غير العرب قد الحقوا منذ اعتنائهم الإسلام ببعض قبائل العربية على أن يكونوا موالى لتلك القبائل طمعاً في كسب بعض المظاهر المادية والمنوية) انظر كتابه - السيادة العربية والشعبة والأسرائيليات ص ٣٦ ، ص ٣٨ القاهرة - ١٩٦٥ م
- (٧) الأصفهاني ، أبو الفرج - الأغاني - ج ٣ - ص ٢٠ القاهرة - ١٢٨٥ هـ

كما وان والبة بن الحباب انتحل له نسباً عربياً فأنكر ذلك عليه أبو العتاهية
وهجاءه :

أوالب أنت في العسرب

كثّل الشيص في الرططب (١)

غير أن مركز العرب مالبث أن تضعضع وسرى فيهم الضعف لعاملين
الأول : الصراع القبلي بين اليمانية والمضرية ، والثاني : بينهم وبين الفرس الذين
أخذوا يتبأون مركز الصدارة ويحلون محل العرب في المناصب السياسية الخطيرة
مستهدفين وراء ذلك استعادة أمجادهم القديمة .

ومما لاشك فيه أن الصراع القائم بين العصيتين اليمانية والمضرية كان العامل
الرئيسي في تفكك قواهم وتفتت سلطانهم . ومن المعروف أن الخليفة العباسي
أفاد من هذا الصراع بين العصيتين في عسكر العرب ، فتناحر المضريين واليمانيين
وتنازعهم شغلهم عن التكتل والتفرع للإتفلاتات ضد الدولة وقد ورد في
المصادر العربية ما يشير إلى أن **لخليفة العباسي درواً هاماً في إثارة هذا الصراع (٢)** .
كما أفاد الفرس من الصراع انغمس بين الأميين والمأمون ، لتحقيق مآربهم فأيدوا
المأمون وحزبه الفارسي بزعماء بني سهل . ومن ذلك الحين استنحل أمرهم
في الوقت الذي بدأ سلطان العرب يتدهور

ولم تزل حالة العرب تسوء يوماً بعد يوم حتى كانت أيام المحتصم فانهار
بخلافته سلطان العرب .

صلاح عبد الهادي الحيدري

مدرس مساعد - قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة الموصل

(١) الميخسر ، عداغة - تاريخ البرامكة - ص ٣١ - بغداد - ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨ م
(٢) الطبري - تاريخ - ج ٨ - ص ٢٧ ، ابن الأثير - الكامل - ج ٥ - ص ٣٤ ، ابن الطقطقي
- القفري - ص ٢٣٥

العالم الاديب عبد الملك بن حبيب

حازم عبد الله خضر

علم بارز من أعلام الثقافة في الأندلس ، تحدثت عنه عشرات من المصادر الأندلسية والمشرقية وأشادت بفضلته في مجالات عديدة من ألوان الثقافة العربية الإسلامية .

وقد سبق سعيد أعراب إلى تناول جانب من جوانب ثقافة عبد الملك وهو الجانب التعليمي في رسالة كتبها عبد الملك إلى معلم ولده ناقش هذه الرسالة وعدها أول نص تعليمي أندلسي ، واستبطن ملاحظات وتوجيهات عديدة في التربية والتعليم ونشر ذلك في مجلة الثقافة المغربية ، ولخصت الملاحظات التي استخلصها وناقشت بعض وجهات نظره فيها.

وكتب الدكتور محسن جمال الدين مقالاً في عبد الملك بن حبيب أكد على الجانب الأدبي والشعر بصورة خاصة بعد التعريف بأهم الجوانب الأخرى مختصراً ونشره في مجلة الرسالة الإسلامية التي يصدرها ديوان الأوقاف ببغداد في عدد شباط وآذار سنة ١٩٧٤ .

ومع أن الجاهدين قد تناولوا نواحي معينة من ثقافة عبد الملك فإنني قد أفدت منهما واستشهدت ببعض وجهات نظرهما وناقشت الأخرى في مواضع عديدة يجدها القارئ الكريم أثناء قراءته للبحث .

اسمه ونسبه :

(عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي يكنى أبا مروان) (١) ويؤكد اليعمري هذا السبب أولاً ولكنه يورد رواية تجعل علماً آخر بين حبيب وسليمان باعتباره جد عبد الملك ويقول : « ... ونقل من خط الحاكم المستنصر بالله بأنه عبد الملك بن حبيب بن ربيع بن سليمان ... » (٢) ويؤيد اليحصبي ذكر هذا الاسم .

ونلاحظ اختلافاً طفيفاً أيضاً في رسم أحد الأعلام عند ياقوت مع أنه يذكر السبب كاملاً حين يقول : « عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون ابن حلومة بن عباس بن مرداس السلمي يكنى أبا مروان » (٣) ويبدو أن هذا تصحيح كثيراً ما يقع في تراجم الأشخاص .

ويقف الحميدي في ذكر نسب عبد الملك عبد هارون ويضيف إليه بأنه من موالي سلم فيقول : « عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون أبو مروان السلمي من موالي سلم » (٤).

أما الضبي فيعزده بإضافة المسيحية فيقول : (عبد الملك بن حبيب بن سليمان ابن هارون أبو مروان السلمي من موالي ساييم المسيحية) (٥) وذلك غير مستبعد للاختلاط الحاصل في الأندلس ويرد نسب عبد الملك مختصراً في عدد من المصادر بهذا الشكل (عبد الملك بن حبيب السلمي) (٤) . ويطرده نسبة عبد الملك على هذا النحو بين التفصيل والاختصار أو الاختلاف الطفيف في لفظ أحد أفراد النسب في جميع المصادر التي ترجمت له والمراجع التي تحدثت

(١) تاريخ علماء الأندلس / ابن القزويني ص ٢٦٩ ، تهذيب التهذيب لمسقلاني ج ٢ ص ٣٩

(٢) الديباج الأدب ابن مروحون ص ١٥٤ وترتيب المداوك ج ٢ ص ٣١ .

(٣) معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٤ ، وبنية الوفاة للسيوطي ص ٣١٢ .

(٤) جذوة المقنن ص ٢٦٣ وتاريخ علماء الأندلس ص ٢٦٩ وغيرها .

(٥) بنية المتنص ص ٣٦٤ .

(٦) طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٨٢ والمغرب في حل المغرب ج ٢ ص ٩٦ .

الاحتفال للهي ج ٢ ص ٦٥٢ .

عن ثقافته وعلمه .

مولده وحياته :

على الرغم من أننا نجد عدداً كبيراً من المؤرخين وأصحاب التراجم قد تعرضوا للكلام على عبد الملك بن حبيب ، فإن أكثرهم قد تعرض لسنة وفاته بالدرجة الأولى وكانت لهم آراء متعددة في تحديدها ، فقسم منهم يجعل الوفاة في رمضان من سنة ٢٣٨ هـ (١) ، وقسم آخر يجعل وفاته في ذي الحجة من سنة ٢٣٩ . (٢)

وهناك من لا يحدد سنة وإنما يورد التاريخين فيقول الحميدي « وكانت وفاته بالاندلس في شهر رمضان سنة ٢٣٨ كذا قال يحيى بن عمر وغيره ، وقبل مات في يوم السبت لاثني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين ومائتين بقرطبة » (٣)

أما سنة ولادته فلا نكاد نجد في المصادر من يذكر شيئاً بشأنها سوى السيوطي وهو متأخر ومع ذلك فلم يحدد تاريخاً وإنما ذكر ذلك بصورة تقريبية حين قال : « عبد الملك بن حبيب الفقيه الكبير عالم الاندلس أبو مروان السلمي ثم المرداسي الاندلسي القرطبي ولد بعد التسعين ومائة » (٤) ، نجد من يذكر عمر عبد الملك ونرى المصادر تختلف في تقدير عمره فمن قائل أنه عاش أربعة وستين عاماً (٥) ، ومن قائل أنه عاش ثلاثة وخمسين عاماً كالفتح في المطمح والمقري في النفع وصاحب ترتيب المدارك الذي يرى أنه عاش ستة وخمسين عاماً وآخرين (٦) وهناك من يرى أنه عاش أربعة

(١) تاريخ علماء الاندلس / ص ٢٧٢ ، معجم البلدان - ٢ ص ٢٤٥ . شذرات الذهب

٢ ص ٨٩ / ٩٠ السبر في خبر من لبرج ١ ص ٣٠٨ ، والنعوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٩٣ .

(٢) الحرب في حل العرب ج ٢ ص ٩٦ ، طبقات الحفاظ ص ٢٣٣ و امرأة الحان - ٣ ص ١٣٢

(٣) جذوة المقتبس ص ٢٦٤ و بنية الملتصص ص ٣٦٥ والديباج المذهب ص ١٥٦ وغيرهما .

(٤) طبقات الحفاظ ص ٢٣٣ .

(٥) تاريخ علماء الاندلس ص ٢٧٢ ومعجم البلدان - ١ ص ٢٤٥ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٨٩ .

و بنية الوفاة / ٣١٢ .

(٦) جذوة المقتبس ص ٢٦٤ و بنية الملتصص ص ٣٦٥ وطبقات الفقهاء لشيرازي ص ١٦٢ وغيرهما .

وسبعين عاماً (١) .

وإذا تأملنا هذه المجموعات الثلاث من المصادر والارقام التي أوردتها في تقدير عمر عبد الملك وجدنا المجموعة التي قدرت عمره بأربع وستين سنة ربما كانت أقربها إلى الصواب ذلك أن فيها ابن القرضي وهو متقدم على الجميع حيث توفي سنة ٤٠٣ هـ ويليهِ ياقوت ، كما أن الأخذ برقم ٦٤ يستق مع ما ذهب اليه السيوطي من أنه ولد بعد السبعين ومائة كما ذكرنا آنفاً . ويترجح هذا الرأي عندما نطرق في مواقف الدارسين المحدثين الذين حاول عدد منهم وضع تاريخ لولادة عبد الملك ووفاته خلافاً للقدماء وأبادر إلى القول بأن ذكرهم لتاريخ ولادة عبد الملك إنما كان بالاعتماد على تاريخ الوفاة وذكر مقدار عمره في المصادر القديمة ولذلك وجدناهم يختلفون في هذا التقدير تبعاً لاختلاف التقادير فيه ، فقسم منهم يجعل ولادته سنة ١٧٤ هـ (٢) وقسم آخر يجعل ولادته سنة ١٧٩ أو سنة ١٨٠ (٣) ، وهناك عدد آخر قد أعمل سنة الولادة فلم يتعرض لذكرها بالتحديد أو التقدير . وهكذا نجد إجماعاً أو شبه إجماع على سنة وفاته وإختلافاً كبيراً في سنة ولادته وتقدير عمره . وإزاء ذلك نستطيع أن نرجح بأن ولادته حوالي سنة ١٧٤ أو أكثر منها قليلاً وذلك اعتماداً على ترجيح عمره الذي رأينا أن يكون حوالي أربعة وستين عاماً بخاصة وأتينا نجد بعض الباحثين المحدثين يتعرض لوفاة عبد الملك مختاراً رأي المجموعة التي تقول : عبد الملك بن حبيب توفي سنة ٢٣٩ وله من العمر أربع وستون سنة (٤) .

أما التواريخ الأخرى فإننا لانرى أنها تتسجم مع تأريخ الوفاة من جهة ومع الأخبار التي أشرنا إلى طرف منها من جهة أخرى قبل قليل . ذلك أن جعل

(١) العبري خبر من غير ج ١ ص ٤٢٨ ، وتذكرة الحفاظ للذهي

(٢) الاعلام قزركلي ج ٤ ص ٣٠٤ . مجلة الثقافة المغربية ص ٥٧ مقال سيد احزاب ص ١٠٧ ١٠٨

(٣) أثر العرب والاسلام في الحضارة الأوربية ص ٣٧١ . مصم المؤلفين ج ٢ ص ١٨١ .

تاريخ الأدب العربي / بروكلمان ج ٢ ص ٨٦ ، وتاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٥ .

(٤) فصول في الأدب الأندلسي د . حكمت الأوسي ، ص ٦٠ .

الولادة سنة ١٨٠ و ١٧٠ يعني أن عمر عبد الملك ثمانية وخمسون أو سبعة وخمسون عاماً في سنة ١٨٠ وهو رقم لم يرد في أي من الروايات الكثيرة التي عرضنا جوابها منها ولا يرب رقم له هو الذي يجعل عمر عبد الملك ستة وخمسين عاماً ثم يعقب عليه بذكر رواية الشيرازي التي تجعل عمره ثلاثة وخمسين عاماً (١)

أما ما سوى ذلك من الروايات والأخبار فبعيد لا يمكن أن يتصور مع الروايات المتوفرة لدينا ، وإذا استطعنا أن نقدر ولادة عبد الملك بحوالي منتصف السبعين بعد المائة كان علينا أن نذكر مكان هذه الولادة ، وأكثر المصادر تقول إنه ولد في (البيرة وسكن قرطبة) (٢) ونقرأ في أكثر من مرجع من المراجع الخليفة أنه ولد في حصن واط وقضى صدر شبابه في البيرة وقرطبة (٣) ، ومن المعلوم أن قرطبة في الفترة التي نشأ وترعرع فيها عبد الملك كانت تشهد النهضة العلمية والثقافية على نطاق واسع وكان فيها كبار العلماء والمثقفين المشهورين ، ومن المسمى عبد الملك نذكره وعلموه الأول ومنهم صمصمة ابن سلام والغاري بن فيس ورياد بن عبد الرحمن .. (٤)

وتحدثنا المصادر أن عبد الملك بن حبيب قد حصل علوماً كثيرة وألم بأطراف ثقافته واسعة قبل أن يرحل إلى المشرق على عادة الاندلسيين في رحلاتهم العلمية التي كانوا يرونها أمراً ضرورياً لاستكمال العلوم التي بدأوا بتحصيلها في الاندلس وبغية الوقوف على آخر ما توصل إليه المشارقة من الانجازات العلمية والثقافية ، هذا بالإضافة إلى ما تنطوي عليه الرحلة نفسها من المعاني في نفوس الاندلسيين لعل من أبرزها أنهم ينظرون إلى كل من تلقى علومه في المشرق نظرة تختلف عن نظرتهم إلى من لم يسافر .. وتحدثنا بعض المصادر

(١) طبقات الفقهاء الشيرازي ص ١٦٢ ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) تاريخ علماء الأندلس ص ٢٦٩ ومعجم البلدان ج ١ ص ٣٤٤ في تعريف بمدينة البيرة .

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٣ . مجلة الثقافة المغربية ص ٥٧ .

(٤) طبقات الفقهاء الشيرازي ص ١٦٢ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣١ وغيرها .

أن عبد الملك قد رحل إلى المشرق حاجاً وأنه تفرغ للعلم والمعرفة بعد أدائه فريضة الحج وأقام بالمدينة المنورة فترة من الزمن .

وبلاحظ المتأمل في المصادر أنها تختلف في سنة رجوعه من المشرق أما تاريخ سفره فإنه على رأي عدد من هذه المصادر (حج سنة ثمان ومائتين) (١) ولا نجد خلافاً في سنة رحيله بقدر ما نجده في سنة رجوعه إلى الاندلس بعضهم يقول أنه انصرف إلى الاندلس سنة ست عشرة وقد جمع علماً عظيماً .. (٢) وكما نجد ما يدل على أنه تأخر في المشرق إلى ما بعد سنة ٢١٦ فيحدثنا البيهقي أنه كتب بأبيات إلى أهله من المشرق سنة عشرين ومائتين . (٣) ونحن نميل إلى ترجيح القول برجوعه سنة ست عشرة أو أكثر من ذلك لأسباب عديدة لعل من أهمها الفترة الزمنية التي يستغرقها المسافر إلى المشرق ذهاباً وإياباً وقد تزيد على السنة في بعض الأحيان ومنها أن بعض المصادر ذكرت أن تاريخ رجوعه سنة ست عشرة أو أكثر . ومنها الاشارات العديدة التي تدل على اتصاله بالعلماء ومساطراته في الحجاز ومصر . ومنها الايات الشعرية التي أوردتها البيهقي وغيره في الحنين إلى وطنه ونفهم منها شوقاً شديداً وخفة للقاء الأهل الاصدقاء من العلماء والادباء في الاندلس وسيأتي ذكر هذه الأبيات عند الكلام على شعره .

وأخيراً فلإن هناك من ذكر أن (رحلة عبد الملك استمرت ثمان سنوات (٤)

(١) شذرات الذهب ج ٢ ص ٨٩ . والعبري جبر من جبر ج ١ ص ٤٢٨ . ذكر ابن حجر التستلي أن عبد الملك رحل سنة ثمان وخمسين ومائتين وذلك وهم لوقوع هذا التاريخ بعد وفاة عبد الملك بعشرين عاماً . انظر تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٩٠ .

(٢) الديباج المذهب ص ١٥٤ وقد ذكر البيهقي أنه انصرف سنة (عشر) ودل لطفه (ست) قد سقطت من الاصل وهو ، يسجيم مع رواية ابن فرحون المتقدم على البيهقي .

(٣) ترتيب المداويك ج ٢ ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) مجلة الرسالة الإسلامية ص ٥١ ، ٥٢ . محسن جمال الدين .

والذي نراه أنها استمرت أكثر من هذه المدة للأسباب التي ذكرنا .
ومهما يكن فإن عبد الملك قد مكث في المشرق فترة طويلة لانتقل عن عشر سنوات إن لم ترد عليها وذلك له قيمة كبيرة في انساح المجال أمام العالم الدؤوب للإطلاع على ما توصل إليه القوم من الإنجازات الثقافية في مختلف العلوم والفنون ولعل من الأمور البارزة المهمة في هذه الرحلة لقاءه بأصحاب الامام مالك وكان هذا اللقاء بالنسبة له هاماً باعتباره أحد علماء المذهب المالكي في الاندلس حيث تحول الاندلسيون اليه بعد أن كانوا على مذهب الامام الاوزاعي . ويصف بعضهم جاباً من نشاطه في المدينة أثناء رحلته فيقول (تردد على مجالس العلم في المدينة المنورة حيث درس مذهب الامام مالك وكان عند رجوعه إلى الاندلس من العاصر الفعالة في تحويل الاندلس إلى المذهب المالكي عن مذهب الاوزاعي ... (١)

ونلاحظ أن بعض المؤرخين القدامى يقولون في وهم تاريخي عند وصفهم للقاء عبد الملك بأصحاب الامام مالك يقول صاحب المصطلح (انه لقي مالكا) (٢) ويذكر آخر خبراً عن رحلته فيقول (ويقال أنه أدرك مالكا آخر عمره) (٣) ويكرر المقرئ هذه الرواية ويضيف إليها : « ويقال أنه لقي مالكا آخر عمره وروى عنه سعيد بن المسيب ... » (٤) ويكرر عدد من الباحثين المعاصرين هذه الرواية نفسها دون مناقشة (٥) .. أما مسألة لقاء الامام مالك فانها بعيدة بل مستحيلة الوقوع لسبب هام واضح هو أن الامام مالكا توفي ١٧٩هـ (٦) أي قبل رحيل عبد الملك إلى المشرق بما يقرب من ثلاثين عاماً وحين كان عبد الملك صبياً .

- (١) تاريخ الأندلس مقدمة لمحقق هامش ص ٢٢ .
- (٢) مطبخ الأندلس وشرح التأني / النتج بن خاقان ص ١٠ وجدوة المقتبس ص ٢٦٤ .
- (٣) بنية الملتس / ص ٣٦٥ .
- (٤) نفح الطيب ج ٢ ص ٢١٥ .
- (٥) المغرب في أدب الأندلس والمغرب / محمد عجاج ص ٩٧ ، والحلل السندية ج ١ ص ٢٩١ . وانظر كذلك الرسالة الإسلامية ص ٥١ .
- (٦) انظر في ترجمة الامام مالك الاعلام ج ٦ ص ١٨٦ ومعجم المؤلفين ج ٨ ص ٦٨ وغيرها .

وإلحنا لاستبعاد صحة الرواية التالية التي قرأناها عن ثقافة عبدالمملك ومكانته .
 « لما دنا من مصر في رحلته أصاب جماعة من أهلها بارزين لتلقي الرقعة على عادتهم فكلما أطل عليهم رحل له هيئة ومنظر ربحوا الظن فيه وقضوا فراستهم عليه حتى رأوه وكان ذا منظر جميل . فتأثروا قوماً بهذا فقيه وقال آخرون بل شاعر وقال آخرون بل طيب وقال آخرون خطيب ، فلما كثرت اختلافهم تقدموا نحوه وأخبروه باختلافهم فيه وسألوه عما هو فقال لهم : كلكم قد أصاب وجميع ما قدرتم أحسنه والخبرة تكشف الحيرة والإمتحان يبين الإنسان . فلما حط رحله وأتى الناس شاع حرد متعبد إليه كل ذي علم فسأله عن فقه وهو يجيبه جواب محقق فعجبوا ووثقوا بعلمه وأخذوا عنه وعطلوا حتى علمائهم . » (١)

وقد أبرز الباحثون اشتداد مكانة عبدالمملك في كثير من دراساتهم في الثقافة والمثقفين الأندلسيين فسماه بعضهم **العالم الشاعر** : (٢)
 على أننا لا ينبغي أن نعمل الذرة التي عاش بها عبدالمملك وحالة العلوم والثقافة فيها فقد عاصر أميرين أولهما الحكم بن هشام الذي تولى الإمارة من سنة ١٨٠ وحتى سنة ٢٠٦ هـ . والثاني الأمير عبدالرحمن من سنة ٢٠٦ إلى ٢٣٨ ، وتحدث المصادر أن الأمير الحكم كان أديباً شاعراً وبائراً يحب الأدب والأدباء ولكن عبدالمملك لم يعمل قدره ويرتفع مقامه إلا في ظل عبدالرحمن الأوسط الذي وثبت البلاد وثبتها الثقافية الواسعة بجهوده ورعايته ... (٣) وظهر عبدالمملك مؤرخاً وأديباً مقرباً من الأميرة وانتشر سموه في العلم والرواية فنقله الأمير عبدالرحمن بن الحكم إلى قرطبة ورتبه في طبقة المثقفين فيها فأقام مع يحيى زعيمها في المشاورة والمناظرة ، (٤) وتولى التدريس في جامع قرطبة وهو أكبر معهد في العاصمة الأندلسية حتى قال بعضهم رأيت يخرج من الجامع وخطبه ثلاثمائة طالب حديث

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ص ١٥٥ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٢٣
 (٢) قضايا أندلسية ص ٧ والاعلام لمرر كل ج ٤ ص ٣٠٢ ودولة الاسلام في الأندلس محمد عبده عثمان ج ١ ص ٢٧٣ .
 (٣) انظر في ذلك الأدب الأندلسي من الفتوح إلى سقوط الخلافة ص ١٦ / ١٩ .
 (٤) الديباج المذهب ص ١٥٤ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٥ .

وفرائض وفقه واعراب ... » (١)

ويذكر بعض الباحثين المحدثين : « انه كان يقسم طلبته في مسجد قرطبة إلى مجموعات يدرس كل مجموعة علماً » . (٢) وهذا يدل دلالة واضحة على سعة علم الرجل ومعرفة بأهم أساليب التعليم التي تعتمد على تصنيف الطلبة وتدريسهم حسب قابلياتهم ومواهبهم ورغباتهم وقد يطول الكلام إذا عرضنا للحملة أخرى من آراء وأقوال العلماء والمؤرخين والدارسين فيه قديماً وحديثاً .

آثاره :

ولعل مما يكمل هذه الصورة ويزيدها وضوحاً أن نعرض لبعض المؤلفات التي أوردت المصادر القديمة أسماءها على أنها جزء يسير من أصل ما خلفه ابن حبيب والذي بلغ ألفاً أو يزيد كما تذكر مصادر عديدة (٣) غير أننا لا نملك من هذا العدد الكبير سوى أسماء عدد قليل من هذه المصادر ولم يصل إلينا من هذا العدد سوى اثنين .. فيما نعلم - الأول الرسالة التي نشرها وعلق عليها سعيد اعراب في مجلة الثقافة . والثاني كتاب مخطوط يتناول الأحداث التأريخية في وقت مبكر من حياة الانسان وحتى عصر متأخر وسنذكر الاثرين عند الكلام عن عبد الملك النائر وعبد الملك المؤرخ .

على أن ذلك لا يمنع من ايراد أسماء أهم الكتب التي أوردتها المصادر منسوبة اليه :

١. كتاب الواضحة (٤) في الفقه ويضم - على ما يبدو - مجموعة من الكتب

(١) التذليل للذهب ص ١٥٤ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٢٥

(٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٢٦ .

(٣) فتح الطيب ج ٢ ص ٢١٤ ومن المحدثين الاعلام ج ٤ ص ٣٠٢ وظهر الاسلام ج ٣ ص ٢٥ .

وانظر كذلك المطرب في أدب الأندلس والمغرب محمد صبحا وعلي سد ص ٩٧ . والحركة الثنوية

في الأندلس / اثير حبيب مطلق ص ٧٠ / ٧١ ، وعلم التاريخ عند المسلمين .. وعرف صاحب

كشف الظنون ببعض كتبه منها : علم اعراب القرآن وشرح الموطأ والواضحة انظر الصفحات

١٢١ / ١٢٣ / ٩٠٩ من الجزء الأول والصفحات ١٩٠٧ / ١٩٩٦ من الثاني

(٤) يبدو من تأكيد المصادر أن كتاب الواضحة أهم كتب عبد الملك في الفقه . سماه بعضهم (مصنف .

الواضحة) انظر مرآة الجنان ص ١٢٢ . وانظر كذلك روضات الخات ص ٤٣٤ .

الفقهية منها :

- أ . الجامع .
- ب . كتاب الفضائل .
- ج . كتاب تفسير الموطأ .
- د . كتاب غريب الحديث .
- هـ . كتاب حروب الاسلام .
- و . كتاب المسجدين .
- ز . كتاب سيرة الامام في الملحين .
- ح . كتاب طبقات الفقهاء والتابعين .
- ط . كتاب مصابيح الهدى .

ومن تواليفه الاخرى :

- ١ . أعراب القرآن .
- ٢ . كتاب الخطبة في الأمراء .
- ٣ . كتاب القرائن .
- ٤ . كتاب السخاء واصطناع المعروف .
- ٥ . كتاب كراهية الغناء .
- ٦ . كتاب في النسب وفي النجوم .
- ٧ . كتاب الرغائب .
- ٨ . كتاب الجامع تأليفه وهو في مناسك النبي (ص) .
- ٩ . كتاب الورع في العلم .
- ١٠ . كتاب الورع في المال وغيره سنة أجزاء .
- ١١ . كتاب الحكم والعمل بالجوارح .
- ١٢ . كتب المواظ سبعة .
- ١٣ . كتب الفضائل سبعة فضائل النبي (ص) وأصحابه وفضائل عمر

بن عبد العزيز وفصائل مالك بن أنس

- ١٤ . كتاب أخبار قریش وأنسابها خمسة عشر كتاباً .
- ١٥ . كتاب السلطان وسيرة الامام ثمانية كتب .
- ١٦ . كتاب الباء والساء ثمانية كتب وغير ذلك من كتب سماعه في الحديث والفقہ وتأليفه في :
 - ١٧ . الطب وتفسير القرآن ستون كتاباً .
 - ١٨ . وكتاب القاريء والناسخ والمسوح ورغائب القرآن .
 - ١٩ . كتاب الرهون والبدي والمغازي والحدثان خمسة وتسعون كتاباً .
 - ٢٠ . وكتاب مغازی رسول الله (ص) اثنان وعشرون كتاباً . (١)

ولا يعني أن عدد هذه الكتب يتجاوز العشرين باعتبار أن عدد منها يندرج في حصص الكتب الرئيسة .. ومهما ينزل في احتمال المبالغة في هذا العدد واحتمال أن يكون بعض هذه الكتب فصولاً من أصل كتاب واحد على عادة المؤلفين في تلك العصور حيث كانوا يسمون الفصل أو ما يقل عنه أحياناً كتاباً ... مهم ينزل من هذا الثقل فإن هذه الكتب بكثرتها وتعدد موضوعاتها سواء ما كان منها منفرداً أو مخطوطاً تدل على سعة علم الرجل : وشمول ثقافته وعلمه مكانته في علماء عصره ومتميزهم حتى أثار ذلك حساده من العلماء والادباء الآخرين وتمثل شيء من ذلك فيما نقله ابن حبان حين قال : « كان يحيى بن يحيى وأصحابه الفقهاء يحسدون عبد الملك بن حبيب لتقدمه عليهم بعلوم لم يكونوا يعلمونها ولا يشرعون فيها اذ كان مع تقدمه عالماً بالاعراب واللغة متفتناً في العلوم القديمة » . (٢)

وربما وجدنا هذا الحسد يتطور إلى الطعن في علمه وضبطه حتى نجده

(١) كتاب الديباج المذهب ص ١٥٥ / ١٥٦ وترتيب المذاهب ج ٢ ص ٣٥ / ٣٦ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٤٤ . وقد وردت الكتب وأسمائها وأعدادها بصورة تختلف من هذا في مصادر عديدة أخرى .

(٢) المغتصب من أنباء أهل الأندلس ص ٤١ .

عند بعض المتأخرين يتهم بأن روايته ساقطة مطرحة (١) ويردد شيئاً من من هذا ابن فرحون (٢) واليحصي ولكهما يستدركان بأن هذا التضعيف . تحامل من حساده ويستشهد اليحصي بقول مندر بن سعيد القاضي الاديب المشهور : ((انك لا تعد أحداً ممن يحكي عنه معارضته والرد لقوله ساواه في شيء وأكثراً ما تعد أحدهم يقول كذب عبد الملك أو أخطأ ثم لا يأتي بدليل على ما ذكره . (٣) وشهادة مندر بن سعيد هذه لما قيمتها باعتبارها من القضاة الأدباء والعلماء المشهورين في القرن الرابع الهجري .
عبد الملك الأديب :

وإلى جانب الثقافة الإسلامية الواسعة التي كان عليها عبد الملك في مجال الفقه والشريعة والتفسير والسيرة والمغازي يلاحظ المتتبع لأخباره أنه أديب مارس الأدب في فقه المشهورين الشعر والدُر ندنا على ذلك المجموعات الشعرية التي ذكرتها المصادر الأندلسية والمشرقية والأمطر الثرية القليلة التي نقرأوها في عدد آخر من هذه المصادر . إذ كانت الأخبار اندالة على شعره أكثر وأوضح من تلك التي تدل على ثبوته أكثر ما أن بدأ بالنظر في شعره .
وأبادر إلى القول بأن الذكور محسن جمال الدين قد أورد معظم الأبيات التي وجدت في المصادر المشرقية والأندلسية ولكن فاته بضعة أبيات أخرى سأنبه عليها في مواضعها . (٤)

ومما تجدر الإشارة إليه أن مكانة عبد الملك الأدبية نوهت بها المصادر التي ترجمت له فوصفه بعضها بأنه د كان قد جمع علم الفقه والحديث وعلم الإعراب واللغة والتصرف في فنون الأدب وله تصانيف جمّة في أكثر الفنون .. ه . (٥)

- (١) لسان الميزان لابن حجر ج ٤ ص ١٧٤ فيما ينقله عن ابن حزم .
- (٢) الديباج المذهب / ص ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٦ / ٣٧ حيث يفقد الأخير فعلا بمنون ذكر ما يحمل به عليه .
- (٣) الديباج المذهب ص ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ٣٨ .
- (٤) أنظر مقال الذكور جمال الدين المنشور في مجلة الرسالة الإسلامية .
- (٥) أنباء الرواة حل أنباء النخلة / القفطي ج ٢ ص ٢١٦ وتاريخ علماء الأندلس ص ٢٧٢ .

ووقف الباحثون المحدثون على بعض جوانب أدبه والأحبار المتواترة عنه فأشادوا بذكره وأكدوا على مكانته وعرف بعضهم بالجانب الأدبي من ثقافته فقال : « ومن الدين القوا في الأدب في هذا العصر عبد الملك بن حبيب (توفي سنة ٢٣٩) وكان أدبياً محوياً حافظاً وشاعراً متصرفاً في أصرب العلوم المختلفة في الأخبار والأنساب والأشعار وكانت له مؤلفات جيدة في الأدب .. (١) ومن النماذج الشعرية التي ذكرتها المصادر آيات يذكر فيها ابن حبيب شيئاً عن وضعه المالي ويشير إلى تنوع المغنين وتفضيلهم في العطاء والمنح عليه وعلى أمثاله من العلماء والعقهاء على قلة التوائد التي يجنيها المجتمع من المغنين مقابل كثرتها وأهميتها لدى العلماء والعقهاء والمثقفين وكذلك مع القارق الكبير بين جهد الإثنين :

صلاح أمري والذي انتفى سهل على الرحمن في قدرته
ألف من البيض - وأقلل بها لعالم أو ي على بقيته (٢)
يأخذها زرياب في رفته وصنعتي أشرف من صنعة
وقد ذكر صاحب المغرب أن المعنى زرياب (٣) قد غنى بين يدي الأمير
عبد الرحمن الأوسط شعر أطربه فأعطاه ألف دينار

والآيات تدل على ظاهرة إجتماعية شائعة في عصر عبد الرحمن الأوسط وهي مكانة المغنين والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها وحالتهم المادية التي تنسم بالرفاه وسعة العيش مقابل ضيق وحاجة في أوساط أخرى في مقدمتها العلماء والعقهاء وقد أشار أحد الذين ترجموا لعبد الملك وأوردوا هذه الآيات ضمن الآثار الأدبية التي ذكرها له ، بأن عبد الملك « لم يكن من أهل السعة

(١) فصول في الأدب الأندلسي ، د. حكمت الأوسي ص ٦٠ وانظر كذلك : الحركة الفنية في الأندلس (٢) وردت هذه الآيات في طبعات التحوين ص ٢٨٢ والنفوس ص ٢٦٥ والمغرب ج ٢ ص ٩٦ . وأنباء الرواة ج ٢ ص ٢٠٦ والديباج المدب ص ١٥٦ وترتيب المدارك ج ٢ ص ١٦ ونفح وقد ذكرها الدكتور جمال الدين في مقاله .

(٢) زرياب : أبو الحسن علي بن نافع ، نشأ بالشرق تلميذاً لاسحق الموصلي في الفناء سافر إلى الأندلس ونال شهرة واسعة : انظر ترجمته في المغرب لابن دحية ص ١٤٧ . وتاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ..

في دنياه ، بل كان من المقتر عليهم رزقهم » (١).

ويرى بعض الباحثين أن عبد الملك أراد بهذه الآيات أن يعكس عن نفسه وبين أن رغبته في الحياة سهلة يسيرة ولكنه لم يستطع الوصول إليها مع أن قليلاً من المال يبلغه ما يريد » (٢) ونحن نعتقد أن مراد عبد الملك إبراز الفرق بين طبقة وطبقة المغنين ومن يبتغى ولا يفتقر في ذلك أن يكون متطلماً إلى الحياة السهلة اليسيرة وأن قليلاً من المال يبلغه هذه الحياة وواقع الرجل في مكانته وجهوده يلقي ضوءاً واضحاً على هذه النظرة

ولعبد الملك آيات أخرى توجه بها إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط في يوم عاشوراء يحثه على الوفاء بالمستلزمات الإسلامية لهذه الذكرى فقال :
لائس - لا يسك الرحمن - عاشورا وأذكره لازلت في الأحياء مذكورا
قال النبي صلاة الله تشمله قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سعة يكن عبثه في الحسول مجبوراً (٣)
فارغبديتك - فيما فيه رعتنا حيز لورى كلهم حيا ومقبوراً (٤)
وأورد المقرئ ثلاثة آيات منها مع اختلاف بين في بعض الألفاظ على النحو التالي :

لائس - لا يسك الرحمن - عاشورا وأذكره لازلت في الأربع مذكورا
قال النبي صلاة الله تشمله قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع في اتفاق موسمه أن لا يزال بذلك العام ميسوراً (٥)

(١) أنباء الرواة على أنباء الفتحة ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) قضايا أدلية د . بيدر متولي حميد ص ٣٧ .

(٣) المقتبس / ١ ن حيان ص ٤٨ ..

(٤) هكذا ورد البيت - وفيه نقص - ولعل أمانة لفظة مثل (مدى) بعد لفظة (يكن) تعين على استقامة الوزن .

(٥) نفع الطيب ج ٢ ص ١١٢ ويبدو أن الدكتور جمال اعتمد هذه الرواية

ولاشك أن الباحث يفضل رواية ابن حيان على رواية المقرئ لمكانة الأول في مؤرخي الأندلس وتقدمه على المقرئ في الزمن والمكانة العلمية والثقافية مما أجمع عليه المؤرخون والدارسون قديماً وحديثاً . (١)

وإذا كانت هذه الآيات من حيث مضمونها تنسم (باليساطة) (٢) والوضوح والسهولة كما يرى بعض الباحثين فإن لها دلالة أخرى تتمثل في معالجة القضايا الإسلامية وإحياء المناسبات والتذكير بأهميتها وأثرها في المجتمع وما ينبغي على الناس أن يقوموا به إزاءها وبخاصة الأمراء باعتبارهم قدوة لغيرهم وأسوة برعيتهن وهم أقدر على إيفاء حق هذه المناسبة من عامة الناس .

وأخيراً فإننا نستطيع أن نلمح في الآيات مظهراً من مظاهر الحياة الأندلسية واجتماع الأندلسي في هذه الفترة . ذلك المظهر الذي يدل على الإهتمام بهذه المناسبات وإحيائها في ضوء التوجيهات النبوية الواردة بشأنها والتي انطلق منها عبد الملك في آياته داعياً إلى التوسعة على المحتاجين والمعوزين استحابة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المناسبة وأمنائها

ويأتي شعر عبد الملك أحياناً خلال المراسلات الدورية التي كان يكتبها لأصدقائه من الأدباء والعلماء ومن هذا النوع نجد أبياتاً أوردتها المصادر الأندلسية والمشرقية وهي موجهة ضمن رسالة بعث بها إلى صديق له من الأدباء اسمه محمد بن سعيد الرجالي (٣) أوردتها الزبيدي إذ قال : (وكتب عبد الملك إلى محمد بن سعيد الرجالي (رسالة وصلها بهذه الآيات : (٤)

كيف يطيق الشعر من أصبحت حالته اليوم كحال الفرق

-
- (١) ينظر مثلاً : مقدمة المذكور محمود علي سكي في تحقيقه لجزء من المقتبس . ومجلة العربي عدد ٨٨ سنة ١٩٦٦ . مقال (المؤرخ ابن حيان وكتابه المقتبس في تاريخ الأندلس) للاستاذ محمد عداة عنان . (٢) قضايا أندلسية ص ٣٦ . (٣) محمد بن سعيد الرجالي أديب وكاتب للأمير عبد الرحمن الأوسط انظر في ترجمته : المغرب ج ١ ص ٢٣٠ . والمقتبس ص (٤) طبقات النحويين ص ٢٨٢ .

إذا قرضت الشعر أو رمته حالت همومي دونه فانهلق
والشعر لا يسلس إلا على فراع قلب واتساع الخلق
فاقتع بهذا القول من شاعر يرضى من الحضر بأدنى العلق
أما ذمام الود مني لكم فهو من المحتوم فيما سبق
ما حلت عن عهدك لا والذي بجود بالمرق على من خال

وقد وردت الايات في مصادر أخرى ولكنها تختلف عنها في بعض الألفاظ
وعدد الأيات فقد أوردها الفتح على الشكل التالي (وكتب إلى محمد بن سعيد
الرحالي رسالة ووصلها بهذه الأيات :

كيف يطيق الشعر من أصبحت حالته اليوم كحال الفسرق
فاقتع بهذا القول من شاعر يرضى من الحفر بأدنى العلق
فضلك قد بأن عليها كـ دن لأهل الأرض ضوء الشفق
أما تمام الود مني لكم فهو من محتوم فيما سبق (٢)
ويروى المقرئ الأيات بالشكل التالي (وكتب إلى رحالي رسالة وصلها بهذه
الأيات (٣) :

والشعر لا يسلس إلا على فراع قلب واتساع الخلق
فاقتع بهذا القول من شاعر يرضى من الحط بأدنى العلق (٤)
فضلك قد بأن عليه كـ بأن لأهل الأرض ضوء الشفق
أما ذمام الود مني لكم فهو من المحتوم فيما سبق
ويلاحظ أن آيات الرواية الأولى أكثر من الأيات الواردة في كل من
روائي الفتح والمقرئ وبيت الثاني والبيت الأخير في الرواية غير موجودين

- (١) الحضر - بضم وسكون وصم : ارتفاع العرس في عفته - القاموس ج ٢ ص ١٠
العلق : ضرب من السرميج سريع اليل والحيل - انظر المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٣٨
(٢) مطبخ الأنس ص ٤١ . (٣) فتح الطب ج ٢ ص ٢١٦ ، ويبدو أن الدكتور جمال الدين
اعتمد هذه الرواية .
(٤) الكلمة جاءت بهذا الرسم ها (الخط) وفيها تصحيف واضح والصحيح كما رويت سابقاً .

في روايتي الفتح والمقرى، كما أن هاتين الروايتين تختلف ثابتهما عن الاولى بوجود البيت الثاني .

ونحن نفضل الرواية الاولى لانها وردت في مصدر سابق على مصدري الروايتين التاليتين إذ من المعلوم أن الزبيدي قد توفي سنة ٣٧٩، أما الفتح فمن رجال القرن الخامس وأوائل السادس وأما المقرى فمتأخر عن الاثنتين كثيراً .

ومهما يكن من أمر الاختلاف في الأبيات مما اضطررنا لذكر الروايات المتعددة المختلفة فإن هذا لا يعبر من دلالتها على تصوير حالة نفسية يبدو أنها عرضت لعبد الملك فقد كان على ما يبدو يعاني من قلق وانشغال فكر لا يمكنه من التفرغ لتنظيم الشعر الذي لابد له من خلو بال وحضور قلب وهدوء حال واستقرار ويرجع بعض الباحثين هذا إلى طائفة عامة يمكن أن تلاحظ في حياة الأندلسيين الذين كانت ظروفهم لا تسمح لهم بمعالجة الأشعار التي تمثل حياة الدعة والترف . من العزل والوصف وبجائس اللهو وهذا عبد الملك ابن حبيب السلمي العالم اشاعر الذي توفي سنة ٢٣٨ هـ يقول : ان الإنشغال وعدم الإطمئنان وقلة فراع المال تدعو إلى الإنصراف عن الشعر والتجويد فيه وقد كتب رسالة إلى صديقه عماد بن سعيد الزجاجي وصلها بهذه الأبيات (١) وفي رأي أن أبيات عبد الملك الصق بنفسه وشخصيته وثقافته من أن تكون ظاهرة عامة تسري على جميع شعراء الأندلس بل وحتى على شعراء عصره فقط بدليل أن شعر الشعراء يحوي أغراضاً متعددة ولم يقتصر على غرض واحد بعينه . ولدينا نموذج آخر من شعر عبد الملك يقرب في ظروفه من ظروف الأبيات السابقة فهو وارد أيضاً ضمن رسالة نثرية كما تحدثنا المصادر . غير أننا لا نجد شيئاً من نثر هذه الرسالة سوى الأبيات والإشارة إليها : (وكتب بن حبيب إلى الرشاش (٢) الأديب يستهديه مداداً ووجه إليه قارورة كبيرة) : -

(١) قضايا أندلسية ص ٧

(٢) الرشاش : أبو عثمان سعيد بن العرج المعروف بالرشاش : أديب متميز مشهور في عصر عبدالرحمن الأوسط ترجم له صاحب المغرب ج ١ ص ١١٤ وغيره .

احتجت من خبر إلى سقية فامدد لنا منه (مرسالك) (١)
وأبعث وأن قل به طيباً ولا تكن دوننا فنلحناك
ولا تهولنك فارورتي فإنها أقنع من ذاك (٢)

ولعلنا نلاحظ طابع البساطة - شكلاً ومضموناً - على هذه الأبيات فموضوعها عادي يمكن أن يسلك في غرض الشعر الاجتماعي أو الإخوانيات وأما أسلوبها فيتنسج بالبساطة والوضوح ولكنه مع ذلك يدل على موهبة في الشعر واضحة . وما يتصل بهذا الشعر موضوعاً وشكلاً بيت واحد أورده ابن حبان بعد أن قدم له بقوله أن (له بيت شعر في التعريض ببعض قضية الأمير عبدالرحمن ضمنه كتاباً خاطبه في شأنه (من الخفيف) :

كان بالفاستين منار ووفاً وعلى المقسطين سوط عذب (٣)

على أننا نستطيع أن نفهم من البيت غرضاً آخر غير ما دلت عليه الأبيات السابقة وهو نقد الأوضاع **والأشخاص** وبخاصة المقربين للأمير من القضاة فهو يصور القاضي بالإعتراف عن الحق بطنه قدس ومحاباته للظالمين حتى كان بهم رؤوفاً رحيماً بما هو على أغرومين وأطلومين سوط يلهب ظهورهم ويتزل بهم أنواع العذاب والبلاء .

ومرة أخرى نلاحظ إفتقار الرسالة إلى النص الثري واقتصارها على النص الشعري مع أن الإشارة واضحة إلى هذا البيت ضمن رسالة ثرية بل إننا نستطيع أن نرجح بأن هذا البيت قد لا يكون الوحيد وإنما هو واحد من مجموعة أبيات لم تصلنا كاملة . وما نلاحظه في البيت المذكور تأثير عبدالملك

(١) يبدو أن في البيت قصاً وساحة في شطره الثاني، ولعل حرف الاء قد سقط من لفظة (مرسالك) إذ لا يستقيم الوزن إلا بوجوده .

(٢) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٥ . ولم ترد الأبيات في أي مصدر آخر . كما لم تذكر في مجلة الرسالة الإسلامية .

(٣) المختص ص ٤٨ ، ولم يذكر البيت في مجلة الرسالة الإسلامية .

بالقرآن الكريم والفاظه فانظرة القاسطين وتبني الظالمين وردت في قوله تعالى :
 « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطاً » (١) وأما لفظه المقسطين فمعني العادلين
 المنتصين وقد وردت في قوله تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصدحوا
 بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تهي إلى أمر
 الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » (٢)
 فإذا توقفنا قليلاً بعد هذه الصورة الشعرية التي أوردناها لعبدالمالك وأعدنا
 النظر في جميع الصور الأخرى السابقة عليها وجدناها تمثل لنا شعر عبدالمالك
 في ظل الأمير عبدالرحمن الأوسط وبعد رجوعه من رحلته الإسلامية العممية
 إلى المشرق والتي قدرنا أنها إستغرقت حوالي عشر سنوات أو أكثر ، أما
 الصور التي سنوردها الآن فهي تمثل لنا الشعر الذي قاله عبدالمالك أثناء رحلته
 ومن المؤسف أننا لا نملك من هذه الصور الشعرية سوى إثنين : -

أما أولاهما فقد قالها **عبدالمالك دفاعاً عن نفسه** ونأكيداً لشخصيته الثقافية
 ومترناة العلمية حيث يفهم منها أنه قول حذر ونحفظ بل ربما بأعراض
 وفطور يدل على جهل حقيقته وأستصغاره لشأنه () . وحكى أنه قال في دخوله
 الشرق وحضر مجلس الأكارم فازداراه من رآه فقال : -

لا تنظرون إلى جسمي وقلتيه . وأنظر لصدري وما يحوي من السنن
 فرب ذي منظر من غير معسرفة ورب من تزدريه العين ذو فطن
 ورب لؤلؤة في عيين مزبلة لم يلق بال لها إلا إلى زمين (٣)

ونفهم من الأبيات بالإضافة إلى الفتور الذي إستقبل به عبدالمالك أبان
 وصوله المشرق نفهم أنه كان نحيف الجسم رقيقاً لا يلفت مطهره نظر الناس
 ولا يتوقعون أن ينطوي مثله على ذلك العلم الذي حواه . كما نفهم أيضاً

(١) سورة الحن آية (٦) ، وانظر تفسير اللفظة في القاموس ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٢) سورة الحجرات ، آية (٩) ، وانظر تفسير اللفظة في القاموس ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) مطمح الأنفس وسرح القنأس ص ٤١ . ونفع الطيب ج ٢ ص ٢١٦ ، وقد وردت في مجلة الرسالة الإسلامية .

معالجة عبد الملك لآفات إجتماعيه طالما نحرث في جسم التمتع في كل رمان ومكان وهي إعتقاد المظاهر مقياساً للإحترام والتعظيم والحكم على الأمور والأشخاص بالظاهر السطحي دون ألباطن الحقيقي . وكم صاع من أناس وفقدوا ماكان ينبغي لهم من الإحترام والتعظيم بسبب هذا المقياس ومنهم من أهمل وكان محط أزدراء واحتقار إلى زمن طويل حتى يتهاى له أن يكشف عن نفسه ويثبت بطلان الحكم عليه كالثقلوة الملقاة في مزبلة لايتوقع أحد أن يجدها في مثل هذا المكان وقد يطول زمن ضياعها حتى يتهاى لها أن ترفع وتوضع في مكانها الصحيح .

ومن آيات هذه المجموعة الصورة الثابتة التي قالها في المشرق ويبدو أنه كتب بها إلى أهله ستة عشر ومائتين :-

أحب بلاد الغرب والغرب موطني ألا كل عربي عسلي حبيب
فيا جسداً لأضناه شوق كانه إذا نُصبت عنه الثياب قصب
ويا كبدأ عادت رفائلاً كأها بلدغها بالكاويات طيب
وأهلي بأقصى مغرب الشمس دارهم ومن دولهم بحر أجش مهيب
وهول كربه ليلته كهواره ومير حبيث لركاب (توب) (١)
فما الداء إلا أن تكون بعثرة وحسك داء أن يُفصل غريب
فيا ليت شعري هل أيتن ليلةً بأباكاف نهر الثلج حين يصوفي
وحولي صحابي وبني وأمها ومعر أهلي والرؤوف مجيب (٢)

. ولا يخفى أن هذه الآيات تمثل غرضاً طالما تردد في شعر الأندلسيين

القرنين الثاني والثالث الهجريين فكثيراً ماكانوا يحنون إلى أوطانهم ويرسلون الزفرات الأخرى يصوغونها شعراً معبراً أصدق تعبير عن حُبهم لوطنهم وتعلقهم به كالذي نجده لعبد الرحمن الداخل في مخاطبته نخلة وجدها في الأندلس فذكرته بأهله ووطنه في المشرق :

(١) لعل لفظة (دوب) بدل (توب) في آخر هذا البيت حيث يكون المعنى أكثر دقة واستقامة.
(٢) ترتيب المادرك ج ٢ ص ٤٦ وللهيباج المنعك كاملة سوى اختلاف وتصحيف في بعض الألفاظ وقد ذكرت الأبيات في الرسالة الإسلامية سوى البيت السادس

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة^١ تنامت بأرض الغرب عن وطن أنخل
 فقلت شبيهي في الغرب والنوى وطول ألتاني عن بني وعن أهلي
 نشأت بأرض أنت فيها غربة^٢ فمثلك في الإقصاء والمتأى مثلي
 سقتك غوادي المزن في المتأى الذي يسح ويستمر السماكين بالوبل (١)
 وتذكرنا هذه الآيات بقصائد عديدة لشعراء مشاركة في هذا المعنى أو
 غيره ولكن في نفس القافية والوزن كما يدل على تأثر الأندلسيين بالمشاركة
 وحرصهم على محاكاةهم في أدبهم وبخاصة في فترة القرنين الثاني والثالث أي
 الفترة التي عاش بها عبد الملك بن حبيب (٢)
 عبد الملك الناصر

وإذا جئنا إلى النظر في الملكة الأدبية الثانية - وهي الكتابة والنثر وجدنا
 قدراً قليلاً لا يمتنع على تكوين صورة واضحة متكاملة عن النثر الذي كان
 عبد الملك يمارسه ولكنه على كل حال يعطي فكرة موجزة ولمحة خاطفة...
 ولقد أشرنا سابقاً إلى أن بعض النصوص الشعرية وردت ضمن رسائل بعث
 بها عبد الملك إلى الأمير عبدالرحمن تارة وإلى أصدقائه تارة أخرى لكننا
 لانجد بين أيدينا نصوص هذه الرسائل وأشرنا كذلك إلى أن هذا كان نهجاً
 عاماً لدى الأدباء الأندلسيين وهو الانتقال من النثر إلى الشعر لتجديد نشاط
 القارئ وتشويقه إلى الإستمرار في القراءة والتتبع ولكن المؤسف أن لانجد
 هذه النماذج كاملة بين أيدينا مما يجعل أثر القول في نثر عبد الملك وخصائصه
 محاطاً بكثير من التحفظ والخلل ومتمسماً بالعدم والإجمال أكثر من انصافه
 بالتخصيص والتفصيل .

وينفرد البيهقي (٣) بإيراد نص فيه أسطر قليلة يمكن أن تُعد نموذجاً
 من نثر عبد الملك وتبينها على ممارسته لهذا الفن بشكل أوسع وأشمل وإن لم
 يكن قد وصلنا كاملاً .

- (١) البيان المغرب ابن عذاري للمراكشي ج ٢ ص ٩٠ ، وانظر كذلك ص ٨٩ آيات أخرى في
 نفس المعنى أو قريب منه لمبدل الرحمن للداعل نفسه .
 (٢) وقد أشار الدكتور محسن جمال الدين إلى هذا التأثير إشارة عامة ، انظر الرسالة الإسلامية ص ٥٥
 (٣) ترتيب المدارك ج ٢ ص ٤٦ / ٤٧ .

(ولما بلغه من تحامل الفقهاء عليه ، ما شق عليه ، كتب إلى الأمير عبد الرحمن : - أسبغ الله على الأمير كرامته وأعلى في الجنة درجته ، ان العذري أكرم الله الأمير قال آياتاً أعجب بها العلماء (ما فيها مثل يضرب على الأمير) في خاصة نفسي والبسر من ألتعرض يكفي غيره من التصريح كما قال الشاعر :
لذي اللب قبل اللوم ماتقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما (١)
وهي :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه في القوم أعداء له وخصوم (٢)
كضرائر الحساء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لدميم
يلقى الليب مشتتاً لم يحترم شيم الرجال وعرضه مشنوم
وما هذا إلا كما قال زهير :

وأخذ التحمي ليس يرح حاملاً ذناً عليك عرفت أم لم تعرف (٣)
ونجد نموذجاً يمكن أن نصمه إلى الأسطر السابقة لكي نستطيع أن نقف على بعض الخصائص الثرية التي أمتازت بها كتابة عبد الملك ...
وهذا أنموذج : نص رسالة كتبها عبد الملك إلى معلم ولده وقد نشرها (٤) سعيد اعراب ودرسها من أوجهة الربوية والتعليمية . وسنأتي لدراسة هذه بعد قليل .
أما نص الرسالة فهو : -

فليكن أول ما تؤدب نفسك ، فإني عيني متعلقة بهم وأعيهم متعلقة بك ،

- (١) ورد البيت منسوباً لمتنلس في ديوانه بهذه الصورة :
لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما
انظر ديوان المتنلس ص ٢٦ تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٩٧٠ ، ونسبه ابن عبد ربه لعقيل بن أبي طالب (انظر القند القرويه ج ٤ ص ٩) .
- (٢) أورد ابن قتيبة في حيون الأخبار ج ٢ ص ٩٠ هذه الآيات في باب الحمد ولم يسم قائلها كما قدم البيت الأخير وجعله أولاً وأورد به هذه الصورة :
- (٣) وترى الليب حسداً لم يحترم شيم الرجال وعرضه مشنوم
لم أقف على هذا البيت في ديوان زعيمين مسلمي ولا في ديوان ابنه أبي كعب وفيه تصحيف على ما يبدو (أخر) بدل أخذ هي الأصل ليستقيم الوزن والمعنى .
- (٤) نشرت الرسالة في مجلة الثقافة المغربية ج ٧ سنة ١٩٧٢ .

فالحسن لهم بما استحسنت والقيح عندهم ما استعجبت. هـ علمهم كتاب الله
 ولا تكثرهم عليه خيلوه ولا تكثرهم من فن إلى فن حتى يحصلوه لأن
 أزدحام العلوم مضلة للفهم. ومثقة للذهن ، وعليمهم من الشعر أعفه
 ومن الحديث أشرفه. وكن لهم مثل الطبيب المشفق لا يضع الدواء إلا في موضع
 الداء وهذا هم أي ولا تضرهم دولي وأجعل أدبك لهم مدحاً يزدادون رفقا وشوقاً
 وتطلقهم في النهار ثلاثة أوقات : بعد الصبح الإفطار ، وقبل الظهر للغداء
 ونقص الراحة ، ومع غشية النهار وذلك بحسب قصر النهار وطوله ، يوسع عليهم
 في طوله ويضيق عليهم في قصره ، وأطلقهم يوم الخميس بعد كتبهم للألواح
 وإصلاحها وتبزيدها ، ولينس عليهم رجوع إلى المكتب إلا صبيحة السبت ، (١).
 والنص الأول مع الآيات يبدل بوضوح على تحامل الفقهاء وحسد
 لعبد الملك وأنه كان في وقت ما هداماً يرمى من قبل الحاسدين والمبغضين ...
 وهو إلى جانب هذا يدل على تأثير تليد الملك بالشعراء والأدباء المشاركة
 وحفظه لأشعارهم واستشهاده بمجموعات من أبياتهم في نثره وشعره .
 وربما استغفنا أن نلصق انجاءاً نقدياً يعتمد الموازنة بين اللغائي وارجاعها
 إلى مآلئها ولكنه على كل حال انجاء ضئيل ولمحة لحاطفة لا تمكن من الحكم
 الواضح ولا تسوغ وصف عبد الملك بالنقد على أن النصين الأول والثاني
 إذا نظر إليهما نحن بخلاف دلالتهما الثرية أمكننا القول بأن عبد الملك نادر
 وإن له أسلوباً واضحاً فيهما غير أن هذا الانجاء لا يكاد يخرج عن أسلوب
 المشاركة بل نجد نصاً مشابهاً للجاحظ نسبة إلى عتبة ابن أبي سفيان في وصية
 كؤدب ولده ((... ليكن أول ما يبدأ به من إصلاحك بي إصلاحك
 بنفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت والقيح
 عندهم ما استعجبت ، علمهم كتاب الله ولا تكثرهم عليه خيلوه ولا
 تكثرهم فيه فيجربوه ثم زوجه من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ولا

(١) مجلة الثقافة المغربية ج ٧ سنة ٢٩٧٣. مقال سيد امراء

نخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وعلاقتهم سير الحكماء وأخلاق الادياء وجنتهم محادثة النساء . وتهندهم بي وأدبهم دوفي وكن لهم كالتطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الماء ولا تنكل على عذري ، فأني قد اتكلت على كفايتك وزد في ناديتهم أزدك في بري إن شاء الله)) (١)

ويتضح من النصين أن بينهما تشابهاً كبيراً إلى درجة تدفع إلى القول . باعتماد أحدهما على الآخر فكان عبد الملك أخذ هذه الوصية ونسج على منوالها واعتمد بعض عباراتها ولكنه خالف في بعض مبادئ التربية وأضاف إليها المنهج اليومي للتعليم كما سئى . عند النظر في الرسالة من الوجهة التربوية والتعليمية . غير أن ما يعلتنا في الحكم باعتماد عبد الملك على الملاحظ أن البيان والتبيين لم يظهر في المشرق إلا بعد سنة ٢٣٣ (٢) وإذا كانت وفاة عبد الملك سنة ٢٣٨ أو ٢٣٩ على ما مر بنا فإن من الصعب أن نتصور وصول كتاب البيان إلى الأندلس بهذه السرعة كما أن كتابة عبد الملك رسالته إلى معلم ولده تلت . نظرنا إلى أن هذه الرسالة ربما كتبت قبل هذا التاريخ بفترة ، لأن أولاده قرؤوا العلم عنه وكانوا كباراً عند وفاته (٣)

ومهما يكن من أمر التشابه أو الاختلاف بين الرسالتين فإن رسالة عبد الملك تعطينا صورة عن خصائص كتابته التي تتميز بالسجع وقصر العبارة ... وتطيرها من الصفات والخصائص التي نجدها في أسلوب الملاحظ خاصة وأساليب كتاب المشرق عامة ولعل ما يؤيد هذا أن الأندلسيين في هذه الفترة كانوا معنيين أشد العناية بمتابعة أهل المشرق وترسم خطاهم في الأدب شعره ونثره . وإذا كنا في شك

(١) البيان والتبيين ٧٨ ص ٧٢

(٢) ذلك ما توصل إليه عبد السلام هارون في مقدمته التحقيق البيان والتبيين . ص ١٠ بقا النظر في علاقة الملاحظ بأحد بن أبي دواد وتوجه الملاحظ بكتابه البيان إلى قبل وفاته سنة ٢٤٣

انظر مقدمة المحقق البيان والتبيين ص ١٠٧

(٣) ترتيب المدارك ٢٦ ص ٤٨ والديباح المذهب ابن فرحون ص ١٥٤

من اعتماد عبدالملك على الحافظ في هذه الرسالة فنحن أمام احتمال القول بنسبتها إليه في وقت متأخر من حياته وإذا كان سعيد أعراب قد نشرها وهو يعتقد أنها لعبدالملك من خلال العبارات التي تبدو واضحة فيها ... فلم يبق أمامنا إلا أن نفترض اعتماد عبدالملك على أدباء آخرين أو على تيار النثر المشرقي بصورة عامة وذلك يمكن أن يكون قد حدث في رحلته للمشرق وإطلاعه على أسلوب الحافظ وعيره قبل أن يظهر البيان والتبيين .

عبدالملك المعلم والمربي :

وإذا أعدنا النظر في هذه الرسالة من خلال النهج التربوي والتعليمي وجدناها قد احتوت جملة من التوجيهات التربوية والتعليمية في تربية الصبية وتعليمهم وفق أحدث الوسائل التعليمية وألوان النهج المتبعة الآن في أماكن عديدة من العالم وهي ماثار دراسات المتخصصين والمعلمين بشؤون التربية والتعليم ...

وقد إلتفت سعيد أعراب إلى أهمية هذه الرسالة بعد أن عثر عليها مخطوطة ونشرها ثم علق عليها باستنباط أهم القواعد والأسس التربوية والتعليمية التي كان عبدالملك يرى ضرورة اتباعها من قبل المعلمين لتكون رسالتهم إيجابية منتجة وتكون جهودهم ناجحة مثمرة . وسأورد ملخصاً لهذه النقاط مع الإشارة إلى النصوص التي استنبطت منها :-

١ . شخصية المعلم وما ينبغي أن تكون عليه من القلوة الحسنة والسيرة الفاضلة وهي من قول عبدالملك في صدر الرسالة (فليكن أول ما تؤدب به نفسك فإن عيني متعلقة بهم وأعينهم متعلقة بك ، فالحسن لهم ما استحسنت والقبیح عندهم ما استقبحت ...) .

٢ . ويخطط ابن حبيب لتعليم أبنائه منهجاً يضم من أهم فقره واولى مواده : (تعلم كتاب الله) حفظاً ومدارسة وترتلاً لما في ذلك من أثر كبير في رسوخ العقيدة الصحيحة واستيعاب الاصول الأولى لأكثر العلوم العربية والاسلامية بما يشكل القرآن الكريم أصلاً أصيلاً له .

- ٣ . وينصح ابن حبيب معلم ولده أن يأخذهم بالرفق والرغيب دون الاكراه والترهيب وذلك واضح في قوله : (ولا تكرههم عليه فيملّوه و ...) .
- ٤ . ومن القواعد الأساسية في التربية والتعليم حتى الآن - وقد ألفت إليها عبدالملك التدرج في تدريس الموضوعات للطلبة فلا ينتقل بهم من موضوع إلى آخر حتى يستوعبوه ويقفوا على تفاصيله ودقائقه فيقول : (ولا تخرجهم من فن إلى فن حتى يحصّوه لأن ازدحام العلوم مضلة للفهم ومشقة للذهن) .
- ٥ . ومن المواد التي تضمنها منهج عبدالملك في التربية والتعليم : تعليم الشعر ولكنه قيّد ذلك بأن يكون الشعر الذي يدرس مبره من المحور والعبث أو القبح والمجاء .
- ويحث المعلم على تعليم الحديث الشريف فيقول : (وعلمهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه) ويقصد بشرف الحديث صحته وسلامته من الضعف والوصع وغيرها
- والذي نميل إليه أن المقصود بشرف الحديث حديث الأدباء والعلماء وأقوالهم إذ الحديث النبوي شريف بكلم .
- ويرى الأستاذ أن ذكر الحديث الشريف ووجوب تعليمه مع القرآن الكريم وعدم الإكتفاء بالشعر العفيف مذهب مغربي وأندلسي خاص .
- ٧ . ويشترط ابن حبيب في المعلم أن يكون حكيماً في تصرفاته مع طلبته كالطبيب الذي (لا يضع الدواء إلا في موضع الداء) .
- ٨ . ويتطرق ابن حبيب إلى مشكلة هامة شغلت المربين منذ القديم وهي : عقوبة الطفل وقد كانت وما تزال موضع أخذ ورد فمنهم من أباّح الضرب ومنهم من منعه ومنهم من توسط ، وابن حبيب من المتشددين في هذا الباب فهو لا يبيح لمعلم أبناؤه أن يضربهم أو يغيضهم (فهدهم) بي ولا تضربهم دوني) .
- ٩ . ومن القضايا الهامة التي ألفت إليها عبدالملك أن يجعل المعلم تأديبه مدحاً وتشجيعاً لازماً وتقريعاً . وهذا فيما نعتقد أصل من الأصول الخطيرة

في التربية وإن كان البعض ينتهي متأثره غير مقدر لحقيقة إبعاده ونتائجه... يقول عبد الملك في ذلك : (وأجعل أدبك لهم مدحاً يزدادون رفقاً وشوقاً) . وعلق . اعراب على ذلك بقوله : « والمأساة تتصل بعلم النفس . فمن كان مرباه - كما يقول ابن خلدون - بالعنف والقهر مضايبه القهر وصيق على النفس في أنيأسها وذهب بشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث خوفاً من أبساط الأيدي إليه بالقهر ونسبت بمعاني الإنسانية التي له ثم يجعل الأستاذ الباحث بما تبقى من الرسالة متعلقاً بما يسميه :

اليوم الدراسي والأسبوع الدراسي
ويُفهم من توجيهات عبد الملك في هذا الخصوص أن الأسبوع الدراسي في رأيه بدأ صباح السبت وينتهي في عصر الخميس ولذلك يكون يوم الجمعة بطوله عطلة

وهذا يفهم من قوله (وتطلقهم في النهار ثلاثة أوقات

١. من الصباح الباكر إلى وقت الضحى يدرس فيه الصبيان القرآن الكريم.
 ٢. عند الضحى استراحة لتناول الفطور
 ٣. من الضحى إلى ما قبل الظهر للكتابة وتعليم الخط .
 ٤. وقبل الظهر يصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغداء .
 ٥. بعد الظهر يدرسون بقية العلوم من شعر وحديث وما إلى ذلك .
 ٦. وعند الظهر استراحة خفيفة تختلف بحسب طول النهار وقصره ... (١)
- وبعيد أن ينتهي اعراب من عرض أهم النقاط التي وقف عليها في رسالة عبد الملك يعقب على ذلك بقوله :

(ولأين حبيب آراء تتصل بالتربية والتعليم جاءت متفرقة في بعض كتبه أورد طائفة منها القابسي في رسالته (٢)....) ومن طريف آرائه أنه أباح

(١) الثقافة المغربية ج ٧ سنة ١٩٧٢ ص ٥٩/٦٥

- (٢) انظر علم التاريخ عند المسلمين والتعليم في رأى القابسي الدكتور أحمد مزاد الاخواني ، ص ٢٧٤ و ص ٢٧٦ وغيرها

الإستتجار على تعليم الشعر وأيام العرب. وخالف أئمة الفقه في ذلك
، ثم يحتم بحقه بقوله :

(فنحن إذا نظرنا إلى ابن حبيب كأحد المربين في الإسلام ومن الرعيل
الأول في الغرب الإسلامي ، نجد أنه صاحب رأي وصاحب رسالة ترفع
اسمه في قائمة المربين ولا سيما إذا عرفنا أنه عاش في القرن الثالث الهجري
أي في صميم القرون الوسطى التي بعدها المؤرخون من عصور الظلام بالتأخر
في حياة العالم) . (١)

عبدالمملك المؤرخ :

ونود أن تلقى بعض الأقصاء على جانب هام آخر من جوانب ثقافة هذا
العالم الكبير في فترة خطيرة من فترات الأندلس كانت تحدث خلالها تحولات
كبيرة في جميع نواحي الثقافة والمعرفة والعلوم والفنون والآداب ومظاهر
الحضارة

هذا الجانب هو التاريخ حيث كان عبدالمملك عى ما يبدو من المعينين الذين
شغلت جهوده مكاناً بارزاً في الدراسات التاريخية في هذه الفترة المهمة من
تاريخ المجتمع الإسلامي في الأندلس

يحدثنا الزبيدي أن لعبدالمملك عدداً كبيراً : (من دواوين الفقه والحديث
والأخبار) (٢) ويحدثنا الفاضل عن عبدالمملك بن حبيب مؤكداً على الجانب
التاريخي في ثقافته فيقول : (أن له مؤلفات في الفقه والتاريخ والآداب
كثيرة جسيان) . (٣)

أما أن سعيد فإنه يشيد بثقافة عبدالمملك وجهوده في ميدان التاريخ والمؤرخين
وأنه كان : (نابه الذكر في تاريخ بن حيان والمسهب وتفسيرهما (٤) والمصادر

(١) مجلة الثقافة ج ٧ سنة ١٩٧٢ ص ٦٥

(٢) طبقات النحويين والقرويين ص ٢٨٢

(٣) تاريخ علماء الأندلس ص ٢٦٩ . .

(٤) المقياب في حل المغرب ج ٢ ص ٩٦

الثلاثة المذكور أندلسية قبة من عهد عبد الملك ونعد من الأسس واقوامد
الرئيسة في مصادرنا الأندلسية ولعل أهم ما في أخبار هذه النصوص تأكيدها
على اعتماد ابن حيان في مؤلفه التاريخي المشهور على عبد الملك وإذا كان ابن
حيان من الشخصيات التاريخية البارزة المنسمة بالدقة والعمق والاستقصاء (١)
فإن إعماده على عبد الملك يلفت النظر إلى أهمية الأخير ومكانته في التاريخ
والمؤرخين في عصره ... وإلى جانب هذا نرى مؤرخاً آخر من مؤرخي
الأندلس يعتمد اعتماداً بارزاً وهاماً على عبد الملك كقوله مثلاً وهو يروي
عن عبد الملك :

« ... وقال عبد الملك بن حبيب ، عن الليث بن سعد أن إنساناً جاء إلى موسى
لما وصل ناحية طليطلة فقال لبعث معي أدلك على كثر فبعث معه رجلاً ... »
« وقال عبد الملك بن حبيب . لما ولي الأندلس السمع بن مالك الخولاني سنة
مائة في الأندلس في خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه
دخل الأندلس جيش من العرب » .

(قال عبد الملك بن حبيب يرفعه إلى معين التجيبي ...) (٢)
وهكذا لو استعرضنا العديد من كتب التاريخ والتراجم الأندلسية لوجدناها
تعتمد على عبد الملك بن حبيب ربما يشير بعضها إلى كتابه في التاريخ على أنه
مصدر هام رئيس من مصادرنا عن فترة مهمة من فترات التاريخ الأندلسي .
وإذا عرفنا هذه المكانة التي يمثلها عبد الملك في كتب التاريخ الأندلسي
وحسبنا المشرقي إلى حد ما استطعنا أن نتغاضى ولو قليلاً عن قضية ضياع كتب
عبد الملك في التاريخ مادامت هناك نصوص تاريخية تروى عن عبد الملك
وتكوّن ركناً بارزاً في عدد من مصادر الأندلس على أن هناك أثراً

(١) مقال محمد عبد الله عثمان في مجلة العربي (المؤرخ ابن حيان وكتابه المفيد) عدد
١٩٦٦ / ٨٨ .

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس / الصفحات ٢٠١ / ٢٠٧ / ٢١٠ / ٢١٤ على التوالي . وانظر كذلك
الإعلان بالتوضيح لمن ذم التاريخ ص ١٥٩ وصفحات أخرى .
وانظر كذلك علم التاريخ عند المسلمين الصفحات ١٠٠ / ١٠٧ / ١٤٧ وغيرها .

تاريخياً باقياً در (الكتاب المسمى بالتاريخ) (١) يرى بمصوم د : ه أول كتاب صنف في الأندلس . وبقي إلى الآن يسب إلى أبي مروان عبدالمالك ابن حبيب المسمى المرداسي الألبيري القرطبي (٢) . هذا الكتاب ما يزال مخطوطاً في المكتبة البودلية في أكسفورد وعنوانه كما يرد في هذه المخطوطة هو : كتاب في ابتداء خلق آدم وحواء وما كان من شأنهما مع إبليس وعدة الأنبياء نبياً سباً إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعدة الكتب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين إستفتاح الأندلس وما وجد فيها من الذهب والفضة والحدود والياقوت والزمرد والآلعة وما أخرج منها وعدة ملوكها ومن يلها وذكر شي من أحداث وما يعلم منهما في بعض البلدان وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي إلى أن تقوم الساعة . تأليف : عبدالمالك بن حبيب رضي الله عنه وذكر القصيدة قصة فرطية لابن الخارث (٣) . ثم يعمي الكتاب في وصف المخطوطة فيقول : ه ونجد في الورقة الأولى من هذه المخطوطة بيان محتوياته وفيه يبين أنه يبدأ بالكلام على أولية خلق اديبة ويحدث في عن أول . بدأ الله خلقه في السموات والبحار والجبال والخلة والبار وآدم وحواء ثم ما جرى بينهما وبين إبليس ثم بعض سير الأنبياء حتى يصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ويتكلم عن الكتب المنزلية ثم يذكر سير الخلفاء حتى فتح الأندلس ه . ثم يحدثنا عما يوجد بالأندلس من الذهب والفضة واللالى والياقوت والزمرد وما إلى ذلك من الخيرات وميون الثروة ... (٤) .

هذا المخطوط التاريخي الذي قدم موجزاً لوصفه كما ورد في أحد مراجعنا الأندلسية هو الأثر الوحيد الذي نعرف أنه موجود مخطوط من كتب عبدالمالك

- (١) تاريخ انكر الاندلسي / مانتب من ١٩٥٥ وتاريخ انكر العربي إلى أيام ابن خلدون من ١٧٩
- (٢) تاريخ الادب العربي / بروكلمان ج ٣ ص ٨٩ .
- (٣) تاريخ انكر الاندلسي من ١٩٥٥ .
- (٤) المصدر نفسه من ١٩٥٥ .

التاريخية ... يدل عنوانه على موضوعاته ، فهو يبدأ مع بدء الخليفة ثم يتدرج في تتبع الحوادث سائراً مع الزمن متعرضاً لأهم الأحداث التي تهم الناس منذ القديم . والكتاب بهذا يبدو ذا أهمية في التاريخ العربي العام والأندلسي بوجه خاص ولكن ذكره لأحداث وقعت بعد وفاة عبد الملك جعل بعض الباحثين يشك فيه حملة ويرى أنه ربما كان منسوباً إليه و ((أن ابن حبيب لم يكتب الكتاب أو لم يكتب إلا جزء منه)) . (١)

وإذا أضفنا إلى هذا ما لاحظته عدد من الباحثين الذين اطلعوا على المخطوطة المذكورة من وجود ((بعض الاساطير التي نسجت حول فتح المسلمين للأندلس)) (٢) استطعنا أن نفهم الدوافع التي دعت البعض إلى التقليل من قيمة كتب عبد الملك عامة والقول بأن ((تأليفه لم تظهر حرص أهل العلم المحققين وما وصل إلينا منها يؤيد هذا الرأي)) (٣) . ونقول أنه إذا كان لهذا الرأي ما يبرره عند من يطلع على مخطوط عبد الملك التاريخي فإن هذا لا ينبغي أن يسحب على مؤلفاته كتباً بسبب محنة الرجل العلمية وشهرته التاريخية واعتماد المصادر العديدة على ما أورده من أخبار وبخاصة ابن حيان كما أشرنا سابقاً . وبؤكد هذه المكانة الدارسون والمتخصصون بالتاريخ واللغة والحضارة في عصرنا الحديث فيضعه أحدهم بأنه : ((أول مؤرخ أصيل أنجبته الأندلس)) . (٤) ونجد هذا الباحث يقرن عبد الملك إلى أشهر المؤرخين المصريين فيقول : ((وإذا كان من المتعارف عليه بين المؤرخين أن أول مؤرخ بمصر الإسلامية هو عبد الرحمن بن الحكم ، فإن من المتعارف عليه بينهم كذلك أن أول مؤرخ للأندلس الإسلامية هو عبد الملك بن حبيب ...)) . (٥)

-
- (١) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٥ .
 (٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٢٦ / ١٢٧
 (٣) شيخ البصري الأندلس ص ٣٤ وانظر كذلك دائرة المعارف الإسلامية ١٢ ص ١٢٩ ،
 (٤) أثر العرب والإسلام في الحضارة الأوروبية ص ٨٧ والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الحضارة ص ١٢٦ / ١٢٧ .
 (٥) المصدر نفسه ص ٣٧١ .

لقد كان عبد الملك عالماً في شتى فروع المعرفة وكان كما وصفه كثيرون ((متصرفاً في أضرب العلوم المختلفة في الاخبار والانساب والاشعار وكانت له مؤلفات جيدة في الأدب إلى جانب تأليفه الكثيرة في التواريخ والتفقه ...)) (٦) وقد يطول بنا الحديث اذا ذهبنا نستقصي آراء الباحثين في علمه وثقافته قديماً وحديثاً ولعل ما أوردناه من بعض نصوصهم يكفي في اعطاء صورة واضحة عن مكانة الاجل في الاوساط العلمية الثقافية والتاريخية . ولا يرى بعد هذا تضعيف الاجل والتقليل من شأنه بعد الذي رأينا من الاشادة بمكانته وفضله من قبل المتخصصين والعارفين بالدراسات التاريخية والادبية وغيرها ومعهم عدد آخر من الباحثين يرون رأيهم في توثيق عبد الملك واعتباره رأساً في علم التاريخ وباتي ألوان الثقافة الاخرى .

حازم عبدالله خضر

استاذ مساعد/قسم اللغة العربية

ARCHIVE

— المصادر —

١. الاتابكي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ٨١٣ .
٨٧٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة
ورادة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والنشر .
٢. ابن حيان : أبو مروان
المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعنى
عليه د. محمود علي مكي : دار الكتاب العربي بيروت
١٩٧٣ .
٣. ابن خاقان . أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان النخعي
المتوفى سنة ٣٣٥ . أو ٥٢٩ .
مطبع الأنفس ومشرح التأسر في ملح أهل الأندلس .
طبعة مطبعة السعادة .
٤. ابن دحية :
المنظرب في أشعار أهل الغرب .
٥. ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي .
كتاب العقد الفريد ، ت . أحمد أمين وأحمد الزين
وابراهيم الإياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٦٥ .
٦. ابن سعيد : عبد الملك
المغرب في حلى المغرب . تحقيق وتعليق د. شوقي ضيف
ط. دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ .
٧. ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ
المتوفى سنة ٥٤٠٣ هـ . تاريخ علماء الأندلس ، نشر :

- الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ .
٨. ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،
٢٧٦-٢١٣ .
- عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر نسخة مصورة من طبعة دار الكتب، ١٩٦٣ .
٩. ابن القوطية : أبو بكر
تاريخ افتتاح الأندلس حققه وشرحه عبدالله أنيس الطباع
دار النشر للجامعيين .
١٠. البكري الوزير الفقيه أبو عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز البكري
الأندلسي : المتوفى سنة ٤٨٧ .
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق
وسط مصطفى السقا طبعة مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر القاهرة سنة ١٩٤٧ .
١١. الحافظ : أبو عثمان عمرو بن بحر الحافظ
البيان والتبيين ، ز. عبدالسلام محمد هارون ، ج ١ ، ط ٣ ،
سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م الناشر : مكتبة الخانجي - القاهرة
ومكتبة الهلال بيروت . المكتب العربي بالكويت .
١٢. الحموي : الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله
الحموي الرومي البغدادي .
معجم البلدان ، طبعة دار صادر بيروت ١٣٧٤ ١٩٥٥ .
١٣. الحميدي : أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله الحميدي المتوفى
سنة ٤٨٨ .
جلوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، مكتبة الثقافة
الإسلامية .

١٤. الحنبلي : المؤرخ الفقيه الأديب ابو الفلاح عبد الحلي بن ألعقاد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب . المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان
١٥. خليفة : العالم أفاضل والأديب والمؤرخ الكامل الاديب مصطفى بن عبداقه الشهير بحاجي خليفة .
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . منشورات المكتبة الإسلامية - طهران .
١٦. الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ . تذكرة الحفاظ
١٧. الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ .
١٨. الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ، ١٩٦٣ .
١٩. الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ . طبقات النحويين واللغويين ، د. محمد أبي الفضل ابراهيم . الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ أمين الخانجي بمصر .
٢٠. السحاوي : الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السحاوي المتوفى سنة ٩١٢ .
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، مكتبة المثنى - بغداد .
٢١. السيوطي : العلامة الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي . نية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة الطبعة الأولى :

- مطبعة دار السعادة بمصر
٢٢. السيوطي . العلامة الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
٩١١/٨٤٩ .
- طبقات الحفاظ ، د . علي محمد عمر . نشر مكتبة وهبة .
الطبعة الأولى ١٩٧٣ .
٢٣. الشيرازي : أبو اسحق الشيرازي الشافعي ، ٤٧٦/٣٩٣ .
طبقات الفقهاء محققة وقدم له د . إحسان عباس ، دار
الرائد بيروت ، ١٩٧٠
٢٤. الأصهباني . الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصهباني .
روضات الخات في أحوال العلماء والسادات الطبعة الثانية
١٣٤٧ هـ .
٢٥. الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الصبي ، المتوفى
سنة ٥٩٩ هـ
بعية المشتمل في تاريخ رحل أهل الأندلس ، طبع في
مدينة مجريط : بمطبعة روتش سنة ١٨٨٢ .
٢٦. العقلائي : الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين بن أبي الفضل
أحمد بن علي بن حجر العقلائي .
تهذيب التهذيب نسخة مصورة عن الطبعة الأولى حيدر
آباد ١٣٢٦ دار صادر بيروت .
٢٧. العقلائي : الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين بن أبي الفضل
أحمد بن علي بن حجر العقلائي .
النظامية الكاتبة في الهند بمحروسة حيدرآباد الدكن عمرها
الله إلى أقصى زمن سنة ١٣٣٠ هـ .
٢٨. الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .
القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

٢٩. القفطي : الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي
إنهاء الرواة على أبناء النحاة . تحقيق محمد أبو الفصّل
إبراهيم .

٣٠. المراكشي ابن عذاري

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . تحقيق ومراجعة:
ج . س . كولان . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة . بيروت
- لبنان الطبعة الأولى ، كتب التعليقات د احسان
عباس ، ١٩٦٧ .

٣١. المقرئ

: الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني .
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الطبعة الأولى
١٣٦٧ ١٩٤٩ .

٣٢. البافعي

: الشيخ الإمام أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان
عميد الدين البافعي المكي المتوفى سنة ٥٧٦٨ هـ .
مراة الجنان وعزة اليتيمان ، كتّبة دائرة المعارف النظامية
الكاثنة بمدينة حيدر آباد سنة ١٣٨٨ هـ .

٣٣. البحصي

: القاضي أبو الفصل عياض بن موسى بن عياض البحصي
السيدي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ .
ترتيب المدارك وتقريب المسالك . د . أحمد نكير
محمود ، دار صادر بيروت .

٣٤. اليعمرى

: الإمام الجليل العلامة قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن
علي بن محمد بن فرحون اليعمرى المدني المكي .
الدياج المذهب في أعيان المذهب ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥١

المراجع

١. أرسلان : الأمير شكيب .
الحلل السدسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، منشورات
مكتبة الحياة
٢. أمين : الأستاذ أحمد أمين .
طهر الإسلام . دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الخامسة
١٩٦٩ .
٣. الأوسي د : حكمت الأوسي .
فصول في الأدب الأندلسي : مكتبة النهضة بغداد :
الطبعة الثانية ١٩٧٤ .
٤. بالنشيا : آنخل جنتال بالنشيا .
تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ ،
مكتبة النهضة المصرية
٥. بروكلين : كارل بروكلين
تاريخ الأدب العربي ترجمة د . عبد الحليم النجار ، طبعة
دار المعارف بمصر .
٦. حميد : دكتور بدر متولي حميد .
فضاء أندلسية . نشر دار المعرفة بالقاهرة الطبعة سنة ١٩٦٤
٧. الزركلي : خير الدين الزركلي .
الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب
والمستعربين والمستشرقين .
٨. روزنثال : فرانس روزنثال
علم التاريخ عند المسلمين . ترجمة د . صالح أحمد العلي
ومراجعة محمد توفيق حسين . نشر مكتبة المثنى سنة ١٩٦٣ .
٩. عجاج : محمد عجاج وعلي سعد .
المغرب في أدب الأندلس والمغرب ، الطبعة الأولى ١٩٣٢
١٩٣٣ .

١٠. عنان محمد عبدالله عنان .
دولة الإسلام في الأندلس (من الفتح إلى بداية عهد الناصر - العصر
الأول - القسم الأول ، الطبعة الثالثة نشر مؤسسة الخانجي
١٩٦٠ .
١١. فروح : الدكتور عمر فروخ .
تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون - المكتب التجاري
للطباعة والتوزيع والنشر الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٢ .
١٢. كحالة : الدكتور رفعت رضا كحالة .
مجموع المؤلفين - تراجم مصنفى الكتب العربية - مطبعة
الزرقى ١٣٧٧ ١٩٥٨
١٣. مؤنس د حسين مؤنس
شيوخ العصر في الأندلس - الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٩٦٥ .
١٤. مركز : بإشراف مركز قادل التميم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم
المتحدة لتربية والعلوم والثقافة يونسكو . طبع الهيئة العامة
للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .
١٥. مطلق : البير حبيب مطلق .
الحركة اللغوية في الأندلس ، المطبعة المصرية صيدا ،
١٦. هيكل : دكتور أحمد عبدالمقصود هيكل .
الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة
الثالثة ١٩٦٧ .
١. دائرة المعارف الإسلامية :
المجلات :
٢. مجلة الثقافة المغربية ، تصدرها وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالي و
ج ٧ ، سنة ١٩٧٢ ،

مقال سعيد اعراب ، رسالة ابن
إلى معلم ولده .

٣. مجلة الرسالة الإسلامية ، شهرية يصدرها ديوان الأوقاف في
عدد شباط وآذار ، ١٩٧١ .

٤. مجلة العربي الكويتية العدد ٨٨ سنة ١٩٦٦ .
مقال الأستاذ محمد عبيدالله عنان بعنوان
ابن حيان وكتابه المقتبس) .

ARCHIVE

الاتجاه الرومانسي في القصة العراقية القصيرة

حتى ثورة تموز عام ١٩٥٨

الدكتور عمر الطالب

ظهرت في الفترة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الثانية إلى جانب قصة الرواية المكثفة القصة العاطفية والعوامل التي أدت إلى ظهورها في العراق في هذه الفترة عديدة . فقد كان لأدباء المهجر أثر كبير في نفوس القراء العراقيين ، فهم الذين حملوا لواء الثورة على القديم بصف واصرار واستطاعوا أن يلائموا بين تلك الألوان اتراهية المستمدة من نعم الطبيعة في موضعهم الاصلي والذوي الحديد والروح المرهفة التي استمدوها من عالمهم الحديد .

فكان من ذلك حصيلة أدب حديد (١) وقد أثر جبران بالذات ، ونظراته المشاعمة للحياة ورومانسيته المفرقة في عدد كبير من كتاب القصة في العراق أمثال عبد الحميد لطفي وعبد اللطيف الدليشي وغيرهما .

ولم يقل تأثير مصطفى لطفي المنفلوطي في القراء العراقيين والادباء ، على وجه الخصوص ، عن تأثير جبران خليل جبران فيهم . فقد تمكن أسلوبه في القلوب وأمسى أكثر الكتاب قراء وسر الذبوع في أدب المنفلوطي قصصه التي تصف الألم وتمثل العيوب الاجتماعية بأسلوب طلي وسباق مطرد ولفظ مختار (٢) يضاف الى ذلك ما ترجم الزيات من روائع الأدب الرومانسي ك (آلام فرتر) لجيته و (روفاثيل) للامارتين وغيرهما من القصص الرومانسي .

(١) انظر عبد القادر حسن أمين (القصص) ص ١٨-١٩ .

(٢) انظر عبد القادر حسن أمين (القصص) ص ٢١ .

وما نشرته الصحف والمجلات من ترجمات هذا النوع من القصص وبالأخص ما نقل عن الفرنسية على أن الاتصال الفكري والثقافي بين العالم الغربي والعراق ومع تغير مناحي الحياة نتيجة التأثير الغربي فيها جعلنا نرى في البيت الواحد أما بالعباءة وانه سافرة وأن يتعير الولد ثغاه والده ، وأن يبقى ظل المرأة ناهتاً عند الطبقة المحافظة خلف أسوار البيت في المدن ، يضرب حولها الحجاب ويظهر إليها على أنها مركز الخطيئة الى جانب امرأة تحرّج للعمل مع الرجل أو فتاة تدخل المدرسة لتتعلم ، على أن هذا انطور كان متفاوت الأثر فقد برز في المدن أكثر من بروره في الريف وتغلغل في الطبقات الارستقراطية والبرجوازية أكثر من تغلغله في الطبقات الشعبية والعمالية وقد انقطع يدافع عن نفسه بحجج النضال السياسي والثرندقة ولكن دون نجاح كبير سوى ما قد يتركه في كرام من دة وفق . محاولاً تثبيت الأوهام والخرافات البالية في النفوس وما من شك في أن اجتماع العوامل السابقة قد خلق الاتجاه الرومانسي في الأدب العراقي وأعطانا كتاب القصة الرومانسيين روجاً جديدة وفكراً حديثاً ووقفوا من طلب المجتمع لهم موقف الشكوى ووقف بعضهم موقف المستمرد على هذا المجتمع لابتغى ضم الرضى الفردي والاجتماعي . وكانوا نقالة من الاعتدال الى التطرف الخيالي والعاطفي ، وأبرز الفردية وجعلها مركز الرؤية بالنسبة للكون والانسان والحياة ، وكل ما يمت إليهم بصلة هو بالقياس الى الفرد الرومانسي ذاتي ونسي وتربط هذه الفردية بالحرية التي اعتر بها الرومانسيون وجعلوها شعاراً لهم وحملوا مشعلها تعبيراً عن مشاعرهم وعن أحلامهم في سعادة حرمهم إياها المجتمع ، وتعبيراً عن الآمال العامة للوطن الذي يحيم عليه ظلام الاستعمار المقتع تقبده تقبود الذل والعبودية وامتزجت هاتان الدعواتان الى الحرية حرية الفرد وحرية الوطن - داخل نفوس الكتاب امتزاجاً كاملاً ووقفوا بسببها في مواجهة الاستعمار الغربي وساقوا على لسان أبطالهم صرخاتهم في سبيل الحرية المسلوقة التي كانت مكبوتة في هذه الفترة فإننا نلاحظ أنها لا تخفي ذوات كتابها ، وإنما تبرزها

وتكشفها حرجاً أو كنيافاً منسوبة بتصوير المتكلم الذي يظهر في صياغة رومانسية أحاسيس مؤلث ويدور محور انقصة حول موقف شعوري واضح قد يقصر وقد يطول ولكنه لا يخضع لتخطيط معين : وإنما يجري في حرية واسترسال بسوق فكرة معينة أو يعكس حالة نفسية ، أي يسوق مضموناً حراً تماماً كالشكل الحر الذي حوى هذا المصمون (١) وقد أثر الاتجاه الرومانسي في كتابات عدد كبير من القصصيين العراقيين مثل عبد الحميد الخطفي ورسول أيوب وصالح التامي ، واستمر في تأثيره بعد الحرب العالمية الثانية عند بعض القصصيين الذين سنعرضهم بعد ذلك في دراستنا للاتجاه الرومانسي المأساوي .

وقد كانت الرومانسية في هذه الفترة مشوبة بواقعية ، تتكامل جوانب المختلفة لارتباط الكاتب العراقي بواقعه الاجتماعي ارتباطاً كبيراً وهذا هو السبب في قلة الأقاصيص التي تتحدث عن الحب والخيال . وكثرة الأقاصيص التي تتناول مآسي الحياة ومسراتها . ومن الصعوبة بمكان أن نميز هذين الاتجاهين بصورة منفصلة عن بعضها في انقصة العراقية الصغيرة في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية لأن القصصيين العراقيين تأثروا بعوامل واحدة وعاشوا ظروفًا متشابهة . ولكن افرق بين القصص الواقعي والقصص الرومانسي أن الثاني لم يستطع مجابهة الحياة بقوتها وشدها ولم يستطع تفهم المؤثرات باستيعاب وتعقل بل تملكه الفزع منها وهرب بعيداً عنها الى عالم الخيال ، فخلق منه عالماً خاصاً به واندفع وسط آلامه وأحزانه يبتئنها ويتفنن بها . وكأنه يكفر عن سيئات المجتمع وقسوته أما القصص الواقعي فقد استطاع مجابهة الحياة وترصيد ظواهرها ودوافعها بعمق وإدراك وعرف مواطن ضعفها وعوامل قوتها ولم ينهزم أمامها . بل ترصدها ودرسها عن كثب وسجل تأثيرها وانطباعاتها وإيماءها . لذا نجد أن القصص الرومانسي في العراق قبل الحرب لم يستطع التخلص من تأثير الواقع لأن القصص الرومانسي ، رغم جنوحه نحو الخيال ،

(١) قارن محمد مندور (الادب ومذاهبه) وصفاء غلومي (الادب المقاوم) . فصل الرومانسية .

ما تزال جذوره مرتبطة بالأرض ، مثال ذلك (نهاية) لدون أيرب : يعرض لنا فيها شيخاً في السبعين من عمره يحتمي الخمرة حتى يدمنها بعد موت زوجته التي كان يحبها حباً عظيماً ولا يجد ضيقاً في ذلك ، فهو خير من (الشيخ مسعود) المرابي التري الذي يؤدي الفرائض ولكنه يردق الناس برباه ، وهو خير من (الشيخ صالح) الذي دعا الى غلق المدارس ، فها وأضرابها ذئاب يرتدون جلود الحملان ، ويمرض البطل ، وحين يعرض نفسه على الضيبي يحرقه بدنو أجله . فتأبى عليه نفسه أن يموت كما يموت الناس العاديون . فيشتري قارباً ويحمل به شيئاً من شراب وثقلاً يربطه برجله ، ودواء محذراً يزرقه في جسمه ، ثم تلك الميتة على هذه الصورة التي تخافي الواقع كن حافدة فالقصة رومانسية الزعة . موت الروححة النجسة الوقية . «لاسه الزوجة» وعزوفه عن الزواج بعد موت اكراماً مسكوكه . عرافة الاحرار بالخمر والمخدرات ، أصابته مرض عضال لا أمل في شفاؤه ، مبتته الغريبة في النهاية ومع كل هذا الاعراق في الرومانسية عند البعض - مرتبطاً بالأرض . فهو يحتد على الشيخ صالح لأنه ينف في طريق مسح المدارس . ويكره الشيخ مسعود الذي يرمي انفراد برباه . «ما قولك بالشيخ صالح الذي صرح علانية بوجوب غلق المدارس لأنها تبث الكفر وتقتل كل من تسول له نفسه ارتكاب ما يسميه المحرمات ومقاومة كل ما يسمى تجلده أو اصلاحاً . أترى ربه يسر من عمله هذا الذي يضعف شعباً بأسره ويجعله طعمة سائعة لكل مسنعم زعيم أو ظالم طاغية» (١).

وكذلك قصة سليم بطي (بنت الطحان) (٢) فهي قصة رومانسية تتلى بالعواطف والأحاسيس . تعيش البطلة لأحزانها وآلامها بعد أن يمرض والدها ويصبح رجلاً عاجزاً مفعداً حتى أثر رغبة حصان . فتستعصي أمها

(١) ذنون أيوب (صديقي) ص ٢١-٢٢ .

(٢) جريدة البلاد العراقية عام ١٩٤٢ ، مجلة الاديب ، العدد الصادر عام ١٩٤٦

قريبها (فرحان) ليساعد في تشغيل الطاحون ، فيتحين فرحان الفرصة للايقاع بالأم . لينتج الحب تارة ويهددها أخرى حتى تسقط في حباله . فبعرض سيطرته على البيت ومن فيه ، وبغازل الابنة التي تشعر نحوه باحتقار بعد أن عرفت قصته مع أمها ، وتحطّب البطلة من قبل معلم يحبها ، فيقف فرحان في طريق سعادتها لأنه يريد لها لنفسه ويهددها وأمها يفضح علاقته بالأم . ولم تقف معه التوسلات والدموع . الى أن ينتهي على يد الأب المقعد الذي يعرف كل شيء فيجذبه معه إلى بئر الطاحون ، ويموت الاثنان ويتصور الناس أن فرحان ذهب ضحية الأب عندما أراد انتقاده وهو يحاول الانتحار . فالقصة رومانسية التزعة . الأب الشاب القوي الذي ينحطم على أثر رفة حصان لا يمكن أن تحمل المصائب معقداً أعنى مشوه الوجه . استدعاء القريب للمساعدة، شرور القريب . فهو لا يتحمل بعصاة حسرة واحدة، خائن عاهر مبتدح، وقوفه في طريق زواج متحابين مخلصين . يهينه على يد الأب في قاع بئر الطاحون نصيحة آلاب بحياته من أجل سعادة أمه ولكن هذه الرومانسية مشوبة بواقعية أبصار، ضعف زوجة شاة لروح معقد أمام قوة طاغية لشباب يفعل المستحيل في سبيل الوصول إلى ما يريد. حظيرة المعلم للابنة بمراسيم شائعة في المجتمع العراقي. خوف الابنة على سعادتها أن تهدم أمام تهديدات فرحان .

وللى جانب القصص الرومانسي المشوب بالواقعية نجد قصصاً واقعية ذات نزعة رومانسية أيضاً، فالقاص العراقي الواقعي رغم أن تصاقه بالأرض وترصده لمظاهر المجتمع العراقي. تدفعه عواطفه الثائرة إلى الجنوح نحو الخيال أحياناً وأبتهاده عن الواقع كما في قصة (تقنوف العبد) لأتور شاؤول من مجموعته (الحصاد الأول). تعدد الأم أبنتها بثوب حديد بماسة العبد وكانت قد وعدتها به في العيد المنصرم ، أسرت الأم الأمر إلى زوجها، فباع الأب ملابس ابنه الذي مات منذ ستين ، والتي أبقاها للذكرى، كما باع خاتمه الفضي ذكرى خطوبته، واشترى الثوب لابنته. وعندما عاد إلى الدار أخبر بأن

زوجته في السجن لأنها همت بسرقة قطعة قماش، وفي العيد لبست الفتاة ثوبها الجديد، وذهبت لزيارة أمها في السجن. الخط العام للقصة - راقعي الانجاء - فهو يصور ما تُعانيه الطبقة الفقيرة في العراق من ضيق وحرمان، ولكن أَلَمَحَات الجانية أطرها رومانسية حريّة، الطفلة ولقبتها إلى ثوب جديد في العيد. صيقت ذات اليد. وعدم مقدرة الأسرة على تحييت أُمّيّة أُنسها الوحيدة. بيع الأب ثياب ولده المتوفى التي تحمل ذكرى مؤلمة، يبيعه خدم الزواج الذي يحمل ذكرى سعيدة : سرقة الأم من أجل ابتها قضاء الطفلة العيد في السجن وهي تزور أمها. أما كان الأجلر بالكاتب لوالترم الواقعية في قصته بأن يعتمد عن كل هذه المنعطفات ويعمل الأم تدبير أمر شراء الثوب مع الأب للتوصل إلى حل لهذه المشكلة ؟

ومثلها قصة (شرف) لذنون أيوب من مجموعته (صباح) ١٩٣٧ وتدور حول شاب يقتل أخته لأن أحد الدس طعن شرفها تمامه وبعد أن يقتلها تثبت شهادة الطبيب بأنها عذراء ، فلا يجد الأخ طريقاً للتكفير عن خطيئته إلا في الانتحار من الطبيعي جداً في العراق أن يقتل الأخ أخته غسلًا للعار بل قد أصبح هذا العمل عادة مجيدة وتقليدًا مقدسًا يدفع فاعله إلى مصاف الأبطال ، ولا تزال هذه العادة موجودة حتى الآن كما كانت قبل عشرات السنين . ولكن القصة لم تغل من خيال جامع كاقدام البطل على الانتحار لشعوره بتبكيّ الضمير ، بل أن قتله أخته لمجرد أن يغيره عدو له بأفعاله شيء غير طبيعي فماذا يحدث في مثل هذه الحالة في العراق ، يتأكد الأخ من الأمر فإذا ثبت له صحة ما قيل أقدم على قتل أخته والا فإنه يقتل المفترّي على عرضه وما رسم الكاتب قصته بهذا الشكل إلا لإثارة عواطف القراء ضد هذه العادة المردولة . ومن أبرز القصصيين الرومانسيين في هذه الفترة عبدالمجيد لطفي في مجموعته القصصية (أصداء الزمن) الصادرة عام ١٩٣٨ إذ عبر في رومانسيته الحزينة الشاحبة السلبية عن آلام نفسه وشقاها ، كان شاباً تحلوه آمال عراض وبصدمه واقع مرير ، وبين هذا وذاك سالت عبراته

وتلاحمت بين ظلمات نفسه ودجتها سماته . وتعد (أصداء الزمن) وسطاً بين الشعر والنثر ، والكاتب شاعر تجلت شاعريته في جميع ما كتب ، وإن كان بأسلوب النثر . (١) وقد شغف بالأدب الرومانسي الذي كان يغذيه أدب المهجر ويمده بتيار من القوة والحياة لما كتب المنفلوطي وما ترجم الزيات . وكتاباته أقرب إلى الشعر مما تحويه من عواطف فياضة وما يتناول من موضوعات . كما تركت أيام الشدائد والأحزاب في نفسه ألماً مكبوتاً ، وتركت مشاهداته الكثيرة آثاراً موجعة في نفسه كثيراً ما استطاع أن يعكسها بصدق وحرارة فيما كتب . (٢)

وتنقسم قصصه الرومانسية إلى قسمين . قسم يُصوّر أحلام شاب يصدر عن ذات غائمة تنطلق في تخيلاتنا السارحة إلى غير مصير . وتتحول القصة إلى نتيجات هائجة ، ومواقف في الشعور صحنه وحوطر ومواجهة لا عمق فيها ولا أبعاد كما لاحظنا في (أصداء الزمن) . **والقسم الثاني** . فقصص الحادثة وهي أرقى من القسم الأول ويحرص فيها لظني لقضايا اجتماعية يهاجم فيها الظلم الاجتماعي والتناقض الاجتماعي والخواجز الاجتماعية . وقصصه لا تعكس إلا الألوان الفاجعة ولا توحى بنفیر المأساة ولا يرى في الحياة إلا جانبها الباسي المظلم ، فلا يعرف غير مناظر البؤس والألم والفقر . ولعل هذه الصور القائمة للحياة اختمرت في حسه منذ الصغر وكانت أثراً من آثار نشأته التعمه الفقيرة . وهذا ما نلمسه في مجموعته القصصية الثانية (قلب لأم) الصادرة عام ١٩٤٤م . وطابع هذه الأقاصيص طابع اجتماعي يصوّر آلام الناس وأحزانهم . يروي بعضها بأسلوب الحكاية كما في (نهاية ذئب) . وفي أقصوصته (قلب لأم) يتزوج الأب امرأة ثانية هي ابنة شيخ دون أن تعلم زوجته الأولى من الأمر شيئاً . وحين تعلم بالخبر تمرض وعلى فراش الموت يطالب الزوج غفرانها فتفعل . أما الأسلوب فجاء بسيطاً ساذجاً لأنه مروي على لسان طفل ، وكان حديث

(٢٠١) انظر جميل سعيد ، التيارات الأدبية الحديثة في العراق ص ٤٠-٤٢-٤٥ .

الطفل لسذاجته البالغة لا يلائم فنية القصة . (١) وفي (طبيب الطبقة العليا) شعور إنساني عميق رغم اغراقه في المبالغة والبعد عن الواقع حيث طاق الطبيب زوجته الارستقراطية لأنها عارضته في تكريس وقته لمعالجة المرضى الفقراء . إن الشيء اللافت في قصصه هذه أنه يشعرنا أنها حقيقية نقلها كما هي في الواقع (٢) أو جرت حوادثها بالفعل في مكان وزمان معينين بحيث يبدو أنه لا يكتب إلا ما يعرفه عن الحياة أي ما توحى إليه به رغباته ومشاعره فلا يصف إلا ما يحسه ذاته ولا ينقل إلا ما يؤثر تأثيراً مباشراً في نفسه . بالطبع أن المادة الخام تنفصل عن الواقع الخارجي عندما تتحول إلى عمل فني ولا يمكن معادلتها به أو مناقشتها على أساسه ، ومع هذا فإن أفاصيصة تلك لم تصدر عن ذاتية اجتماعية موضوعية . وإن كانت عابثها اصلاح المجتمع .

بدأ عبد المجيد لطفي بحمو تلك السطحية التي لارمت كتاباته لبدأ أصمحه لامعة من نتاجه القصصي في مجموعته (في الطريق) الصادرة عام ١٩٥٨ م . والتي أطلق عليها اسم **القصة الأولى**

وثأبى شاعريته إلا أن تظهر في كتاباته أن الحياة الآن مترامية الأطراف وما أنا فيها إلا وحش ... احتضنت رأسي . وعمرتي نقلات حارة لم أجد أعذب وأصفى منها ... وقليلاً قليلاً أطبق العالم كله عليّ بأنياب حادة بيضاء ملوثة كريهة ، وهي تغادرني في القطيع الكبير لثموت وحيدة في وطنها في الشمال (٣) أما باقي أفاصيصة المجموعة فإنها تنحو نفس المنحى في تصوير البؤس والفقر والتشرد . في (الأديب الصغير) يحاول الأب الثري أن يشتري صحيفة شهيرة من أصحابها الفقراء ، ليشتق ولده المتأدب مستقبله على صفحاتها ، ولكن أصحابها يأبون ذلك .

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين ، القصص ، ص ٨٢ .

(٢) يقول لطفي في قصته (كالكلاب تملأ) : ثم بضيري إليها القاري فأننا لم أزد على الحادثة حراً واحداً بل لي قصرت كثيراً في إعطاء الصورة الحقيقية لتلك الحادثة .

(٣) عبدالمجيد لطفي ، في الطريق ، ص ٥٨ .

يقارن الكاتب بين الحياة البائسة الشريفة التي يجيها العمال وحياة التبدل والاستهتار والعملة التي يجيها الأغنياء ، ونلمس فيها روح ذنون أيوب الهادفة إلى التحرير وتحميد الأفكار وخلق الوعي السياسي لا معالجة المشاكل الاجتماعية فقط . (١)

تطور لطفي في هذه المجموعة واستطاع أن يتغذى إلى ضمير الشعب بصورة أحلامه وآلامه ومشاكله بعمق ودقة ، ونلمس تأثير قراءاته للأدب العربي لا سيما الأدب الروسي . فالفصّة عنده متأثرة بأدب تشيخوف حيث لا يلتفت إلى العقدة ونقطة التنوير . والفصّة عنده قصة الأثر والانطباع لا قصة العقدة . وفي أقصوصه (فنجان) نحاول الزوجة أن تثي زوجها عن قيمة ومثله في الحياة ولكنها تفشل . وفي (دمعة محمود) تصوير للأساة فلسطين ، نصف اللاجئين وآلامهم في العودة إلى الوطن الحبيب ولكن شخصية محمود جاءت مسطحة خالية من الأبعاد . نموذجية مجردة لا حياة فيها .

عبدالمجيد لطفي كاتب شاعر . على أنه في نثره أحسن منه في شعره وهو أحسن ما يكون حين يتحدث عن الحب وعن عواطفه الحزينة ، ومع أنه ميّال إلى معالجة الأوضاع الاجتماعية الراحنة إلا أنه يضحي أحياناً بالفكرة من أجل الجمال الفني إذا اقتضى الحال وهو في هذا لا يقتضي أثر ذنون أيوب الذي يعتبر الفكرة أفدس من الجمال الفني .

ويغرق عبدالله حسن في الرومانسية عبر قصص مجموعته (أقباس الغرام) ١٩٣٨ : (رفيقة حياتي . حادثة غرام في بومبي) ونستطيع أن نستجلي هذه السطحية عبر موقف من قصته (قصة غرام) ولم لم تلبث أن وضعت رأسها في جحر الفتى وألقت بنفسها بين ذراعيه حتى أغمر عليها وأغمر عليه وبينما هما في سكرات الإغماء ... (٢) .

ونجد فيها كثيراً من المواقف غير المناسبة ولما انتهت من ذلك السباب

(١) انظر كتابنا . الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، ص ١٠١-١٤٠ .

(٢) عبدالله حسن ، (أقباس الغرام) ص ٣٩ .

والثلاثم نظرت إلىّ بهيجة فرأيتها قد برقت أساريرها ووقفت كن اكتشفت شيئاً جديداً ثميناً فحجّلت من نفسي واعتلّرت إليها وقلت : أرجوك المَعذرة يا سيدتي على تفوهي بهذه الكلمات» (١).

وتقف مجموعة فؤاد بطي (صباحات المؤاد) ١٩٣٩ لتؤكد التصاق الكاتب العراقي بالواقع مهما نظر إلى السماء وأغرق في رومانسيته . تتبع الفتاة عرضها مقابل مبلغ زهيد لشراء دواء لوالدها وعندما تعود إلى الدار تفاجأ بموته في (ندوة) .

ويقص كامل نطل القصة في (شعاع أحمر) حبه لفتاة متعلمة تريد لها زوجاً متعلماً لا جاهلاً . وتعد قصة (هكذا نحن) أفضل قصص المجموعة فهي تحكي قصص ثلاث راقصات تفضن عليهن الشرطة متهمه إياهن بالدعارة . وتتناز بروحها الفكاهية حين تكشف عن جهل الشرطة . ولم يستطع الكاتب التخلص من العيوب الشائعة للقصة العراقية آنذاك من رككة الأسلوب وشيوع الأخطاء اللغوية ، والتعليمية واطلالات الرأس لبيان رأي أو قول موعظة : «إنما باعت نفسها للحصول على أحررة للمعملة فما أعظم هذه النفس وما أقدس هذا الشعور» . (٢) ولكنه يمتاز بقدرة جيدة على إلتقاط الزوايا ، ويحسن حبك القصة بصورة فنية .

• • • • •

وقد صفت مجموعة (مآسي الحياة) ١٩٤٢ للياهو خضوري قصصاً مترجمة لموباسان والفونس دوديه وقصة واحدة من تأليفه (مأساة اجتماعية) وهي قصة مفرقة في رومانسيته ، يحب البطل فتاة ، تزل الفتاة فيقتلها ثم يتنحّر . ولا نجد في هذه المجموعة شيئاً جيداً غير سلامة أسلوب الكاتب وخلوها من الأخطاء اللغوية .

• • •

(١) عبدالله حسن ، آقباس الترام ص ٢٠ .

(٢) فؤاد بطي ، صباحات الفؤاد ، ص ٢١ .

وهكذا تضعيق القصة ضمن إطار هذا الاتجاه وسط تأجيج العواطف وانسيابها فليس هناك شخصية ولا حدث متكامل ولا فكرة ولا أي مقوم من مقومات الشكل القصصي ، هناك فقط هيكل عظمي تبرز عليه أحاسيس القلب الذاتية ويشف بصورة واضحة عن فقر الصنعة وضعف حرفية الشكل ، وهكذا تفقد القصة عندهم إطارها المحكم ولا يبتغون منها إلا ما تحمله من موقف شعوري يكشف عن طبيعة المضمون الحر ويزدحم بأحاسيس الذات المتضخمة ويفيدون من الواقع الحار جي ويدرعون في حرائب كبيرة من زخمة القصة القصيرة عندهم في الشكل ويظهرهم هذا السقوط أنهم غير قادرين بوعي أن يتخلصوا من ذواتهم ككل رومانسي ليلاحظوا غيرهم ويبدأ الفنان في اليوم الذي يتخلص فيه من الفناء في ذاته ليرى سواه .

ونجد ضمن الاتجاه الرومانسي فصصاً تحليلية لا ترضى بالإفعال السطحي السريع مثل كتابات عبدالوهاب الأمين في مجموعته القصصية (قصص في الأدب الحديث) الصادرة عام ١٩٣٧ والتي تعتمد على تحليل العواطف وتضخيم وتهويل الإفعال أحياناً وتحريك الشخصيات لتنتقل الأفكار والإنفعالات كما في (ترنيمة الوداع) حيث نجد امرأة تدب أباه المتوفى بألم وحرقة بينما يتطلع حبيبها إلى مفاتن جسدها دون أن يشاركها ألمها ويسرف الكاتب في وصف مفاتن جسدها وينتهي بها الأمر إلى الزواج من غيره ، والحدث مستبعد وغريب ، إذ كيف تنسى لرجل أن يدخل داراً يقام مأتم ليتنزل بمحاسن فتاة مفجوعة بوالدها . (١) ولكنه أراد تصوير ضياع هذا الشاب ليصور فتاة عاتية أوقعت في شراكها صديقين ، تظهر لكل منهما أنها تحبه دون سواه ، إلى أن ينكشف أمرها ويفضأ عنها . وهي اقصوصة جيدة اكتشفها الغموض ليساعد على تصوير ضياع الفتاة ثم يحدثنا عن شاب بزم بحياته الثاقفة ، فأراد أن يقوم بعمل غريب يلفت إليه أنظار الآخرين ، كأن

(١) عبدالقادر حسن أمين ، القصص ، ص ٩٥-٩٦ .

يتحرر أو يمارس نظم الشعر ولكنه لم ينجح في مسعاه ويسير على نفس الطريق في أقاصيصه الأخرى (من ليالي الصيم) و (حب مناجي) و (الحمور) وتتم أقاصيص الأمين بتصوير القلق الذي يعانيه جيله وقد يورد صوراً يهدف منها العظة والعبرة ولكن بأسلوب غامض غير بّين كما يعنى بوصف الجزئيات واختيار زوايا الرصد ، ويمتاز أسلوبه بالانجاء وقد يلتوي عليه الإفصاح أحياناً إلا أنه في الجملة قليل الأخطاء . وهو يختار موضوعات جزئية لم يتعود عليها القراء وبعدها خطيئة لا تغفر كأن يعقد علاقة حب بين بطل القصة وروجة خاله في قصة (قصة من مذكرات مطوية) وهو حدث غريب يطرقه الكاتب لأول مرة في الأدب العراقي نجده بعد ذلك في مسرحية آدمون صبري (أديب من بغداد) وقد ضمت مجموعته (دباب) ١٩٥٢ ، خمس قصص مترجمة وقصتين موضوعيتين فقط . نجد في قصة (الرجوع) شاباً متزوجاً وهو أب لأطفال لطفاء يعقد علاقة مريبة من امرأة فاتنة لعب ، يقرر في بادئ الأمر تركها ويحرق صورها ، ولكن الصدفة تلعب دورها فيشتقي بها في السينما ويدرك مدى سيطرتها عليه . يواعدها ، ويكذب على زوجته ، ويذهب للقائها ولكنه سرعان ما يحس بالدم فيعود أدراجة . وفي قصته (نكسة) تحليل جيد لشاب لاه لا يهم شيء غير ملذاته ، يشاهد بائعة يانصيب يدهسها الباص فينقلب فجأة إلى انسان جاد . ويبدو أن الكاتب في اتجاهه التحليلي هذا قد تأثر بالأدب الغربي ولا سيما بالقصة الموباسانية .

• • •

ويشابه سليم بطي عبدالوهاب الأمين في نزعه الرومانسية التحليلية وقد نشر عدداً من الأقاصيص في الصحف المحلية وكان ينهيهما في الغالب بفاجعة . وهو يميل إلى توصف الظلم الاجتماعي وتضخيم الأحداث ، والاعتماد على تحليل التوازع الانسانية في (ضحية) (١) يصور لنا منظر البؤس البالغ والقسوة

(١) جريدة البلاد ، العدد ٢٠٠ ، طم ١٩٣٠ م .

التي انطوت عليها قلوب المتفرجين (١): تخرج الأم تستجدي المارة ولكن أحداً لم يمد لها يد العون . وتطرق باباً فيخرج إليها رجل ضخم الجثة وما أن تطلب منه إحساناً حتى يجتذبها إلى الداخل ويحاول أن ينال بغيته منها . فلم يستطع فيلجأ إلى ضربها حتى تسلم في النهاية . ثم يطردها دون أن يعطيها شيئاً بعد أن قضى وطره منها وتنتهي الاقصصة بموتها جوعاً هي وأطفالها . وقد حشيت الأقصصة بوصف الحرب وما سفكت فيها من ماء (٢) ، وحاول الكاتب أن يؤثر على القراء عن طريق الوعظ والتهويل . وفي (ضحية رأس السنة) (٣) يصور لنا شقاء أم وكدها طول النهار في الخدمة ، كي توفر القوت لوحدها ، وفي ليلة رأس السنة تتأخر الأم في العودة . فيخرج طفلها لمشاهدة مهراج العبد فتسحقه سيارة بسرعة وما ان تراه امه حتى تفيض روحها . وفي أفصصة (تفريع الصمير) (٤) يسمع الكاهن إلى المحتضرة المعرفة تقول له بأنها خات (زوجها) (جوزيف) الذي أصر على الزواج من فتاة غنية ، وأنتمت حياتها ابنتها فكتوريا التي تم كمال ابن جوزيف ، وتطلب من الكاهن أن لا يسمح بزواجهما لأنهما أحزان ، وتنتهي القصة بلجوء فكتوريا إلى الدبر تلبية لأمر القسيس (٥) ولمس في قصصه تأثير القصة الموباسانية أيضاً

• • •

أما أقاصيص لطفي بكر صدقي التي نشرها في الصحف المحلية ، فهي تدور حول موضوع واحد ، الحب والخمرة ، وهو خير من مثل الضياع الذي كان يحياه الفرد العراقي في عصره ، في تناقضه بين متطلبات العقل والقلب التي تخنمها الحياة وتحققها الحضارة الوافدة من الغرب وبين الواقع الذي كبل

(١) انظر عبدالقادر حسن أمين ، القصص ص ٨٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٧ .

(٣) جريدة البلاد ، العدد ٤ ، عام ١٩٣٠ م .

(٤) جريدة البلاد ، العدد ١٣٣ ، عام ١٩٣٠ م .

(٥) وعبد سليم بطي من أبرز كتاب المسرحية في العراق في العشرينات من هذا القرن .

الفرد بقود ثقيلة من التقاليد والسيطرة الاجتماعية والاقتصادية التي يفرضها معيل الأسرة ، والتخلف السائد في جميع مناحي الحياة والوقوف بقسوة ضد الأفكار الحرة والتجديد . ويعود هذا الاتجاه بشكل أكثر تكاملاً ونصوحاً عند عبد الملك نوري وغانم الدباغ ومحمد روزنامجي بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم يوفق الكاتب في أن يخلع على أبطاله الحياة الثامة التي تعج بالحركة والنشاط ، شخصيات ضائعة لا أبعاد لها ، وكأنه أراد ذلك ليخلق الانسجام بين الشخصية والحدث . في (جنون الحب) (١) يسرف البطل في الشراب ، وهو يمتزج ذكريات حب . ويفشل الكاتب في نقل صورة واضحة المعالم عن ذلك الحب . ولكنه يسبح في تصوير ضياع هذا الحب لفشله في تجربة الحب القاسية تلك وفي (هياة حب) (٢) يتحرر البطل ، لأن الحبيبة طلبت إليه أن يتركها لأنها مريضة . وبعد أن تسمع ابنة دوي الرصاص ، وتلمح جسد حبيبها ، تحسّ بفجعتها ، وفراغ حياتها . ويسير على نفس الاتجاه في أفصيصه الأخرى . مثل (صوت الحب) (٣) و (سكران) (٤) . ويوجد الدارس قصصاً تستحق الوقوف لفصاحين اعتمدوا في قصصهم لا على المضمون العاطفي فقط بل عوا عناية كبيرة بالتحليل والاهتمام بفنية القصة . ولكنهم لم يجمعوا قصصهم في كتاب واحد فنجد أن يوسف مكي أهم منذ بداية الثلاثينات بنشر القصص في المجلات العراقية ، مثل (ضحية العهد) (٥) في القرية (٦) ، الرسالة (٧) ، وهي لا تخلو من دقة تعبير ومن تحليل للمواطن يشف عن نفهم مبكر لفن القصة ، وتبشر بتطوره الأخير (٨) ولكنها لا

(١) جريدة الإغواء الوطني ، العدد ١٨ ، عام ١٩٣١ م .

(٢) جريدة الأخبار العدد ٤٣٥ ، عام ١٩٣١ .

(٣) جريدة السياسة ، العدد ٣٣٨ ، عام ١٩٣١ .

(٤) جريدة البلاد ، العدد ٤١٦ ، عام ١٩٣١ .

(٥) الحاصد السنة الثالثة ، كانون أول ، ١٩٣٠ .

(٦) الحاصد ، العدد ٣٢ السنة الثالثة ، آذار ١٩٣٢ .

(٧) الحاصد ، العدد ٢١ السنة الرابعة ، كانون أول ١٩٣٢ .

(٨) عدالة أحمد ، نشأة القصة تطورها في العراق ص ١٢٩ .

تخلو من عبوب القصة الرومانسية التي ذكرناها سابقاً . وظهرت امكاناته القصصية عبر قصصه (عاطفة جامحة) (١) حطام (٢)، سخريه الموت (٣) . في القصة الأولى يُصوّر لنا يوسف ، بني الحرمان الذي تعانيه امرأة محرومة من الحب والحنان تحاول اشباع هذا الحرمان مع صبي تطيل مداعبته وتحاول إثارته ولكنه لا يعي ما تفعل . وعندما يمرض الصبي تعود (سعاد) بطلة القصة فتسبل إلى الصبي مقبلة فيسمعها صارخاً ضجيراً .

وقد نجح الكاتب في تحليل عواطف بطئته وصرعها وردود فعلها (٤) «و اضطربت ميول شاردة من العطف والشهوة والأموه وانحنت في رغبة . وألصقت شفتيها المرتجفتين بنفثه الملهب وراحت في قبلة راعشة تمتص الشفاه القرمزية امتصاصاً وألقت نظرة خاطفة على باب الغرفة ثم على وجه النائم وأخست شعوراً حزيناً يحذنها نحوه وداحمها شعور فاضح إلى الاضطجاع يحاذيه وصفه إلى صدرها المضطرم ميولاً ورعبات وغمرته بلشائها العذبة الحنون» . ونجد نفس المضمون في قصة (صرع) لشاكر حصاك من مجموعته التي تحمل نفس الاسم التي أصدرها عام ١٩٤٨ .

أما قصته الثانية (حطام) فهي تستل عواطف شاب لقي حبيبته - طالبة المدرسة سابقاً - في دار اللبثاء يتمتع بها كل من يدفع الثمن «واسترأح إلى الضرب وهاجت أعصابه وغلت دماؤه فمسك كنفها وضغطها بقوة وقسوة وامتدت يده على ثوبها فتمزق أعلاه وبرز نهذاها الناضجان يضطربان على صدرها العاري . وقاوم حتى النهاية نظراتها الدامية المليئة فتنة وانتحابا . وتركتها يشيعه نشيجها المتقطع العالي مع شذئ عطر الياسمين» . ونجد أن الفتاة لا تستنكر مهنتها بل تتعامل معه كما يتعامل صاحب المهنة الذي يحترم مهنته . ونجد هذه

(١) الحاصد السة الراية ، العدد الثاني ، ١٨٣٤ .

(٢) مجلة عطارد ، العدد الاول ، السة الاول ، آب ١٩٤٤ .

(٣) مجلة الحاصد ، العدد ٤٢ السة الثالثة ، أيار ١٩٣٢ .

(٤) شجاع الداني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ٤٣ .

النظرة في قصة (ساقطة) لذنون أيوب من مجموعته (الضحايا) ١٩٣٧. وهي نظرة جديدة وجريئة بالنسبة للفترة التي كتبت فيها القصة . وقد استطاع الكاتب أن يصور مشاعر بطله ببراعة ، مستخدماً كل الأدوات التعبيرية في الفن القصصي فهو لا يقتصر على استخدام السرد والحوار في الكشف عن شحوصه ، بل يحاول رصد الحركة والفعل واستخدام اسلوب التداعي والذكريات ليمسك أنوار التحليل الساطعة على نفسيات شحوصه (١) أما قصته الثالثة فتتزعج إلى تحليل عواطف أب يتألم لمرض ابنه . هو لا يكتب بالالم العاطفي بل يحلل عواطفه تجاه ابنه ، مرضه ، موته ، علاقته به . وقد أجاد الكاتب في هذا التحليل ونجد شيئا بينها وبين قصة (قاعدة البرج) لذنون أيوب من مجموعته (برج بابل) ١٩٣٩ . لقد أهمل يوسف مني برسم الطلال التي تعمق من الحدث وتريد من الأثر الذي يتركه حو القصة المشحون واستخدام المطر استخداماً موقفاً . فانظر بهطل حين كان الأب يعاني أفكاراً متضاربة تجاه ابنه وكيف عن المطر حين تستقر أفكاره على أمر معين ثم يعود إلى الهطول وبشده ، حين يكشف الأب موت طفله .. كما أن استعانةه بالمؤثرات الخارجية في النهاية ليريد من عمق الاحساس بالمأساة موفقة ناجحة (٢) إن الاتجاه التحليلي الذي ظهر عند يوسف مني تبلور بعد ذلك عند نزار سليم وعبد الملك نوري وفؤاد التكري (٣) وغانم الدباغ في خمسينات هذا القرن . وقد اتجه يوسف مكمل ضمن الاطار الرومانسي إلى العناية بالوصف الخارجي للحدث ومشاركة الشخصية نوازعها النفسية . ففي قصة (القطرات الاولى) (٤) يصور لنا الكاتب عواطف رجل أحب فتاة فرنسية عندما كان هناك ، فيقرر الذهاب لزيارتها وعندما يصل باب دارها يسمعها تغني

(١) شجاع الماني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٠ .

(٢) عبد الله أسد ، نشأة القصة وتطورها في العراق ، ص ١٦٩ .

(٣) شجاع الماني ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢ ، ١٠٣ .

(٤) مجلة الحامد ، كانون الاول ، ١٩٣٥ .

تلك الأغنية التي كانت قد غنتها له في ماضى من الزمن ، فيقصر عن طرق الباب لأنه اعتقد بأنها تغني هذه الأغنية لزوجها وقد اكتنعتها السعادة كما كانت تلعبها في الماضي - هي وهو - نجد القاص في رسم شخصوه وفي تصوير العالم الداخلي لهذه الشخصوه يعتمد على التصوير الخارجي المباشر . وفي هذه القصة نلمس البثرة الاولى لهذا الاسلوب الذي كان يهدف آنذاك إلى انتشال القصة العراقية من رائل السرد التقليدي ومن التزعة التعليمية التي طعت عليها (١) ولم يتطور هذا الاتجاه الا في نهايات الستيات من هذا القرن عند سرجون بولص ومحمد خصير ومحمد مل عارف (٢).

الرومانسية المتأخرة :

عرضنا في القسم الاول من هذا البحث الدوامل التي أدت إلى ظهور الرومانسية في القصة العراقية وسماتها المميزة لها . وقلنا أنها رومانسية مشوبة بواقعية لم تستكمل حواشيها المختلفة . . وفحزن نلمس أثر هذا الاتجاه في القصة العراقية بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يكن لسبب للوحيد في استمرار كثرة القصص المترجم عنها واهتمام الصحف والمجلات العربية والعراقية بنشر هذا النوع من القصص والاتصال العكري والثقافي بين العراق والعالم العربي من جهة ، والعالم العربي من جهة أخرى ، ولا اغراق الديق الادبي بتناج القصصيين الرومانسين المتأخرين من العرب أمثال محمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي وغيرهما فحسب . فقد وجدت الرومانسية ، نفسها على وفاق مع روح البلاد وأعطت الدوامل السياسية والاجتماعية والنفسية وعاطفة الشعب المفرطة والاحداث المتأزمة المتتابة في العراق . كالانطباع المأسوي الذي تركته الحرب في النفوس والآلام الانسانية التي سببت الحرب والخوف من الجهول الذي ولدته القنبلة الذرية ، ومأساة

(٤) شجاع المائي المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢ ، ١٠٣ .

(٥) شجاع المائي ، المرأة في القصة العراقية ، ص ١١٢-١٠٣ .

فلسطين وما خلفت من جروح غائرة في كرامة كل عربي ، والثأر للكرامة العربية المهدورة عام ١٩٤٨ ، ونورة يوليو عام ١٩٥٢ والانتفضات المتوالية في العراق ومأساة العدوان الثلاثي . وحلاوة الفوز والانتصار عام ١٩٥٦ ، كل ذلك مجتمعا أعطى الاتجاه الرومانسي أرضاً صالحة ملائمة . عرفت القصة العراقية التمزق الطبقي ، وقد أعطانا كتاب القصة الرومانسين روحاً جديدة ، وفكراً حديداً ، ووقف أكثر القصصيين من ظلم المجتمع موقف الشكوى . بل وقف بعضهم موقف التمرد على هذا المجتمع بتحقيق الرفاه الفردي والاجتماعي .

وإذا رجعنا إلى القصص الرومانسي الذي كتب في هذه الفترة ، نلاحظ ان القصة لا تحفي ذوات كتابها ، وإنما تبرزها وتكشفها جزئياً أو كلياً . ويدور محور القصة حول موقف ، أو أحداث عربية تعتمد على المصادفات المدهشة والنهايات المفاجئة . **ولكنه هنا وهناك لا يصعب لتخطيط معين .** وإنما يجري في حرية وفي استرسال ، بدون فكرة معينة أو يمسك حالة نفسية ويتناول مضموناً حراً تماماً كالشكل الحر الذي حوى هذا المضمون ويضعف اتقن اتقن بين الشكل الحر والمضمون الحر . ولا نستطيع أن نقول عن ذلك الشكل الحر أنه شكل من أشكال القصة القصيرة الفنية أنه في منزلة بين المقالة وبين القصة ، ففيه خصائص المقالة من حرية في الاسترسال وقلة العناية وفيه من القصة بعض حوادث السرد ورسم شخصيات وسير الأحداث ، وإن جاءت هذه الأحداث بعيدة الوقوع في مجتمعنا . تعتمد على المصادفات والمفاجآت والغرائب .

واستمر هذا الاتجاه إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية تحت تأثير الصدمات النفسية التي عاناها الشعب العراقي والتي دفعت بعض أدبائه المبتدئين في مضمار كتابة القصة القصيرة المسحوقين تحت عجلات المجتمع الثقيلة والمكبليين بقيود عاداته وتقاليده القديمة أن يغفروا من الواقع وينصرفوا عنه فالتفت فريق إلى

الطبيعة يبتهاشكوها من الحياة ورغبته الجاحدة في التنفيس عن مكونات نفسه وعكف فريق آخر على ذاته يردد أحاسيسها ، وفريق ثالث يخلق عالماً مليئاً بعرائب الأحداث ومصادفاتها ، وفريق رابع يحاول أن ينسى آلامه بتعطيم القيود الثقيلة وطلب الحرية لنفسه ولانساء قومه . ويسبح في خيالاته بأجحة ملائكية واصطبغت الرومانسية المتأخرة في العراق كسافقتها تطامع الحزن والكآبة وابتعدت عن الواقع ولم يستطع أدباؤها أن يخلقوا من الألم العظيم أدباً عظيمًا . وسار في الاتجاه الرومانسي عدد كبير من كتاب القصة المندثرين ونسجوا على منوال الكتاب الرومانسين العرب ، فعبد اللطيف الدليشي في مجموعة (غرام في الريف) الصادرة عام ١٩٤٥ م مثل واضح للرومانسية بجياها الجامع وأحداثها الغريبة وجوها القاتم المظلم ونهاياتها الحرية ، وتسطع شخصيتها وتهاجمها المجتمع وتقايلده بالوقوف أمام الحياة السعيدة التي يجب أن تعاش وبطلاوة لاسلوب واعتماده على الخيال الجامع والعواطف المتدفقة والعبارات الملونة الجميلة .

في أقصوصة (أحلام للشباب) يبادل (أياد) الطابيف الفقير (ثريا) الفتاة الغنية الحب الا أن الألب يقف حائلاً دون معادتهما ، فتموت (ثريا) حين يروجها والدها من رجل غني لانهجها ، ويبتحر أياد ويقف المرض حائلاً بين سعادة زوجين متحابين فيموت الألب بعد إنجاب ابنته التي لاتجد أباً يحنو عليها في (غرام في الريف) .

وتتشابه الأحداث وتتسع رقعة الزمن في (الشهادة) ويفصل (اياس) من عمله لأنه لايعمل شهادة عالية ، ويعمل في صحيفة ويبرز في عمله وتقع في حبه (لمى) زوجة صديقه وتأبى عليه شهادته الخيانة فيبتحر العاشقان . ومجموعة (دماء ودموع) لفنائة بغداد الصادرة عام ١٩٥٠ ، أقرب إلى القصة الطويلة لسنة رقعة الحدث وزمانه ومكانه مع رومانسية مفرقة حيث تباع الأخت دماها لتعول أخاها المريض في مصح من مصحات لبنان ويتاب الأخ الشك في سلوك أخته فيقتلها ؛ وحين تنكشف الحقيقة يضاب بالحنون .

وفي بائعة الأطفال تأوى الأم إلى جامع بعد وفاة زوجها حيث يسرق أطفالها الصغار وتصاب بالجنون .

وتسبل الدماء كتدفق العواطف العنيفة في مجموعة جعفر الشيخ علي (آلام وآمال) الصادرة عام ١٩٥٣ م . ويقتل اللقيط بتحريض من زوجته (امرأة ولقيط) .

ويتزوج الأب من حبيبة ابنه (غرام الشيخوخة) ، وتقتل الزوجة زوجها أثر خلاف بسيط (صريع المادة) . ونجد في مجموعة (قصص واقعية) لخضر عباس عام ١٩٥٨ م أحداثاً غريبة ، يقتل شاب فتاة قرية الشبه بخطيبته التي خانته وينتهي إلى مستشفى المجاذيب (لحظة لقاء) . ويتحرر العاشقان حين يصر أهل الفتاة على تزويجها من رجل غني (حفلة زفاف) ويقتل الزوج زوجته وبنااته ظناً منه أنها فاحشات ويقاد إلى المشقة وهو سعيد (صحبة الجهل) . ويشعر القارئ في قصص عبداللطيف الريمي في مجموعته (وفاء البؤساء) الصادرة عام ١٩٥٦ م ، بأنه في عالم يحافه الكاتب . ليس هو عالماً الذي نحيا فيه وليس لأهله قوانين وعاداتنا وإنما في قوالب مستمدة من عالم الكاتب الذي خلقه وخلق أبطاله . يتجولون فيه ويفعلون ما يحلو لهم (١)

ويبدو أن عناوين الأقاصيص اخترعت قبل أن توضع القصص على الورق ، فبدفح حب العنوان الكاتب إلى اختراع صراع رجل مع فتاة يريد أن ينتصها وحين يفشل في اغتصابها يخرج خنجره ليطعنها .

وقد اقتبست أفكار بعض الأقاصيص من واقع الحياة الغريبة كـ (ذهب بلا دعوة) حيث يوقف - البطل - حياته على دراسة الطب بعد موت حبيبته بمرض السل .

أما بؤس الحب والنهايات العاجزة والقتل والانتحار في سبيل الحب فوسيلة من وسائل إنهاء قصصه .

.. (١) انظر دأود سلوم ، الادب المعاصر في العراق ، ص ٩٤ ،

ويعالج فاضل جاسم الصفار مجموعته (آمال وآلام) الصادرة عام ١٩٥٦ موضوعات ذات أحداث لاحظ لها من الواقعية . وحين يعرض لنا أحداث شخصه نشعر شعوراً أكيداً أنه لا يتكلم بلسان الواقع وإنما يخلق الشخص وينطقهم كما يشاء لا كما نشاء ظروفهم وطبيعة حياتهم . بما يبدعه خياله من أساليب تختلف خشونة وسلاسة ، وبأفكار قد لا تدور بخلدكم وبألفاظ لا تستعمل في جملتنا وتعايرنا ونحن نتخاطب بعضنا مع بعض . (١)

ويحتوي كتاب (لبالي ملاح) للبحر اسحق على قصص غير ناجحة وانطباعات وتأملات . وكل ما يقال فيه أنه أشبه بدفاتر الإنشاء التي يحتفظ بها الناشئون . (٢) وأقاصيص تدور حول المرأة .: تسقط الطائرة بزوجها وتعيش لدموعها (من آهات القصور) . وأخرى يتركها زوجها إلى زوجة صديقه (من صور الحياة) . وثالثة يموت حبيبها لسل وتلحق به بعد إصابتها بالمرض ذاته (ليت القدر يعفو حين يقسو) .

وقد نشوب الرومانسية واقعية اجتماعية عند هر آخر من الكتاب ، كفؤاد ميخائيل وشاكر السعيد وكل مهما يمتاز بأسلوب جيد وتمكن من التعبير الجيد وتصور أقاصيصهما موضوعات مختلفة من الحياة لاموضوعاً معيناً : مع اكتمال التجربة الشعرية عندهما ، وخاصة عند فؤاد ميخائيل الذي ينقل أحاسيس البطل ومأساته إلى القارئ فيشاركه أحاسيسه واقفالاته . وفي مجموعته (عيون الليل) الصادرة عام ١٩٥٣ م صور عديدة للمجتمع العراقي ، من أب يقسو في معاملة ابنه الشاب بتحريض من زوجته رفض الابن مطاوعتها على الأثم (عيون الليل) إلى أم تحشى على ابنتها الصغيرة أن تسلك طريق الخطيئة مثلها بحكم قسوة الظروف (من الهاوية) وشاب عاطل لا يجد عملاً رغم الشهادة التي يحملها لأنه لا يملك خطاب توصية (عودة) .

(١) المصدر السابق ، ص ٩٩

(٢) المصدر السابق ص ٨٥ .

واستخدام الكاتب التحليل النفسي ضمن اطار اجتماعي في عدد من أقاصيصه (الندم ، الغريب) تصور الأخيرة عواطف صباغ أحذية تعرض إلى الإهانة من زيون ، وخمض أحمد رأسه ثم حمل أدواته وخرج كانت السماء ترسل رذاذاً خفيفاً من المطر ، وكانت مصابيح الطريق تدنو غاضبة شاردة الورد . وخيل اليه وهو يسير أن أشاحاً سوداء ترقص أمامه ونصرخ في وجهه - حمار - نعم إنه حمار لا يربطه بالآدمية أي رابط ، وبدأ يتسلل إلى قلبه حقد هائل مدمر على الوجود ، على الكون ، على هذه الحياة التي يحياها (١) .

ولكن القصص العاطفي المخلق في أجواء الخيال هو العنصر الأكثر شيوعاً في المجموعة : فتاة تخطف خطيب صديقتها وتترك صديقتها لموت حزناً (قلب ميت) ، وعاملة أرمل تستلم لرئيس العمل (الآخر الإصبي) وطفولة مشردة تقود إلى الجريمة (شجرة الذكريات) وشاب يؤدي به حبه الفاشل إلى الجنون (الجنون) .

أما شاكر السعيد في مجموعته (نعوس جديدة) الصادرة عام ١٩٥٦ م ، فهو أكثر اغراقاً في الرومانسية من فؤاد مبحاثيل وان جاء أسلوبه سلساً معبراً كإسلوب فؤاد .

وتبدو شخصياته شوهاء ، غير ناضجة أحياناً كما في أقصوصة (فكرة) حيث يخسر البطل - مرتبه في القمار فيسرق من خزانة الشركة التي يعمل فيها ويلقى القبض عليه . ويطرد - البطل - من العمل لأنه طالب مدير الشركة الأجنبي بزيادة الاجور ويودع السجن في أقصوصته (مظاهر كذابة) ولم يوفق المؤلف في تحليل انفعالات البطل في مسيرته من الشركة إلى الدار بعد فصله من العمل .

ويلجأ الكاتب إلى الاسلوب الخطابي مما يبعد أقاصيصه عن الواقع ويزيدها تكلفاً كما في أقصوصته (صوت مراکش) إذ يخاطب البطل - أمه قائلاً :

(١) صيد الليل ص ٤٥ .

« سأذهب إلى حيث ينتظر الوطن . إلى حيث بدعوني صراخ الحرية إلى حيث يموت الجسد وتعيش المثل العليا إلى حيث أبناء شعبي يكافحون . سأذهب يا أماء ولتعلمي أن موتى شريف فباركيني يا أماء وليكن الله في عونك وعون الأُمّهات المنكوبات اللواتي فقدن أولادهن » . (١)

وتنطفئ المشاعر والمواطف في أقصوصته (التأمل الحزين) حيث يربط الحب بين قلب- البطل - وفنّانة مسيحية مريضة بالسل يراها على الشاطئ . ويختتم القصة بموت الحبيبة وهيام البطل على وجهه كما فعل مجنون ليل وتطلع علينا نفس المواطف والمشاعر في أقصوصته (لقاء في لونا بارك) (حلم قصير) ويقتل حرّعل الحارس المسن ولده لأنه حاول السطو على منزل لسرقته أقصوصة (خزل) ويسقط منهكاً يقبل ولده المضرج بدمائه . ومن أبرز كتّاب الجيل الثاني في الاتجاه الرومانسي : كارنيك جورج ومحمد بسم ذويب ومحمود محمد حبيب . وسعرص لانتاجهم القصصي . كارنيك جورج :

أغرق كارنيك جورج نفسه في الحب . فهو مادة 'أقاصيصه كلها في مجموعته (سهاد البريّة) الصادرة عام ١٩٤٨ و (دموع عنراء) الصادرة عام ١٩٤٩ . ولّى نجد غير الحديث عن الحب واللقاء والقبل والمطاردة في الشارع ، وفي السينما . وبدأ الكثير من صور الحب التي عرضها القاص أقرب إلى العبث منها إلى الأقاصيص الناضجة . فهي تخليق في الخيال ، واسراف في المواقف الغرامية لا يوصل إلاّ عن تحيلة مراهق ، بحس الأشياء بأعصابه الملتهبة وينظر الأمور بعيون جائمة (٢)

يعتمد جورج في أقاصيصه على الأحداث الغريبة والنهايات المفاجئة والتخليق في سماء الخيال . في (سهاد البريّة) يصور حباً عميقاً بين اثنين ،

(١) نفوس جديدة ص ٨٦ .

(٢) عبدالقادر أمين (القصص) ص ١٧١ .

ولكن الفتاة تحاول قطع خطوطها بحبيها واللم يمز في نفسها ويحاول الشاب أن يعرف السر في الأمر إلى أن تبوح له بأن عمها قد اغتصبها بعد أن وضع لها مخدراً في الشراب .

إن هذا الحادث لا يمكن وقوعه مطلقاً في العراق بالإضافة إلى جو اللهو والخمر الذي أطر به المؤلف أقصوصه ، إن الأغراق في المبالغة. وإيراد ما يناقض الحياة لا يصلح أن يبدأ كأساس صحيح لأقصوصة فنية

ويعني كارتيك في مجموعته الثانية (دموع عناء) على طريقته في الأغراق والمبالغة بالإضافة إلى أن طابع السرعة في كتابة هذه الأقاصيص جلي في اضطراب حوادثها وهلهة أسلوبها .

يروى لنا في (رجلان وامرأة) أن شاماً يقع في حب راقصة ويقنعها بالزواج منه ، ثم يستأذن أمه في تزواج ويحكي له أبوه تجاربه مع زوجته وكيف انتهى الزواج بالطلاق ، ويحاول الأم معرفة أمه ، فيفاجئه الأب بقوله : (أنها تلك التي كانت تتأبط ذراعيك بالأمس) وهي بعينها التي خطبها الابن لنفسه .

كيف حدث ذلك وبهذه السرعة ؟ وكيف يتزوج انسان من أمه ؟ ، إن كارتيك جورج يعتقد ان القصة هي مجرد أحداث غريبة وغير معقولة.

وفي (القريد) صورة لعبث الطلاب وتندرهم بزملائهم واستغلال ، الضعف في بعضهم للضحك واللعب . اذ يبحث زملاء (القريد) اليه برسالة يوهونه بأنها من فتاة متبينة تسأله لقاء في السينما ويكتشف بعد ذهابه ان الحبيبة ليست الا زميلاً مقتناً بشباب النساء وأقاصيص كارتيك جورج أقاصيص حب بائس لا أمل فيه تلفها رومانسية كثيفة مفرقة في الخيال (في ذات السيارة الحمراء) يحب الشاب فتاة غنية ويحاول أن يفوز بعطفها فلا يجد سبيلاً غير رمي نفسه أمام سيارتها فيموت . وفي (رسالة شاعر)

يرسل العاشق إلى حبيبته رسالة حب بعد أن صدته عنها ، ومضت أيام
وإذا بجبك يتحول إلى عبادة صامتة ، ولكن ماذا أفعل من الخير أن أبعد ،
لأبعد حي عن قلبك ، حي الذي تحول إلى عبادة حي الذي لا تؤمنين
به ولا بوجوده . (١)

يقول جورج في اقصوصة (بين ربيع وخريف) : « هذه القصة ،
كتبت بطريقة جديدة في فن الاقصوصة . وهي أن يكون القارئ هو البطل
فيها » . (٢)

تحب الخادمة الصورة التي تتطلع اليها سيدتها وتغفل عليها الصندوق
و ذات يوم تنسى السيدة المفتاح ، فتهرع الخادم إلى الصورة التي عشقتها
دون أن تراها ، فإذا بها صورة قديمة لسيدتها .

لم نجد في الاقصوصة هذا الصبي الحديد الذي ادعاه بل هي اقصوصة ،
عربية الحدث بعيدة عن واقع مثل نفية أقاصيص المجموعة . ولا تقف
الغربة عند هذا الحد بل تجد الأب يقارل ابنته (معاون المدير) ، والاخ يعرض
أخته على صديقه مقابل نقود (اعراء) .

ولا يعطينا الكاتب الملامح التسمية الخفة للشخصيات بل يتكلم عنها من
السطح وتبدو ثابتة غير متطورة . إنها نماذج ليست انسانية الخلق ولا الابعاد
ولا تنصف بصفة الفرد المتحيز ، استخدمها لإبراز الحدث والفكرة . وهو
كرومانسي لا يرى في الحياة إلا جانبها القاتم المظلم ، ويجمع به خياله
في معظم الأحيان بعيداً عن الأرض التي يحيا الناس فوقها رغم أنه يشعرنا
بأن أقاصيصه حقيقية نقلها كما هي من الواقع أو جرت حوادثها بالفعل
في مكان وزمان معينين . بحيث يبدو أنه لا يكتب لنا إلا ما يعرفه من الحياة
أي مما توحى إليه به رغبته ومشاعره .

(١) كارنيك جورج (دموع مفرد) ص ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

محمد بسيم ذويب :

إن أقاصيص محمد بسيم ذويب صور ولوحات شاعرية رقيقة تخلو من الخبكة الفنية للقصة القصيرة ، يغلب فيها الموضوع على الشكل ، والقصة عنده تصاغ أحياناً في هيكل روائي لافي هيكل قصة قصيرة بحيث يخرج القاريء نتيجة للطعليات وكثرة المسارب الجانبية وتعدد المواقف وفقدان التوقيت مشوشاً لا يملك وحدة التأثير أو الانطباع ، ولا يخضع لتوتر نفسي وأحد من بداية القصة حتى نهايتها .

ويعني الكاتب بالدقائق والجزيئات الجانبية التي لا تغني ولا تعيد ولا تمت بصلة إلى الموضوع العام وتفرض على القصة مرضاً دون أن تكون ذا ضرورة تلقي على القصة مزيداً من الضوء بل على العكس فإن هذه التفصلات كثيراً ما تطمس معالم الشخصية في قصة وتفسد توازن هيكلها . ومثلها في ذلك إطلاقات الرأس والتدخل **والقريرية**.

نظم محمد بسيم ذويب الشعر وهو في الحامية من عمره (١) وأصدر أول كتبه وهو تلميد في الكلية العسكرية عام ست وعشرين ، وتأثر في شعره بشعراء المهجر . وزاول كتابة القصة ونشر أول قصة قصيرة في جريدة الحديث الحلبية سنة ١٩٣٠ م ، ونشر في الجرائد والمجلات العراقية الكثير من الشعر والنثر .

كتب مجموعته القصصية الأولى (آثام) الصادرة عام ١٩٥٧ بأسلوب اخباري استخدمه المؤلف وقام مقام الوسيط بين الأبطال والقراء ، ولم يحسن الكاتب الربط بين الأحداث المتفرقة التي تتكون منها القصة . وفيها نهايات مدهشة وطرق خاصة من الموت بالسل والدهس ، لقتل الاشخاص الذين يريد أن يتخلص منهم . الكاتب لغرض لإنهاء القصة .

ويبدو تأثير المفلوطي وجبران واضحين في كتابات الذويب : فهي ،

(١) من رسالة الكاتب إلى الدكتور داود سلوم .

مفرقة في الخيال والبعد عن الواقع . مؤطرة بحب بائس ونهايات منفعه . متكلفة . في (بدلة العيد) لم تجد الأم من نهاية لشقاها وشقاء طفلها الا الموت غرقاً بعد أن يرد البخار الغني سؤلها ثوباً لابنها في العيد .

وتبادل الفتاة متبنيها الحب بصمت وتعترف له بحافظتها وهي على فراش الموت بعد اصابتها بالسل في (قلبي لغيره) . وفي نهاية أب (يغتصب الرجل ربيته فتنتحر ويصاب الأب بالجنون) .

وتصطاد الأخت المتروجة خطيب أختها فلا تجد الاخت غير طريق ، الانتحار في (أختي الصغرى) . وفي المجموعة صور لم يرسلها لنا الكاتب كما هي في قصة (بوءة تحققت) (و) (الكلبة غرود) حيث تدس زوجة الأب السم لابن زوجها فيموت ويموت والده حزناً عليه . وتنحدر ابنتها إلى الرذيلة ، وتصاب زوجة الأب بالعمى ، ولا تجد غير الشول طريقاً لعيش أما اقصوصة (سحرة زوجين) فند رويث كد يروي الخبر التارخي أو محاضر المحاكم ، بأحداث متشاككة بعيدة عن الواقع (١) .

ورغم تماسك اسلوبه تشيع فيه اللطب والتصانيع مما يضعف الفنية في أقاصيصه : تخاطب المتسولة رجلاً غنياً رد سؤلها (أليس المال الذي ، تتمتعان به من تعب الفقراء أمثالي ومن قوتنا الذي احتكرته فمنعته عن أفراد الشعب الجوع ... فان كنت قد ورثته عن أبيك فهل تعلم كيف جمعه أبوك فكلمه في خزائنه الخاصة أو في البنوك ... مالخدمة التي قد قدمها أبوك أو تقدمها أنت لهذا الشعب الذي تستعلي على أبنائه) (٢) .

محمود محمد الحبيب

تحتوي مجموعته القصصية (صرعى) الصادرة عام ١٩٤٩ على عدد من الاقاصيص التي تدور حول العواطف النائرة والحب اليائس وتنتهي

(١) داؤد سلوم ، الادب المعاصر في العراق ص ٩٩ .

(٢) محمد بسيم الذويب (أثام) ، ص ٣٥ ، من قصصة (بدلة العيد) .

نهايات فاجعة مؤلة . ويمتاز اسلوب الكاتب بالقوة والمتانة ، لولا أنه يكثر من استعمال الصفات (أمي الكريمة ، والدي الكريم) مما يضعف الاسلوب القصصي الفني . كما أنه يستخدم الاسلوب الخطائي في الحوار وكأن البطل في حفل عام لا يتحدث إلى نفسه أو إلى شخص قريب منه .

(حرام يا هيفاء أن تظهرني كل حركة حبيبة إلى القلوب وتغني شئ الأغنيات الساذجة البسيطة بلغة يفهمها أطفال في عمرك لم يابني نحرمني من احتضانها بعد عودتي مرهق الأعصاب ... بنيّ دنيا طفوتك مهشمة باردة وعواطفك مريضة خرساء وتصرفاتك اتجهت في رافد لا يتغير بل يصب في حياتنا العناء والعذاب) (١) . ولم يحسن الحبيب رسم شخصياته فبدت ظلالات باهتة لاحياة فيها ، بل وكأن جميع الشخصيات شخصية واحدة لاغير ، كلها تقع في الحب وتشتي وتعذب وتنتهي نهايات مؤلة .

(في الذهب الأزرق) يحب الشاب فتاة مسيحية ويخطبها لسه ولكنها ترفض تغيير دينها خوفاً على مستقبل أختها الصغيرة وصمة عائلتها . وفي (الضجة) يحب واصف ابنة عمه ولكن زوجه عمه تراوده وحين تيأس منه تحاول تزويج ابنة زوجها كي يبقى لها وحدها . ويكشف واصف لعمه سلوك زوجته فيطرده العم من الدار ، ثم يقع في غرام راقصة يتزوجها . وفي (الختام الدامي) يفرق سليم نفسه في الشهوات ويغتصب عجيبة ، فتنتقم أمها منه بخطف ابنة الوحيدة التي يراها بعد سنين ترقص مع العنجر . وفي (رسالة شاعر) يموت الشاعر حباً ووجداً . وفي (ثورة في الريف) يقتل الريفي ابنته لأنها تكلمت مع شاب حضري بينهما حب متبادل . وفي (عالم الطفولة) تنتحر الطفلة الصغيرة لأنها تغار من أختها المولودة حديثاً . وقد حمل الكاتب الطفلة من العواطف ما لا يستطيع قلبها الصغير حمله ، بالإضافة إلى الصفحات الطوال التي استغرقتها مناجاة الأم لابنتها المنتحرة .

(١) محمود محمد الحبيب (مصرى) ص ٥٨

مهدي السامرائي - عباسج البخاري :

كانتاد مبتدآن تنسم أقاصيصهما في مجموعتيهما (الهياكل الصادرة سنة ١٩٤٥ ودموع الماس) الصادرة عام ١٩٥٨ بالضعف الفني وتهاقت الاسلوب وهزاله . وشخصياتهما لاثكاد تيين وسط ضباب العواطف الثائرة والانفعالات الهاجئة . وكلها تدور حول موضوع واحد هو (الحب) الذي ينتهي نهايات قائمة سوداء . والحديث في أقاصيصهما بعيد كل البعد عن واقع الحياة يقتصانه من خيالهما الجامح .

يرتكب البطل جريمة قتل ، لأن حبيبته سرقتها شاب غني يعمره دائماً بأنه لقيط (الأوراق الذائلة) . ويقتل الزوج زوجته وصديقه انتقاماً لشرفه (نهاية قصة) وتموت الحبيبة وتركته للدموع (محمد كسادوب ، بشيبة) .

أما في (دموع الماس) توقع - هيام - ابن عمها في حباثلها ويترك البطل حبيبته - سلمى - ويتزوج ابنة عمه ويقعده المرض نتيجة لتأنيب الضمير فتتركه زوجته ، ثم تسرع إليه حبيبته سلمى وتكرور إلى جانبه في محبته . وفي (الضمير) يقتل الأخ أخته بعد أن يجد رسالة غرام عندها ثم يكتشف براءتها فتتحرر . ويطالب صديقه الحكم بأعدامه لأنه السبب في موت انسانين .

(وفي أحلام) يعود الحبيب إلى مدينته فيجد أن حبيبته التي عاهدته على الحب قد تزوجت . وفي (ابن العم) يقتل ابن العم عمه وزوج ابنة عمه ، لأن عمه رفض تزويجه ابنته . فإذا كانت الرومانسية قبل الحرب الثانية لها ما يبررها فإن استمرارها بعد الحرب لم يقدم للادب في العراق رافداً يخصبه .

- المراجع -

- ١ - جميل سعيد ، نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ، معهد الدراسات العربية القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ٢ - داؤد سلوم الادب المعاصر في العراق مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٢ .
- ٣ - شجاع العاني المرأة في القصة العراقية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٢ .
- ٤ - صفاء خلوصي دراسات في الادب المقارن ، مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٨ .

- ٥ - عبد الاله أحمد، نشأة القصة وتطورها في العراق مطبعة شفيق بغداد ١٩٦٩ .
- ٦ - عبد القادر حسن أمين القصص في الادب العراقي الحديث مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٦
- ٧ - عمر الطالب الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، دار العودة بيروت ١٩٧١
- ٨ - عمر الطالب ، القصة العربية بين القومية والمحلية ، بحث القى في الجامعة العربية في مؤتمرها السنوي لعام ٩٧٢ .
- ٩ - محمد مندور ، الادب ومذاهبه ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ١٠ - جريدة الاحياء الوطني العدد ١٨ ، لعام ١٩٣١
- ١١ - جريدة الأخبار ، العدد ٤٣٥ لعام ١٩٣١ .
- ١٢ - مجلة الادب اللبدي ، العدد العاشر لعام ١٩٤٦ .
- ١٣ - جريدة البلاد الاعداد ٤٥ ، ١٣٣ ، ٢٠٠ ، لعام ١٩٣٠ العدد ٤١٦ لعام ١٩٣١ - ٤ ، او لعام ١٩٤٣
- ١٤ - مجلة الحاصد ، السنة الاولى ، كانون أول لعام ١٩٣٠ الاعداد ٢ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٤٢ السنة الثالثة عام ١٩٣٢ .
- ١٥ - جريدة السياسة ، العدد ٣٣١ لعام ١٩٣١ .
- ١٦ - مجلة عطار ، العدد الأول آب ١٩٣٤ .

— المصادر —

جميع القصص والروايات التي ورد ذكرها في البحث .

الدكتور عمر محمد الطالب

مدرس قسم اللغة العربية

كلية الآداب جامعة الموصل

صورة القصيدة الجاهلية

علي محمد علي الحبري

نظم الشعر الجاهلي في أوزان عديدة تمثلها البحور التي استنبطها الخليل بن أحمد الفراهيدي جميعاً - خمسة عشر بحراً - وإن كانت بعض هذه البحور قد غلبت على الشعر يومذاك ، كالطويل والبسيط والوافر والكمال والمديد والرجز .

وتناولت القصيدة الجاهلية موضوعات مختلفة ، تنقلت بينها ، وألتزمت في التعبير عنها ، طرقاً ثابتة وصوراً محدّدة وتقاليد فنية . لم تجد عنها ولم تسع إلى تغييرها . ذلك لأن هذه الأغراض والموضوعات والتقاليد والقوالب التعبيرية كانت ثمرة جهود طويلة سلفت ، لا نستطيع أن

نتبعها لأن التاريخ لم يحفظ لنا إلا الحلقة الأخيرة منها ، ممثلة فيما بقي لنا من شعر القرن السابق على ظهور الإسلام . وهذه الآثار فيما بقيت تكشف لنا عن العراقة والنضج ، وتصور إعجاب هؤلاء بما وصلوا إليه ، واعتقادهم أن ما بلغوه يمثل النهاية التي ليس وراءها شيء يطلب . (١)

تبدأ القصيدة الجاهلية بالشبيب ، فكان الشاعر يقف على الأطلال ، الدّارسة والشخوص البالية ، بعد أن ألحّ عليها المطر الغزير غيب بين الأحبة ويتبع الحبيبة في رحلتها الطويلة وفي منازلها التي تحمل بها أثناء هذه الرحلة ،

(١) من محاضرات الدكتور محمد عبد حسين لطلبة السنة الثانية في جامعة الإسكندرية لعام ١٩٦٤

بسبب من العواطف الثائرة والمشاعر العياضة : ثم يُعْضِي إلى الصحراء الواسعة التي تحبب الريح أرجاءها ، فتثير الفزع في نفوس سالكيها وتحملهم على الحرص على بقايا الماء ، خوف الهلاك والضياع ، وتهزل النوق القوية الصلبة التي يستعين بها المسافرون على اجتيازها حتى تغدو هُزْلاً صوامر لاتفوق على حمل نفسها ، بعد ذلك ألغناء البائع والتَّصَبُّب الشديد . وأخيراً يعرض الشاعر - في حلال قصيدته - لألوان من الشعر تُصَوِّرُ البيئة حيناً ، وتصور ما يجري عليها من أحداث حيناً آخر ، أو يبرز المثل الأعلى ، كما يتصوره هو من ناحية ، وكما يتصوره عصره من ناحية أخرى ، وقلما تختلف الصورتان لأن ما يتصوره الشاعر مستوحى من قيم العصر ومفهوم الجماعة العربية . كأن يصور الشاعر ذلك المثل تصويراً مباشراً حين يمجِّدُه في الفخر والمدح ووصف الحروب وأبطالها ، ويصوره تصويراً سلبياً حين يهجو كل من يتعارض معه أو يناقضه . (١)

وبهذا أصبحت القصيدة الجاهلية تجري على نظام ثابت لا يتخلل . فهي تبدأ بالوقوف على الأطلال ووصف رحيل الأحبة ، وتنقل إلى وصف الناقة وتصوير الصحراء وما فيها من حيوان ونات وجماد ، ثم تنتقل إلى المدح أو الهجاء . وربما أسقط الشاعر من قصيدته قسماً أو قسمين من هذه الأقسام ، ولكن هذه الأغراض إذا كانت ممثلة في القصيدة فهي تجري دائماً على هذا النظام ، أو تنحى عليه في الأغلب الأعم .

ولما كان هذا الترتيب للقصيدة الجاهلية التزاماً لم يشذ عنه شاعر ، لهذا لا يمكن اعتبار القسم الأخير من القصيدة هو الغرض الأصل الذي قصد إليه الشاعر وأن القسمين الأولين ما هما إلا تمهيد له ، لأن الجهد الفني المذول في هذه الأقسام الثلاثة والعناية الكبيرة التي حظيت بها منه يدلان على أنها في درجة واحدة من حيث الثبات والأصالة والاهتمام ، ويدلان على أنها - أي الجهد الفني والعناية - موزعان توزيعاً عادلاً لا إجحاف فيه . وربما يصح هذا القول بالقياس

(١) الهجاء والهجاء في الجاهلية : ص ١٦ .

إلى الشعراء المتأخرين الذين التزموا بهذا الترتيب تقليداً ومحاكاة لا انفعالاً وشعوراً. إن هذا الترتيب الذي خضعت له القصيدة الجاهلية تعبير عن الواقع الذي كان يواجهه العربي يومذاك وتصوير للحياة التي كان يحياها في تلك الحقبة من الزمن ، حين فرض عليه الثقل في مجاهل الصحراء ، بحثاً عن منابت الكلاء ومصادر المياه . وقد كانت الحياة قاسية بالغة القسوة عندما تحمل هذه القبائل على هجر أوطانها والرحيل بعيداً عن مواطن استقرارها المعهودة إلى الضرب في مناكب الأرض القلابة ، سعياً وراء ما يسد الرمق ويطفئ الغليل حتى غدت حياتها الكلية عنواناً للرحيل الدائم والهجرة الموصولة ، لم تذوق فيها طعم الاستقرار شأن أهل الحواضر والمدن . وقد تلتقي عدة قبائل — تختلف أصولها ومواطن منازلها الأولى — عند مرضى معتب تستقر عليه أو غدير ماء تحف حواليه مدة من الزمن ، ثم يتبدد اجتماعها عندما يصب الماء وينشئ النعاء ، فترم كل قبيلة رحالها إلى منازلها الأولى التي غادرتها في فصل الخفاف . وكما اجتمعت هذه القبائل على غير موعد مضروب كذلك يكون التعارف عن غير قصد منها بفعل عوامل الاجتماع ووحدة المعاش . فإذا النهار المشرق دعي دائم ، وإذا الليل الساجي سمر موصول . وإذا الاحتلاط البري ، وما يفرضه الجوار والتعاون بين الشباب والنشابات — لائحول دونه عوائق أو عقبات . وقد يتعلق قلب شاب من هؤلاء الشباب بحب فتاة من الحي المجاور لحيه . يخالسها النظرات ويتحدث اليه حين يلتقي بها — في ود وحنان ، فأن ضربت عصا البين بالرحيل ونشأت المطايا للظعن ، وأقفر المكان من تلك الحياة العامرة ، أودعت هذه الحبيبة في قلب محبوبها صورة يضم الاضلاع عليها ، ويلفها بمشاعر الأسمى والحزن ويلونها بالدم والدموع .

فأن ألتَمَ بالمكان الحبيب كربة أخرى مع قومه حين تدفعهم الهجرة اليه ثانية ، أو مع خواطره حين تسوقه اليه سوقاً عنيفاً ، ووقف به ساعة أو بعض ساعة ، متجولاً في ذلك الربيع الدارس ممعناً النظر في مواطن الوصل واللقاء، متأملاً ما بقي من آثار الحي من وتداؤ نوى أو إنفية أو مما تع خلف

بعد الرحيل ، ناظراً إلى الغربان تنعق فيه والآرام والأبقار وصغارها نحوس
نواحيه ، بعد أن^١ كان أهلاً بقاطنيه ، ثارت الذكريات في نفسه وعصف
به الشوق وتملكه الحنين ، وحلق به الخيال على أجنحته ، ليصير الجمال
وهي تنهياً للسمر ، وصاحبته في الهودج بين النساء ، فيجري وراءها حتى
تغيب في بطن الصحراء ، ثم يؤوب إلى نفسه بعد هذه الرؤى الحاملة التي
تنخلها مناظر وألوان ليواجه واقعه وما هو فيه . (١)

فهذه المناجاة الحزينة الدائمة التي يسكب فيها خلاصة شؤره ونحو العال ليست
أمراً منكراً على العربي ، بعد أن أدركنا واقعه ، وعرفنا الظروف التي تحيط به
فالواقع المرير كان له شأن كبير في تقرير مصيره ، يوم فرضت عليه
ضرورة البقاء أن يعيش متنقلاً على صمحة البيداء ، مخلفاً في كل بقعة ،
فيها قلعة من كده وقطعة من تاريخه ، لا يستقر في موطن ولا يعرف
الراحة ، ويكره على التفل ويدفع اليه دفعاً . (٢) ولهذا كانت المرأة هي
السكن والقرار في هذه الحياة القاسية ، يطمئن عندها من اضطرابه وبسكن
اليها من وحشته . وقد غدا أثر شي^٢ إلى نفسه وأحبته إلى فؤاده حبيبة يسترجع
معهما الذكريات الحلوة والمرّة ، ويثبها لواعج هواه وشكواه ، إن أسعفته
الظروف أن يلتقي بها ويجتمع معها ، فإن حال الزمان دون ذلك فلم يجد
سوى الربيع يروي أديمه بدموعه تارة ويخاطبه عن الحبيبة الطاعنة الماثورة
تارة أخرى ، ويتلمس كل ما لها من آثار ومخلفات في ساحته ، ويظل
عند هذا الحنين كلما أثاره الشوق وعصفت به الأشجان . ويعمق
هذا الحنين ويشند كلما كان الأثر أكثر اندراساً ، لأن تأثيره أقوى في ،
في النفس وأعمق في استثارة العواطف والأحاسيس . (٣)

وبعد هذا الحديث الملتصق بنفسه والطاقح بأشجانه وأحزانه ينطلق

(١) عن محاضرات الدكتور محمد محمد حسين لطلبة السنة الثانية في جامعة الإسكندرية لم ١٩٥٠/١٩٥١

(٢) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص ٩ .

(٣) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص ١١ .

إلى ذكر الصحراء والناقة والضرب في الفلوات ، وإيضاح المطي بالسفار
ووصف هذا الحيوان الوحيد الذي يقاصه سراء الحياة وضراءها .
لقد كان حديث الناقة والخوض في مجاهل اليباء لوناً من المغامرات
الآثيرة إلى النفوس الشعراء . حين يستعيدون بهذا الحديث عنصر المخاطرة
والفتوة والشباب الذي خلفوه وراءهم .

وهذا الجزء يعدّ متمماً لتلك الخواطر والذكريات عن المرأة وألوان العلاقة بها (١)
صور هؤلاء الشعراء الناقة قوية صلبة ، قد خصّها صاحبها بمزيد العناية
ورافر الاهتمام فعلقها وأراحها وطرد عنها الفحول كي تحافظ على قوتها
ولا يرهقها الحمل . فإذا أزعج الرجيل فهي صبور تتحمل آلام الطريق وتصل
الليل بالنهار في سير متواصل دون كلل أو إعياء حتى إذا انتهت الرحلة
بدت ضامرة ضاربة ، تشكو إلى صاحبها مما ألم بها من الازهاق والتعب والنصب
فيحزيها على ذلك بما سبيل من عطاء الممدوح ونواله . (٢)

لقد شغلت الناقة حبراً كبيراً من القصيدة الجاهلية ، معدّها حيناً وسيلة
لتمضية الموم كما في قول طرفة بن العبد : (٣)

وأي لأمضي الممّ عد احتصاره بعوجاء مرقل تروح وتفتدي
وعُدّها حيناً آخر جسراً يوصلهم بالممدوحين ، كما في قول الأعشى : (٤)
لا تشكّي إليّ من ألم التمسّ سع ولا من حفا ولا من كلال
لا تشكّي إليّ وأنجعي الاسود أهل الندى وأهل الفعّال

ولغذا عكفوا عليها يصفون قوة خلقها ومتانتها ، ويقدمون لأعضائها التشبيهات
الكثيرة الملموسة التي تبرز الناقة وتجلي عناصر القوة والجرأة والسرعة التي تحلّي

(١) الشعر العربي بين الجسد والصور : ص ٣٤ .

(٢) أساليب الصناعة في شعر النمر والناقة : ص ٥٣ .

(٣) جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٣٨٠ .

(٤) جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٢٦٢ .

بها . وكان حديث طرفه بن العبد عنها مثلاً " يحتذى ومنهجاً يُتبع عند الشعراء إذ لم يترك عضواً من أعضائها إلا وذكره وأردفه بتشبيه يبرزه ويحلبه ، وكأنه يهدف إلى أن " يقيم لها تمثلاً " يتأمله ويتقرب محاسنه ، كلما شاقه ذكر الناقة وأثر أن " يستحضر صورتها (١) فكان الشعراء يسهبون في أوصافهم ويستطردون استطرادات غريبة في أحاديثهم ، وهي في معظمها تنحصر في الصفات التي تؤكد قوة هذه الناقة ، وشدة مقاومتها لعوارض الصحراء وسرعتها في قطع مسافاتها ، وفي كل صفة من هذه الصفات تتجلى براعة الشاعر الذي يمنح هذا الموصوف ما يجعله أكثر قدرة على السير وأشد مقاومة لما يعترضه من مصاعب ، وأخف سرعة في الوصول إلى المكان المحدد له (٢) ثم كانوا يعقبون بالصور المعهودة عن الحمار والثور والظليم ، لبيان السرعة والقوة والقدرة على مواجهة الصعاب وتحمل المتاعب والأهوال (٣)

فلا غرابة بعد ذلك كله - إذا ما أصفها الشاعر الجاهلي خلاصة شاعره ومنحها صفو القول وأشاد بنوعها وأوصاها وذكره بعد المرأة الطائفة والأطلال الدائرة - فقد كانت شريكة حبه ، تشاطره سعيه وكفاحه ، ويترد بواسطتها همومه وأحزانه ، وتسهل عليه بلوغ مآربه ، وتقاسمه مخاوف الليل وحرارة النهار في تلك الغلاة المقفرة .

أما حديث الشاعر عن قيم العصر إيجاباً وسلباً ، متمثلاً ذلك في نفسه أو في قومه أو في شخص بعينه فيمكن أن يلاحظ في اعراض المديح والفخر والهجاء فهو في المديح يقيم مدحه على ما يراه في مملوحه من كرم الجوار والعزة والأباء والشجاعة والفنك في الأعداء والكرم ورعاية الحقوق ، من غير أن يعتمد فيه إلى الغلو في الصفات ، ولا يتوسل إلى الصنعة في النسيج والبناء . فالصدق أبرز ما يتحلى به الشاعر في المديح : حتى " غدا سُنَّةٌ محبة الإحتناء

(١) لاحظ سلفه طرفه بن العبد في : جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٢٨٠ / ٢٩٦ .

(٢) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص ٢٤ - ٣٥ .

(٣) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية : ص ٣٥ .

عند شعراء العصر الجاهلي في الأغلب الأعم . ولكن عندما اتخذ المديح وسيلة إلى الكسب ، وحرفة لاستئجار العطاء ، عندما أعرض عن الحقيقة ومال إلى المبالغة ، وترك البديهة إلى الصنعة ، كي يحقق ما يريد من التأثير في الممدوحين (١) فكان زهير الذي اقتصرت بأشراف قومه وحسان بن ثابت الذي دار في فلك الفساسة ، والنابغة الذي تعلق بأذيال النعمان بن المنذر ، أما الأعشى فقد جمعه « حرفة خالصة للمعالة والتكسب » ، إذ لم يترك ملكاً ولا سيداً مشهوراً في أنحاء الجزيرة إلا قصده ومدحه وفخّم شأنه معرضاً بالسؤال . (٢) وهو في الفخر يقيم فخره على الإهتمام بالقبيلة والاعتزاز بمكانتها ، فهي موثله ومقل رجائه ودولته التي يجد في كنفها الأمن والرعاية ، كما يرتبط معها بعقد إجتماعي أصلته التقاليد ووثقته العادات ، حتى صار الإنسان لا يستغني أحدهما عن الآخر . لا القبيلة تستغني عن شاعرها لأنه لسانها والمُعبر عنها في كل المواقف والظروف ، ولا الشاعر يستغني عن قبيلته لأنها كهفه الذي يأوي إليه ويلقى فيه الحفاوة والتكريم . ولهذا إنطلق يتغنى بمآثرها ويبين غابرها ويذكر ما تتمازج به بين القائل من مكانة ورفعة ، من غير أن يقصد إلى التعالي على قبيلة بعضها أو يهدف إلى الرد على شاعر بعينه ، وإن كان في شعره ما يدل على هذا التعالي أو يشعر بهذا الرد المقصود (٣)

(١) العصر الجاهلي : ص ٢١١ .

(٢) العصر الجاهلي : ص ٢١٢ ، - فقد كان الأعشى حل رأس الشعراء المتكسبين الذين استغلوا بشعرهم هذه النابغة ، أنظر ما قاله في الأسود المنذر بن ماء السماء لا تشكي إلي واتجسسي الأسود.... في جبهة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ص ٢٦٢ وما بعدها ، وديوانه ص ٧ وما بعدها .

(٣) أنظر معلقة لبيد بن ربيعة من قوله : إنا إذا ألقيت الحمال لم يزل... في جبهة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ٣٢٨ وما بعدها ، وشرح القصائد التسع المشهورات ص ٤٤٨ وما بعدها ومعلقة عمرو بن كلثوم في جبهة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ص ٣٤٤ وما بعدها ، وشرح القصائد التسع المشهورات ص ٦٢٨ وما بعدها ، ومعلقة الحارث بن حلزة الشكري في شرح القصائد التسع المشهورات ص ٥٦٣ وما بعدها ، ولم يرد لها ذكر في جبهة أشعار العرب إذ لم تعتبر - عدد بعض الدارسين القصائد - من المملكات .

١٧/٢

ثم هو في الهجاء يقيم هجاءه على كل ما يناقض المثل العليا عنده وعند المهجو على حد سواء ، مناقضة مبنية على السخرية والاستهزاء ، إذ يصمه بالبخل الذي كان في عرف الناس كلهم وفي عرف العصر نبزاً يرمى به الرجل وطعناً تنفذ فيه سهام الشاعر ، عندما يتصوره - مثلاً - شعبان ممتلئ البطن من الطعام وجبرانه يتصورون جوعاً لا يجلون ما يتلبثون به ، دون أن يلتفت إليهم ويتقذهم من مسغبتهم . أو يصمه بالخبث والإستقامة إلى الدعة والسكون ، والأرض من حوله تموج بالأبطال من ذوي المآثر والأفعال ، حتى يمرقة ويقض مضجعه ويحبل نهاره إلى ليل مظلم لا يرى من خلاله بارقة النور . (١) وبهذا ندرك أن ترتيب القصيدة الجاهلية لم يأت إعجاباً ولا حملاً للنفس على نهج مرسوم وطريق معلوم ، ولكنه ترتيب تفرضه المشاعر وتقدره وحدانات الشاعر قوة وضعفاً . فهي وحدة مراطة ، على الرغم من تشتت الموضوعات التي تضمها وتباعد العلاقة بينها ، لأب مستقامة من تجربة عاطفية ، ومن واقع له سلطانه على الناس والشعراء على حد سواء . وقد استقرت هذه الصورة في ذهن ابن قتيبة ، حتى جعل من الشاعر الشيد من ينتج قصيدته بذكر الديار والدمن والآثار ، فيسكي وبمحاطب الربع ويستوقف الرفيق ، ويذكر أهلها الظاعنين واتجاعهم الكلاً وتبعهم ما قط الغيث ، ثم يصل ذلك بالنسب ، فيشكو شدة الوجد وألم القراق ، ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ، بعد ذلك يرحل في شعره فيشكو النصب والسر والليل وحر الهجير ، وإنشاء الراحة والبعير ، ثم يدلف إلى المديح فيبعث المملوح على المكافأة ويهزه للسماح

(١) أنظر ما قاله الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة :

يتيتون في المشى ملاء بطونكم
وحاراتكم مرز يمتدحتم
ديوانه : ص ١٤٩ .

وما قاله قريظ بن أبيث في هجاء قومه الذين ألفوا الكذل والحرمان :

لكن قومى وإن كانوا ذوي عدد
ليسوا من الثرى شيء وإن حانا
عن ديوان الحماسة : القسم الأول ص ٢٢ وما يمسحها :

ويفضله على الأشباه . « فالشاعر الخيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالفوس ظمأ إلى المزيدة (١) .

وشاعت في القصيدة الجاهلية تقاليد أخرى ، من قبيل الإلترام بقوالب تعبيرية معينة ، والإستعانة بتشبيهات متكررة ، وذكر صور واحدة . فمن القوالب التعبيرية المعينة الإلترام بأسلوب واضح في طريقة التخلص من صورة إلى أخرى . فإذا أراد الشاعر أن يتخلص من الغزل إلى وصف الرحلة تخلص بطريقة معروفة قلماً بشذ عنها .

فإن كان واقفاً بالأطلال قال لما رأيت ان الاطلال لانجيني نهضت إلى ناقي . وإن كان يتحدث عن رحيل صاحبه قال : هل تلحقني بهم ناقة ؟؟ وإن أحب أن يذكر صلود صاحبه عنه وإعراضها قال : فصرم حبلها وأقطع ودّها مثلما قطعت وذلك بالسفر على الناقة شديدة . وإن ذكر ما كان بينه وبينها من ود قال : فدعها وسلّ الهيم عنك بحسرة . (٢) ومن التشبيهات المتكررة ما يعلق بالصحرَاء والناقة ، مثل تشبيه الطرق في الصحرَاء بالخطوط في الكساء ، وأعلام الطريق بالرحال ، ووحشة الصحرَاء بصوت البوم أو بعزيف الجن أو بنواح الخلاء ، والهادج في الصحرَاء بالسفن في ليج البحر . (٣) ووصف الصحرَاء بأنها مطموسة المسالك ، مدفونة المناهل ، وبأن ماء آبارها راكد غير ساقف . وتشبيه الناقة بالبيان الضخم ، ووصفها بتلاحم الفقار ، وتصويرها قبل السفر وقد علفها صاحبها وأحسن القيام عليها وتصويرها بعد الرحلة هزلاً ضامرة ، وتصوير نشاطها في الهجرة حين يخفق السراب وكأن هيراً قد علق برحليها فهو ينهشها ويبيثها على الإسراع . وتشبيه هيكليها حين تضمر وقد إرتفع فوق أرجلها بتابوت الميت

(١) الشعر والشراء : ج ١ - ص ٢٠ والنص من ص ٢١ .

(٢) أساليب الصناعة في شعر النمر والناقة : ص ٧٤/٧٥ .

(٣) أساليب الصناعة في شعر النمر والناقة : ص ٧٨-٨١ .

وقد حمل على هام الرجال ، وأثار السيور في جسمها المهزول بانثار المشي
أو الماء في الصحراء حين يترك طرائق واضحة ، ودنها شمراخ البلع ،
وعينها بالمرأة ووصفها بأنها تستخف بالردف ، وتسير ولا طعام لها إلا
ما تجتر فضل مائي معدتها ، وأنها تنثر الحصى لسرعتها . (١)

ومن التشبيهات أيضاً ما يتعلق بمختلف الأعراض ، فمن ذلك تشبيه الأطلال
بانثار الوشم وبالكثابة البالية ، والنساء الظباء ، وأردافهن بالكثيب ، وبشرتهن
الصافية بالؤلؤ وبالبيض المكنون ، ووجههن بالقدر الوضاء ، وأسنانهن
بالؤلؤ ، وبالبلور وبأوراق زهر الأقحوان ، وشعرهن الأسود بالليل وبخطوط
الكساء ، وعيونهن بعيون البقر ، وجيدهن بجيد العزال ، ورقنهن بالحمر
وبالعسل ، وأداملهن بهداب الحرير . وقوامهن بغصن النان . ومشيهن بمشي
القطا ، وكتابتهم عن دقة خصر المرأة بقولهم (صخر الوشاح) وعن ضخامة
الأرداف بقولهم (ملّ الذرع) وعن إمتلاء الساقين بقولهم « صامته الخللخال » .
ومن تشبيه الوصل بالوصل . وقبض السمرح بقبض اللدلاء ، والمحج بالأسير
والسكران ، والشجاع بالثبث والضعيف . والكريم بالبحر والغيث ، والقائمة
بالرمح ، والحرب المريرة بالناقة المعجور وبالحمل الشرس ، والذي يثير
الحرب ويؤججها بالذي يمد النار بالخطب ، والموت بالكأس المرة ، والفرس
السريع بالعقاب بالسايح ، والفرس الطويل الظهر بمذع النخلة وبقناة الرمح .
وتصويره في سرعته وكأنه يباري رمح راكبه محاولاً أن يسبقه ، والسهام
في سرعتها حين تنطلق بالنحل ، ولعان السيوف بترقرق صفحة الغدير ،
والعدو المغير بالضعيف ، وتعبيرهم عن التنكيل به بالقرى على سبيل التهكم ،
وكتابتهم عن الطويل القائمة بأنه طويل الجاد . وعن الشريف بأنه رفيع
العماد ، وعن المنجد ذي المروءة بأنه واري الزناد . (٢)

(١) مقدمة ديوان الأضي : ص ٥ - ص ٦ .

(٢) مقدمة ديوان الأضي ص : ٦ .

ومن الصور ، صورة الحمار الوحشي عندما تنتكر له الطبيعة ، وتسد عليه مسالك العيش ، حتى يتبرم من واقعه ، فيسعى ليطفى ظمأه وظماً أتانته التي يسوقها سوفاً عنيفاً وبحرص عليها من الفحول ، وهي تنفر منه وتنقيه برجلها إذا مادنا منها ، ليرد بها عين ماء حفت بالعشب الطويل الذي يكمن فيه الصائد ، وعندما يقترب من الماء ، ويهمّ أن يدرسه فيه ، أذا بسهام الصائد تنصب عليه ، فيفر منها مسرعاً لا يلوي على شيء ، تبعه اثنان بسرعة . وصورة الثور حين تدهمه السماء بغيث منهمر ، يفر منه إلى شجرة الأرتلى عند نجوة من الأرض ، ليقضي الليل مندساً بين أغصانها ومع بشائر الفجر يعدو مسرعاً ، فإذا بالأرض تنشق عن كلاب ضارية تعدو وراءه بهمة ظاهرة فيكر عليها مستسلاً في الدفاع ، حتى يظهر عليها وبجلتها تخوض دماءها ثم صورة الطليم والعامة ، حين يدركهما الظلام وهما في مكان من الصحراء فيجريان بهمة متدحبة ليدر كما أفرأخهما قبل اشتداد الظلام ونزول البرد . (١) لقد كانت هذه القوالب التعبيرية والتشبيهات الخنيفة والصور المعهودة مما تعارف عليه الشعراء الحاهليون ، حتى عدت تقاليد مبهمة الترموا بها في قصائدهم . وقد يأتي بعض الشعراء بالبتكر من هذه الصور والتشبيهات بحسب ما تسمع به بيته وأفاق خبرته من القرب أو البعد عن مصادر الحضارة والثقافة . فزهير بن أبي سلمى تغلب عليه الحكمة ، كما تغلب عليه الصنعة والصقل ، ويهمّ في بعض جوانب شعره بالتصوير والتفصيل لبعض المشاهد ، وتلوين هذه المشاهد بألوان زاهية محبة إلى نفسه . (٢) ونلاحظ عند الأعشى ظاهرة أسلوبية واضحة ألا وهي الإستدارة وقد تأثر بها الأخطل التغلبي من الشعراء الدولة الأموية ، وهي صورة من صور الترابط الذي يقوم بين الأبيات ، وألفصود بها توالي مجموعة متلاحمة من الأبيات تجري على نظام متسق يقوم

(١) أساليب الصناعة في شعر الجمر والناقة : ص ٥٣ وما بعدها ، وحدة الموضوع في التصيد الجاهلية : لوحة الصيد : ص ٤١ ، وما يستلحقها .

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ص ٢٤ وما بعدها ، ودبران زهير : ص ٩-١٣ .

فيه كل بيت بنفسه في معناه ، ولكن المعنى العام لا يتم إلاّ بالبيت الأخير منها . (١) وفي شعر النابغة وألحساء شواهد على هذه الظاهرة .

كما نجد عند الأعشى أيضاً وعند إمريء القيس ظاهرة القصص ، حين يسوقان الغزل أحياناً على صورة الحوار ، ويتطرقان فيه إلى ما يقوم بينهما وبين النساء من الحديث . فالأعشى بمهد للقاء بصاحته برسول يحثه إليها فيحس الدخول إلى مضاربها بعد أن يقلت من أعين الرقباء ، ليخبرها بموعده زيارة الأعشى ، ثم يأتي الأعشى ليأخذ قطعه من الحديث والمعاينة والمحنون . (٢) أما إمروء القيس فيقصص صاحبه من غير رسول ، حين يسمو إليها بعد أن ينام أهلها ، وتدور بينهما كأس الحديث ، ويأخذ معها في المعاينة واللهو حتى يقضي مأربه ، وهي تحيره بمخاوفها إن علم أهلها بوجوده معها ، لكنه يسكن روعها باستعداده للقتال وقدرته على التحدي والتزال . (٣) فهذه هي القصيدة اسماعيلية في كل ما تناولته من موضوعات ، وما إلتزمت به من ألوان التعبير وطرق التخلّص من موضوع إلى آخر ، والتشبيهات والصور المعهودة .

(١) مقدمة ديوان الأعشى: ص - غ والشاهد في قصيدة : « ودع هريرة..... » في قوله :

ما روعة من رياض الحزن مشية	خضراء جاد عليها مبدل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق	مؤزر بعم الثبت مكتهطل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة	ولا مانع منها إذ دنا الاصل

(٢) مقدمة ديوان الأعشى: ص ب - م وقسم من القصائد التي عرضت هذه القصص .

(٣) ديوان إمريء القيس : ص ٣١-٣٣ ، ونجد مثل ذلك في المعلقة التي ملأها بقصص النساء مثل قصة دارة جلجل ، وقصة يثغة الخلد ص ١٥-١٨ .

المصادر :

- ١ - أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين ،
للدكتور محمد محمد حسين - مطبعة دار النشر والثقافة - الإسكندرية
مصر - ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٢ - جمهرة أشعار العرب في الحاهلية والإسلام : لأبي زيد محمد بن أبي
الخطاب القرشي ، تحقيق : علي محمد البجاوي - مطبعة لجنة البيان
العربي - مصر - الطبعة الاولى ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٣ - ديوان الأعشى الكبير - ميمون بن قيس بن جندل - تحقيق وشرح
الدكتور محمد محمد حسين - المطبعة النموذجية - مصر - ١٩٥٠ م
- ٤ - ديوان امرئ القيس : تحقيق : محمد أبو الفصل إبراهيم - مطبعة
دار المعارف - مصر - الطبعة الثالثة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٥ - ديوان زهير بن أبي سلمى : شرح الامم نعل - مطبعة دار الكتب
المصرية - مصر ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م
- ٦ - شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد الحسن المرزوقي -
تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون - مطبعة لجنة التأليف
والنشر والترجمة - الطبعة الأولى - مصر - ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .
- ٧ - شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس
تحقيق أحمد خطاب - مطبعة الحكومة ، بغداد - الطبعة الاولى
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٨ - الشعر والشعراء : لأبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة - مطبعة دار الثقافة
بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٦٩ م .
- ٩ - الشعر العربي بين الجمود والتطور / للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي
طبع مصر

- ١٠ - العصر الجاهلي : للدكتور شوقي ضيف - مطبعة دار المعارف بمصر
الطبعة الثالثة ١٩٦٠ .
- ١١ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي : للدكتور شوقي ضيف - مطبعة
دار المعارف بمصر الطبعة السابعة ١٩٦٠ م .
- ١٢ - محاضرات الدكتور محمد محمد حسين لطبعة السنة الثانية في جامعة
الاسكندرية ١٩٦٤
- ١٣ - الهجاء والهجاءون في الجاهلية : للدكتور محمد محمد حسين - مطبعة
أحمد نجيم مصر / الطبعة الاولى / ١٩٤٧ م .
- ١٤ - وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية - للدكتور نوري حمودي
القيسي - مطبعة دار الكتب في الموصل - الطبعة الاولى - ١٣٩٤
- ١٩٧٤ م .

علي محمد علي الحويدي

مهاجر قسم اللغة العربية
كلية الاداب - جامعة الموصل

محمد بن كنانة السدوسي

حياته ، شعره ، نصوص باقية من كتابه: الأنواء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحن ، هنا ، آراء شاعر زاهد ورواية من العصر العباسي الأول لم يحفل به الرواة ، كما ينبغي ، إذ لم يدونوا - على الرغم من أن القرن الثاني كان قرن تدوين - من أخبار حياته وشعره إلا القليل القليل ، وقد عثر .

والقليل من أخبار حياته التي انتهت إلينا لا تكاد تجلو لنا حياته ، فضلا عن اضطرابها في اسمه وأسم أبيه ووفاته . والقليل من شعره الذي جمعناه . ليس سوى مقطوعات - في أغلبها - يبدو فيها قصير النفس .

وأكثر من ذلك فإن تصانيفه الثلاثة مفقودة ، ألهم إلا نقولات يسيرة من أحدها ، سأفرد لها فصلة خاصة بعنوان: نصوص باقية من كتاب: (الأنواء) لابن كنانة .

وبعد فأننا أرى أن عمول ذكر هذا الرجل معزو إلى زهده واعترازه بكرامته وأنصرافه إلى رواية الشعر والحديث بعيداً عن إنتاج الأشراف والسلطان .

ولا يعني بآخره ، إلا أن أجزل الشكر لأخي عبد الوهاب محمد علي العدواني على جملة فوائد أعانتني في ما أقدم . ومن آله العسرون .

محمد قاسم مصطفى

القاهرة ١٩٧٤ / ١٢ / ١٥

حياته

اسمه ونسبه :

اتفق لنا سياق نسبه ، من الروايات الكثيرة التي دارت حول اسمه واسم أبيه وجده ، على أنه : محمد بن عبدالله (الملقب بكُناسة) بن عبدالأعلى بن عبدالله ابن خليفة .. بن مازن .. ويفضي في آخره إلى : أسد بن خزيمه .
وإذ ذكرت بعض الروايات الجدل الثاني بأنه : عبدالله (١) ، فقد أسقطه بعضها الآخر . (٢)
واعتور اسم أبيه واسم جده خلط كبير في المصادر التي اتصلت بها ، على النحو الذي تراه :

محمد بن عبدالله بن عبدالأعلى بن كناسة (٣)

محمد بن عبدالأعلى بن كناسة (٤)

محمد بن أبي عبدالله بن عبدالأعلى (٥)

محمد بن عبدالله بن كناسة بن عبدالأعلى بن عبدالله (٦)

محمد بن عبدالله بن يحيى كناسة . (٧)

ويحيى ابن خلكان فيذكره بقوله (٨) : «محمد بن كناسة ، وهو لقبه ،

واسمه : عبدالأعلى بن عبدالله بن خليفة ...»

(١) تاريخ بغداد ٤٠٤/٥ ، انباء الرواة ١٥٩/٣ ، نور القبس ٢٩٧ ، وميات الأعيان ٢١٠/٢ ،

تهذيب التهذيب ٢٥٩ / ٩

(٢) الأنساب ٤٨٧ ب ، اللباب ٥٢/٣

(٣) الجرح والتعديل ٢٢ مج ٢ ص ٣٠٠

(٤) الطبقات الكبرى ٤٠١/٦ ، المعارف ٥٤٣ مراتب السجويين ٧٣ ، الأغانى ٩٠/٢١ ، طبقات

الزبيدي ٢١١ نور القبس ٢٩٧ ، بنية القصة ١٢٩/١

(٥) الكامل في التاريخ ٣٨٥/٦

(٦) نور القبس ٢٩٧

(٧) أنوار التريج ١٥٤/١

(٨) وميات الأعيان ٢١٠/٢

أما ابن النديم (١) - وشايعه اسماعيل بن محمد البغدادي - (٢) فقد شذّ في اسم الرجل واسم أبيه ، فهو عنده : عبدالله بن يحيى . كذلك ، شذّ في أمالي المرتضى ، (٣) فجاء : «عبدالله بن عبدالأعلى» .
ليس هذا فحسب ، فقد اضطرب المصدر الواحد في سياق نسبه .
فهذا ابن أبي حاتم الرازي (٤) أوردته صحيحاً ، وبأدق فقال : «وهو محمد بن عبدالله بن عبدالأعلى بن كناسة» .
وهذا أبو الفرج الأصفهاني جاء بنسبه الصحيح في ترجمته له ، (٥) ثم ساقه لنا في موضع آخر على نسق لا تتفق فيه معه . هو : «محمد بن عبدالأعلى ابن كناسة» .

وبعد أن ثبت ما شذّ من اسمه واسم أبيه : «عبدالله بن يحيى» ، سردهما صحيحين في ما قرأه بخط ابن الكوفي (٦) في موضع آخر من مؤلفه ، (٧) وقص أثره في ذلك اسماعيل بن محمد البغدادي . (٨)
أما نور القيس (٩) فصّر على . «محمد بن عبدالأعلى بن كناسة» ثم أوردته بقول آخر فيه ، هو : «وقيل . . محمد بن عبدالله بن كناسة بن عبدالأعلى ابن عبدالله» . وهما مما لا تميل إلى التسليم بهما .
ولم يشأ المرزباني أن يدع النسب مضطرباً إزاء تضارب الروايتين ، وإنما

(١) الفهرست ٧٠.

(٢) إصحاح المكنون ٥٠٧/٢ ، هدية المارفين ٤٣٩ ، وأنظر : الكنى والألقاب ١/٣٩٢ ، سقات أبي نواس ٨ (نقلا عن ابن النديم) ، القزويني وشروح التلخيص ٤٦٢ .

(٣) ١٧١/١ .

(٤) الجرح والتعديل ٢ مج ٣ ص ٣٠٠ .

(٥) الأغاني ١٣/٣٣٧ .

(٦) الفهرست ٧٠ .

(٧) الفهرست ٩١ .

(٨) هدية المارفين ٤٣٩ .

(٩) ص ٢٩٧ .

قطع بصحته في قوله : «كذا في هذا النسب ، والصحيح أن كناسة هو
عبدالله ، أبو محمد (بن) كناسة » .

وواضح مما أسلفنا . أن الحافظ الذي طالعنا به طائفة من مصادر ترجمته
يمكن أن يعزي إلى ما وقع في مساق نسبه من تحريف أو اتمام (ابن)
أو (أبي) .

ويكنى أبا يحيى . وانفرد ابن النديم (١) - عدا ما قرأه بخط ابن الكوفي -
بأنه يكنى أبا محمد . وفقا أثره اسماعيل بن محمد البغدادي (٢) أيضاً .

وتردد ابن حجر المسقلاني فذكر الكنيثين . (٣)

نسبه :

عرف شاعرنا بابن كناسة . ويرد هذا اللقب على أنه لأبيه ، وهو ما أميل
إليه ، لكن جماعة ممن ذكروه كذلك ، أردوه بقلوبهم (٤) : «وقيل : لقب
جده» .

ومن هنا ، كانت نسبه «الكناسي» . (٥) وهي عند ابن الأثير (٦) ليست
نسبة إلى «الكناسة» عملة بالكوفة تناع بها الدواب ، (٧) وإنما هي نسبة إلى الجلد .
وروى لنا المرزباني (٨) ما قيل في سبب هذا اللقب ، الذي أطلق على أبيه ،
بأن أمه رأت ، وهي حامل به ، كأنها وجدت في كناسة سواراً ، أو أنه

(١) الفهرست : ٥٧٠ .

(٢) إيضاح المكنون ٥٠٧ / ٢ ، هدية المارفين ، ٤٣٩ ، الكنى والألقاب ١ / ٣٩٣ ، سرقات
أبي نواس ٨ (نقلا عن ابن النديم) ، القزويني وشروح التمهيل ١٦٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ .

(٤) تاريخ بغداد ٥ / ١٠٤ ، انباء الرواة ٣ / ١٥٩ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ ، تقريب
التهذيب ٢ / ١٧٧ .

(٥) الأنساب ١٨٧ ، الباب ٢ / ٥٢ ، تبصير المتبصر ٣ / ١٧٢٠ ، ناه العروس / كس .

(٦) الباب ٣ / ٥٢ .

(٧) الأنساب ٤٨٧ ب ، معجم البلدان ٤ / ٤٨١ .

(٨) نور القيس ، ٢٩٧ .

كان آخر أولادها ، فكأنه كناسة بطنها .
كذلك ، هناك نسبة صريحة نمته إلى أسد ، وأحياناً إلى الكوفة .
مولده ووفاته :

وإذا كان الرواة قد اضطربوا في اسمه واسم أبيه وجده ولقب أبيه ، فإنهم
اتفقوا على مولده بالكوفة سنة ثلاث وعشرين بعد المائة ، ثم يأخذ الاضطراب
طريقه إلى وفاته . فإن شعره يقفنا على إحساسه بتقدم السن ، فقال -- وهو
بطوي سبعين من سني عمره : (١)
كَأَنَّ سَبْعًا مَضَتْ لِي فِي تَصَعُّدِهَا

إلى الثمانين كَانَتْ عُذُودُ الْغَادِي
وصار يوء بالضعف والعجز في آخر عمره ، فما هو مستطيع أن يزور
صديقاً له كان قد ألف ريارته قال : (٢)
ضَعِيفْتُ عَنِ الْإِخْوَانِ حَتَّى جَعَوْتُهُمْ
على غير رَهْدٍ فِي الْإِحَاءِ وَلَا الْوَدَّ
وَلَكِنَّ أَيْامِي حَزَّ مِنْ مَنَّتِي
فَمَا أَلْفُ الْحَاحَاتِ إِلَّا عَلَى جَهْدٍ
وذهب المرزباني إلى أنه عمّر طويلاً ، غير أنه لم يصب حين قال : (٣)
انه قارب التسعين .

وذهب ابن سعد (٤) - (٨٢٣٠) إلى أن ابن كناسة مات سنة تسع ومائتين .
ونقل لنا الخطيب البغدادي (٥) قول ابن قانع - (٨٣٥١) الذي التقى فيه
مع ابن سعد في تاريخ الوفاة ، لكن الخطيب يعود فيرى السنة التي استقرت عندها

(١) القطعة ٨ .

(٢) القطعة ٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ ، تقريب التهذيب ٢ / ١٧٧ .

(٤) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٠١ ، وانظر : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ .

(٥) تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٨ ، بغداد ، وانظر : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ .

أغلب المراجع ، فقد توفي بالكوفة ثلاث خلون من شوال سنة سبع ومائتين ،
على عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) ، بعد حياة استغرقت اربعاً وثمانين سنة .
نشأته وحياته :

نشأ بالكوفة في مستهل العصر العباسي الأول وما صاحبه من تغيرات اجتماعية
وفكرية . ثم انتقل إلى بغداد ، مقر الحكم ، فأقام بها (١) . لكن ستاراً
صغيئاً يسدل بيننا وبين تلك النشأة وهذه الإقامة . فنحن نجعل : كم قضي من
عمره بالكوفة ومنى انتقل إلى بغداد ، وكم أقام بها ! وما بين يدي من مصادر
لا تفصح عن شيء من ذلك .

أضف إلى ذلك أننا لا نكاد نعرف من حياته الطويلة إلا التزر اليسير .
وكل ما وقفت عليه من حياته الاسرية هو اسم أمه : حسنة بنت موسى بن
موسى بن جابر . (٢) وهي من بني عجل . (٣) أما أبوه فلم أجد له ذكراً .
وكانت له زوجة يضيق بها ذرعاً وبغضها ويثقل عليه مكانها . فقال معرضاً

بها ، وقد مرَّ بمصلوب على جلع : (٤)

أيا جلع مصلوب أني دون صلبه

ثلاثون حولاً كاملاً . هل تُبادل ؟

فما أنت بالحمل الذي قد حملته

بأغرض مني بالذي أنا حامل

وأنجب ، في ما عرفنا من أولاده ، اثنين : يحيى ، وقد نخطفته المنية
منه فحزن عليه حزن زاهد ، (٥) وعبد الأعلى الذي روي أن أباه كان يسدي
إليه النصيح ويعظه في صفه . وشعره أفصح عن العناية التي كان يوليها في
تربيته ، وقد رآه يلعب مع أحداث لم يرضهم فنصحهم بتركهم . (٦)

(١) القهرست : ٧٠ ، تاريخ بغداد ٥٤ / ٤٠٤ .

(٢) الأبناء ٥ / ١٦١ نقلاً عن المزياني .

(٣) الأبناء ١٣ / ٣٤١ .

(٤) القطة ١٧ .

(٥) القطة ١٩ .

(٦) القطة ٢٥ .

وخاله (١) أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم (١٦٢هـ) ، من رواد التصوف الإسلامي . وقد لقيه شاعرنا في الكوفة حين وفد إليها (٢) ورثاه بعد وفاته . (٣) وليس بعيداً أن يكون له أثر ما في اتحاده — هو الآخر — إلى الزهد . والرجل الأخير الذي نعرفه ممن يمتنون إليه بصلة النسب ، هو عم شاعر اسمه : أبو سماك الأسدي . (٤)

وإلى ذلك ، كانت له جارية شاعرة يقال لها : دنانير ، عرفت بالظرف والذكاء وسعة الثقافة والقدرة على المشاركة في الأحاديث . ومن هنا كان أهل الأدب ودوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر . (٥) وكان يعتز بها ، فلما ماتت حزن عليها ، ورثاها . (٦)

صفاته وشخصيته :

شخصية ابن كنانة شخصية واهد ، أبي النفس ، صالح . ولذلك ، أمسك عن المدح والهجاء . وعلى الرغم من أن حاله رقت وعاش الكفاف ، فإنه أعرض عن انتجاع السلاطن والأشراف يعلمه أو بشعره . وحبنا أن نرجع إلى قوله : (٧)

تَوَلَّيْتُ — أَنْ صُنْتُ عِرْضِي — عَصَابَةً

لَهَا بَيْنَ أَطْنَابِ الثَّامِرِ بَصِصُ

يقولون : لَوْ غَمَضْتَ لَأَزْدَدْتَ رَفْعَةً

فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي ، إِذَنْ ، لِحَرِصُ

(١) وقيل : ابن خاله (الأخاني ١٣ / ٣٤١) .

(٢) الأخاني : ١٣ / ٣٤١ ، نور القبس ٢٩٨ .

(٣) القطعة ٢٤ .

(٤) أنظر شعره في الأخاني ١٣ / ٣٤٤ ، المختار ٧ / ٧٣ ، المهذب ٩ / ٥ .

(٥) الأخاني ١٣ / ٣٢٧ ، المختار ٧ / ٧١ ، التجريد ٢ / ١٥٣١ .

(٦) القطعة ٢٨ .

(٧) القطعة ١٤ .

أَتَكَلِّمُ وَجْهِي - لَا أَبَا لِأَيِّكُمُ -

مطامعُ عنها للكرامِ عيَـصُـرُ ؟
معاشي دوينُ القوتِ ، والعرضُ وافرُ
وبطنِي عن جدوى اللثامِ عيَـصُـرُ
لنجدَه يرفع عقيرته برفض المطامع وعطايا اللثام ، ويحرص على كرامته وعفته .

وهو متواضع ، لا يجد غضاضة في خدمة أسرته . فقد مرَّ في الكوفة ،
وبيده بطن شاه يحملها إلى عياله ، ويعرض عليه رجل أن يحملها عنه فيرفض .
ويقول : (١)

لَا يَنْقُصُ الْكَامِلُ مِنْ كَسَالِيهِ

مَا جَرَّ مِنْ نَفْعٍ إِلَى عِيَالِيهِ
وهناك عنصر آخر من عناصر شخصيته هو أن طاهره وباطنه سواء .
وكان يعكس هذا العنصر عندما أُلْهِى انتعاضه من رجل يمت إليه بصلة ،
كان يحاله ويكتب الحديث وينفقه ويظهر بسكاً وأدباً ، ثم أطلع منه على
باطن يخالف ظاهره ، فقال له : (٢)

مَا مِنْ رَوَى أَدَباً فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ

ويكفَّ عن دَقِّعِ المصوى بأربابِ
حتى يكونَ بما تعلَّمَ عاملاً

من صالح ، فيكونَ غيرَ متعيبٍ
لكن تلك السمات التي امتازت بها شخصيته ، لم تحل بينه وبين حبه للجمال
والطبيعة والظروف .

(١) النظم ٢٢ .

(٢) النظم ٣ .

فقد كان يخرج إلى الخيرة في وقت الربيع مع جارته و صديق له ليعتصم بالطبيعة وجمالها .(١)

وهو ظريف عف ، فقد مرّ في طريق الكوفة بجويرة جميلة تلعب للكعابو(٢)داو بينهما حوا (٣).

قال لها : أنت ، أيضاً ، لوضعت لقالوا : ضاعت جارية . ولو قالوا : ضاعت ظبية كانوا أصدق . قالت : ويلي عليك ، يا شيخ ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا الكلام ؟ ! فكُشف ثم تراجع ، وقال :

وإنسي حلّو نخري ، إن خبرتني
ولكنّ يَعطيني ، ولا ريبَ بي ، شَيْخٌ
تسمت ، وهي تلعب ، وقالت : فما أصنع بك ؟ فقال : لا شيء
وانصرف .

• • •

ولُفّف عند زهده : سمة بارزة من سمات شخصيته ، ولنحدد طبيعته . زهده :

في القرن الثاني . تمازجت عناصر المجتمع وتداخلت وشائج الثقافة وتبلورت آراء ومذاهب في مراكز الحضارة الإسلامية ، ومنها : الكوفة . وعلى النقيض من تيار المحبون ، نشأ تيار آخر إنضمّ إليه فقهاء وزهاد . واتسعت حركة الزهد وتباينت : فأنجاه مثله أبو العتاهية وتأثر فيه بعناصر دخيلة ، لكن ابن كناسة كان من طور الزهد الذي بُلّ من تلك العناصر . فكان زهده اسلامياً محضاً ،(٤) اتسم بالطابع الوعظي .(٥)

(١) الورقة ٨٩ ، الأغاني ١٣ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، بدائع البداهة ٢١٨ .

(٢) الكعاب: تصور النرد .

(٣) الأغاني ١٣/٣٣٨ مذهب الاغاني ٢/٩ .

(٤) أبو العتاهية : ٦٤ .

(٥) أبو العتاهية : ٢٥٢ .

ولا غرو أن للبيئة أثراً في سلوكه سمّت الزهد في الحياة والشعر ، ولربما كان لحاله إبراهيم بن أدهم الزاهد وانصرافه إلى سماع الحديث النبوي وروايته ، أثر واضح في هذا الاتجاه .

ولزهد مظاهر ، منها أنه ترفع عن التذلل للأشراف أو التقرب للسلطان - على الرغم من فقره ، وأثر العيش على الكفاف . واعتد بنفسه وكرامته . لذلك ، لا نعرف له مطامح تدفعه إلى معترك الخلافات المذهبية والسياسية التي عنت في هذا القرن ، وقد جاء بغداد - مصطرع الآراء والمذاهب - وأقام فيها ، كما أسلفنا .

ثقافته وروايته :

ليس برأيدينا ما يبيل الغلة عن تعلمه . وكل ما أُلْمنا به أنه نشأ بالكوفة ، وأخذ عن جلة الكوفيين . والتقى برواة الشعر ويصحاء بني أسد ، وأبرز هؤلاء : جرّمي وأبو الموصول ونحو صدقة (١)

وصار يعرف بالبحرّي الأخباري (٢) ، وذكره الريدي (٣) في الطبقة الثانية من اللغويين الكوفيين .

وشهر ، أيضاً ، بين شعراء الكوفة وعلمائها الرواة للشعر والأخبار والحديث . (٤) وأوردناه ابن سعد (٥) ضمن الطبقة السابعة من طبقات الكوفيين في الحديث . واتفق الذين تحدثوا عنه أن له علماً بالعربية وأيام الناس والشعر .

ونظرة في آثاره التي أشادت المصادر إليها ، تقفنا على تنوع ثقافته وقد لعبت الرواية دوراً بارزاً في تدوين التراث العربي الخالد ، وبخاصة في القرن الثاني الهجري ولابن كناسة حظ في رواية الشعر وأخبار شعراء من يستشهد بشعرهم ، فضلاً عن رواية الحديث

• • •

(١) الفهرست ٤٧٠، الإنباء ٣ / ١٦١ .

(٢) المبر ١ / ٣٥٣ ، طبقات النخبة ١٣٨ ، الثغرات ٢ / ١٧ .

(٣) طبقات النحويين ٢١١ ، النية ١ / ١٢٦ (نقلاً عن الريدي) .

(٤) نورالقيس ٢٩٧ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ .

(٥) الطبقات الكبرى ٦ / ٤٠١ .

أما الشطر الأول من روايته فأطلّ علينا فيه رواية لشعر الكميت بن زيد الأسدي وأخباره (١٢٦هـ) .

فقد أفادنا أبو الطيب اللغوي (١) نقلاً عن أبي حاتم أن ابن كناسة كان يعرف شعر الكميت .

وذكر ابن النديم (٢) أن جماعة روت شعر الكميت عن ابن كناسة ، الذي رواه عن جزي وأبي الموصول وأبي صدقة ، ممن عرفوا برواية الشعر والفصاحة بالكوفة من بني أسد .

وفي الأغاني (٣) والموشح (٤) أخبار وشعر للكميت مروية عن ابن كناسة . حقاً ، أن ابن كناسة ألّف كتاباً في سرقات الكميت من القرآن وغيره لكنه زاد عنه وردّ على إسحاق بن إبراهيم الموصلي حين تتبّع مساوئه وعيوبه في شعره . (٥) وهذا دليل على أنه لم يكن متعصماً للكميت أو عليه .

وروى لنا شعراً وأخباراً لنصيب (٦) (١٠٨هـ) ، وذو الرمة (٧) (١١٧هـ) ، وأبي عطاء السدي (٨) (بعد ١٨٠هـ) .

وروى لقاء أديب بين الكميت ونصيب (وقيل : ذو الرمة) ألقى الكميت فيه شعراً نقده عليه نصيب . (٩) كذلك ، روى عن حماد الرواية خير قصيدة عمر بن أبي ربيعة .

طال لي وتعتاني الطرب

كان الوليد بن يزيد قد استشهده إياها (١٠) .

(١) مراتب التحسين ٤٧٣ .

(٢) الفهرست : ١٥٧ . وانظر : شعر الكميت ١ / ٦٥ .

(٣) الأغاني ١٧ / ٣ ، ٨٤ ، ٢٤٤ ، ٣١٤ ، ٣٤٤ ، ٣٦٤ ، ١٨٠ / ٧ ، ٢١٠ / ٩٠ .

(٤) الموشح ٤٠ ، ١٩٧ .

(٥) الموشح ٤٠ .

(٦) الأغاني ١ / ٣٣٦ ، ٣٥١٤ ، ٣٧٣ .

(٧) الأغاني ١٨ / ٨ ، ٤١٤ .

(٨) الأغاني ١٧ / ٣٢٧ .

(٩) مجالس العلماء ١٨١ ، الموشح ١٩٣ .

(١٠) الأغاني : ١ / ١٤٠ .

وذكر ابن كناسة أنه رأى عائكة التي وردت في شعر الأحوص :
بايت عائكة التي اتعزك (١)

• • •

وهذا شطر آخر ، له أثره وخطره ، هو أنه محدث . فلقد روى
لائمة عرفواني وقته بالثقة ، عن طريق السماع . (٢) ومنهم (٣) هشام
ابن مروة بن الزبير (— ١٤٥ أو ١٤٦هـ) ، وأبو محمد سليمان بن مهران الأعمش
(— ١٤٨هـ) ، وميسر بن كيدام (— ١٥٣هـ) ، وعمر بن ذر الهمداني
(— ١٥٣هـ) ، وجعفر بن برقان (— ١٥٤هـ) ، وفطر بن خليفة (— ١٥٥هـ) ،
وعبد العزيز بن أبي داود (— ١٥٩هـ) ، وسفيان الثوري (— ١٦١هـ) ،
والمبارك بن فضالة (— ١٦٤هـ) ، ويحيى بن أبي الهيثم العطار . (٤)

ونص الخطيب البغدادي على أنه وفد إلى بغداد وروى عن : هشام بن
عروة ، واسماعيل بن أبي خالد ، وسليمان الأعمش وجعفر بن برقان . (٥)
ومن هنا . فإنك لو أخذ أصحاب الحديث بكتروا عليه ويحتملون
ليكنوا عنه ما يروى لهم من الأحاديث السوية . (٦)

لكن ما حجب رواياته ؟ أمامنا رواية تقول : وقد حُمل عنه شيء من الحديث (٧)
وأخرى تشير إلى أنه روى حديثاً كثيراً . (٨) وثالثة تذكر أن له رواية في

الحديث . (٩)

(١) الأغاني : ٢١ / ١٠٢ .

(٢) الأنبا : ٢ / ١٦٠ .

(٣) المرح والتصديق ٢ سج ٣ ص ٣٠٠ . الأغاني ١٣ / ٣٤٥ ، الأنساب ٤٨٧ ب الباب

٣ / ٥٢ ، نورالقبس ٢٩٧ ، ميزان الاعتدال ٣ / ٩٢ ، المعبر ١ / ٣٥٣ ، طبقات النعاة ١٣٨

تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ ، لسان المزان ٦ / ٦٩٤ ، شذرات الذهب ٢ / ١٧ .

(٤) ورد اسمه في كتب الرجال ، لكن وفاته فيها غفل .

(٥) تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ .

(٦) الأغاني ١٣ / ٣٤٣ .

(٧) الأغاني ١٣ / ٣٣٧ ، والتجريد واختار والمهذب وأظن : المماز ٥٤٣ .

(٨) الأغاني ١٣ / ٣٤٦ .

(٩) الأغاني ١٣ / ٣٤٥ ، والتجريد .

وابو الفرج الذي قدم الرواية الثانية مرتين ثبتت الرواية الأولى في مستهل ترجمته له .
وابن واصل الحموي الذي أورد الرواية الثانية في آخر ترجمته له ،
نص على الرواية الأولى في أولها .
ومهما يكن من اضطراب ، فإن الأحاديث التي وصلت إلينا مروية عنه يسيرة (١) .

• • •

كذلك ، فثم ثقات من المحدثين رووا عنه . (٢) وذكر القفطي (٣) أن الجهم الغفير قد روى عنه .

ومن روى الحديث عنه (٤) أبو خيثمة النسائي (٢٣٤هـ) ، ومحمد بن عبدالله بن نمير (٢٣٤هـ) ، وأبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ) ، وأبو كريب (٢٣٩هـ) ، وأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ، وعبدالله بن الحسن الهاشمي (٢٤٥هـ) ، وحديد بن زعيويه (٢٥١هـ) ، ومؤمل بن اهاب (٢٥٤هـ) ، وأحمد بن منصور الرمادي (٢٦٥هـ) ومحمد بن اسحاق الصاغاني (٢٧٠هـ) ، وأبو علي الحسن بن علي بن القرات الكرمانى (بعد ٢٨٦هـ) ، وإبراهيم بن اسحاق ابن أبي العنيس ، وأحمد بن حازم أبي غرزة ، وأحمد بن سعيد الجمال ، وأحمد بن عبدالله بن ادريس الترمي ، وأحمد بن يونس الضبي ، والحارث بن أبي أسامة ، ومحمد بن سعد العوفي ، ومحمد بن الفرج الأزرق .

وليس عجيباً أن يروى عنه الثقات من المحدثين ، فالصدق والنسب والثقة من السمات التي أضيق عليه في رواية الحديث . فقد وثقه يحيى بن معين

(١) الأغاني ١٣ / ٢٤٦ ، تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ ، والتجريد واختار .

(٢) الأغاني ١٣ / ٢٤٥ .

(٣) الانباء ٢ / ١٦٠ .

(٤) الطبقات الكبرى ٦ / ١٠١ ، تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ ، الأنساب ٤٨٧ ب ، الباب ٣ / ٥٢ ،

الوافي ٥ / ٣٧٧ ، مات ابن سعة ١٣٨ ، لسان الميزان ٦ / ٦٩٤ ، تهذيب التهذيب ٢٥٩/٩

(- ٢٣٣هـ) ، وأبو داود وعلي بن المديني والعجلي ، (١) وذكره محمد بن حبان (- ٣٥٤هـ) في «الفتا» (٢).
وانفرد أبو حاتم الرازي (- ٢٧٧هـ) بالقول : أنه كان صاحب أدب وأخبار ، يكتب حديثه ولا يحتج به (٣).
وقال الذهبي (- ٧٤٨هـ) : «فيه لين» (٤).
آثاره

لم يقصر ابن كنانة نشاطه العلمي على رواية الشعر والاحبار واحديث وانما امتد إلى التأليف فكانت له ثلاثة كتب ، وعلى الرغم من أننا لا نعرف من أمر بعضها إلا اسمها وموضوعها. فإنا لصاحبها فيها ثقافة متعددة تلك هي :
(١) كتاب ((معاني الشعر)) .

(٢) كتاب ((سرفات الكميت من القرآن . وعبره)) .
ويعد هذا الكتاب من قدم الكتب (٥) في بحث في السرقوت بعد اشتداد الجدل بين النقاد حول الشعراء . (٦)
(٣) كتاب الأنواء . ذكره أبو الطيب اللعوي فقال (٧)
له كتاب في النجوم على مذهب العرب ((.
وأبو حنيفة الدينوري (- ٢٨٨هـ) كما يحكي عن ابن كنانة أشياء كثيرة عن الكواكب (٨) منفرد لما مسرد مستفلاً .

-
- (١) تاريخ بغداد ٤٠٧ / ٥ ، الانباه ١٦٠ / ٣ ، نور القيس ٢٩٧ ، ميزان الاعتدال ٣ / ٥٩٢ ، الوافي ٤ / ٣٧٧ ، طبقات النحلة ١٣٨ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ ، لسان الميراث ٦ / ٦٩٤ ، شذرات الذهب ٢ / ١٧ .
(٢) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ .
(٣) البحر والشميل ٢٢ مج ٣ ص ٣٠٠ ، طبقات النحلة ١٣٨ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٩ ، ميزان الاعتدال ٣ / ٥٩٢ ، شذرات الذهب ٢ / ١٧ .
(٤) طبقات النحلة ١٣٨ .
(٥) الفزوي وشروح التلخيص ٤٦٢ ، مشكلة السرقوت في النقد العربي ٧٧٠، ٧٦٠، ٧٧٠ .
(٦) سرفات أبي نواس / المقدمة ص ٨ .
(٧) المعارف ٥٤٣ ، مراتب التحسين ٧٣ .
(٨) كتاب الأنواء لابن قتيبة / المقدمة .

شعره :

لم يعن الرواة بشعر ابن كتناسة اذ ليس بين ايدينا ذكر لديوانه . وكل ما عرفناه أن شعره وقع في خمسين ورقة . (١)
 لكن الذي لا شك فيه هو أن ما وصل اليها منه قليل . ونذكر على ما نقول ديباجة القطعة (١٦) : ((وقال من قصيدة طويلة)) ثم وردت ، أربعة أبيات منها . ونسوق ذليلاً آخر : فقد كان حاصراً الدهن في قول الشعر مرتجلاً له (٢) ولعل ذلك يرجع إلى عزوفه عن الاشراف والخلقة ، وقصر نفسه الشعرى وتمسكه بالرهد الاسلامي الخالص فلا بلغت النظر الرواة ويغريهم بتدوينه وانصرافه إلى العلم والمعرفة بعيداً عن الحياة التي كانت تبع الخلفاء السياسية والمذهبية ، حتى أنه شاعر من المحدثين لم يفتح بشعره الاصحى (٣) لكن بعض العلماء والشعراء أنشدوا شعره . منهم أبو محمد اسحاق بن ابراهيم الموصلى (٤) - كان على صلة قوية به - وأبو عبيدة (٥) (- ٥٢٠٨ هـ) والثوري السجزي (٦) (- ٥٢٣٠ هـ) ، ودعلج بن عمر الخراي (٧) (- ٥٢٤٦ هـ) والجاحظ (٨) (- ٥٣٥٥ هـ) والمبرد (٩) (- ٥٢٨٥ هـ) وثعلب (١٠) (- ٢٩١ هـ) أما المصادر الرئيسة التي حوينا عليها في تحريجات شعره فهي : البيان والتبيين والحيوان ، وكتاب الأنواء لابن قتيبة ، والمنازل ، والورقة ، والبديع والتشبيهات والاغانى ، والقهرست وأمالى المرتضى ومحاضرات الادباء ، ونور القبس والوافى ، والصبح المنبى . والمصادر الأخرى تعضدها وتوثقها .
 وآن لنا أن نتناول موضوعات شعره الموزعة بين الزهد والرثاء والنوصف والفخر .

- (١) الفهرست : ١٦٤
- (٢) الأغانى : ١٣ / ٣٤١ .
- (٣) مراتب النحويين ٧٣ .
- (٤) الأغانى : ١٣ / ٣٤٠ .
- (٥) أسنى القائل ٢ / ٢٠٤ .
- (٦) الورقة ٨٨ .
- (٧) الورقة ٨٨ .
- (٨) الورقة ٨٨ .
- (٩) معجم الادباء ١ / ١٤٣ .
- (١٠) الورقة ٨٦ ، زهر الآداب ٤٧٩ .

وأول ما يهنا منها شعره الزهدي : فهو صورة صادقة لحياته وسلوكه والوعظ هو السمة التي غلبت عليه . بحيث اتسعت به وسواه حركة اسهام الشعر في ميدان الوعظ (١) .

هو ، إذن ، وقف موقف الواعظ في شعره . ولم يشأ أن يدع ابنه وجده يلعب مع أحداث لا يطمأن اليهم ، دون أن يعطه وينصحه باختيار الصديق الصالح . وراح يضع بين يديه صفات الصديق الطالح ، وهي ترك الصلاة ، والتهاون في أدائها ، وهجر الخدين والمرء يتهم بما يتهم به قرينه (٢) .

ولم يسكت على رجل من عشيرته أطلع منه على باطن لا يتفق مع صاهره في كتابة الحديث وطلب الفقه واطهار الادب والنك ، فقال له : (٣)
ما روى من أدبنا فلم يعمل به

ويكف عن دفع الهوى بأريب

حتى يكون بما تعلم عاملاً
من صالح فيكون عبرة معيب

وأكد على طلب العلم ودعا إلى قراءة القرآن وبجالة (٤) العلماء وطلب الآداب ، لكنه يرى ألاغناء في ذلك كله ما لم يقترن بالتقوى (٥) .
وخاطب الانسان مبدئياً أشد العجب منه ، وهو يتشبث بالقاء ونهايته سلطان الهوى (٦) .

واتساع الاشراف والسلطان من الخزيات - في رأيه - ويريد أن يلقي

(١) أبو النخعي ٢٥٢

(٢) الأغاني ١٣ / ٣٤٤

(٣) القطة ٣ .

(٤) القطة ٤ .

(٥) القطة ١٨ .

(٦) القطة ٦ .

ربه ولم تخالطه منها ذنية، فالتذلل، للحصول على المال . مناقض لاعتداده بنفسه وعفته . (١)

وله مراث ، استسلم فيها لارادة الله ورضاه بها . ولهذا ، لم يطالعنا ، بصور الاسى واللوعة والصبر الذي اضطر عقده ، على الرغم من أن من بين الذين رثاهم : ابنه وخاله وجاريته .

والصفات التي ندبها فيهم غير تلك التي ألقاها . وانمازت مراثيه القصيرة بصدق العاطفة ، فأفصحت عن نفثات انسانية للصلات الاجتماعية . وفي مقدمتها : مراثيه في ابنه يحيى . قال : (٢)

وسميته يحيى ليحيوا لم يكن

إلى ردّ أمر الله فيه ميل

فكبت مشاعر هزته بالانسلام لأمر الله ، ومن هنا لم يطل المراثية ، وانما قصرها على بيتين .

وأطول مراثية له في حله إبراهيم بن آدم العابد ، واستغرقت عشرة أبيات (٣) . وخاله فيها قد تخلّى عن الدنيا وما فيها من مستنقع وغنى ، وسيطر حلمه على جهله ، وهو صامت في أكثر ما تلقاه ، لكنه اذا قال بزّ وأفحم ، وهو مستكين ، خاشع متواضع ، لكنه ليث في الكريمة .

وفي جاريته : دنانير ، حمد الله ووحده ، ثم عزا قلة ما قال من شعر في رثائها إلى شدة الحزن التي أفحمته على ما ذكر . (٤)

وحين رثى اسحاق بن القاسم بن الاشعث (٥) امتزج مطلع الرثاء بتجربة انسانية ، هي : ألا مفر من المنيّة . والصفات التي اسبقها عليه : السماحة والنزاهة والنهي ، ومكارم الاخلاق .

(١) القطعة ١٤

(٢) القطعة ١٩

(٣) القطعة ٢٤

(٤) القطعة ٢٨

(٥) القطعة ١٦

ولما مات حماد الراوية رثاه (١) بأنه أخو ثقة وصافي الود وبذاهبه
فساد الزمان وفناء العلم .

وله قطعتان بوصف الطبيعة (٢) في الكوفة وما جاورها أيام الربيع فالكوفة
وسط في ارتفاعها فلا تبرد ولا تشتد حرارتها فصفا العيش فيها وطاب .
ومضى في القطعة الثانية يذكر مواضع ، مثل : محل الخيام في النجف
فوق الجنان والأنهار ، والرحى والسدير والحيرة البيضاء ، والقرات ، والمسحاح
المعمور .

وفي وصفه للحيوان قصره على الترس ، وصف مشيه الاعتدال
ووصف سرعته بالعقاب تطلب العسبار ، في المطر .

وفي وصف الحرب : وقف عند نارها ، بأنها عارض من حديد وتار .
وتلقانا مقطوعة واحدة من شعره في العجر شمس وأخلاقه ، وهذه .
المقطوعة تعكس لنا نسيبه المتساعفة ، ولا عجب أن يفخر الشاعر بها ،
وهو يعبر عن ذاته . وخلفه يقوم على حائط الإحياء والصن به . لذلك .
فهو يغضي عن أمور كثيرة ولو حرص عليها لقطعت صلته بصاحبه . فهو
يجعل ما يأتي عبره وليس يباهل ويستمر ما أراد الآخر لئلي أن يستمر ولا
يسأل عن شيء حيل بينه وبينه .

ومن العسير أن نصدر أحكاماً قطعية عن مقومات شعره ، مما جمعناه له
لكننا - على أية حال - نستطيع القول : أنه جرى فيه مع الطبع في طريقة
تعبيره وعرض أفكاره .

وهو لم يكن يقصد إلى بعض ألوان البلاغة التي وردت في شعره دون
تكلف . وبعض كتب البلاغة ، تعرض لنا قوله في « التجنيس » : (٣)

(١) القطعة ٣ (من النوب له) .

(٢) القطعة ١٠ ، ١١ (من النوب له) .

(٣) البديع ٢٦ .

وسميتُ يحيى ليحيا ، ولم يكن
إلى رد أمر الله فيه سبيلُ

وب : الانسجام : (١)

في اقتباس وحشمة ، فإذا

لاقتُ أهل الوفاء والكسرم

خليتُ نفسي على سجيّتها

وقلتُ ما قلتُ غير محشم

ومما يلت النظر أنه عبر عن ذاته وسلوكه في أصالة وصدق ومعانيه
في موضوعات شعره مستقاة من رؤاه المعاصرة ، ومعرضة في أسلوب خطابي
وعظمي ، متجاوزاً التقاليد الموروثة ، وبخاصة في البناء المقدمة ، على الرغم
من أنه كان راوية للشعر .

ويمكن أن نلحظ ذلك ، إلى مدرسة التجديد من مدرّس الشعر في القرن
الثاني . (٢)

ما وصل اليها من شعره

— البهاء —

— ١ —

التخريج :

الورقة ٨٩ . الأغاني ١٣ / ٣٤٣ . مهذب الأغاني ٩ / ٤ .

قال في وصف الكوفة :

(من مجزوء الرمل)

(١) سبُلْتُ عن بَرْدٍ أَرْضٍ

حَلَّهَا الْبَرْدُ عَذَابَا

(١) أنوار الريح ٤ / ٦٥ .

(٢) أهر الشامية ، ٧٥ - ٨٥ .

- (٢) وعَلَتْ عَنْ حَرِّ أُخْرَى
تُلْهَبُ النَّارَ التَّهَابَا
(٣) مَزَجَتْ حَرًّا بِبَسْرَدٍ
فَصَفَا الْعَيْشُ وَطَابَا

- ٢ -

التخريج :

كتاب الأنواء ١٩٢ ، الأزمنة والامكنة ٢ / ٣٢٨ .
قال في كيفية الاعتداء بالنجوم ، وذكر طريق مكة :
(من الطويل)

- (١) يَوْمُ النُّجُومِ السَّابِعَاتِ مِنَ الَّتِي
تَأْوِبُ إِلَّا أَنْ تَأْوِبَ عَقْرَبُ
(٢) فَإِنْ هِيَ آتَتْ فَالْتَمَّامُ أَمَّا
وَلَدَهَا ثُمَّ السَّوَابِغُ أَصُوبُ •

التخريج

الأغاني ٣٤٤/١٣ . أدب الدنيا والدين ٣٩ . مهذب الأغاني ٤/٩ .
قال في رجل من عشيرته خالف ظاهره باطنه :
(من الكامل)

- (١) مَا مَنَّ رَوَى أَدْبًا قَلَمٌ يَعْمَلُ بِهِ
وَيَكْفَى عَنْ دَفْعِ الْمَسْوَى بِأَرِيْبِ
(٢) حَتَّى يَكُونَ بِمَا تَعْلَمُ عَامِلًا
مِنْ صَالِحٍ ، فَيَكُونَ غَيْرَ مُعَيَّبِ
(٣) وَلَقَلَّمَا تُغْنِي لِصَابَةِ قَائِلِ
أَفْعَالُهُ أَفْعَالُ غَيْرِ مُصِيبِ

• انظر في تفسير التبيين النص « ١٢ » من « أنواء » ابن كثرة ، الوارد تلو هذه للجسرة الشعرية .

— التاء —

— ٤ —

التخريج :

نور القبس ٣٠٠

قال في العلم

(من الوافر)

(١) وَمَنْ قَرَأَ الْكِتَابَ فَأَدَّبَتْهُ

من القرآن آي محكمات

(٢) وَجَالَسَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ حَتَّى

وعى ما ثورَ قولهم فماتوا

(٣) وَطَالَبَ سَائِرَ الْأَدَابِ حَتَّى

نقصَرَ عن مبالغه الصفات

(٤) رَوَى فَوَعَى ، وَقَالَ فَسَاعَدَتْهُ

بأربع الكلام المعجزات

(٥) فَإِنْ يَكُ ، بَعْدُ ، مُنْقَبِحًا تَكَامَلُ

له المتخيرات الصالحات

(٦) وَإِلَّا ، فَهُوَ مَأْفُونٌ شَقِيٌّ

بما ساعدت به قبل النجاة

— الخاء —

— ٥ —

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٣٣٨ ، مهذب الأغاني ٩٠ / ٢ .

قال يداعب جويرة في طريق الكوفة

(من الطويل)

(١) وَإِنِّي لَحُلُّوْ مَخْبِرِيْ إِنْ خَبَرْتَنِيْ
وَلَكِنْ يُغْطِبْنِيْ ، وَلَا رَيْبَ لِيْ . شَبَّحْ
— الدَّال —

— ٦ —

التخريج :

الآيات في : الأغاني ١٣ / ٣٤٢ ، وتجريد الأغاني ق ٢ / ١ / ١٥٣٢
ومهذب الأغاني ٩ / ٣ .
وفي مختارات الأغاني ٧ / ٧٣ : (١ ، ٢ ، ٤ ،) .
وفي : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ : (١ ، ٤) .
قال في الدنيا والنفس :

(من الخبر)

- (١) وَمَنْ عَجِبِ الدُّنْيَا تَفْتِكَ لِلَّيْلِ
وَأَنْتَ فِيهَا لَبَقَاءٌ مُرِيدٌ !
(٢) وَأَيُّ نَبِيٍّ الْأَيَّامُ الْوَعْدَهُ
مَنْ الدَّاهِيَةُ ذَنْبُ طَارِفٍ وَلَيْدٍ ؟
(٣) وَمَنْ يَأْمَنُ الْأَيَّامَ ؟ أَمَا انْبِيعُهَا
فَخَطَرٌ ، وَأَمَا فَجَعُهَا فَعَتِيدٌ
(٤) إِذَا اعْتَادَتِ النَّفْسُ الرُّضَاعَ مِنَ الْمَوَى
فَإِنَّ فَطَامَ النَّفْسَ عَنْهُ شَدِيدٌ

التخريج :

الورقة ٨٨ ، الأغاني ١٣ / ٣٤٢ ، تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٧ . الأسباب ٤٨٧ ب .
اللباب في تهذيب الأنساب ٣ / ٥٢ . إنباه الرواة ٣ / ١٦٠ . ا . في ٤ / ٣٧٨ .
مهذب الأغاني ٩ / ٣ .

(٣) الانبياء : الوثوب يمد سكون . والخطر : ضرب القمل يذنيه يمد . وشمالا .
التحيد : الحاضر للهيأ .

قال في آخر عمره رداً على معتبة من صديق :
(من الطويل)

(١) ضَعُفْتُ عَنِ الْإِخْوَانِ حَتَّى حَقَوْتُهُمْ

على غيرزهد في الإخاء ولا الود

(٢) وَلَكِنْ أَيَّامِي تَخَّرَ مِنْ مُنِّي

فما أبلغُ الحاجات إلا على جهْد

التخريج :

الوافي ٤ / ٣٧٨ .

قال بعدما أَسْنَّ :

(من البسيط)

(١) كَأَنَّ سَبْعاً مَضَتْ لِي فِي تَصَعُّدِهَا

إلى الثمانين كانت غُدوة الغادي

(٢) لَمْ يَنْقُصْ مِنْ مَرَّهَا إِلَّا تَذَكُّرُهَا

كأنهم في قول إمرائي راضعادي

التخريج :

الحيوان ٥ / ٥٥١

قال يصف فرساً :

(من الخفيف)

(١) يَكْتِفُ الْمَشْيَ كَالَّذِي يَتَخَطَّى

طُنباً أَوْ يَشْكُ كَالْمُتَمَادِي

(٢) تُحْرَمُ : احتلح واستعمل .

المئة : القوة .

(٢) الإمراع ها : الاعتدال . والإمراع والإصداد . من الأصداد

(السان / صد) .

(١) يكتف المشي : حرك كتفيه إذا مشى .

الطنب : حيل الخيل .

يشك : يفر في جريه ، يفتنم .

المتماضي : القويج .

التخريج :

الورقة ٨٧ .

قال في الكوفة ونزهتها :

(من الخفيف)

- (١) أي مَبْدَى ومنظرٍ ومَزَارٍ
(٢) في مَحَلِّ الخيامِ ، في النجفِ
(٣) فالرَّحَى ، فالسَّيْر فالحيرة البـ
(٤) فإ... فحلجاتُ القُرَاتِيَّةِ
(٥) فالفراتُ المُغِيرُ يُحْتَي على الكو
(٦) مَسْجِدٌ كان من على وسعدٍ
التخريج :

الحَيوان ١ / ١٨٢ . المعاني الكبير ١ / ٢٨١ . الورقة ٨٨ .

قال يصف فرسا .

(من الخفيف)

- (١) كالعُقَابِ الطُّلُوبِ يضربها الطَّلَلُ ، وقد صَوَّبْتُ على عَيْسَبَارٍ
التخريج :

الحَيوان ٥ ١٣٣

قال في نَارِ الحَرْبِ :

(من الخفيف)

- (٤) صدر البيت مضطرب ، لم يَتَبَيَّنْ لَنَا تَمَلُّهُ وَوَجْهَهُ .
(٥) التَّقْوَارُ : المُنْظَرُ مِنَ الْأَرْضِ .
(٦) أَرَادَ الْأَمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (- ٤٠هـ) وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ (- ٥٥هـ) وَعَسَدُ بْنُ يَسَرَ (- ٢٧هـ) .

- (١) خَلَقَتْهَا عَارِضٌ يَمْدُ عَلَى الْآ
(٢) نَارُ حَرْبٍ يَشُكُّهَا الْحَدُّ وَالْحَدُّ دُ ، وَتَعْشِي نَوَافِدَ الْأَبْصَارِ : من حديد ونار

— الشَّيْن —

—١٤—

التخريج :

نور القبس ٢٩٨ .

قال في اشتداد الحرِّ والعطش في رمضان :

(من البسيط)

بين العِشاء وبين العصر منزلةٌ
يكاد يذبحُ فيها الصَّائمُ العطشُ

— الصاد —

—١٥—

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٣٤٠ ، مذهب الأغاني ٩ / ٣ (١ - ٦٠٤) .

الآيات في : مختار الأغاني ٧٢ / ٧٢ .

قال في كرامته وعزة نفسه عن انتجاع السلطان

(من الطويل)

- (١) تَوْتَنِي - أَنْ صَنَّتْ عَرَضِي - عَصَابَةٌ
(٢) يَقُولُونَ : لَوْ عَمِضْتَ لَأَزْدَدْتَ رَفْعَةً
(٣) أَنْكَلِمُ وَجْهِي - لَا أَبَا لَأَيِّكُمْ -
(٤) مَعَاشِي دُونَ الْقَوْتِ ، وَالْعَرَضُ وَافِرٌ
لَهَا ، بَيْنَ أَطْنَابِ اللَّثَامِ ، بِصِيصُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي إِذْنُ ، لِحَرِيصٍ !
مَطَامِعُ عَنْهَا لِلْكَرَامِ حَمِيصُ ؟
وَبَطْنِي عَنْ جَدْوَى اللَّثَامِ خَمِيصُ

(١) المارص . السحب المتربس في الألق ، وأراد الجيش .

(٢) تشي : تقصف .

النوافذ : حديدات البصر .

(٤) الجدوى : السقية . غيمس البطن : صابرها

(٥) أَعَزُّ وَأَزْكَى مِنْ ثَرَاءٍ يُحْنَهُ
(٦) سَأَلْتُ الْمَنَايَا لَمْ أَخَالِطْ دَنِيَّةً

— العين —

— ١٩ —

التخريج :

الصبح المنبي ٢١٨ .

قال :

(من الطويل)

تَرَى خَيْلَهُمْ مَرْبُوطَةً بِقَبَائِهِمْ وَفِي كُلِّ قُطْبٍ مِنْ مَنَابِكْهَا وَقَعُ

— القاف —

— ١٧ —

التخريج :

نور القبس ٢٨٢ .

قال في رثاء إسحاق بن القاسم بن الأشعث • من قصيدة طويلة :

(من الكامل)

(١) هَلْ لِلشُّفُوسِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَاقٌ أَنِّي بَوَلِيسٌ عَلَى الْمَتَبَةِ بَاقٍ
منها

(٢) إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالزَّاهِمَةَ وَالنَّهْيَ كَنَسْتُ فِي حَرِّكَ عَلَيْكَ رَقَاقٍ

(٣) وَإِذَا بَرَزْتَ بِهِ بَرَزْتَ بِمَرْتَدٍ مَتَازِرٍ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
ومنها :

(٤) وَإِذَا غَشِيَتْ دِيَارَهُ خَنْقَتُنِي حَتَّى أَحْتَلِلَ بِالْبِكَاءِ خَنَاقِي

— اللام —

— ١٨ —

التخريج :

الورقة ٨٧ . الأغاني ١٣ / ٣٣٩ . تجريد الأغاني ق ١٥٣٢ / ١ / ٢ .

مهذب الأغاني ٣ / ٩ .

(٥) أسوس : شديد .

(٦) القلوص : الثالثة الشابة .

• لم أفت على ذكره .

قال يعرض بامرأته ، إذ مرّ بمصلوب على جذع :

(من الطويل)

- (١) أبا جذع مصلوب أنى دون صلبه ثلاثون حولاً كاملاً ، هل تُبادل ؟
(٢) فما أنت بالحِمْل الذي قد حملته بأغرض متى بالذي أنا حامل !

-١٩-

التخريج :

نور القيس ٢٩٩ .

قال في طلب العلم :

(من الطويل)

- (١) تعلّم ، فليس المرء يُخلق عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل !
(٢) وإن كبير القوم لا علم عنده صغير : إذا التفت عليه المخافل

-٢٠-

التخريج :

البدیع ٢٦ . معاهد التصبص ٢٠٨/٣

الورقة ٨٦ . الصناعی ٣٢٨ (دور عزّو) . زهر الآداب ٤٧٩ ،

انباء الرواة ١٦١ ، نور القيس ٢٩٧ : (٢ ، ١) .

أنوار الربيع ١٥٥/١ : (١) .

قال في رثاء ولده يحيى :

(من الطويل)

- (١) وسمّيته يحيى ليحيا ، ولم يكن
للرد أمر الله فيه سبيل
(٢) تيممت فيه الفأل حين رزقته
ولم أدّر أن الفأل فيه يغفل

-٢١-

التخريج :

الآيات في نور القيس ٢٩٩ .

(٢) أغرض : من الغرض ، وهو الفجر والملاح .

(٢) يغفل : يخطئ .

وفي : الوافي ٣٧٩/٤ : (٢ - ٥) .
قال مفاخرآ بنفسه وأخلاقه :

- (١) وما أنا في ما بينه أخرحتُ داخل
ولا أنا عمتا حيزَ دوفي بسائل
(٢) إذا المرءُ يوماً ، أغلقَ البابَ مُرتجلاً
ليستُرَ أمراً كنتُ كالمُتغافل
(٣) وأعرضُ حتى يَحْشِبَ المرءُ أننسي
جهلتُ الذي يأتي ، ولستُ بجاهل
(٤) وإني لأعْصِي عن أمورٍ كُتِبَ لـ
وفي دونها قطعُ الحبيبِ المواصل
(٥) حياءاً وضيأً بالإخاءِ وعُتْبَةً
إذا ضيَّعَ الإخوانُ عقدَ الحبال

-٢٢-

التخريج :

الشيئات ٢/٢ /

قال :

- (١) أ بوك أدْهَى التَّجَادِ حَامِلُهُ
كم من كسي آدَمٍ ومن بطلٍ
(٢) يأخذُ من ماله ومن دمه
لم يُمْسِ من ثأيرٍ عسلى وجل

-٢٣-

التخريج :

الأغاني ٣٣٩/١٣ ، تاريخ بغداد ٤٠٦/٥ . محاضرات الأدباء ١٢٧/١

(١) التجاد: حمل السيف .

الآدم من قتل : الأسير .

(دول عزو) . إنباه الرواة ٣ / ١٦٠ . نورالقيس ٢٩٧ . مختار الأغاني ٧ / ٧٢ مهذب الأغاني ٦/٩ .
قال فيمن يحلم عياله :

(من الرحر)

لا يَنْقُصُ الكاملَ مَنْ كَالِه
ما جرَّ مَنْ قَعِرَ إلى عِيَالِيهِ
- الميم -
- ٢٤ -

التخريج :

نور القيس ٣٠٠ .

قال في النعمة :

(من الرمل)

- (١) حَسَدُوا النِّعْمَةَ لِمَاطِئِهَا ~~سَرَتْ~~
فَرَمَوْهَا بِأَبَاطِيلِ الْكَلِيمِ
(٢) وَإِذَا مَا اللَّهُ ~~لِيَ~~ ^{لِي} نَعِمَةً
لَمْ يَنْقُصْ رِثَاقُهَا قَوْلُ خُذَا النِّعَمِ
- ٢٥ -

التخريج :

الفاضل ٩١ : (١ ، ٥ ، ٧ ، ٨) .

الورقة ٨٨ : (١ - ٤ ، ٧ ، ٥ ، ٨) .

الأغاني ١٣/٣٢٧ : (١ ، ٤ ، ٨) .

الأغاني (مرة) ١٣/٣٤١ : (١ ، ٤ ، ٧ ، ٨ - ١٠) .

الأماي ٢ / ٣٠٤ : (٧ ، ٨ ، ٤) .

زهر الآداب ١٩٩ : (١ ، ٤ ، ٨ ، ٥ ، ٧) .

نورالقيس ٢٩٨ : (١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩) .

تجريد الأغاني ق ١/٢ ١٥٣١ : (١ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) .

الواني ٤ / ٣٧٨ : (١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩) .

مختار الأغاني ٧/٧١ : (١ ، ٤ ، ٨) .

مهذب الأغاني ٢/٩ : (١٠٠٧٠٩٠٨٠٦٠٤٠١)

قال في رثاء إبراهيم بن أدهم .

(من الطويل)

- (١) رأيتك لا يُغْنِيكَ ما دونك الغنى
- وقد كان يُغْنِي دون ذاك ابن أدهم
- (٢) أخاك يَحْمِي سيفه ولسانه
- حماك ، ولا يَغْنِي لك الدهر عرما
- (٣) تخلى من الدنيا ، وكان بمنظر
- ومستمع فيها أنيسق وأنعم
- (٤) وكان يرى الدنيا صغيراً كبيراً
- وكان لأمر الله فيها عظيماً
- (٥) يُشيعُ العبي ، إن قاله ، وكأنتم
- بلاقي به البأساء عيسى بن مريم
- (٦) وللجلم سلطان على الجهل عنده
- فما يستطع الجهل أن يترمرم
- (٧) أخاف الهوى حتى تحبه الهوى
- كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما
- (٨) وأكثر ما تلتفاه في القوم صامتسماً
- وإن قال بذ القائلين فأفحم
- (٩) يرى مستكيناً خاشعاً متواضعاً
- وليلاً إذا لاقى الكريمة ضيفاً

هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العبلي أو التميمي البجلي ثم الشامي . من الزهاد
الاعلام . مات سنة ١٦٢ هـ .

(خلاصة تلخيص الكمال ١٣)

(٦) يترمرم : يترك فاه للكلام .

(١٠) على الحدث الغربي من آل وائـــــــــــــــــل
سلام وبر ما أبر وأكسر مــــــــــــــــا
التون
- ٢٦ -

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٣٤٣ . مهذب الأغاني ٩ / ٤ .

قال ينصح انه عبدالأعلى في اختيار الصديق :

(من مجزؤ الكامل)

- (١) يُنِيكَ عَنْ عَيْبِ الْقَتـــــــــــــــــلِ
تَرْكُ الصَّلَاةِ أَوْ التَّحْدِيــــــــــــــــثِ
 - (٢) فَإِذَا تَهَاسَوْا بِالْمُتـــــــــــــــــلِ
فَعَالِيهِ فِي النَّاسِ دِينُ
 - (٣) وَيَزْنُ دُوَ الْحَسَدَاتِ الْمُتَرْبِـــــــــــــــــلِ
بِمَا يُرْنُ لَهُ الْقَرِينُ
 - (٤) إِنَّ الْعِيـــــــــــــــــلَ إِذَا تَكُنَّ
شَقَهُ الْمُتَرْبُ - هُوَ الضَّيْنُ
- ٢٧ -

التخريج :

نور القبس ٣٠٠ .

قال في الكبر وإرادة الله ، سنة ١١٦٣ هـ :

(من الطويل)

- (١) عَلَى حِينٍ أَنْ شَابَتْ لِدَائِي وَلَمْ أَشِــــــــــــــــبْ
فَمَنْهَا لِحَسَى مُيُضَّةٌ وَقُرُونُ

(٣) زَنْ : نَهَم .

(٤) قَفْصَيْنِ : التَّمَم .

- (٢) وَنَاصِيَتُ رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ ، فَأَقْبَلْتُ
 قِسَاوَةً جَنَّتِي الشَّابَّ تَلْبِيسُ
 (٣) إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَزَيَّنَّا
 يَقُولُ لَهُ : كُنْ ! قَوْلُهُ فَيَكُونُ
 (٤) وَيَعْنِي الْفَتَى بِالْأَمْرِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 مِنْ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا عَلَيْهِ مُعِينٌ
 - ٢٨ -

التخريج :

نورالتبصير ٣٠٠ .

قال في المدح

(من مجزوء الكامل)

- (١) أَتَدْعُو عَلَى أَعْدَائِهِ
 مَا بِنُ يَلْبِيسُ وَلَا يَهْمُونَ
 (٢) فَلِذَا تَمْكُنْ مَتْنَسِمُ
 فَهَنَّاكَ أَحَلَسِمُ مَا يَكُونُ !
 - ٢٩ -

التخريج :

الأغاني ٣٤٥/١٣ . مختار الأغاني ٧٤/٧ . مهذب الأغاني ٥/٩
 قال في رثاء جاريته ، دنانير :

(من المنسرح)

- (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ
 يَا لَيْتَ مَا كَانَ مِنْكَ لَمْ يَكُنْ !
 (٢) يَنْصَبُ .

(٢) إن يكن القولُ قلَّ فيك ، فما
أفحمتي غيرُ شدة الحزن

—٣٠—

التخريج :

أما لي المرتضى ١٧١/١

قال في الرثاء :

(من الطويل)

(١) صحبتك قبلَ الروح ، إذ أنا نطفةٌ

تُصانُ ، فما يبدو لعين مصونها

(٢) أرى المرأة دباً للمعايا ، وما لها

مِطالٌ إذا حلتُ بنفَس دُيونها

(٣) فماذا نفاءُ الفرج من بعد أصبح

سنلُقى الذي لا في الأصول غصونها

—٣١—

التخريج :

محاضرات الأدباء ٦١/١ .

قال في من يأتي ما يعيه على غيره :

(من البسيط)

(١) باواعط الناس : قد أصبحت مُتهماً

إذ عبتَ منهم أموراً أنت ثاتيهما

(٢) كمن كسا الناس من عُرِّي ، وعورثه

للناس بادية ما إن يواريهما

المنسوب له ولغيره

الراء

-١-

التخريج :

الآيات له في الأغاني ٣٤٢/١٣ ، ومهذب الأغاني ٤/٩ .
وفي : بدائع البداهة ٢١٨ : الأول ، لابن كنانة ، والآيات : (٢ ، ٤-٦)
لدنابر- حارثه ، والثالث لشاعر من الكوفة .
قال يصف الحيرة وما جاورها :

(من الكامل)

- (١) الآن حين تربيّن الظّهْرُ
مَيْثَاؤُهُ وِبِراقُهُ العُفْرُ
- (٢) بسط السّريعُ ههنا الرّياضَ كما
بُسطتْ قَطوعُ اليَمْنَةِ الحُمْرُ
- (٣) سريّةٌ في الدّحر قابضةٌ
يُجْبِي إليها البَرُّ والبَحْرُ
- (٤) وجَرى الفراتُ على مياسرها
وجرى على أيمانها الزّهرُ
- (٥) وبدا الخورثقُ في مطالعها
فرداً يُلوحُ كأنّه النّجّسُ
- (٦) كانتْ منازلُ الملوكِ ، ولم
يُعْلَمْ ههنا ملوكٌ قَبْرُ

(١) الميثاء : الرملة السهلة والراية الطيبة .

البراق : جمع برقة أو برقاء ، وهي غلط فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

النفير : من التلباء التي تطلق يانها حسرة .

(٢) قلعو اليمنة : بسط اليمن .

(٣) الخورثق : قصر كان يظهر الحيرة .

التخريج :

الآيات له في : الفهرست ٩١ ، ونور القبس ٢٩٨ . والآيات (٢ - ٤) له في معجم الأدباء ٢٦٦/١٠ ، ووفيات الأعيان ٢١٠/٢ . والآيات لرجل من بني أسد رثى أخاً له مات في عربة ، في : شرح ديوان الحماسة ١٠٥٧/٣ . والآيات دون عزوفي : البيان والبيان ١ / ٢٥٧ . قال في رثاء حماد الراوية :

(من المنسرح)

- (١) أبعدت من نومك الفسار ، فما
جاوزت حتى انتهى بك القدر
- (٢) لو كان بشجي من الردى حذر
تجارك مما أصابك الحسد
- (٣) يرحمك الله من أخ يا أبا الد
صقام ، ما في صهفائه كدر
- (٤) فهكذا يفد الزمان ويف
سنى العلم منه ، ويدرس الأكثر

الميم

-٣-

التخريج :

البيان له في : البيان والبيان ٣٤٨/٣ الورقة ٨٧ تاريخ الطبري ١١/١٣٦٦ ، الأغاني ١٣/٣٤١ ، بهجة المجالس ١/٥٩٣ ، تاريخ بغداد ٥/٤٠٦ ، محاضرات هو أبو القاسم حماد بن مابور - وقيل : ميرة - بن المبارك . كان عالماً في أيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسائها ولغاتها . مولده سنة ٩٥ هـ ووفاته سنة ١٥٥ هـ .

- (١) غرار النوم : قلته .
- (٤) في نور القبس ما يفيد أن هذا المعنى مأخوذ من مقولة عبادة بن عباس في زيد بن ثابت (وقيل : إسماعيل بن زيد بن حماد) إذ قل في قبره : « من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فكذا ذهابه » .

الأدباء ٩/٢، الأنساب ٤٨٧ ب، إنباء الرواة ١٦٠/٣، نورالقبس ٢٩٨، تحريد الأغاني في ١٥٣٢/١/٢، مختارات الأغاني ٧٣/٧ نهاية الأرب ١٧/٥ الوافي ٣٧٨/٤ أنوار الربيع ٦٥/٤، مهذب الأغاني ٧٣/٧ .
ويسبان إلى أبي نؤاس في : ديوانه ٧ وإلى أحمد بن أبي العن في المتحل ٦٧ .

وفي معجم الأدباء ١٤٣/١ أشدهما المبرد دون نسة وتردد عدالله العقير في عزوهما بين ابن كتاسة وأبي نؤاس .
وهما دون عزو في : حكاية أبي القاسم البغدادى ٣ ، ولباب الآداب ٢٣٢ .
قال في ساسة الكرام والاقباض من اللثام :

(من المنسرح)

- (١) في اقباض وحشمة . فإذا
لاقيت أهل السوء والكفر
- (٢) خلعت نفسي على حشمتها
وأنت ملاطفتك غير محنم

— اختلاف الروايات —

— ١ —

- (١) الأغاني والمهذب : زادها البرد .
- (٢) الأغاني : مزجتها
- ٢ —
- (١) الأزمنة : آتت فالتعائم آياها .

— ٣ —

- (١) المهذب : يامن ، تحريف لا يستقيم معه البيت .
- (٢) أدب الدنيا والدين : ولم .. زيع الهوى بأديب .
- (٣) الأغاني : يعني

(١) انقباض : أنكماش وعلم تبسط .
حشة : استحقا ووقار

- (١) المهذب : ولكن تقطعي ، تحريف .

- ٦ -

- (١) المختار ، التهذيب : تيقنك البلى
(٢) المختار : وإن من بني .
(٣) التجريد ، المهذب : أما اتساعها ، تحريف .

- ٧ -

- (١) الأنساب ، اللباب : خفقت .
الأنساب : على الإحزان .
الأغاني ، المهذب : في الوفاء .
السوافي : وفي الرد
(٢) تأريخ رعداد . الأساب ، أنساب ، الإنباه : قوتي .
وفي السوافي : في مدني .

- ٨ -

- (٤) المهذب : معاش ، ويظنك .
المختار : من جدوى المالك .
(٦) المختار : دقاعة .
المهذب : ولم يسر .

- ١٧ -

- (٢) الأغاني ، التجريد ، المهذب : بأصجر .

- ١٩ -

- (١) الورقة ، الإنباه ، النور ، الزهر : فسميته
الزهر ، المعاهد : فلم .
الإنباه ، النور : إلى قدر الرحمان فيه
(٢) رواية البيت في : الورقة ، الإنباه ، النور ، المعاهد :

تفاءلتُ - لو يُغَيِّي التَّفَاوُلُ - بِاسْمِهِ
ومساخلتُ فالأَقْبَلُ ذاكَ يَقْبَلُ

وفي الزهر : حين رزته ، تحريف .

- ٢١ -

(٢) الإنباه : ما ينقص .. ما جر من خير .

المحاضرات ، النور : ما نقص .

- ٢٤ -

(١) الورقة ، النور ، الوافي : لا يكفيك .

الأغاني (مرة) : ما يكفيك .

الزهر : لا ترضى بما دونه الرضا .. كان يرضى .

الورقة ، الأغاني (مرة) ، النور ، الوافي : كان يكفي .

الوافي : ولا يفي .

(٢)

(٤) الأغاني ، الزهر ، التجريد ، المختار ، المذهب : صغيراً عظيمها .

الأغاني (مرة) : قليلاً كثيراً فكان .

الأغاني ، النور المختار ، الوافي ، المذهب : وكان لحق الله .

(٥) الورقة ، الزهر : المعنى في الناس إن مَسَّه الغنى .

الورقة : ويلقى .

الزهر : وتلقى .

(٦) التجريد ، المذهب : أن يترمز ما .

(٧) الأغاني (مرة) ، الأمالي : آيات الهوى .

الزهر ، التجريد ، المذهب : آهان الهوى .

(٨) الوافي : ما يلقي من القوم .

النور : ما يلقي على القوم .

الأمالي ، الزهر ، في الناس .

الزهر : بز.

الأغاني ، الأغاني (مرة) ، النور ، الوافي ، المختار ، المهذب : فإن .. وأحكاما .

الورقة : وأفهما .

الأمالي : وأفهما .

(٩) الأغاني (مرة) : لاقى الكتيبة .

— المنسوب له وإغيره —

— ١ —

(١) البدائع . . ترين القطر .. أتجاهه ووهاده العفر .

(٢) عجز البيت في البدائع :

سُطَّتْ ثياب في الثرى خُضِرَ

(٤) البدائع : وسرى الفرات .. أجماعها النهار

— ٢ —

(١) شرح ديوان الحماسة ، النور : أتعلمت

شرح ديوان الحماسة : " : أسرعت .

البيان والتبيين ، شرح ديوان الحماسة ، النور : يومك القرار .

البيان والتبيين ، شرح ديوان الحماسة : حيث انتهى

(٣) البيان والتبيين ، شرح ديوان الحماسة ، الارشاد ، النور ، الوفيات :

.. أخى ثقة .. لم يك في صفو وده .

(٤) شرح ديوان الحماسة ، الارشاد ، الوفيات : «فيه» في موضع «منه» .

— ٣ —

(١) الورقة ، ديوان أبي نؤاس ، الأغاني ، المتحلل ، تاريخ بغداد ، حكاية

أبي القاسم البغدادى ، الأنساب ، الإنباء ، التجريد ، المختار نهاية الارب

المهذب : « صادقت » في موضع « لاقيت » .

- وفي تاريخ الطبري ، النور : جالست .
 وفي محاضرات الأدباء : أبصرت .
 وفي لياب الآداب : لقيت .
 وفي معجم الادباء الوافي : رأيت .
 (٢) مصادر التحريج جميعها . ماعدا البيان والتبيين . أرسلت .
 معجم الادباء : وجشت ما جشت .
 الورقة ، تاريخ الطبري ، المتحلل ، النور ، الوافي : ماشئت .

نصوص باقية من كتاب : الأنواء لابن كناسة

فيما تقدم أوردنا ما وصل إلينا من شعر ابن كناسة ، ما كان منه صريح
 النسبة إليه ، وما كان متدافعاً مشكوك في نسبه . وسعت لنا إشارة إلى كتابه
 (الأنواء) فرأينا أن نرد لنا بقي منه ميثونا في مصدر مختلفة فصلة خاصة
 نرتب فيها المادة المجموعة على هو ما ثبت من قتيبة كتبه . (الأنواء) الذي
 حفظ لنا كثيراً من مقولات صاحبنا في هذا الباب من انعلم اللغوي .

(١)

(معنى النوء)

وكان ابن كناسة يقول : إذا سقط نجمٌ مع الصبح ، ذهب نوءه .
 (كتاب الأنواء لابن قتيبة ٩)

(٢)

(الهنعة)

وقال ابن كناسة : (يقال لاهنعة : الزرق الميسان) (١) فلأنما ينزل القمر

(١) زيادة من « الازمنة والامكنة » :

بالتحايي . (١) وهي كواكب ثلاثة حذاء الهنعة ، والواحدة منها تحياة . (٣)
(كتاب الأنواء ، لابن قتيبة ٤٢)

الأزمنة والامكنة ١ / ١٨٩

اللسان / هنع (دون عزو)

(٣)

(الجوزاء)

أخبرنا أن المرزبان ، قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه (إبراهيم
الموصلي) ، قال : سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر (خزيمة بن مالك
بن نهـد) (٣)

إذا الجوزاء أردفت الثريا

فلنسمع بال فاطمة الظنوننا

فقال : يقول : إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي نرى فيه الثريا ،
خست تفرق الحية من جمعهم والثريا تطلع (٤) بالعداء في الصيف
والجوزاء (٤) تطلع بعد ذلك في أول القبط

(الأغاني ١٣ / ٣٣٨)

مختار الأغاني ٧ / ٧٢

مهذب الأغاني ٩ / ٦

(٤)

(السماك)

قال ابن كناسة : وربما عدل القمر فتزل بعجز الأسد . وهي أربعة كواكب
بين يدي السماك الأعزل منحلرة عنه في الجنوب مربعة على صورة النعش

(١) زيادة من « الأزمنة والامكنة » .

(٢) تحياة .

(٣) اللسان / ردفت .

(٤) - (٤) ساقط من المختار .

يقال لها : عرش السماك (وتسمى أيضاً الأحمال) (١) وتسمى الخاء..
قال القُتيبي (٢) ، والذي عندي أن الأمر كما قال ابن كُثَّاسة .

(كتاب الأتواء ، لابن قتيبة ١٦٢)

(شروح سقط الزند ١٥٢٦)

(الأزمة والأمكنة ١٩٢/١)

(٥)

(سعد الذابح وسعد بلع)

وقال ابن كُثَّاسة : سعد الذابح كوكبان متقاربان سمّي أحدهما ذابحاً ،
لأن معه كوكباً صغيراً غامضاً يكاد يلزق به ، فكأنه مكبّ عليه بذبحه
والذابح أنور منه قليلاً .

قال : وسعد بلع . نجمان معترضان حميان .

قال أبو يحيى . ورعت العرب أنه طلع حين قال الله عز وجل :
(يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) . (٣) قال : وسعد السعود : كوكبان .
وهو أحمد السعود . ولذلك أضيف إليها وهو يشبه سعد الذابح في مطلعته .
وسعد الأخبية ثلاثة كواكب على غير طريقي السعود ماثلة عنها . وفيها
اختلاف وليست بحبة غامضة ، ولا مضينة منيرة . سميت سعد الأخبية ، لأنها
إذا طلعت خرجت حشرات الأرض وهوامها من جحرتها ، جعلت جحرتها
لها كالأخبية .

(تهذيب اللغة واللسان / سعد)

(٦)

(البوارح ومنازلها)

وقال ابن كُثَّاسة : كل ريح تكون في نجوم القبط فهي عند العرب

(١) زيادة من الأزمة والامكنة .

(٢) لم يرد قول ابن قتيبة في : الأزمة والامكنة .

(٣) هود / آية ٤٤ .

نوارح . قال : وأكثر ما سبَّ بجحوم الميزاب . وهي السَّام . قال ذو الرمة :
 لا ، بل هو الشوقُ من دار نخوتها
 مرَّ أسحابٌ ، ومَرَّ أيارحٌ تَرِبُ
 فَنسبها إلى التراب ، لأنَّها قِبْطِيَّة لا رُبْعِيَّة .
 (اللسان / برح)

(٧)

(الأزمنة وتحديد أوقاتها عند العرب)

قال أبو يحيى بن كنانة في صفة أزمنة السنة وقصوبها . وكان علامة بها :
 أعلم أنَّ السنة أربعة أزمنة : الربيع الأول . و . عند العرب العامة :
 الخريف (١) ، ثم الشتاء . ثم الصيف . وهو الربيع الآخر (٢) ثم القبط .
 قال : وهذا كله قول العرب في البادية .
 قال : والربيع الأول هو الخريف عند الفرس يدخل لثلاثة أيام من ايلول .
 قال : ويدخل الشتاء ثلاثة أيام من كانون الأول .
 قال : ويدخل الصيف الذي هو الربيع عند الفرس . لحمة أيام تخلو من
 آذار . ويدخل القبط ، الذي هو صيف عند الفرس ، لأربعة أيام تخلو (٤) من حزيران .
 قال أبو يحيى : وربيع أهل العراق موافق لربيع الفرس ، وهو الذي يكون
 بعد الشتاء ، وهو زمان الورد ، وهو أعدل الآونة (٥) وفيه تقطع العُروق (٦)
 ويشرب الدواء .

-
- (١) اللسان : الربيع الأول ، وهو الذي تسميه الفرس : الخريف .
 (٢) الأزمنة والأمكنة : وذكر ابن كنانة أبو يحيى أن العرب تسمي الشتاء لربيع الأول ،
 والصيف الربيع الآخر .
 (٣) شرح أدب الكاتب . الصيف .
 (٤) لم ترد « غلوه » في شرح أدب الكاتب .
 (٥) شرح أدب الكاتب : الأزمنة .
 (٦) شرح أدب الكاتب : العروغى .

قال : وأهل العراق يُمطرون في الشتاء كله ، ويُخصَّبون في الربيع الذي يتلو الشتاء .

وأما أهل اليمن فإنهم يُمطرون في القيظ ويخصَّبون في الخريف الذي تسميه العرب : الربيع الأول .

(تهذيب اللغة / ربيع ، شرح أدب
الكاتب ، للجوالقي ١٣٠ ، شروح
سقط الزند ١٧٧٦ ، حكاية عن
الأزهري ، اللسان / صيف)

(٨)

(فصل الخريف)

وقال ابن كنانة : خمسة أنواع من أنواع الحريف : الفرع المؤخر ، والحوت والشرطان ، والسطح ، والتريا ، وليس بعد التريا وسحي . وذكر أن التجمين الباقيين من نجوم هذا الفصل لولتي . وهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي . (كتاب الأقواء : لابن قتيبة ١١٦)

(٩)

(ذكر الشمس والقمر)

وقال : كانت العرب تسمى ليالي الشهر عشرة أسماء ، لكل ثلاث منها اسم : فالثلاث الأول الغرر ، وذلك أن أول كل شيء غرته . ثم النفل ، ومعنى النفل أن العرب كانت تصوم الغرر كأنها وظيفة عليها ، والنفل شبه النافلة . ثم الدرر أن الأرض قد لبسها القمر ، ثم العشر لقولك : عشرة ، إحدى عشرة ، اثنا عشرة ثم البيض ، فإنها من أول الليل إلى آخره قمر ، ثم الظلم ثم الحندس أشد ظلمة من الظلم ، والد آدى والمحاق : فالد آدى كأنه وقع في القمر الداء فهو يذهب ، والمحاق آخر الشهر إذا وقع فيه المحاق . والعاشرة - أي تمام الثلاثين - الفلقة . ومعناها : أن ليس كل شهر يتيم فإذا تم سَموه الفلقة .

(نور القبس ٢٩٩)

(١٠)

(العواء)

وأما العواء فإن ابن كناسة جعلها أربعة أنجم ... وزعم أبو يحيى أنها سميت العواء بالكوكب الرابع الشمالي منها . وإذا عزلت عنها هذا الكوكب الرابع كانت الباقية مثناة الخلقة .
(الأزمئة والأمكنة ١/١٩٢)

(١١)

(العواء)

وقال ابن كناسة : هي أربعة كواكب : ثلاثة مثناة متفرقة ، والرابع قريب منها كأنه من الناحية الشامية ، وبه سميت العواء ، كأنه ينعوي إليها ، من عواء الذئب .

قال : وهو من قولك : عَوَيْتُ الثوبَ إِذْ لَوْنُهُ كَأَنَّهُ يَنْعَوِي لِمَا انْفَرَدَ .
قال : والعواء في احصاء يماني . وجاءت مؤنثة عن العرب .
قال : ومنهم من يقول : أول اليمانية السماك الراحح ولا يجعل العواء يمانيه للكوكب الفرْد الذي في الناحية الشامية .

(اللسان / عوى)

(١٢)

(الشولة)

قال ابن كناسة : الشولة التي يتزل بها القمر حذاء القلب في حاشية المجرة .
(الأزمئة والأمكنة ١/١٩٤)

(١٣)

(الفلك)

قال ابن كناسة : بين السماء ما بين الدبور والجنوب عن يمينك إذا استقبلت القبلة قليلاً .

(الأزمئة والأمكنة ٨/٢)

(١٤)

مواقيت الضراب والتاج)

قال ابن كناسة . إذا انزي على الشاذ عند اطلاق نجم من النجوم بالعدة
جدت حين ينوء والنخلة مثل الشاة سواء .
(الأزمنة والأمكنة ٢ / ١٧١)

(١٥)

قال ابن كناسة : وأفضل التاج الرباعي ، لا يزال ما تنح قوباً حسن الحال
إلى سقوط الصرفة . وهي آخر نجوم الربيع ثم ينحون في أول الصيف إلى
سقوط الغفر ، وذلك صالح .
(الأزمنة والأمكنة ٢ / ١٧٣)

(١٦)

(الرياح الأربع ونحديدها)

وذكر أبو يحيى بن كناسة أن خالداً بن صفوان قال : الرياح أربع : الصبا
ومهبها ما بين مطلع الشرطين إلى القطب . ومهب الشمال ما بين القطب إلى
سقط الشرطين ومهب الدبور ما بين مسقط القطب الأسفل . ومهب الجنوب
، بين القطب الأسفل إلى مطلع الشرطين .
(الأزمنة والأمكنة ٢ / ٧٥)

(١٧)

قال أبو يحيى : الناس على قول خالداً : فالقول هي المشرقية ، لأنها من
قبل المشرق تحمي . قال :
إذا قلت هذا حين أسلو يشوقي نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر
والدبور تناوحها وهي المقرية .
(الأزمنة والأمكنة ٢ / ٧٦)

(١٨)

(ذكر الرياح وتحرير مهابها)

وقال ابن كناسة : تخرج السكباء ما بين مَطْلَع الذَّرَاع إلى القطب ، وهو مَطْلَع الكواكب الشامية . وجعل ما بين القطب إلى مسقط الذَّرَاع مَخْرَج الشمال وهو مسقط كل نجم طلع من مخرج السكباء من اليمانية . واليمانية لا يتزل فيها شمس ولا قمر إنما يُهْتَدَى بها في البر والبحر ، فهي شامية . (اللسان / نكب)

(١٩)

(مخايل السحاب)

وقال ابن كناسة : هي عن يمينك إذا أنت استقلت القبلة قليلاً .
(كتاب الأنواء ، لابن قتيبة ١٦٩)

(٢٠)

(كيف يكون الاهتداء بالنجوم)

قال محمد بن كناسة : إذا سقط مرل من منازل القمر بالغداة عند نوته
قال محمد بن كناسة : إذا سقط مرل من منازل القمر بالعد عند نوته ،
فعدّ منه (١) سبعة أنجم على موالاة العدد : فالسابع هو القبلة ، إلا أن تسقط (٢)
العقرب . فإذا سقطت العقرب ، فالتعائم قبلة ، والبلدة بعد تلك الساعة قليلاً
قبلة أيضاً .
ثم يعود الحساب .

فإذا سقط سعد الذابح ، فالخوت قبلة ، وهو السابع .
ومثال ذلك أنه إذا سقط الشرطان ، كان السابع منه الذَّرَاع ، فهو (٣)
القبلة . وإذا سقط البطين فالثرة قبلة . وإذا سقطت الثريا فالطرف قبلة .

(١) الأزمة : منها .

(٢) الأزمة : يسقط .

(٣) الأزمة : وهو .

وإذا سقط (١) الدبران فالجبهة قبله . وإذا سقطت الخفعة ، فالزبرة قبله .
وإذا سقطت النثرة ، فالسماك قبله . وإذا سقط الطرف ، فالغفر قبله . وإذا
سقطت الجبهة فالزباني قبله وإذا سقطت الزبرة فالأكليل قبله .

ثم يقع الشك في القبلة عند سقوط الصرفة والعمء والسماك والغفر
والزباني والأكليل والقلب والشولة والنعام والبلدة . وذلك ؛ لأن العقر
تسقط جميعا فلا يستقيم الحساب على سبعة أنجم . غير أنه إذ سقطت (٢) العقر
كلها ، كانت النعام قبله ، ثم البلدة قبله ، والقبلة قريب منها ثم يسقط سعد
الذابح ، فيكون رأس الحوت قبله ، وهو مزمووم (٣) بالكف الخضيب .
فيرجع (٤) الحساب إلى السابع .

قال ابن كناسة في ذلك ، وذكر طريق مكة
يوم النجوم الساعات من التي تأوب إلا أن تأوب عسرب
فإن هي آبت (٥) فالنعام أوسع (٦) وليستها ثم السوابع اصوب
قال : وكواكب العسرب أربعة مارل تطلع في الأوقات التي بيئت
وتسقط كلها في وقت واحد .

(كتاب الأنواء ، لابن قتيبة ١٩٠)

(الأزمنة والأمكنة ٢ / ٣٢٨)

(٢١)

(في الاهتداء بالنجوم)

وقال ابن كناسة : وفي الاهتداء بالنجوم يقول الشاعر :
نؤم بافاق السماء وترتمي مغائبها أرجاء دواية قفر
(الأزمنة والأمكنة ٢ / ٢١٧)

(١) الأزمنة : سقطت .

(٢) من : الأزمنة .

(٣) الأزمنة : منوم ، تحريف .

(٤) الأزمنة : ويرجع .

(٥) الأزمنة : آبت ، تصيف .

(٦) الأزمنة : آبا .

المراجع والمصادر

- أدب الدنيا والدين للماوردي . تح مصطفى السقا مصر ط ٤ سنة ١٩٧٣ .
 إرشاد الأريب ، لياقوت الحموى . ط ١ بعناية مرجليوث . مصر سنة ١٩٢٧ .
 الازمنة والامكنة للمرزوقي ، ط ١ . حيدرآباد سنة ١٣٣٢ .
 الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني . ط. الهيئة المصرية العامة .
 الأمالي - للقاللي . المكتب التجاري ، بيروت .
 أمالي المرتضى - لعلي بن الحسين . تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٩٦٧ .
 إنباه الرواة على أنباه الحاة - للقطعي ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، مط .
 دار الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ .
 الأنساب ، للسمراني ، لايزك سنة ١٩١٢ .
 أنساب الأشراف - لللاذري . تح محمد حميد الله .
 أنوار الربيع في أنواع البديع - لعلي بن معصوم المنفي . تح شاكر هادي شكر
 كربلاء ، العراق .
 الأوراق - للصولي . نشرة ج . هيورث دن .
 إيضاح المكنون - للبغدادي ، ط ٣ سنة ١٩٤٧ .
 بدائع البدائه - لأبي الحسن علي بن ظافر الأزدي . تح محمد أبو الفضل ابراهيم
 مصر ، سنة ١٩٧٠ .
 البداية والنهاية - لابن كثير . مكتبة المعارف بيروت ط ١ سنة ١٩٦٦ .
 البديع - لابن المعتز . تح أغناطيوس كرا تشوفسكي . لندن سنة ١٩٣٥ .
 بغية الوعاة - للسيوطي . تح محمد أبو الفضل ابراهيم . مط . عيسى البابي
 الحلبي سنة ١٩٦٨ .
 بهجة المجالس وآنس المجالس ، للنعمري القرطبي ، تح محمد مرسي الخولي - مصر .
 البيان والتبيين - للجاحظ . تح عبد السلام هارون . دار التأليف ، مصر ط ٣ سنة ١٩٦٨ .

- تاج العروس - للمرتضى الحسيني الزبيدي : ط ١ مصر سنة ١٣٠٦
تاريخ بغداد - القطيب البغدادي . نشرة دار الكتاب العربي ، بيروت .
تأريخ الرسل والملوك - للطبري . طهران
تبصير المتنبه بتحرير المشتبه للعقلاني أحمد بن علي . مصر .
تجريد الأغاني - لابن واصل الحموي . تحت طه حسين ورميله ، القاهرة سنة ١٩٥٧ .
التشبيهات - لابن أبي عون . تصحيح : محمد عبد المعين خاں ، كامبرج سنة ١٩٥٠
تقريب التهذيب - للعقلاني ، تحت عبد الرهاف عبد اللطيف .
تهذيب التهذيب - للعقلاني ، دار صادر ، بيروت .
تهذيب اللغة - للأزهري . مصر .
البحر والتعديل ، للرازي ط ١ حيدر آباد سنة ١٣٦١ .
حكاية أبي القاسم البغدادي محمد بن أحمد أبي المظهر الأزدي . نشرة آدم
متر هايد لبرج سنة ١٩٠٢ .
الحيوان - لملاحظ محمد عبد السلام هارون ، مطب مصطفى البابي الحلبي
خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال - للجزيري الأنصاري ، ط ١
سنة ١٣٢٢ .
ديوان أبي نواس - رواية حمزة بن الحسن الإصبهاني . شرح محمود أفندي
واصف . مطب . العمومية ، مصر سنة ١٨٩٨ .
زهر الآداب - للحصري ، تحت علي محمد البجاوي . القاهرة ، سنة ١٩٥٣ .
سرقاات أبي نواس - لمهلل بن يموت . تحت وشرح محمد مصطفى هدارة .
مطب . أحمد نجيم ، مصر .
شذرات الذهب - لابن العماد الحنبلي .
شرح أدب الكاتب - للواليقي . نشرة مكتبة القدسي ، القاهرة سنة ١٣٥٠ .
شرح ديوان الحماسة - للمرزوقي ، سنة ١٩٥٢ .
شروح سقط الزند ، مصورة طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٨ القاهرة .
شعر الكميت بن زيد الأسدي - تحت داود سلوم ، بغداد سنة ١٩٦٩ .

- الصبح المنبي عن حثية المنبي - يوسف البليبي . تحت مصطفى السقا وزملائه
دار المعارف ، مصر ١٩٦٣ .
- الصناعتين - لابي هلال الحسن بن عبد الله ، تحت علي محمد البجاوي وزميله
مط . عيسى الباني . سنة ١٩٥٢ .
- الطبقات الكبرى - لمحمد بن سعد الزهري . بيروت سنة ١٩٥٧ .
- طبقات النحاة واللغويين - لابن قاضي شهبة . تحت محسن غياض ، مط . النعمان ،
النجف . سنة ١٩٧٣ .
- طبقات النحويين واللغويين - للزبيدي ، تحت محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر
سنة ١٩٥٤ .
- العبر في أحبار من غمر - للدهي ، تحت صلاح الدين المنجد ، الكويت .
- أبو العتاهية : حياته وشعره - لمحمد محمود الدشر . القاهرة سنة ١٩٦٨ .
- العصر العباسي الاول - لشوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٦٩ .
- عيون الأحبار - لابن قتيبة - طبعه دار الكتب المصرية
- الفاضل - للمبرد . تحت عبد العزيز ابن أبي القحافة سنة ١٩٥٦ .
- القهرست - لابن النديم ، ليترك سنة ١٨٧٢ .
- القزويني وشروح التخليص لأحمد مطلوب ، سنة ١٩٦٧ .
- الكامل في التاريخ - لابن الأثير دار بيروت ، سنة ١٩٦٥ .
- الكنى والأسماء - لابي بشر محمد بن أحمد بن حماد النولابي . حيدر آباد
سنة ١٣٢٤ .
- الكنى والألقاب - لعباس القمي . مط الحيدرية - النجف سنة ١٩٦٩ .
- لباب الآداب - لاسامة بن منقذ . تحت أحمد محمد شاكر ، مط . الرحمانية
مصر سنة ١٩٣٥ .
- اللباب في تهذيب الأنساب - لابن الأثير ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، سنة ١٣٥٦ .
- لسان العرب - لابن منظور . بولاق ، سنة ١٣٠٠ .
- لسان الميزان - للعسقلاني . حيدر آباد ، سنة ١٣٣١ .
- مجالس ثعلب - تحت عبد السلام هارون ، النشرة الثانية . دار المعارف .

مجالس العلماء - للزجاجي . تحمد السلام هارون الكويت سنة ١٩٦٢ .
 محاضرات الادباء ، الرابع الاصحائي . القاهرة سنة ١٣٢٦ .
 مختار الأغاني لابن منظور . تحمد العريز أحمد . القاهرة ، سنة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .
 مراتب النحويين - لامي الطيب عبد الواحد بن علي . تحمد أبو الفضل .
 ابراهيم . مط . نهضة مصر .
 مشكلة السرقات في النقد العربي - لمحمد مصطفى هداره .
 المعارف - لابن قتيبة تحم . ثروت عكاشة مط دار الكتب سنة ١٩٦٠ .
 المعاني الكبير - لابن قتيبة الدينوري . حيدر آباد الدكن - الهند ، سنة ١٩٤٩ .
 معاهد التصيص - لعبد الرحيم بن أحمد العباسي . تحمد محمد محي الدين عبد
 الحميد . مط . السعادة ، مصر سنة ١٩٤٨ .
 معجم البلدان - لأبي عبد الله إقوت بن عبد الله حموي ط . صادر بيروت .
 معجم الشعراء - للمرباني . تحمد عبد الستار أحمد . مرجح دار احباء الكتب
 العربية ، القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
 معجم المؤلفين - لعمر رضا كحالة . مط . الري . دمشق
 المتحلل - للنعالي ، الاسكندرية ، سنة ١٩٠١ .
 الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء - للمرباني .
 مهذب الأغاني - تصنيف محمد الخضري . مط . مصر
 ميزان الاعتدال - للذهبي . مصر سنة ١٣٢٥ .
 النجوم الزاهرة - لابن تغري بردى ط . دار الكتب العربية ١٩٣٠ .
 نهاية الأرب - للنوري . مصورة ط . دار الكتب .
 نور القبس المختصر من المقتبس للمرباني ، لليغموري ، تحمد دلف زهايم ،
 فيسبادن سنة ١٩٦٤ .
 هدية العارفين - للبغدادي . استانبول ١٩٥١ - ١٩٥٥ .
 الوافي بالوفيات - للصفي ، ط ٢ باعتناء هلموت ريتز سنة ١٩٦١ .
 الورقة - للجراح ، تحمد عبد الوهاب عزام وزميله . دار المعارف مصر ١٩٥٣ .

وفيات الأعيان - لابن حلكان . تح: إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٩ .

Brockelmann - Geschichteden Arabischen litteratur , leyde , 1943,G63 .

— ملاحظات على المصادر —

- (١) في الحيوان ٥ / ١٣٣ .
على الآفا .. ق و صوابه : على الآ .. فاق .
- (٢) في الورقة ٨٧ :
على الك .. سوقة و صوابه : على الكو .. قة .
وفي ص ٨٧ ، ورد البيت مضطربا :
و . عذجات المراتيات تُهْدِي .. سدي لما الشمال الصحاري
و صوابه :
و . عذجات المراتب .. بات تُهْدِي لما الشمال الصحاري
وفي ص ٨٨ :
ال .. طَلَّ .. و صوابه : الطَّلَّ .. طَلَّ
أو : الطَّلَّ .. سَلَّ
- (٣) كتاب الكنى والأسماء ٢ / ١٦٥ . أبو يحيى محمد بن عبد الله بن عبد (الأعلى)
- (٤) في الأغاني ١٣ / ٣٤٢ .
وكان يحيى يستحسنها ولعله أراد : أبا يحيى (ابن كناسة) ، وإلا
فإن هذه العبارة مقحمة .
- (٥) الأنساب ٤٨٧ ب : قيل : إن كناسة لقب جده (عبد) الأعلى .
- (٦) نور القبس ٢٩٢ :
هل للنفوس من الحوادث من واقٍ
والصحيح باسقاط (من) الثانية ، ليستقيم الوزن .
وفي ص ٣٠٠ موضحان :
الأول : أورد كلمة « العبارة » وشرحها ولم يورد بيت ابن كناسة

الذي جاءت فيه هذه الكلمة .
وأقحم في الصفحة ذاتها قول ابن عباس ، مما لا يمت بصلة إلى ترجمة
ابن كناسة .
(٧)طبقات النحاة ص ١٣٨ : ابن حاتم الرازي ، ولعله خطأ مطبعي
صوابه أبو حاتم الرازي .
أو : ابن أبي حاتم الرازي .
أما الكنى والألقاب ١ / ٣٩٣ . فبدلاً من أن يعنى بشخصية
ابن كناسة وزهده ، انصرف إلى خاله : ابراهيم بن ادهم ليسرد روايات
عن تصرفه أقرب إلى الاسطورة منها إلى الحقيقة .

مجهّد قاسم مصطفى

مدرس مساعد - قسم لغة العربية
كلية الادب - جامعة الموصل

دراسة تحليلية في همزتي إِشْهَات

عبد الوهاب محمد علي العلواني

— القسم الأول —

بشكل علينا استعمال : (إنّ وأنّ) في أغلب الأحيان ،
فيقع الخطأ موقع الصواب ، والفتح موضع الكسر ،
ويحدث العكس أيضاً ، ولا يمثل في أذهاننا في بعض ذلك
وجه قاطع لاستعمال أية واحدة من هاتين الأداتين ، من
هنا وجدت المسألة بحاجة إلى بحث جامع يحدها ،
ويكشف دقائقها ، بعد أن استفاص الوهم فيها ، فاعترى
كلام الخاصة به العامة ، على أن معرفتها تتعين على
الكافة ، لأنها ليست من قبيل الوجوب الكفائي كما يقول
الأصوليون ، وبخاصة إذا عرفنا أن النصوص الصحيحة
— مقروءة ومكتوبة — تقتضي بطبيعتها مقاييس ثابتة
مستمدة من ضوابط النحو واللغة ، وما يقدمه هذا البحث
من عرض نقدي فاحص ورصد شامل سيضع أيدينا على
حقائق متعددة أغفلناها ، أو غفلنا عنها ، مع كونها
جوهرية وموضوعية ، والدرس النحوي الجديد ، ضمير
بأن يقدم لنا كثيراً من التفسير والتحليل في مسائل ، استقر
لدينا أنها من جملة ما نضج وأحترق من هذا النحو العربي
المنع المتداخل ، وواقع الأمر ليس كذلك ، وهذه
الدراسة طرف من البصر النحوي ، لاسلم لكل بماقاله
النحاة القدماء ، بل إن لها أن تقول في موضوعها شيئاً ما أيضاً .

قرر النحاة للهمزة في : (إنّ وأنّ) ثلاثة أحوال .

١- وجوب الكسر .

٢- وجوب الفتح .

٣- جواز الوجهين .

وإدراك أسرار هذه الوجوه يساعدنا على إجراء هذا الحرف مجراه الصحيح في ضوء عرف عام ، أوجزه الزمخشري بقوله : « والذي يميز بين موقعيهما أنّ ما كان مظنة للحملة ، وقعت فيه المكسورة ، كقولك مفتتحاً : إنّ ريداً منطلقاً وما كان مظنة للمفرد ، وقعت فيه المفتوحة نحو مكان الفاعل ، ... ومن المواضع ما يحتمل المفرد والحملة ، فيجوز فيه إيقاع أيّهما شئت (١) » ، وقال ابن مالك : « يستدام كسر (إنّ) ما لم تقول هي ومعمولها بمصدر ، فإنّ لزم التأويل ، لزم الفتح ، ولا فوحيان (٢) » . ونأير هذا قول ابن هشام : « تتعين (إنّ) المكسورة حين لا يجوز أن يسدّ المصدر مسدّها ومسدّ معموليها ، و(أنّ) المفتوحة حيث يجب ذلك ، ويدور إنّ صح الإعتباران (٣) » وعلى هذا يكون المعنى وطبيعة التركيب هما المحكمين في تحديد نوع الإستعمال وأداته ، إذ الحملة ناقبة مع المكسورة على فائدتها المركبة من مجموعة دلالات لفظية مجردة مترابطة ترابطاً نظامياً إسنادياً ، وهي مع المفتوحة في حكم المفرد (٤) بدلالته المجردة المفردة الواحدة .

إن الضابط المتقدم الذي أقره النحاة ، ولخصه ابن مالك في بيت ألفيته :

(١) الفصل : (بيروت ١٣٢٣ هـ) - ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) تهليل القوائد : (القاهرة ١٩٦٧) - ٦٢ .

(٣) أوضح المسالك : (القاهرة ١٩٦٧) - ٣٢٣/١ .

(٤) شرح ابن القواس على كفاية ابن الحاجب . (مخطوطة الاسكودريال ، رقم ٩٠٤٨٩) - ٢/٢

الوجه ٢١٨ - ٢١٩ . والكتاب أصل رسالة ، يدعى الكتاب لمصنوعه على الدكتوراه من جامعة القاهرة .

وهمز (أن) أفتح لصد مصدر

مدها ، وفي سوى ذلك أكبر (٥)

رآه أبو حيان الأندلسي في كلامه على هذا البيت قانوناً كلياً - كما سماه - ليس بصحيح على الإطلاق ، لأنها تفتح حيث لا بد للمصدر مدها أيضاً في المواضع الآتية :

الأول : بعد (ما) التوقيتية ، في مثل قولهم : (أصحبك ما أن في السماء نجماً) .

الثاني : بعد (ظن) وأخواتها . إذ لا يصح عند سيويه أن تقول : (ظننت قيام زيد) ، في موضع : (ظننت أن زيدا قائم) .

الثالث : أن يكون خبرها جامداً . نحو : (عرفت أن هذا حجر) .

الرابع : بعد (لو) ، نحو : (لو أن زيدا قائم لقمتم) . ولا يصح : (لو قيام زيد لقمتم) (٦)

وسنعود على هذه المواضع بالتفصيل فيما نستعمل من هذا البحث .

...

تقدمت الإشارة إلى أن المكسورة مع معموليها مستقلة عائديتها ، ويؤكد ابن الحاجب : أنها لا تعبر معنى الجملة (٧) ، نقول : (إن زيدا منطلق) وتسكت كما تسكت على : (زيد منطلق) (٨) ، ويفهم من هذا : أن الجملة بعدها لا تنجي بحيث تكون محلاً لأثر عامل ، أي كان من العوامل ، خلافاً للمفتوحة التي تأتي في صدر جملة اسمية . نفل تأثير هذا العامل ، وفي ضوء هذا الترابط يتكامل المعنى ، وتستقر الدلالة ، بعد أن تقلب الجملة معنىً وحكماً إلى (مجرد عرفي) . يسميه النحاة : (المصدر المؤول) ، وهم يعدون الأداة فيه موصولاً حرفياً ، لا بد له من صلة ، كما أن العامل الذي يسبق

(٥) الألفية . (صن : مجموع النود الكبير ، القاهرة ١٣٤٦هـ) - ٢٤٢/ .

(٦) مسج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك . (نيو هام ١٩٤٧هـ) - ٧٤/ ، وسنشير إليه :

شرح أبي حيان ، فلا يشبهه على القاري ، يشرح الأشتوني : مسج السالك .

(٧) الكافية : (استانبول ١٣٠٥هـ) - ٣٢/ .

(٨) للمفصل / ٢٩٣ .

هذه الجملة ضميم - كما سماه الرخاشري - لا بد منه (٩) ، تقول : (بلغني أن زيداً منطلق ، وحق أن زيداً منطلق) ، وهذه الجملة المتكاملة من الأداة وأسمها وخبرها مفتقرة بالضرورة إلى شيء تتعلق به ، ولا نستقل عنه . فصدروها بأنواع مختلفة من الأحوال ، قال ابن الحشاش : «المتوحمة مع أسمها وخبرها في تقدير مجرد محكوم له بوجوه الإعراب التي تتناول المتردات . وهذا اعتبرت أن يحسن في موضعها - إذا حُذفت مع معموليها - : (ذاك) . أي : هذه النقطة ، إذا قلت : (علمتُ أنك منطلق) ، تضع مكان أن معموليها ذاك . فتقول : (بلغني ذاك) . فيكون كلاماً صحيحاً . وكشف هذا التعليل... بوضع ذاك موضعها : أنها مع أسمها وخبرها في تقدير مصدر . والمصدر : أسم مفرد ، وهذا وقعت . فاعلة ومنعولة ومحرومة» (١٠) ، وقوله : «المصدر أسم مفرد» إشارة إلى أنه يؤدي دلالة غير مركبة كعامة المتردات اللغوية . ولا يسع ذكر من معنى الحدث المستمر المذكور فيه . إذا عدا أن لكل لفظ من هذا القليل دالتين . الأولى : أصلية ، وهي مطلق معناه ، والثانية : تابعة ، وهي معناه من خلال موضعه في كلام ما ، وهو قد يغرب من المعنى الأول . أو يختلف عنه قليلاً أو كثيراً . فالانطلاق : حدث عام . لا يخرج من هذه النصفة إلى الخصوص وانتفاءه إلا في معارض الظروف الكلامية المختلفة ، وفيها تكون الدلالة بالتركيب عامة معيدة مستقلة بمعناها الذي يحسن السكوت عليه ، فكان أن تقدم على المصدر - صريحاً ومؤولاً - ما يتطلبه في أية جملة من الجمل ، كأن تقول : (بلغني انطلاقك ، أو : أنك منطلق ، وعرفت انطلاقك ، أو : أنك منطلق : وعجبت من انطلاقك ، أو : من أنك منطلق) ، ومكسورة أهمزة في عدم احتياجها إلى شيء من هذه العوامل تختلف اختلافاً أولياً عن المفتوحة ، نظراً إلى استقلال جملتها فائدة ومعنى ، ولا يبقى فرق بين قولك : (إن زيداً

(٩) م . ح . ٢٩٣/٥

(١٠) المرتجل في شرح الجمل : (مكتوب على الآلة الكاتبة ، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة ١٩٧٢) - ٢١٨/ . واسطر : كتاب سيويه : (القاهرة ١٩٦٦) - ٤٦١/١ . مدني القرآن للاعفش الارسط : (مخطوطة مكتبة استاذة قفس ، مدينة مشهد : رقم ٣ : ٢٢٠ ، ٤٦٧) ، عن رسالة الاستاذ عبدالامير محمدامين الورود : مسجع الاعفش الاوسط في الدراسة النحوية : (بيروت ١٩٧٥) - ٣٣٦/ .

منطلق ، وبين : زيدٌ منطلق) إلا معنى التوكيد ، ولذا صحَّ أن تقع في صدر صلة الموصول في مثل قوله تعالى : «وَأَتْبَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ (١١)» خلافاً للآخرى في قلبها معنى الحملة إلى الأفراد ، ومن وهم النحاة اعتبار جملتها في حكم المصدر المؤكد ، ولولا إرادة التأكيد بها عندهم ، لكان المصدر أحق بالموضع منها كما فهم من كلام ابن يعيش (١٢) ، وعدي في إعادتها التأكيد رأي ، سأعرض لشرحه فيما بعد .

تبين لنا أن بعض النحاة يظن مفتوحة الحمزة فرعاً على المكسورة في نظر سيويه (١٣) والمبرد (١٤) وآبن السراج (١٥) ، لأنهم قالوا في : (إنَّ وأخواتها) : (الحروف الخمسة) ، ولم يعدوا المفتوحة للسبب المشار إليه ، وهو مذهب الفراء أيضاً . قال عكس (١٦) ، وقد رجح ابن أم قاسم المرادي الرأي الأول . وأكد صحته بما يأتي

١ - الكلام مع المكسورة حمزة غير مؤولة بغيره ، بخلاف المفتوحة ، والأصل : أن يكون المنطوق به حمزة من كل وجه ، أو مجرداً من كل وجه .

٢ - المكسورة مسعفة تعمومها عن زيادته بخلاف المفتوحة .

٣ - المفتوحة تصير مكسورة بحذف ما تتعلق به ، كقولك : (عرفت أنك بَرٌّ : إنك بَرٌّ) ، ولا تصير المكسورة مفتوحة إلا بزيادة ، و المرجوع إليه بخلف : أصلٌ

(١١) القصص ، الآية ٧٦ .

(١٢) شرح المفصل : (القاهرة . غير مؤرخ) - ٥٩/٨ .

(١٣) الكتاب ٢٧٩/١ .

(١٤) المنتقب : (القاهرة ١٩٦٣ - ٦٨) - ١٠٧/٤ .

(١٥) الأصول في النحو : (النجف ١٩٧٣) - ٢٧٧/١ . والموجز في النحو . (بيروت ١٩٦٥)

- ٣٧/ -

(١٦) البحر الثاني في حروف المعاني : (مكتوب على الآلة الكاتبة ، رسالة ماجستير بجامعة

بغداد ١٩٧١) - ٣٦٤/ -

٤ - المكسورة مفيد معنى واحداً . وهو التوكيد . والمفتوحة نفيدة . وتعلق ما بعدها بما قبلها ، فكانت فرعاً .

٥ - المكسورة أشبه بالفعل . لأنها عاملة غير معمولة ، كما هو أصل الفعل .

٦ - المكسورة كلمة مستقلة . والمفتوحة كبعض اسم (١٧) .

وهذه الإشارات التقويمية تضع أيدينا على طبيعة كل واحدة من هاتين الأداتين . ومن أبرزها المشابهة الإستعمالية بين المكسورة وبين الفعل من حيث وضعهما في التراكيب واستقلالهما المعنوي وأثرهما الإعرابي ، والمفتوحة كالمصدر . ينصب عاملاً وينصب معمولاً . كما في قولنا : (درساً الدرس) . ومن ثم لا يتحقق لها استقلال معنوي . يرفعها إلى درجة المكسورة قوة وتأثيراً

حمل الدعاة على كَرِط بين (إِنَّ) و(أَنَّ) تقديرهم لشكليهما الكتابي (نواحد وإيهامهم وظيفة كل منهما مستقلة عن قيمتها . وهم قد قرروا - كما قدمنا - : أَنَّ المفتوحة مع معموليها محتصة بحكم إعرافي مساو لحكم المصدر انساوي لها في الدلالة . وبسبب كالمكسورة التي تؤكد الجملة ، لامية توكيد محضاً . وهي ليست حرفاً مصدرية (١٨) . لأنهما حرفان مختلفان كل الاختلاف . قال الكنفراوي : «إِنَّ» : لتحقيق مصموم الجملة ، وَأَنَّ : كأوليها بالمصدر (١٩) ليس غير ، وحين نعمد إلى إثبات ما رأيناه . لا نجعل أن مطلق اللغة يرتب علينا الاخلاص لمقتضيات العنوية اللغوية مجردة من تدلج العقل والفلسفة ، لما بين هذين المنطقتين من ألتعارض الواضح ، لكي يكون الفكر النحوي قائماً في أرضه الخالصة ، ولكن الواقع جاعى هذا القرض . وخالفه مخالفة كبيرة ، فلا ننكر - اليوم - ما في نحونا من سمات عقلية مشهودة . ونحن حين نتناول مسألة التوكيد : (إِنَّ) و(أَنَّ) مسوقون إلى دائرة العمل

(١٧) م. ن. / ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(١٨) دراسات نقدية في النحو العربي . (القاهرة ١٩٥٧) - ١٩٢/١ .

(١٩) الموي في النحو الكوني : (دمشق ١٩٥١) ، مجلة الجمع العلمي العربي ، مج ٢٦ / ٤٠٨ .

بالضرورة ، معتبرين هذا المسلك منهجاً من مناهج البحث ، التي لا يمكن الإغضاء عنها أو التفكك منها .

يقول المصريون : إنَّ : مؤكدة للجمله ، واللام مؤكدة للخبر (٢٠) في مثل قوله تعالى : «فإنَّ الله لغنيٌ حميد» (٢١) ، لأننا لا نحتاج بأي وجه من الوجوه إلى تأكيد الموجود الواجب الوجود سبحانه وتعالى ، واللام آتية لتؤكد لنا أنه غنيٌ ومحمود بذاته ، وقد صح الجمع بين أدائي التوكيد هاتين ، لتباين في طبيعة كل واحدة منهما عن الأخرى غاية وعملاً ، فلا يخفى علينا أنَّ في الآية ونظائرها من الكلام تأكيدين :

الأول : تأكيد مضمونها كاملاً بالحرف العامل معنى وإعراباً ، وهذا أمر لامشاحة فيه .

الثاني : تأكيد حرفها أنتظم نغماه اللعوي المنرد ، وهو الخبر المسند تحقيقاً إلى الأسم بواسطة اللام .

فلذا قيل : كيف يكون ل : (إنَّ) تأكيد المضمون كاملاً ، وهي معلقة ممنوعة عن التسلط على الخبر بسبب وجود اللام قبله ؟

والجواب: أنَّ اللام حققت الخبر وصماً للاسم ، والصفة عادة قائمة بالموصوف ، لأنها عَرَض من أعراضه ، وحين يتحقق وجود الشيء ، فالممكن عقلاً وواقعاً وجود أعراضه وصفاته (٢٢) أيضاً . ومن هنا لا يتوقف أثر : (إنَّ) عند حلول الاسم دون الخبر في الجملة ، بل يتعداها إليه كذلك في المعنى - الذي هو ، التوكيد دون اللفظ ، وعلى هذا يكون التعليق حججاً للأثر الإعرابي الذي ينتظر من الأداة أن توقعه على طرفي الجملة اسماً وخبراً ، ولكنه بسبب وجود اللام يقع على الاسم فقط . ولا ينال الخبر منه شيء ، بخلاف الإلغاء الذي هو ترك العمل لفظاً ومعنى بلا مانع . وإذا كانت الجملة الاسمية مستقرة عند العربي مبتدأ وخبراً ، فإن اجتماع اللام وإنَّ المكسورة فيها ، يعطيها شيئاً

(٢٠) اللامات : (دمشق ١٩٦٩) - ٦٦/ .

(٢١) إبراهيم ، الآية ٨ .

(٢٢) أنظر : التحقيق قنام في علم الكلام : (القاهرة ١٩٢٩) - ٥٨/ .

ويفقدنا شيئاً آخر ، فالحرف المشبه بالفعل يحيلها عن صورتها الأولى . فيكون فيها نصب ورفع وتوكيد سياقي عام ، كما يتحقق لها باللام توكيد رجعي ، يرتدّ بالخز المسند ، فيجعله صفة مستقرة في أئسند إليه ، فنقوى عناصر التركيب وتشابك . وكان هذا ممكن الحصول لو لم يفترض منطق اللغة وباموسها الخاص بعدم صحة اقتران اللام بأنّ المفتوحة في أبة حملة من الحمل . فتعذر اقترانها أولاً ، ثم لم يكن للأداة المفتوحة من التوكيد ما للمكسورة ثانياً ، وهذا مانعيل إليه مقتعين .

إن الفيلسوف أبا نصر الفارابي حين فحص : (إنّ) المكسورة . أشار إلى أنّها من الحروف التي تقرر بالشيء . تبدل على ثبوت وجوده و الوجود بصحته . كقولنا : (إنّ الله واحد ، وإنّ العالم متناه) . ولا يذكر المفتوحة لمثل هذا الفرض صريحة ، ولكنه في بعض كلامه . يتناولها معاً ، فيؤكد دلالة الأولى على معنى **الثبات والدوام والكمال والوثابة** . على حد قوله - من الوجود ، ومن العلم بالشيء . ثم يقول . وهو وضع إنّ وأنّ في جميع الألسنة بين ... من ذلك في اليونانية (ان وَاوْن) وكلاهما تأكيد . إلا أنّ : (أوْن) الثابتة أشد تأكيداً ، فإنه دليل على الأكل والأثبت والأدوم . فلذلك يسمون الله تعالى : بـ : (أوْن) ممدود الواو ... ، فإذا جعلوه لغير الله قالوها (أُن) مقصورة ، ولذلك تسمي الفلاسفة الوجود الكامل : (إنسيّة) الشيء ، وهو بعينه ماهيته ... ، وينتهي إلى أنّ الأدوات العربية لاتستعملان إلا في الإخبار دون السؤال (٢٤) ، والإخبار مظنة لوقوع الشك فيه ، فافتضى الموقف التأكيد المناسب لوضع المستعبر من خلط الذهن أو الشك أو الإنكار ، وقد نقل عبدالقاهر الجرجاني : أنّ الكندي الفيلسوف قال : إني لأجد في كلام العرب حشواً ، قليل له : في أي موضع وجدت ذلك ، فقال : أجد العرب يقولون : (عبدالله قائم) ، ثم يقولون : (إنّ عبدالله قائم) ، ثم يقولون

(٢٣) الألفاظ المستعملة في المطلق : (بيروت ١٩٦٨) - ١٥ / .

(٢٤) الحروف : (بيروت ١٩٦٩) - ٦١ / .

: (إنَّ عبدالله لقائم) ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فأجيب : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : عبدالله قائم : إخبار عن قيامه ، وقولهم : إنَّ عبدالله قائم : جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : إنَّ عبدالله لقائم : جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الالفاظ لتكرار المعاني (٢٥) ، والإستعمال الأخير عند الفراء لا يقع إلا جواباً تحقيقاً بعد نفي على حد ما نقله الزجاجي ، وقال : وكأنَّ قائلاً قال : (مازيد قائم) ، فقلت : (إنَّ ريداً قائم) ، فأدخلت (إنَّ) في كلامك تحقيقاً بأزاء (ما) الباقية في كلامه ، فإن قال : (ماريد بقائم) ، قلت : (إنَّ ريداً لقائم) ، فجعلت : (إنَّ) بأزاء : (ما) ، واللام بأزاء الباء (٢٦) ، وهذه اللام هي التي سماها أبو جعفر النحاس (لام التوكيد) ، ووصفها بقوله : «لا تكون إلا بعد إنَّ الشديدة المكسورة أهزمة ... ولا يجوز فيها غير هذا . لأنها تختص الـاب التي قبلها ، وترفع الخبر الذي بعدها» (٢٧) . والألف المذكورة هي همزة (إنَّ) لا غير ، فلو كانت مفتوحة . لتعذر قول اللام في الجملة على وجه ما قدمنا ، ولاقتضت طبيعة المعنى وجود عامل تتعلق به الجملة بصورة من الصور ، فلا يظهر أثر للتوكيد ، ونسج الجملة بدعونا إلى ثمَّ حركات متعددة ، لجعل منها المفرد الفاعل ، أو المفعول به ، أو المضاف إليه ، فالأداة في سبيل هذا أشبه ما تكون بحروف المباني المعروفة ، التي تتكون منها المفردات اللغوية عامة ، فلا توكيد ولا تحقيق ، بل تأويل ووصل وبناء

في ضوء ما تقدم أستقر لدينا أن هاتين الأداتين : (إنَّ وأنَّ) لا تتقاربان وظيفة على وجه التحقيق ، وإن كان ثمة من قرابة . فهي بين المفتوحة منهما ، وبين : (أنَّ) الناصبة للمضارع ، وليس بين : (إنَّ وأنَّ) ، فالناصبـة

(٢٥) دلائل الإيجاز : (القاهرة ١٣٣١هـ) - ١٦٩/ .

(٢٦) اللامات ٦٠/ .

(٢٧) رسالة في اللامات : (بنداد ١٩٧١) ، مجلة المرد ، مج ١٤٧/١ .

للمضارع مصدرية . ومدخولها هو الجملة الفعلية . وأن مصدرية أيضاً ، ومدخولها هو الجملة الاسمية . وإشارة التحاة إلى التأكيد بالفتوحة مخالفة للمفهوم من أفصح النصوص العربية . إذ لم تترق هذه النصوص من حيث درجة التوكيد بين عبارتي : (علمتُ بأنك مسافرٌ ، وعلمتُ سفركُ) ، وإلا لوجب أن نقول إن عبارة : (أريد أن أسافر) : أكد من عبارة : (أريد السفر) ، وما علمنا أحداً قال بهذا (٢٨) ، لعلمنا بتناظر هذين النوعين من المصادر حكماً ودلالة . وإذا قرأنا الإشارة الثالثة من إشارات المرادي المتقدمة أدركنا أن الفتوحة تصير مكسورة محذوف ما يتعلق به ، فقولك : (علمتُ أنك مسافر) ، لا يؤدي دلالة أكبر من : (علمتُ سفرك) ، وليس في الجملة أي ملحظ للتوكيد ، مع إصرار بعض الناحيتين على وجوده افتناعاً مما يتلقاه في الدرس البلاغي . وفي هذا إعغال للداحة التي أفتتست وجود مفتوحة الهجرة صدرأ في الجملة كما يبيناً أدماً . ولا يكون توكيد الجملة الاسمية بهذه الأداة إلا بعد إسقاط ما يتعلق به من العوامل . والتحول من فتح اضمة إلى كسرها لزوماً ، وهذا التحول يعل للمضمون من الأفراد العرفي أو السبك أو التأويل إلى التركيب ، وبعبارة أخرى . من المصدر إلى الجملة ، وتوكيد الحمل أمر معروف ندعو إليه ضرورات خاصة ، يهتم بها البلاغيون ، وإذا قلنا مؤكدين : (السفرُ السفرُ) ، أو : (عانيتُ السفرَ نفسه) ، فإن هذا لا يُتناظر المصدر المؤول : (أنك مسافر) مجرداً من العامل لفساد معناه وقصور دلالته ، فوجود عامله ضرورة لازمة لا بد منها ، ولو أردناه كامل الدلالة من غير عامل كسرنا همزته ، وأخرجناه من الأفراد المعنوي العرفي إلى المضمون الإسنادي المركب ، وكسر الأداة يجعله خبراً طلياً من الزاوية البلاغية ، وهو بلا أداة خبر آتيلاني لاوجه فيه للتوكيد (٢٩) ، فإذا قلت :

(٢٨) المحيط في أصوات العربية ونحوها ومصرها : (بيروت ١٩٧٢) - ٢٢/٢ - ٢٣ ، الخامس

(٢٩) أنظر : المسط في علوم البلاغة : (بيروت ١٩٦٢) - ٢٦/ .

(عرفت أنك مسافر) . أصبحت الأداة عنصراً أصيلاً في بناء المصدر ،
وليس إضافة خارجية . تطرأ على التركيب . لتوكده وتقويه ، كما تفعل
(إن) المكسورة . فالمصدرية إذن صفة لازمة للمفتوحة ، وحين نصرح بالمصدر
المؤول ، فإن أداته لا تنفيذ توكيداً كما نقل المرادي عن بعض النحاة (٣٠) .
فإذا كان احتمال كونها مؤكدة متوقفاً على عدم التصريح بالمصدر ، فإننا
نرى السهيلي يقول : «أن» المشددة إنما تؤول بالحديث على نحو قول سيبويه ،
ويؤيده أن خبرها قد يكون مهماً محضاً ، نحو : (علمت أن) الليث الأسد) ،
وهذا لا يشعر بالمصدر (٣١) .

نعني إشارة السهيلي إلى التأويل بالحديث : توهم التأويل وأقرضه من
الناحية المعوية فنص . مع بناء حصة على وضعها اللفظي المركب المعروف ،
وهذا الوضع يجعلها تاطر المكسورة وطيفة وعملا . ونوهم تأويلها مع
معمولها غير منضود لداته ، لأن دخولها على احصة الاسمية لم يقع لتوكيد
المصدر المؤول فصلاً ، بل لتأكيد الإسناد بين الاسم والخبر ، إذ لو كان
القصـد تأكيد المصدر المؤول ، فإن الميل إلى الإقتصاد والإحتصار يجعل المصدر
الصريح أخرى بالإستعمال منه على ما فهمنا من ملحظ ابن يعيش فيما تقدم .
ومن ثم فلا حاجة للإتيان بها عند الأغلبية إلا للتوكيد ، وهذا قائم على وصف
نسج الجملة الظاهر فقط . وأنا أتمثل التوكيد المظنون في المفتوحة وجملتها
وكانه من قبيل ما قيل في وصف المفردات : (زيادة المبني زيادة في المعنى) ،
والأمر ليس كذلك ، لعلمي أن هذه الأداة ، و(أن) الداخلة على المضارع
والماضي ، والتفسيرية الداخلة على الأمر في الحقيقة حرف واحد ، يشدد إن
دخل على الجملة الاسمية . ويخفف إن دخل على الجملة الفعلية ، تقول :

- علمت أنك مسافر .

- أريد أن تذهب معي .

(٣٠) الجنى اللغوي / ٢٦٤ .

(٣١) مني اليب : (لقدامة ١٩٧٢) - ٤٠ / ١ .

— سافر زيد بعد أن غربت الشمس .
 — كتبت إلى أبي أن أرسل لي كتاباً .
 فهي كل عبارة جملتان . أولاهما : ابتدائية . والآخرى : معمولة ، ربطت
 بالابتدائية بأداة الوصل . (أ) أو : (أن) (٣٢)
 ومهج الوصف في درسنا الحديث يحملنا على الإشارة إلى أن سينوبه والأخفش
 الأوسط وأن الخشاب استجاروا إحلال اسم الإشارة : (ذاك) محل مفتوحة
 المجرورة مع معموليها (٣٣) لاستوائها مع المنفرد في دلالتها ، والنحاة عامة
 لا يختلفون في إحلال المصدر الصريح محلها ومحل معموليها أيضاً ، ولهذا
 سماها الدكتور مهدي الخزومي : (أداة وصل) (٣٤) ، لأنها وصلت أطراف
 الجملة الاسمية ، وجعلتها مفرداً عرفياً كما سميناها ، ومصدراً مؤولاً كما
 استقر عليه النحاة

...

حين نعلم إلى تقرير صاحب الخرومي في هذه الأدوة . وقد أخذت منه شطراً
 وافياً من الاهتمام ، نجده يشر أولاً إلى أن الإرادة تنكبد في العربية أدوات ،
 منها ما يختص بالاسم فقط ، ثم لا يذكر إلا مكسورة المجرورة التي تؤكد النسبة
 في الجمل ، ووطئتها تثبيت الشيء ، حين يكون المخاطب طالباً ذلك (٣٥) ،
 ولا يعرض للمفتوحة مرادة لتأكيد البتة ، ويعالجها في باب عقده بعنوان
 (أدوات الوصل في العربية) ويقول :

من الوظائف التي تؤديها الأدوات في الكلام : الوصل ، وأدوات الوصل
 التي عرض لها النحاة : (ما ، وأن ، وأد) . ويسمونها : (أدوات المصدر) ،

(٣٢) الوجيز في فقه لغة : (جلب ١٩٦٩) - ٢٢٣/ - ٢٢٤ .

(٣٣) انظر : هامشنا المأثر .

(٣٤) في النحو العربي : نقد وتوجيه : (بيروت ١٩٦٤) - ٣١٢ .

(٣٥) م.ن. ٢٣٧ ، وانظر كتابه : في النحو العربي ، قواعد وتطبيق . (القاهرة ١٩٦٦)

- ١٥٦/ .

ويسمون الجمل الي بعدها : (صلات) (٣٦) .

أما (أَنْ) فهي عندهم من أخوات (إِنَّ) المكسورة المضممة ، تدخل على المتبداً والحر ، فتتسخ حكمهما . وتنصب الأول ، وترفع الثاني . وراحوا يبحثون عما منحها القوة على العمل . فتوصلوا إلى أنها في معناها وفي لفظها . فمعناها : (أوكد) . ولفظها على ثلاثة ، وهو الذي استقر عليه الفعل العربي ، فعملت العملين المشار إليهما . وذلك ما لم يكن لعامل غير الفعل . ومع أنهم يصرون على أنها كالمكسورة . تؤكد مضمون الجملة وتحققه على حد ما قاله الزمخشري في (المفصل/٢٩٣) . يعرضون لها في مواضع أخرى مع ما يعرضون له من الموصولات الحرفية . وقد قال ابن هشام في . (الغني ٤٠/١) : «إنها موصول حرفي مؤول مع معيوبه بالمصدر . فإن كان الخبر مشتقاً . فالمصدر المؤول من لفظه . تقدير . بلعي ألك مطلق : (بلعي الإنطلاق) . . . وإن كان حامداً . قدر الكون . نحو : سمي أن هذا زيد . تقديره : (سُمي كونه زيداً) ، لأن كل خبر حميد يصبح بسببه إلى المخبر عنه لفظاً للكون ، تقول : هذا زيد . وإن شئت . (هذا كائن زيداً) . إذ معناها واحدة . وعلى هذا يكون لها في الكلام عندهم وظيفتان (٣٧) :

الأولى : إنها أداة تأكيد عاملة .

الثانية : إنها موصول حرفي . يؤتى به ليؤول ما بعده بالمصدر . وهذا الإزدواج عند المخرومي مما يعسر إدراكه ، وحق له مثل هذا التصور ، إذ كيف يتأتى ما أن تكون عاملة مؤكدة ، وهي لا تأتي إلا لعرض التأويل بالمصدر . وواضح كظنه في هذه المسألة : أن لأدوات الوصل الثلاث وظيفة غير ما تصوره النحاة ، ذلك أنها أدوات استخدمتها اللغة وسائل لوضع الجمل مواضع المتردات ، وتحملها معانيها الاعرابية من فاعلية ومفعولية وإضافة وغيرها : فليس في قولنا : (يسرني أن محمداً معافى) ، أن تؤكد مضمون

(٣٦) في النحو العربي : نقد وتوجيه/٣١٢ ومن أدوات المصدر إضافة إلى ما ذكره : لوكي أيضاً .

(٣٧) م. د. / ٣١٥ .

ما بعدها ، كما زعم الزمخشري وغيره ، ولا أن تعمل فيه نصاً ورفعاً . كما
 رعب النحاة . أما كونها غير مؤكدة . فذلك ما برئى من استعمالها ، لأنها
 كما نجيء بعد أفعال تدل على الاعتقاد أو اليقين . حو : (علمت أنك على حق ،
 وأيقنت أنك على صواب) ، نجيء بعد أفعال تدل على الظن أو الشك أيضاً .
 نحو : (ظننت أنك مخطئ ، وأشك أنك مصيب) . وإذا كانت على رعمهم
 مؤكدة ، فإن هذا يقوم على ما يمثلون به غالباً بما يشعر بالتوكيد ، يصدرون
 القول بالعلم أو الإعتقاد أو اليقين . ولكن : أيقنى ظاً مثل هذه الدلالة ،
 لو سبقت بظن أو شك ، أو ليس هناك من التعارض الراضع بين ما رعموه
 لها من توكيد وتحقيق وبين ما سبقها من ظن وشك . ٢ . و الظن رجحان
 أحد الطرفين لا الاعتقاد بأحدهما . والشك تساوي الطرفين . فصلا عن
 رجحان أحدهما على الآخر . فكيف يستفاد الظن والشك على ما نص على
 على تحقيقه (٣٨) ؟ ..

وربما يسأل سائل لماذا سماها المخزومي (زده وصل) . ولم يسمها :
 (مصدرية) . ١ . و زده على هذه : أن الأفعال ليس ف ما نسب إليها من
 قدرة على العمل ، فصلا عن الأدوات . وليست الحركات هي أواخر الكلمات
 في أثناء الاستعمال آثار العوامل . ولكنها من عمل اللغة نفسها ، مما أفترضته
 أساليبها وأصولها الثابتة ، وهذه المسألة ليست مدار بحثنا ، وحسبنا أن نلفت
 النظر إلى أنه لحص لنا وجهة نظره في تسمية هذه الأداة وعملها ، مشيراً
 إلى أنها ليست للتوكيد ، وليست عاملة ، ولكنها أداة وصل وواسطة تعبير ،
 تستخدم لتصنع من الجملة ، التي لم تكن - في تركيبها وهيئتها - لتكون
 مبتدأً أو فاعلاً أو مضافاً إليه مثلاً حملةً تقع في موضع المبتدأ والفاعل
 والمضاف إليه ، فجملة : (محمد قائم) لاتصلح أن تكون فاعلاً ، ولا تصلح
 أن تلي فعلاً متعدياً ، فتحل محل مفعوله . فلا يصح أن يقال : (أعجبني

محمد بن عيسى) 'د' . لأنه تأليف صعب . لم تسبغ اللغة مثله . فتوصلت إلى استخدام : (أَنْ) واسطة لحمل هذه الجملة داعلاً . ولو كانت بقصد إلى تأويل ما بعدها بالمصدر . لاستراححت إلى المصدر من أول ، ولاستغنت به عن استعمال الجملة ، وقد رأى الرخاشري في : (المفصل / ٢٩٣) : أَنْ (ما . وَأَنْ) هما الحرفان المصدريان . ولم يذكر : (أَنْ) معهما . وهو إذا لم يحالعه التوفيق في اعتبار هاتين الأداتين مصدريتين . ولا في اعتبار : (أَنْ) للتوكيد . فقد وفق في نفي مصدريتها خلافاً لآخرين . ولا سيما ابن هشام الذي فصل ذلك في : (المغني ٤٠/١) . وذهب مذهبا بعيداً . حتى أدى به القول إلى أن يتصبد مصدراً من الكيفية لحمل التي لم يكن المسد فيها مشتقاً أو مؤولاً بالمشق (٣٩) على نحو ما قدما

ووجه اعتراضنا عن الدكتور محمد عيسى . إشارته إلى أن اللغة لو كانت تقصد إلى تأويل ما بعد (أَنْ) بمصدر . لاستراححت إلى المصدر الصريح من أول ، ولاستغنت به عن استعمال الجملة . وبها جاهل بنبدأ التوسع المعمول به في أصول الكلام الأمريكي . ولولاه لم نجد متكلم نفسه شامداً بحدود من وجوه الاستعمال . ولما وجد الفرصة للمحار والاستعار والكناية مثلاً . ومقولة البياضة في حروف المعاني وجه من وجوه الاسماع اللغوي . الذي يرفد المتكلم . وبعده بالجديد المناسب من طرائق القول . وأصطناع المصدر المؤول في موضع الصريح من هذا الباب نفسه ، وهو من قبيل الرخص الكلامية التي لا غبار عليها ، كما أن هذه الأداة — واصلة أو مصدرية — مسألة ليست من الضحامة بحيث نتقيد بأحد هذين المصطلحين لا نعدوه ، وهما عندنا يتقاربان إلى حد التداخل والترادف .

وإذا كان كذلك النجاة لجماعتها قد حملهم على القول بتوكيدها . والمصدر الذي هو الصورة التوهمية أو الذهبية لهذه الجملة لا يظهر فيه أي أثر للتوكيد ، فقولهم هذا تسوية قسرية بين المؤكد وغير المؤكد ، وهذا أمر غير مقبول .

(٣٩) م.ن / ٣١٧-٣١٩ .

وإذا كان بمقدورنا أن نفتح همزها أو نكسرهما في بعض الأحوال، فإنها باقية على اختصاصها بعملها الوظيفي في الجملة . وهو التأويل بالمصدر . أو الوصل بين أجزاء الجملة . إلا إذا أخذنا بنظر الاعتبار كون الرخصة بين الفتح والكسر تنأدي المتكلم استعمال الأداة مصدرية وموكدة معاً ، وتسوّغ له أن يعدّها هذا المعد . فتكون إفادتها التوكيد فرعاً على إفادتها المصدرية . نظراً إلى إطراد هذه وسعتها في حالات وجوب الفتح ، وحالات جوار الوجهين ، وانحباس الإفادة الازدواجية في حالات الجواز فقط لا يكون إلا مراعاة الأصل وضيق المخرج ، كما هو العرف الجاري في مختلف الأشياء .

لقريب من هذه التصورات ، أو التعليقات ، فيما أقدر - لم يتعرض بعض الدارسين لبيان مواضع كل واحدة من الأداتين لاختلافهما . واستقلال كل واحدة منهما رأسها كما نقل لسيوطي (٤٠) . واللغة كلما أرادت المصدر استعملت المفتوحة . وكلما أرادت الجملة استعملت المكسورة (٤١) . وعندي أن هذا يرجع إلى تعدد الصايط العام الذي قرناه من كلام المرحشري وابن مالك وابن هشام أول هذه الدراسة ، إذ المصدر لا يسد مسد الجملة في كل لأوضاع الكلامية . ولم يقل ابن مالك في بيته الذي قدمناه : «لقد مررد مسدها» (٤٢) ، لأن المفرد قد يسد مسدها ، ويجب معه الكسر ، نحو : (ظننت زليلاً إنه قائم) ، ولا يصح : (ظننت زليلاً قيامه) (٤٣) ، وحين يسد المصدر مسدها في غير مواضع وجوب الفتح ، فإن استعمال المكسورة أو المفتوحة أمر يطمأن إليه افتراضاً ، ولكن النحاة يقررون الأصل في كل حالة من تلك الأحوال ، فإذا ورد هذا الحرف الناسخ بعد : (إذا الفجائية) مثلاً ، في نحو قول الشاعر :

(٤٠) مع الخواص ؛ شرح جمع الخواص . (القاهرة ١٣٢٧هـ) - ١٣٨/١

(٤١) المحيط في أصوات العربية ونحوها ونصرفها ٢٢/٢ .

(٤٢) أنظر : حاشيتنا الخامس .

(٤٣) شرح الأشموني ، وعليه . حاشية المصباح . (القاهرة ، غير مؤرخ) - ٢٧٤/١ .

وكنْتُ أرى ريداً - كما قيل - سيداً

إذاً فإنه عبد الله والنهارم (٤٤)

فالكسر أول فيه ، لأنه لا يجوز إلى تقدير ، والتقدير مع الفتح . إذا العبودية
حاصلة . والمصدر المؤول مبتدأ ، وحرره محذوف ، كما نقول : (خرجت فإذا
أنت) ، أي : (مثل) . وإذا كان ابن السراج في قوله : «مضى وجدت
المكسورة والمستوحدة تقعان في موقع واحد» ، فاعلم أن التأويل مختلف :
وذلك نحو قومهم : (مررت فإذا أنه عبد : وإذا إنه عبد) ، فإذا فتح .
فكأنه قال : مررت فإذا العبودية . وإذا كسر ، فالتأويل تأويل الإبتداء ،
فكأنه قال : فإذا هو عبد (٤٥) . لم يرجع وجهاً من هذين ، فليس يصعب على
المتذوق إدراك أيهما أقرب إلى النص . وأخرى بالاستعانة ، لأنه إذا نظر
إلى وظيفة الأداة في الجملة ، استحسن ما شره استعمال الكسر . لأنه صني
بالتوكيد ، ولا يقوم لفتح عليه فضل إطلاقاً ، لما فيه من تأويل خالٍ من
التحقيق والتوكيد على نحو ، نصيباً ساعياً .

إذا كان نحاة العربية قد تناووا (إنَّ وأنَّ) باعتبارهما عاملتين نصباً
ورفعاً ، فإن في كتبهم غناءً ووعورة . ولا حجاج على الباحث الذي يريد
التعمق في خفايا النحو ، إذا نظر في اللغات السامية ، لعله يجد في ظواهرها
ما يوضح له الخفي من أسرار ما يعالج من موضوعات نحو العربية ، و
نحترق هنا ونقول : إن قواعدنا العربية ثابتة راسخة ، وإن اجتهداً من هذا
النوع لا ينبغي له أن يمسها ، بل يقتصر على تفسيرها فقط (٤٦) .

(٤٤) القهارم : جمع : لهمة ، وهي طرف الحفوف ، ويقال : عظم نأيه تحت الأذن ، ونقوله :

عبد الله والنهارم . كناية عن الخسة والفتنة والذلة . انظر : منحة الجليل بتحقيق شرح

ابن عقيل : (القاهرة ١٩٧٢) - ٣٥٦/١ - ٣٥٧ .

(٤٥) دراسات نقدية في النحو العربي ١٩٢/١ .

(٤٦) دراسات في لغة اللغة العربية : (بيروت ١٩٦٩) - ص - ي

يرى الدكتور السيد يعقوب بكر هاتين الأداتين اسمي صوت (interjection) تركبت المكسورة من : (إنْ + نْ) ، والمفتوحة من : (أُنْ + نْ) ، وكل من : (إنْ وأُنْ) اسم صوت بسيط . مكون من عنصرين إشاريين هما : الهزمة والنون ، أنشئت إليهما نون إشارية أخرى على سبيل التقوية والتأكيد (٤٧) . وليس غريباً أن تكون الإشارة دلالة كل واحدة منهما ، فقد رأى بريشون Perruchon : أن اسم الإشارة : (annu : أنْ = هذا) في الأكديّة ، قد يكون الأصل في حرفي الوصل : (أُنْ . أو : أُنْ) ، وأن الحرف (أُنْ ، أو : أُنْ) لا بد أنه كان في الأصل اسم إشارة ، وهو يني رأيه هذا على أنه في معظم اللغات تتفق صيغة حرف الوصل الذي بمعنى : (أُنْ) ، والذي يتقدم الجملة الفرعية مع صيغة اسم إشارة أو اسم موصول في اللغة الواحدة تمام الاتفاق ، وهو يقول : إن هذا لاتفاق اتام في الصيغة يرجع إلى أن الجملة الفرعية كانت في الأصل جملة أساسية ، يتقدمها اسم إشارة (٤٨) ، والفرعية المشار إليها هي الجملة المفعولة التي تزول مع الأداة العبرية بالمصدر . أما مكسورة الهزة فيعرض لها الدكتور يعقوب محققاً معنى الإشارية فيها ، ويذكر أن لها في اللغات السامية نظائر كثيرة ، منها : (هينِّي - بإمالة طويلة في الآخر) ، التي بمعنى . (أنظر) في العبرية ، وهذه الأداة العبرية مركبة أيضاً لابسطة ، قوامها : (هينْ + ني) بإمالة طويلة (٤٩) . والمعنى الفعلي المتعدي : (أنظر) الذي تؤديه : (هينِّي) العبرية متطور عن المعنى الإشاري : هذا أو ذلك ، الذي كان لها في الأصل ، وهذا المعنى الفعلي هو السبب في نصبها الاسم والضمير بعدها على المفعولية ، كما ورد في : (سفر التكوين ٢٢ : ٧) : (وَيَوْمَ هِنِّي هَائِشَ وَهَ عَصِيم) = (فقال : هاهي النار وما هو الخطب) ، وكما في السفر نفسه : (٢٢ : ١) : (وَيَوْمَ إِلاؤْ أَبْرَاهَامَ وَيَوْمَ

(٤٧) م. ن. ٤٥ / ٤٨ .

(٤٨) م. ن. ٥٦ / الماش .

(٤٩) م. ن. ٤٨ .

هَيْتِي = (فقال له إبراهيم ، فقال : هاأندا) .

ففي المثال الأول نصت : (هايش = النار) على المفعولية . وإن لم تظهر علامة النصب ، لأن حركات الإعراب رالت من العبرية . وفي المثال الثاني نصبت ضمير المتكلم بدليل وجود نون الوقاية قبله : (ني) (٥٠) . وقد تستعمل هذه الأداة مع جملة اسمية أو فعلية ، مثال الاسمية من (سفر التكوين) (٢٨ : ١٥) : (وهيتي أنوكي عيماك) = (وها أنا معك) ، و الأداة هنا لا تعمل في الضمير . (أنوكي) الذي يتبدى به الجملة الاسمية . إذ هو ضمير روع مفصل ، ولكنها تعمل في ضمير الغائبين في السفر نفسه : (٤٠ : ٦) : (ووتر أوتام وهيتام زو عتيم) = (ورآهما فإذا هما مفتحان) (٥١) . وقد رأى إفالده Ewald : أن هذه الأداة في نفسها القدرة على نصب الاسم أو الضمير الذي نشر إليه (٥٢) . وبنهم من هذا أن نصممتها معنى الفعل المتعدي ، ليس هو السب في كونه أداة عامه

وقد استنتج السيد يعقوب بكر بعد مثال سبعة من (سفر التكوين ١٢ : ١١) أيضاً دليلاً على دخولها على الجملة الفعلية (هتي . نايدعتي يكي إشايفت مرتي آت) = (إني أعلم أنك امرأة حمية المظن) . أن هذه الأداة كانت تستعمل في أول الأمر مع المفعول ، فتصبه على المفعولية بما فيها من معنى الفعل المتعدي : أنظر ، ثم صارت تستعمل أيضاً مع الجملة الاسمية ناصبة المبتدأ فيها ، وفي هذه الحالة يكون هذا المبتدأ مفعولاً به ، ويكون الخبر خبراً لمبتدأ محذوف . فتقدير فقرة سفر التكوين (٤٠ : ٦) هو : (... وهيتام / هيم / زوعقيم) = (وانظرهما / هما / مفتحان) (٥٣) .

(٥٠) كذلك .

(٥١) م. ٤٩ .

(٥٢) = كذلك ، الحاشي من كتاب :

Ewald (H.) Ausführliches Lehrbuch der hebraischen Sprache, 8th. e.d.,

Gottingen 1870, P.650

(٥٣) دراسات في لغة اللغة العبرية / ٤٩ .

والمرحلة الثالثة من تطور استعمال هذه الأداة العربية دخولها على الجملة الاسمية دون أن يصب المبتدأ . ودخولها على الجملة الفعلية وفي كلتا الحالتين يكون المعنى الإشاري فيها منصّباً على الجملة بأسرها لا على أحد جزئها . ومما يؤيد ما زعمه صاحب هذا المبحث اللغوي الفقهي من معنى الفعل في بعض استعمالات هذه الأداة (٥٤) ، أنه قد تدخل عليها نون التوكيد الخفيفة متوسطة بينها وبين ضمير النصب في الأحوال الآتية :

(هَيْتَنِي) = أنظرني ! هأنذا .

(هَيْتَكَ) = ها أنت ذا .

(هَيْتُو) = ها نحن ذا .

وغني عن القول أن نون التوكيد مختصة بالدخول على الأفعال (٥٥) . وهذا المعنى القمعي هو أيضاً السب في نصب إسم : (إنّ) العربية ، فقولنا : (إنّ زيداً قائم) ، تقديره : إنّ (= انظر) زيداً ! (هو) قائم . فقائم ليس في الواقع خبراً لرّيد ، وإنّ زيداً معول به لإنّ . ولكنه خبر لضمير محذوف تقديره : هو ، وهذا يفسر السب في خروج إسم (إنّ) على القاعدة التي بسطها الاستاد المرحوم إبراهيم مصطفى في كتابه : (إجاء النحو / ٥٣) : من أن الرفع علم الإسناد (٥٦) .

قال نولكه Noldeke : إنّ : (إنّ) قريبة في المعنى من الفعل (٥٧) ، بل إنّ تضمنها معنى الفعل أمر متفق عليه عند نحاة العربية ، وهذا العمل هو حَقَّقْتُ أو أَكَدْتُ ، لا أَشَرْتُ ، إلا أن يتحمل هذا العمل معنى الفعلين الأولين ، وقد رأى ركندورف Reckendorf أن الأداتين العربيةتين : (إنّ) وأن) كانتا تلفتان نظر السامع إلى مبتدأ الجملة الاسمية بعدهما ، ولكن

(٥٤) = كفك .

(٥٥) ن.م. / ٥٠ .

(٥٦) سكفك .

(٥٧) الهاش الثاني عل : (المس ٤٠) من :

Zur Grammatik des Classischen Arabisch, Wien, 1896.

بمجرد الزمن حت محل العلاقة الخاصة بين (إنّ أو أنّ) والمبتدأ علاقة أوسع بين (إنّ وأنّ) والجملة الاسمية بأسرها، فلم يعد التأكيد منصّباً على المبتدأ وإن ظل منصوباً . ولكن على الجملة الاسمية (٥٨) كلها، واشتراكهما في وظيفة التأكيد مسأنة فحصرناها سابقاً بما فيه الكفاية . وكتب المحو نقف وقفات جليّة في درس عمل هاتين الأداتين، لا سبيل إلى عرض خطواتها في هذا الموضع .

وقد وقف الدكتور السيد يعقوب أيضاً على (أنّ) المفتوحة، يؤكد فيها معنى : (أنظر) الإشاري أيضاً . لأنه هو الذي سيُفسر لنا نصبها للمبتدأ بعدها في الجملة . فقولنا : (اعلم أن زيداً قادم = اعلم : انظر زيداً ! وهو قادم) ، فكانت أنّ في الأصل - كما أشاد ركندورف - تلت نظر السامع إلى زيد ، ولكنها أخذت فيما بعد ، لتشير إلى الجملة كلها :

اعلم هذا : زيد قادم . وإن ظلّ المبتدأ على النصب (٥٩) ، الذي لا يرجعه نولدكه Noldeke وBarth إلى طبيعة الأداة نفسها، ولكن إلى قياسها على : (إنّ) (٦٠) عملاً . كقياسها عليها وظيفية في معنى التوكيد عند أغلب النحاة ، وهي من خلال هذا القياس لا تتحمل معنى الفعل المتعدي مباشرة، بقدر ما يكون يحملها له عن طريق المشابهة الاستعمالية بينها وبين نظيرتها العاملة المشيرة ، وواقع الأمر لدى الدكتور السيد يعقوب ليس كذلك، لأنه يحقق إشاريتها فيقول (٦١) : وأنّ : الداخلة في تركيب : أنّ تستعمل ثلاثة استعمالات في العربية : فهي قد تكون مصدرية، وعندئذ يلبها فعل

(٥٨) دراسات في فقه اللغة العربية / ٥١ ، الهامش ، من :

Die Syntakischen Verhältnisse des Arabischen, Leiden 1898. P.354-356.

(٥٩) دراسات في فقه العربية / ٥٥ .

(٦٠) = كذلك ، الهامش من :

أ- هاشم نولدكه الثاني على (القرن ١٠) من كتابه :

Zur Grammatik des classischen Arabisch, Wien 1896

ب- هاشم بارت الثاني على (القرن ١٠٢) من كتابه :

Die Pronominalbildung in den Semitischen Sprachen, Leipzig 1913.

(٦١) دراسات في فقه العربية / ٥٥ - ٥٦ ، استعدنا من الهامش ، وأنزلناها في مواضع تقضيها من السياق احتمالاً للقائده وتوضيحاً للعرض .

دائماً ، ماصِر مثل : بلغني أن جاء زيد ، أو مضارع منصوب مثل : أريد أن تفعل .

وقد تكون (أن) مخففة من الثقيلة ، وإن كان الأولى هنا أيضاً أن يقال : المثقلة من الخفيفة- ، وأن هذه تأتي بعدها جملة إسمية كـ : (أن^٢) ، ولكن الاسم هنا ضمير الشأن واجب الحذف ، كقوله تعالى : «أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا» (٦٢) أي : أنه لا يرجع .

ونادراً ما تعمل (أن) المخففة في غير ضمير الشأن ، ولا يستحسن سبويه ذلك ، ويؤمن البصريون اعتماداً على هذه الحالات النادرة أن^٣ : (أن) المخففة تعمل . وخالفهم الكوفيون في ذلك (٦٣) .

وقد تتقدم (أن) القول ، كقوله تعالى : «فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا» (٦٤) ، والعمل الذي يسبق (أن^٤) هذه . يجب أن يكون فيه معنى القول : كأوحى وودى . ولا يكون فعل القول نفسه . وإلا لحاء بعده : (إن^٥) لا (أن^٦) (٦٥) . وهذه هي : (أن) المعصرة

وأن^٧ في هذه الاستعمالات الثلاثة اشارة ، وقد تقدم لنا رأي پريشون Perruchon في هذه المسألة ، وهو يجهل لها بأن اسم الإشارة (annu ، أن^٨=هذا) بالأكدية قد يكون الأصل في حرف الوصل : أن أو أن^٩ (٦٦) ، وأن حرف الوصل هذا لابد أنه كان في الأصل اسم إشارة ، وهو محق في هذا القول عند الدكتور يعقوب بكر ، ولكن لا يلزم أن الأصل فيها : (أن^{١٠}) الأكديّة ، والأولى أن يقال : إن الصيغ الثلاث : (أن^{١١} وأن^{١٢} وأن^{١٣})

(٦٢) طه ، الآية ٨٩ .

(٦٣) دراسات في فقه العربية / ٥٩ ، الحاشي ، وانظر : الإنصاف في مسائل اختلاف . (القدرة

(١٩٦١) - ١ / ١٩٥٠ ، وشرح المفصل ٧٣/٨ .

(٦٤) مريم ، الآية ١١ .

(٦٥) شرح المفصل ١٤٢/٨ ، مني اليب ، ٣٢/١ .

(٦٦) أنظر : هامشنا الثامن والأربعين .

يحللها على الشكل الآتي :

كلها من عناصر إشارية واحدة (٦٧) .

يحالها على الشكل الآتي :

وإذا رجعنا إلى الأمثلة التي ضربها الدكتور يعقوب : (أن) باعتبارها إشارية ، نراه

١ - بلغني أن جاء زيد : بلغني هذا : جاء زيد .
أريد أن أفعل : أريد هذا : تفعل .
أن المصدرية .

٢ - أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا : أفلا يرون هذا :
لا يرجع إليهم قولا .
الخففة من الثقيلة .

٣ - فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا : فأوحى إليهم هذا :
سبحوه بكرة وعشيا
المقسرة (٦٨)

ولم ينطرق في شيء من بحثه اللغوي الدقيق إلى مسألة الهمزة في : (إن)
و(أن) بشكل مباشر . لأنه ليست من شرط دراسته ، ولكنه لفت الأنظار
إلى أنها في حالتها عصر إشاري (٦٩) منص ، لا يستقل بنفسه عندنا كاستقلال
همزة الاستفهام ، بل إنّه أن يتقرن بالون . فيتولد منهما حرف ، تكون
وظيفته على النحو الآتي

إنّ : الإشارة والتأكيد .

أنّ : الإشارة والتأويل بالمصدر أو الوصل

ـ : تتداخل الوظائف المشار إليها فيهما ، ويتخذ النحاة مواقفهم الدوقية
في تفضيل الكسر أو المنح على نظيره .

وإذا كان جمهور النحاة قد ذهب إلى أن الإشارة لاحرف لها (٧٠) في اللغة ،
فإن هذه الهمزة والألف واللام العهدية من جملة الحروف الإشارية التي شاك
النحاة في وجودها . حين زعموا أن اسم الإشارة : (هـا) مبني ، لمشابهته

(٦٧) دراسات في فقه العربية / ٥٦ ، الخامس .

(٦٨) ن.م / ٥٦ .

(٦٩) ن.م / ٤٨ ، ٥٥ .

(٧٠) القواعد الجوهريّة شرح الحلاوة السكريّة : (مخطوطة مدرسة الحليّات بالموصل) - / الورقة ١٢٩ و .

المعنوية لحرف كان من حقه أن يوضع ، فلم يوضع (٧١) ، وفاتهم أن هذا الأمر غريب في العقل لما فيه من مشابهة الوجود بالمعوم (٧٢) .

• • •

حين نفرق بين: (إنّ وأنّ) نرى الدكتور عبد الرحمن أيوب قد أثر مخالفة النحاة، فلم يذكر حالات كسر الهزمة وحالات فتحها . بل عدّ ذلك اختلافاً في مواضع استعمال كل واحدة منهما (٧٣) باعتبار استغلاها عن الأخرى ، وظاهر كلامه أن طبيعة الموضع تحمل على اتخاذ ما يناسب مهما . وليست الأداة هي القاضية بأن لا تدخل إلا في مواضع خاصة . ولا فرق في حقيقة الأمر بين اقتضاء الموضع . وبين عدم مساع وضع هذه أو تلك إلا فيما تعين لها من مواضع والقصد من هذه الدراسة البسط ووضح التحليل قبل النقد والتزام الشكليات والطواهر ، من هذا استوى لديّ النظر إلى المسألة في ضوء الاقتضاء الموصفي أو الوضع الاقتضائي . فإن الأمرين معاً يقضيان في النهاية إلى تعدد شعبها بشكل يستعري النظر . وقد ذكرنا سابقاً أن المعنى العام وطبيعة التركيب هما المحكمان في تحديد نوع الاستعمال وأداته . ولو أردنا أن نورد هنا داعية لمثل هذه الدراسة المبسطة ، ونحن في سبيل الخلوص إلى بحث وجوه همة الأداتين في الكلام العربي . أشرنا إلى خلاف النحاة في احصائها ، مما يجعل الاحاطة بها ورصدها مسألة من الاتساع بمكان . وليس من شأننا أن نصف هذا الخلاف بلا إشارة إلى شيء من ملامحه المنبئنة على وجه الاحصاء .

ذكر أبو علي الحسن بن عبد الله المعروف بلغة الاصفهاني ، وهو نحوي

(٧١) أنظر : شرح الأشموني ، وعليه : حاشية الصبان : ٥٣/١ .

(٧٢) الفلادة الجوهريّة . / أو ١٢٧ ط ، وذكر صاحبها شيان الآثاري الموصل (ت ٨٢٨) بعد أن عطا النحاة في قياسهم هذا : أن (ها) حرف تختص بالإشارة مع التنبيه دون (يا وألا) اللذين هما للتنبيه والإستفتاح ليس إلا ، وذلك لزومه للإشارة دون أغويّه ، فيأتي في الكلام نحو قولك : هذا ، وهذاك ، وهاتك ، وهاتيك وما أشبه ذلك . . . وقد ذهب غيره من النحاة إلى أن (ها) للتنبيه خاصة .

(٧٣) دراسات نقدية في النحو العربي ١٩٢/١

قديم (ت ٨٣١١) للمكسورة موضعين فقط (٧٤)، أما أعلام النحاة فاختلّفوا فيها على الشكل الآتي :

- ١ - ابن الحاجب : ثلاثة مواضع (٧٥) .
 - ٢ - الرماني : أربعة (٧٦) .
 - ٣ - ابن مالك : ستة في : (الألفية) (٧٧) ، وسبعة في : (التسهيل) (٧٨) وقال ابن عقيل في شرح ماورد في الألفية : « هذا ما ذكره المصنف ، وأورد عليه أنه نقص مواضع يجب كسر : إن فيها » (٧٩)
 - ٤ - السيوطي : سبعة (٨٠) أيضاً .
 - ٥ - الأشموني والمرادي : ثمانية (٨١) .
 - ٦ - أبو حيان الأندلسي ومرتضى الزبيدي : تسعة (٨٢) .
 - ٧ - ابن هشام : عشرة (٨٣) .
- أما اختلافهم في إحصاء مواضع الفتح الوجودي ، فحاء بعضه على النحو الآتي :
- ١ - ابن الحاجب : أربعة مواضع (٨٤) .

-
- (٧٤) كتابه : في السور (نداد : ١٩٧١) ، حلة المورد - العدد ٣ ، مع ٢٤٢/٣
- (٧٥) الكافية / ٣٣ ، واسطر شرح ابن القواس ٢/٢١٩ ، شرح الرضي : (استانبول ١٩٢٧٥) - ٣٢٤/٢ .
- (٧٦) ساني الحروف : (القاهرة ١٩٧٣) - ١٠٩/ .
- (٧٧) الألفية : (ضمن : مجموع القوتون الكبير) - ٢٤٢/ .
- (٧٨) التسهيل / ٦٣ .
- (٧٩) شرح ابن عقيل : (القاهرة ١٩٧٢) - ٣٥٤/١ .
- (٨٠) مع المواضع ١٣٧/١ .
- (٨١) شرح الأشموني ١/٢٧٣ و .
- الجنى الداني / ٣٦٥ .
- (٨٢) شرح أبي حيان / ٧٥ و .
- تاج المروس : (القاهرة ١٩٣٠٧) ، ملحة : أنن - ١٢٨/٩ .
- (٨٣) أوضح المسالك ١/٢٢٤ ، وانظر : شرح التصريح على التوضيح : (القاهرة ١٩٣٢٥)
- ٣٢٤/١ .
- (٨٤) الكافية / ٣٣ ، وانظر : شرح ابن القواس ٢/٢١٨ شرح الرضي ٢ / ٣٢٤ .

٢- ابن هشام والأشموني والمرادي والسيوطي : تسعة (٨٥) .
كما كان اختلافهم في حالات حوازل الوجهين واسعاً ملحوظاً ، نلفت القارئ
إلى صورته الآتية :

١- ابن مالك : أربعة مواضع (٨٦) .

٢- السيوطي : خمسة (٨٧) .

٣- أبو حيان والمرادي : ثمانية (٨٨) .

٤- ابن هشام : تسعة (٨٩) .

ومرجع هذا التباين دخول بعض الوجوه في بعض على سبيل التأصيل والتفريع ،
فحين عد المرادي وجوه وجوب الفتح ، عقب بقوله . . . وزاد بعضهم في
مواضع وجوب فتحها ، أن تضع بعد : لولا ، ولو . وما التوقيتية وهذه
المواضع راجعة إلى ما تقدم « (٩٠) ، يمي : داخه في حملة الوجوه التسعة التي
ذكرها للفتح ، لأنها تعرضت تلك الأصول وقد استفاضت المسألة حتى
وجدت شعبان الآثاري (ت ٨٢٨ هـ) يقول . « أعلم : أنه يجب كسر (إن)
في ثلاثة عشر وجهاً : يجب فتحها في ثلاثة عشر وجهاً ، ويجوز الأمران
ثلاثة عشر وجهاً ، فحملة وجوهها تسعة وثلاثون » (٩١) .

ولم يقتصر هذا الاختلاف على كتب النحاة المتقدمين ، بل رأيناه في كتب

(٨٥) أوضح المسالك ١/٢٣٨ و.

شرح الأشموني ١/٢٧٣ و.

الجنى اللداني ٩/٣٦٩ و.

مع المراجع ١/١٣٧ و. وي : شرح التصريح ١/٢١٦ في ثمانية ، والصحيح : تسعة
أيضاً ، لأنه أعده مذكرو ابن هشام في . (أوضحه) ، فترسه موضعاً موضعاً .

(٨٦) الألفية : (ضمن : مجموع التثنية الكبير) -/٢٤٢ .

(٨٧) مع المراجع ١/١٣٧ .

(٨٨) شرح أبي حيان ٧٨/٧٨ و.

(٩٠) الجنى اللداني ٣٦٨-٣٦٩ و.

(٨٩) أوضح المسالك ١/٣٣٨ ، وانظر : شرح التصريح ١/٢١٨ .

(٩١) إقلادة الجوهريّة /١١٦ ظ .

المعاصرين (٩٢) أيضاً، فاختلاف من هذا النوع، يجعل دائرة البحث في هاتين الأداتين واسعة . واستفاضة الخلط والخطأ متوقعة . تتعذر ضوابطها على عامة المتكلمين والكتاب في وقت أصبح فيه الكلام والكتابة من ذرائع السواد الأعظم من الناس . أضف إلى هذا أن تحقيق وضع الهمزة في هذا المجال أمر لا يكاد ينضبط بيسر وسهولة لمثل هؤلاء : فايراد أمرار هذا المبحث النحوي الدقيق على صعيد معروض، يساعد - فيما ننتظر - على التفريق بين هذه الأحكام المتداخلة المتخارجة في أوضاعها المختلفة .

ومن المناسب بعد هذه التوطئة الطويلة المشعبة أن أقول : إن همزتي : (إنّ وأن) أخذتا من النحاة الشطر الأوفى من العناية . فأبما كتاب تناولته من المكتبة النحوية أفادك طرफاً أو أطرافاً من هذا البحث تطول أو تقصر ، تلق أو تتعجل ، ومن ثمّ وجدت المادة الكبيرة التي بين يدي ، تخدم البحث في مناحيه جملة ، وقد أدركت جسامة الاستيعاب وخطره إزاء الرغبة في القصد ومجانبة الإفراط . ولكن لبحث اتسع بحكم الضرورة ، والضرورة نفسها حملت المرادي على القول ، بعد أن حرر في هذه المسائل قرابة تسع صفحات : « وأعلم أن بسط الكلام على هذه المواضع يستدعي تطويلاً ، فلذلك أختصرت الكلام عليها » (٩٣) ، حتى جعله غاية في التقنين والاقتصاد ، ودراسي هذه مرادة لغير هذا الغرض ، فمن همها أن تستقصي لقارنها ، وتجمع ، وتقسم ، وتعدد كافة ما يمكن أن يقال في هذا الباب من الدرس النحوي .

- (٩٢) أحمد قش : الكامل في النحو والصرف والإعراب : (دمشق ١٩٧٤) - ٧٤/ - ٧٥ ، د. أمين علي السيد : دراسات في علم النحو . (القاهرة ١٩٦٧) - ١٥٣/ ، وفي علم النحو . (القاهرة ١٩٧٣) - ٢٣٨/١ - ٢٤٢ . عباس حسن : النحو الوافي : (القاهرة ١٩٦٦) - ٥٨١/١ - ٥٩٦ . د. عبدالرحمن أيوب : دراسات نقدية في النحو العربي ١/ ١٩٢ - ١٩٧ . د. عبد الرأسمي : التطبيق النحوي : (بيروت ١٩٧٢) - ١٤٧/ - ١٥٥ ، علي رضا : المرجع في اللغة العربية : (بيروت ١٩٦٢) - ٢٩٩/١ - ٣٠٠ ، محمد سعيد عبدالرحمن : قواعد لغة العرب : (بغداد ١٩٥٦) - ٤٠/ - ٤٣ .
- (٩٣) الجنى الثاني ٣٧٣/ .

أولاً : كسر الهمزة وجوباً

نستطيع القول : إن كسر الهمزة لا يكون إلا في حالة أصلية واحدة من الناحية النظرية ، والتطبيق يحقق هذا الأصل في أوضاع متعددة متباينة كما سيوضح لنا . فإذا وقعت الأداة في ابتداء حقيقي أو حكمي أنكسرت همزتها ، وقد سماهما الفيروز آبادي : الإبتداء لفظاً ومعنى (٩٤) .

أما الإبتداء الحقيقي :

فمجيئها فائحة كلام لا يستهـا فيه شيء يعتمد عليه (٩٥) ، بحيث يفتضي نظم النص أن لا تكون ومعمولها محلاً لتأثير عامل يتقدمها ، فهي اقتضاء صلة له وتبع ، ومتى كان الكلام تاماً ، لبس الحاجة إلى شيء يتعاق به تعلقاً تبعياً ، لم يجز ألفتـح ، قال ابن السراج : «إن المكسورة تكون مبتدأة ولا يعمل فيها ما قبلها» (٩٦) ورعنا كان قبلها شيء ، لكنها لا تنصل به أي نوع من الإتصال ، فمضمون جملتها مستأنف في التكلم به على حد ما قاله العصام الأسفرائيني (٩٧) والابتداء في هاتين الصورتين هو غير الابتداء الاصطلاحي عند النحاة (٩٨) ، وقد عرف الأخير بأنه التجرد من العوامل اللفظية (٩٩) . بل إنه الإبتداء بمعناه اللغوي ، كقوله تعالى أول سورة الفتح : «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً وأول سورة القدر : «إنا أنزلناه في ليلة القدر» ، إذ لو فتحت الهمزة لصارت الجملة مبتدأ بلا خبر على تأويل المفتوحة وجملتها بالمفرد ، الذي لا يستقل به الكلام (١٠٠) . ولهذا لم يطرد الابتداء بها ، كأن تقول : (أنك فاضل عندي) ، فوجب التأخير على ألنحو الوارد : (عندي أنك فاضل) ، وأجاز بعضهم ذلك ، قال أبو حيان : «وليس ما ذكره من

(٩٤) القاموس المحيط . (للخازن ١٩٥٢) مادة أن - ٢٠٠/٤ .

(٩٥) تاج المروس ، نفس المادة - ١٢٨/٩ .

(٩٦) الأصول في النحو ٣١٨/١ ، الموجب في النحو ٣٨/ .

(٩٧) شرح الكافية : (استانبول ١٣٥٦) ٤٤٦/ - .

(٩٨) شرح أبي حيان ٧٤/ .

(٩٩) شرح التصريح ١٥٨/١ .

(١٠٠) ٢١٥/١ م .

أنها تكسر في ابتداء الكلام مجعاً عليه إذ قد ذهب بعض النحويين إلى جواز الابتداء بأنَّ المفتوحة في أوله (١٠١)، وذلك في مثل قولهم : (في ظني أنك فاضل ، وأنت قائم يعجبني) ، وهو مذهب منسوب إلى القراء ، وتبعه فيه جماعة ، وقد منعه الجمهور على ما نقله السبوطي (١٠٢) والبيهقي (١٠٣)، لما يترتب عليه من تفريط بما تأكد عند الدارسين خلاصة نظرهم في النماذج العربية الفصيحة ، بعد أن صح لدينا أنهم لم يختلفوا في وجوب الكسر في الابتداء ، وما أشار إليه أبو حيان من جواز الفتح فيه موقف خاص ، وهو في واقعه تفريع على أصل الكسر ، وليس وجهاً ثابتاً يقوم لهذا الأصل ، وبماثلة سعة وإطراداً ، والإعتداد به يجعل مواضع الكسر كلها مظنة شك ، ولا يمتنع بعد ذلك دخولها في وحوه جواز الإستعمالين ، ولو أشار أبو حيان مثل إشارة المرادي إلى جواز الفتح في الابتداء شريطة وجود (أما) أول الجملة (١٠٤) لوافقه ، وأحرزنا معه جواز التقديم والتأخير على النحو الآتي :

أ- أما أنك فاضل ففي ظني .

ب- أما في ظني فأنت فاضل .

قال ابن السراج : وألف : (إنَّ) تكسر في كل موضع يصلح أن يقع فيه الفعل والابتداء جميعاً ، وإن وقعت في موضع ، لا يصلح أن يقع فيه إلا أحدهما ، لم يميز ، لأنها إنما تشبه فعلاً داخلاً على جملة . وتلك الجملة مبتدأ وخبر ، والجملة التي بعدها لا موضع لها من الإعراب بعامل يعمل فيها من فعل ولا حرف ، ألا ترى أنك تقول : (إن عمراً منطلق) ، فهذا موضع يصلح أن يبدأ الكلام فيه ، فتقول : (عمرو منطلق) ، ويصلح أن يقع الفعل موقع

(١٠١) شرح أبي حيان ٧٤/ ، وانظر : مع المراجع ١/ ١٣٧ .

(١٠٢) الأشياء والنظائر في النحو : (سيدآباد ١٣٥٩هـ) ١٥٥/٢ .

(١٠٣) صرف النماذج في كشف الكفاية : (مصر ١٣٤١هـ) - ٢٨٢/ .

(١٠٤) الجني الثاني ٣٦٧/ .

المبتدأ . فتقول (إنطلق عمرو) ، وهذه الجملة لاموضع لها من الإعراب .
لأنها غير مبينة على شيء ، وإنَّ المكسورة تكون مبتدأة ، ولا يعمل فيها ما فيها ،
وهي كلام تام مع ما بعدها (١٠٥) كما قدمنا .

ونظير الابتداء الحقيقي : الاستئناف ، قال الرضي الاسترأبادي : «قوله (١٠٦)
فكسرت ابتداءً ، أي : مبتدأ بها سواء كان في أول كلام المتكلم ... أو
كان في وسط كلام . لكنه ابتداء كلام آخر ، نحو : (أكرم زيداً ، إنَّه
فاضل) ، فتقولك : إنه فاضل : كلام مستأنف وقع علة لما تقدمه (١٠٧) .
ومنه قراءة الكوفيين : «فلانما يقول له كن فيكون ، وإنَّ الله ربي وربكم» (١٠٨)
وحجة ذلك جعلُ الكلام مُستأنفاً مبتدأ ، كما أنها في قراءة أن مسعود بغير
واو . وحذف الواو لا يكون معه إلا الكسر على الاستئناف ، ويدل عليه
أن الذي قبل الأداة رأس آية ، وقد تم الكلام عن ذلك . فوقع الاستئناف
بعد تمام الكلام على رأس آيةٍ أخرى (١٠٩) .

وليس الاستئناف مقصوراً على الواو فقط ، بل إن اللقاء موقعاً كوقعها في
بعض النماذج ، قال تعالى : «ثم ناب من بعده وأصلح ، فأنَّ عمور رحيم» (١١٠)
، فحجة من كسر الحرة في هذا الموضع . أن ما بعد اللقاء حكمه
الابتداء والاستئناف (١١١) أيضاً ، وقد أورد أبو البركات بن الأنباري فيها
قراءتين . فمن قرأ بالفتح .. جعلها خبراً لمبتدأ محذوف ، وتقديره : فأمره

(١٠٥) الأصول ١/٣٠٧-٣١٨ ، وانظر : الموجز / ٣٨ ، الموجل في شرح الجمل / ٢١٤ .

(١٠٦) يعني قول ابن الحاجب في : (الكافية / ٣٢) .

(١٠٧) شرح الكافية ٢/٣٢٤ .

(١٠٨) مرج ، الآية ٣٥ ، ٣٦ .

(١٠٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : (دمشق ١٩٧٤) - ٨٩/٢ ،
واسط : البيان في غريب أعراب القرآن : (القاهرة ١٩٦٩) - ١٢٦/٢ .

(١١٠) الأنعام ، الآية ٥٤ .

(١١١) الكشف ١/٤٣٣ .

أنه غفور رحيم (١١٢).....والكسر فيها آت على الاستئناف . وهو بعد الفاء أقبس ، لأن ما بعد ألفاء يجوز أن يقع فيه الاسم والفعل ، وكل موضع يصلح لهما ، فإن الأداة تكون فيه مكسورة ، وكل موضع يختص بأحدهما ك : لو ولولا ، فإنها تكون فيه مفتوحة ، وما بعد ألفاء يصلح للاسم والفعل ، فكانت مكسورة (١١٣) بلا خلاف .

وقد يستغنى عن الواو والفاء . ويكون الكلام مستأنفاً أيضاً . قال تعالى : «جزيتهم اليوم بما صبروا ، إنهم هم الفائزون» (١١٤) بكسر كهزة ، وتناظر الاستئناف والابتداء حقيقة وحكماً . سوغ للنحاة القول : «واو الاستئناف» ، ويقال : واو الابتداء . وهي الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ، ولا مشاركة في الإعراب (١١٥) .

وبضارع حرفي الاستئناف هذين واو العطف أيضاً ، إذا وقعت بعدها جملة تامة ، حينئذ يذهب إلى أن واو الاستئناف قسم آخر غير الواو العاطفة كما هي عند بعض النحاة . والظاهر عند المرادف أنها هي الواو التي تعطف الجمل ، التي لا عمل لها من الإعراب صرد الربط . وإنما سميت واو الاستئناف لئلا يتوهم أن ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها (١١٦) ، قال تعالى : «النَّسِيبَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ» (١١٧) بالرفع على الاستئناف ، أي : ونحن نُقِرُّ (١١٨) ، ولو عطف لانتصب الفعل . ومثله «وما كان

(١١٢) البيان ٣٢٢/١ .

(١١٣) ش.م ٣٢٣/١ .

(١١٤) المؤمنون ، الآية ١١١ ، وانظر : الكشف ١٣١/٢ - ١٣٢ .

(١١٥) الجني الثاني ١٧٦ .

(١١٦) ش.م ١٧٧ .

(١١٧) الحج ، الآية ٥ ، وانظر : البيان ١٦٩/٢ .

(١١٨) الأهمية في علم الحروف : (دمشق ١٩٧٥) - ٢٤٠ .

لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ، ويجعلُ الرجسَ على الذين لا يعقلون، (١١٩) ،
فالمهزلة تكسر لو تصدرت الأداة قوله : (نقرُ . ويجعلُ) على اعتبار
الواو قبلهما عاطفة لا استئنافية .

والملاحظ المتقدم من كلام المرادي . (واو الاستئناف ، ويقال : وار
الابتداء ...) يحملنا على الإشارة إلى أن مجيء الجمل ابتدائية ، يسلبها المحل
الاعرابي . فوقوع (إن) ومعمولها بعدواو الاستئناف وفائه يقيها على ابتدائيتها ،
فكسر همزتها يتعين على المتكلم نظراً إلى وقوعها في حد الضابط الكمي الذي
أشرنا إليه أول كلامنا ، وهو الكسر في موضع الابتداء الحقيقي . والابتداء
الحكمي .

إنَّ الابتداء الحكمي عندنا كالاستئناف . لا تنسق فيه (إن) بشيء ، يعبر
من طبيعتها المعنوية واستقلالها بمسؤولها عما يتقدمها ، ولا عرة فيه بوقوعها
تالية لشيء ليس من شأنه أن يجعلها تابعة إعراباً ومعنى ودارس ألفية ابن
مالك يراها لا تشير من مواضع هذا النوح من الابتداء إلى أكثر من خمسة
مواضع (١٢٠) ، وقد استندرك عليها أبو حبان وأبن عقيل ثلاثة (١٢١) ،

(١٩١) يونس ، الآية ١٠٠ .

(١٢٠) قال ابن مالك بعد أن ذكر الكسر في الابتداء الحقيقي :

١ - وفي بدء صلة =

٢ - وحيث إن لمين مكمله =

٣ - أو حكيت بالقول =

٤ - أو حلت محل حال كزوته وإني ذو أمل

٥ - وكسروا من بدء فعل علقا

باللام كأنه إنه لقو تقى

(الألفية / ٢٤٢ ، ضمن مجموع الشون الكبير) .

(١٢١) شرح أبي حيان ٧٥/ و .

شرح ابن عقيل ٣٥٤/١ - ٣٥٥ .

والشيخ خالد الأزهرى ثلاثة (١٢٢) أخرى. فبدأ لنا أن نورد أصل ما ذكره ابن مالك ، وما استدركه عليه شراح ألفيته . بعد أن نظرنا إلى المسألة من خلال نظرية : التاصيل والتفريع التي مرت الإشارة إليها ، وقد قال الأزهرى بعد أن أورد ثلاثته : «والحق : أن (إن) في ذلك كله ابتدائية ، فهي داخلة في قوله (١٢٣) : أن تقع في الابتداء» ، ثم تكون لنا في بحث ما أصلوه وفرعوه إشارات إلى أشياء ، وقفنا عليها بالاستقراء والفحص .

« للبحث صلة أولها : مواضع
الكسر في الابتداء الحكمي »

عبد الوهاب محمد علي العدواني

مدرس مساعد - قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الموصل

(١٢٢) شرح التصريح ٢١٦/١ .

(١٢٣) يعني : قول ابن هشام في : (أوضح المسالك ٢٣٤/١) ، وما ذكر فيه عشرة مواضع .
أنظر : هامشتا الثاني بعد الثمانين .

نظام الارشاد في كليات الآداب

منى خروقة

نظراً إلى أهمية نظام الارشاد في مساعدة الطلبة في حل مشاكلهم وانارة الطريق أمامهم لاختيار القرار الصحيح وسلك الطريق المناسب إذا ما صادفتهم مشكلة أو أي شيء من هذا القبيل ، وحيث أن نظام الارشاد قد بدأ في جامعة الموصل منذ حوالي السنين لذا كان الغرض من هذا البحث معرفة مدى نجاح النظام الحالي للارشاد في كلية الآداب عن طريق إجراء استفتاء عام للطلبة والأساتذة لمعرفة آرائهم واستنتاج الحقائق المستمدة عندها وعلى ضوء ذلك محاولة تقديم اقتراحات قد تساعد في تحسين وتطوير النظام الحالي للارشاد. ففي الماضي وعندما كانت الحياة تسير ببساطة لم يكن هناك حاجة إلى وجود نظام للارشاد ولكن الآن وقد أصبحت الحياة أكثر تعقيداً نجد هناك ضرورة قصوى لوجود نظام خاص للارشاد في الجامعة .

□ فالاستاذ المرشد بحكم تجربته واختلاطه بالطبقة يستطيع تنمية قابلياتهم الدراسية وبالإضافة إلى هذا يستطيع معرفة قابلياتهم وهواياتهم الأخرى في مختلف المجالات وتشجيع وتوجيه الطلبة للاستفادة من هذه القابليات والهوايات والكفاءات . وبالرغم من أن ادارة الكلية هي المسؤولة عن .

نظام الارشاد الا ان على الاستاذ يقع العبء الاكبر في تنفيذه هذا لكونه عن اتصال دائم بطبئته مُماعاً بشؤونهم . والمرشد يجب أن يكون شخصاً يلم الماماً كافياً بمواضيع التربية وعلم النفس لان الشخص الملم بهذه المواضيع يكون أقدر على مساعدة الطلبة في مواجهة مشاكلهم وأكثر كفاءة من غيره

أهداف نظام الارشاد :

١ - مساعدة الطلبة في اظهار وتحسين قابلياتهم وهواياتهم وأهدافهم الدراسية
٢ - زيادة معلوماتهم عن المتطلبات الدراسية وكيفية تنفيذها .
٣ - مساعدتهم في الاستفادة من الفرص المتاحة لهم للوصول إلى أهدافهم النهائية .

٤ - مساعدتهم في تحسين وتثبيت علاقاتهم الاجتماعية .
٥ - تزويد ادارة الكلية والاساتذة وعوائل الطلبة بالمعلومات الكافية عن قابليات الطلبة .

٦ - خدمة الطلبة ومساعدتهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة وذلك بالتعاون مع بقية المرشدين والاماتة وادارة الكلية

ومن الاسس التي يرتكز عليها هذا النظام هو الايمان بقابلية وفردية الطالب ومساعدة الطالب للوصول إلى غايته كفرد ناجح له شخصيته المستقلة وكيانه . وهذا النظام يقدم خدماته لكل الطلبة على حد سواء . فهو يحترم شخصية الفرد ويقدر تصرفاته . ومن الدعائم الاساسية لهذا النظام هو وجود الثقة المتبادلة بين الطالب والمرشد وايمان الطالب بكون المرشد شخصاً قادراً على اعطائه الارشاد الذي يحتاجه فهناك الكثير من الطلبة النابرين الذين تضيق عليهم فرصة اظهار كفاءاتهم الدراسية لكونهم يواجهون عدداً من المشاكل المختلفة التي قد تؤثر تأثيراً بالغاً في سير حياتهم الدراسية فوجود مرشد يثقون به قد ينقذهم من الضياع ويفتح المجال أمامهم لمناقشة مشاكلهم بصراحة ومواجهتها بجرأة دون التخاذل واليأس ومن المعروف أن هناك

عدة أنواع من الارشاد أهمها الارشاد النفسي ، والارشاد الاجتماعي والارشاد المهني .

الطريقة :

الطريقة التي اتبعت في الاستفتاء هي توزيع الاستمارات على جميع ،
طلبة الصفوف الثانية والثالثة والرابعة في جميع أقسام كلية الاداب . والسبب في
اختيار المراحل الدراسية الثلاث العليا هو أن طلبة الصفوف الاولى لم يتلقوا
الارشاد الا لسنة واحدة هي سنة وجودهم في الكلية وكذلك لان فئة المراحل
الثلاث العليا قد تلقوا الارشاد لمدة لا تقل عن سنتين ومر عليهم أكثر من مرشد
فهم في وضع يمكنهم من الاجابة عن الاسئلة بدراية وخبرة بالنظام الحالي
وقد لوحظ ان قسماً من الطلبة لم يجيبوا على جميع الاسئلة لكونهم لم يتلقوا
بالمرشد غير مرة واحدة في الحملة التوعوية التي اقيمت من قبل المرشد لشعبتهم
فلذلك لا يستطيعون الاجابة على هذه الاسئلة لكونهم لا يعرفون المرشد .
جيداً كما ذكروا .

وقد ضمت استمارة الأسئلة التالية :

- ١ - هل تسكن القسم الداخلي نعم () لا ()
- هل تسكن مع عائلتك نعم () لا ()
- ٢ - هل تعتقد ان نظام الارشاد الحالي في الكلية :
ممتاز ، جيد ، مقبول ، ضعيف
- ٣ - دلي ان المرشد يقوم بوظيفته بصورة :
مرضية ، تحتاج إلى تحسين ، غير مرضية
- ٤ - لو حدثت لك مشكلة فهل تفضل أن تحلها :
بنفسك - مع المرشد - مع أحد أصدقائك - مع رئيس القسم -
مع ادارة الكلية .

٥ - هل تعتبر المرشد :

كصديق - كشخص ذو تجربة - كشخص ذو مركز مهم في الكلية
شخص تثق به .

٦ - أيهما أفضل :

مرشد لكل شعبة - مرشد لكل قسم - مرشد تختاره أنت - مركز
للإرشاد في الكلية (١)

٧ - ما هي أكثر المشاكل التي تواجهك - يمكن التأشير على أكثر من
مشكلة واحدة .

دراسة - اجتماعية - نفسية - عاطفية - اقتصادية - مشاكل أخرى .

٨ - ماهي عدد المرات التي التقيت بها مرشدك ؟

صفر - واحد - اثنان - أكثر .

٩ - هل كان لقاءك بالمرشد :

بصورة منفردة - ضمن مجموعتك

١٠ - هل كان لقاءك بالمرشد بأي شكل كان .

مباشراً - غير مباشر

أما استمارات الاساتذة فقد ورعت إلى جميع الاساتذة بمقررة معيد ،
فما فوق والذين يقومون بوظيفة مرشد في الكلية . وقد ضمت استمارة
الاساتذة الاسئلة التالية :

١ - هل تعتقد ان نظام الارشاد الحالي في الكلية :

ممتاز - جيد - مقبول - ضعيف .

٢ - أيهما تفضل :

مرشد لكل شعبة - مرشد لكل قسم - مركز للإرشاد في الكلية

٣ - ما هي أكثر المشاكل التي تواجه الطالب :

دراسة - اجتماعية - نفسية - عاطفية - اقتصادية - مشاكل أخرى

(١) مركز الإرشاد: يتم تأسيه في الكلية ليعلم جميع الطلبة في وقت واحد ويصمم عدداً من الاساتذة
الذين لهم خبرة في مواضيع التربية وعلم النفس والطالب حق الخيار في التحدث الى أي واحد
من هؤلاء الاساتذة

٤ - ماهي عدد المرات التي التقيت بها مع طلتك ؟
صفر - واحد - اثنان - أكثر .

٥ - بأي شكل كان لقاءك مع الطلبة
كلا على افراد - بشكل مجموعات

٦ - في أي حفل يستطيع المرشد أن يساعد طلبته .
علمي - اجتماعي - نفسي - اقتصادي .

النتائج ومناقشتها :

كانت الغاية من السؤال الاول معرفة نسبة الطلبة الذين شاركوا في الاستفتاء ويسكون القسم الداخلي ثم نسبة الطلبة الذين يسكنون (خارجاً) في شقق أو بيوت مستقلة حيث ان الطلبة الذين لا يسكنون مع عوائلهم قد تكون لديهم مشاكل اضافية : أكثر من الذين يسكنون مع عوائلهم . وكانت نتيجة السؤال انه ٤٦٦٪ من الطلبة يسكنون القسم الداخلي بينما ٤٠٨٪ يسكنون مع عوائلهم ثم ١٢٦٪ يسكنون خارجاً .

أما الغاية من السؤال الثاني فكانت معرفة رأى الطلبة بنظام الارشاد ونلاحظ من جدول رقم (١) ان ٣٧٦٪ من الطلبة يعتقدون ان النظام الحالي للارشاد مقبول . يليهم ٢٨٥٪ من الطلبة يعتقدون انه جيد . ويظهر أن الذين يعتقدون أن النظام الحالي ممتاز هو قسم قليل جداً ٧٩٪ من الطلبة ولعلمهم من الذين حضوا بمرشد جيد ساعدهم كثيراً في حل مشاكلهم وإذا نظرنا إلى جدول رقم ٦ نرى ان ٥٦٪ من الطلبة ذكروا انهم التفتوا بمرشدهم مرة واحدة يليهم ٢٣٪ لم يلتفتوا نهائياً بمرشدهم ثم ١٠٤٪ من الطلبة ذكروا انهم التفتوا بالمرشد أكثر من مرتين . وهذا يقودنا إلى الاستنتاج ان ٧٩٪ من مجموع الطلبة الذين ذكروا ان النظام الحالي ممتاز يقابل ١٠٤٪ من الطلبة الذين ذكروا انهم التفتوا بالمرشد بأكثر من مرتين

ممتاز	جيد	مقبول	ضعيف	المجموع
عدد الطلاب	٤٦	١٤٤	١٧٢	١٤٨
النسبة المئوية	٩.١ %	٢٨.٢ %	٣٣.٧ %	٢٩.٠ %
عدد الطالبات	١٢	٤٨	١٠٦	٢٢٨
النسبة المئوية	٥.٣ %	٢١.٠ %	٤٦.٥ %	٢٧.٢ %
العدد الكلي	٥٨	١٩٢	٢٧٨	٧٣٨
النسبة المئوية	٧.٩ %	٢٦ %	٣٧.٦ %	٢٨.٥ %

جدول رقم (١)

ملخص نتائج السؤال : هل تعتقد أن نظام الإرشاد الحالي في الكلية ممتاز - جيد - مقبول - ضعيف

فهل معنى هذا إنه كلما ازداد عدد المرات التي يمضي بها المرشد بطلته . كلما ازدادت ثقة الطلبة بهذا النظام ؟ قد يكون هذا حائزاً وان لم يكن من الضروري . وقد يكون حكم الطالب عن نظام الارشاد متعلقاً بمدى استفادته من هذا النظام .

السؤال الثالث الذي وجه للطلبة فكان : هل ان المرشد يقوم بوظيفته بصورة مرضية ، تحتاج إلى تحسين ، غير مرضية . وكان الجواب ٤٥٧٪ من الطلبة يعتقدون انه يقوم بوظيفته بصورة مرضية . ثم ٩٦٪ يعتقدون إنه يقوم بوظيفته بصورة غير مرضية . فإذاً أقل من نصف الطلبة يعتقدون أن المرشد يقوم بوظيفته بصورة مرضية وربما كان هذا الاعتقاد مرتبطاً بمدى استفادة الطلبة من المرشد .

أما السؤال الرابع فكان : لو حدثت لك مشكلة فهل تفضل أن تحلها بنفسك مع المرشد . مع أحد من أصدقائك ، مع رئيس القسم مع ادارة الكلية .

وجدون رقم (٢) يعطينا صورة واضحة فعلية عن مدى ثقة الطالب بالمرشد والطريقة التي يفضلها في حل مشاكله . فحوالي ٣٦٢٪ من الطلبة يفضلون حل مشاكلهم مع أحد أصدقائهم ثم ٢٥٪ من الطلبة يفضلون حل مشاكلهم مع المرشد. يتضح من هذا ان الربح فقط يذهب إلى المرشد إذا ما صادفته مشكلة وهذا يدل على ان الثقة قليلة بالمرشد لانه من المفروض أن يذهب العدد الاكبر من الطلبة إلى المرشد للتباحث معه في حل مشاكلهم ولكن الحقيقة هي ان العدد الاكبر من الطلبة يفضلون حل مشاكلهم اما بأنفسهم او مع احد أصدقائهم . ونجد في الجدول أيضاً أن ٤١٥٪ من الطالبات يفضلن حل مشاكلهن بأنفسهن لانه ما زال قسم من الفتيات يعتقدون أن المرشد أو المرشدة سوف لا تحتفظ بالمعلومات الخاصة بمشاكلهن لنفسها بل سوف تبوح بها لافراد آخرين ومن المحسن أيضاً ان الفتاة تتصل حل مشاكلها الشخصية بنفسها ثم تتباحث بالمشاكل الأخرى الاجتماعية كانت أو نفسية مع صديقاتها وقد تذهب بمشاكلها الباقية لدراسة مثلا إلى المرشد وهناك عدد قليل ٧٣٪ من الطلبة يفضل حل مشاكلهم مع رئيس القسم وعدد أقل ٣٤٪ يفضل حل مشاكلهم مع ادارة الكلية ويمكن أن يكون سبب ذلك هو نوعية المشكلة التي يصادفها الطالب . ونجد ذلك واضحاً في الجدول الذي يبحث نوعية المشاكل حيث أن الطالب يواجه مشاكل دراسية أو اجتماعية أو نفسية أو عاطفية أو اقتصادية أو قد تكون أكثر من مشكلة وربما تكون عنده كل هذه المشاكل مجتمعة .

وفي جدول (٣) الذي يحتوي على ملخص نتائج السؤال : هل تعتبر المرشد : كصديق ، كشخص ذي تجربة : كشخص ذي مركز مهم في الكلية شخص لا تنق به ، نلاحظ ان اكثر من نصف الطلبة ٥٢٢٪ يعتبرون المرشد شخصاً ذا تجربة وربما هذا هو السبب الذي يحدهم إلى الذهاب اليه بمشاكلهم لانه عادة شخص أكبر منهم سناً وأوفر علماً وأكثر تجربة ثم يليهم بعد ذلك حوالي ربع الطلبة ٢٥٥٪ يعتبرون المرشد كصديق أكبر

بنفسك المرشد	مع أحد أصدقائك	مع رئيس القسم	مع إدارة الكلية	المجموع	
١٦٠	١٦٢	٤٤	٢٦	٥٣٢	طلاب النسبة
٪٣٠,١	٪٢٦,٣	٪٣٠,٤	٪٨,٣	٪٤,٩	المثوية
٩٨	٥٦	٧٠	١٢	٢٣٦	طالبات النسبة
٪٤١,٥	٪٢٣,٧	٪٢٩,٧	٪٥,١	٪١٠٠	المثوية
٢٥٨	١٩٦	٢٣٢	٢٦	٧٦٨	المجموع الكلية
٪٣٦,٢	٪٢٥,٥	٪٣٠,٢	٪٧,٣	٪٣,٤	النسبة
				٪١٠٠	المثوية

جداول رقم - ٤ -

ملخص نتائج السؤال : نوجدت مشكلة فهل تفضل أن تحلها :
بنفسك - مع المرشد - مع أحد أصدقائك -
مع رئيس القسم - مع إدارة الكلية .

منهم سناً وأكثر تجربة أيضاً . ومن الملاحظ ان نسبة الطالبات اللواتي ،
يعتبرن المرشد كشخص ذي مركز مهم في الكلية هي ٪٢١,٦ بينما نسبة
الطلاب هي أقل من ٪١٣,٦ فالطالبات يذهبن اليه لانه شخص يستطيع
مساعدتهن في حل قسم من مشاكلهن كالمشاكل الدراسية مثلاً. أما نسبة
الطلبة الذين لا يثقون بالمرشد فهي ٪٨,٧ أي ان العدد قليل نسبياً وربما ،
هم من الطلبة الذين لم يحضوا بمرشد يهتم بمشاكلهم جيداً .

أما في جدول رقم (٤) فنجد ملخصاً لنتائج السؤال : أيهما تفضل ، مرشد لكل شعبة ، مرشد لكل قسم ، مرشد تختاره أنت ، مركز للإرشاد في الكلية حيث أنه من الملاحظ أن الطلبة عادة يفضلون أن يبحثوا مشاكلهم مع مدرسين يعرفونهم . فتجد ٦١,٩٪ من الطلبة فضلوا أن يكون مرشداً خاصاً لكل شعبة . ويكون مرشد الشعب عادة من الاساتذة الذين يدرسون تلك الشعبة اي أنهم معروفون لدى الطلبة . والطالب سوف لا يكون مضطرباً عند مقابلة المرشد فالطالب لا يرغب أن يبحث مشاكله مع مدرس لا يعرفه وبلي ذلك ١٩,٩٪ من الطلبة يفضلون أن يختاروا مرشدين لانفسهم فالطالب قد يجد في شخصية أحد الاساتذة مرشده المفضل فيذهب اليه لبحث مشاكله . وربما يكون هذا المرشد من الاساتذة الذين لهم علاقات اجتماعية مع الطلبة أكثر من غيرهم من الاساتذة وهناك ١٤,٩٪ من الطلبة يفضلون وجود مركز للإرشاد في الكلية . **ونلاحظ هنا أن عدداً قليلاً من الطلبة** هذه الفكرة وربما السبب يعود لعدم معرفة الطلبة طبيعة عمل مركز الارشاد كما وان نسبة الطلاب الذين يتصلون بمركز الارشاد ١٧,٧٪ هي أكبر من نسبة الطالبات اللواتي يفضلن هذا وهي ٧,٩٪ ونسبة قليلة جداً من الطلبة ٣,٣٪ فضلت مرشداً واحداً لكل من الاقسام العلمية

المجموع	صديق	شخص ذو تجربة	شخص لاثق	شخص ذو مركز مهم في الكلية به	المجموع
١٤٢	٢٧٤	٥٦	٤٠	٥٣٢	طلاب
٪٢٦,٧	٪٥٥,٣	٪١٠,٥	٪٧,٥	٪١٠٠	النسبة المئوية
٤٦	٩٠	٤٤	٢٤	٢٠٤	طالبات
٪٢٢,٥	٪٤٤,١	٪٢١,٦	٪١١,٨	٪١٠٠	النسبة المئوية

المجموع الكلي	١٩٢	٣٦٤	١٠٠	٦٤	٧٣٦
النسبة المئوية	% ٢٥,٥	% ٥٢,٢	% ١٣,٦	% ٨,٧	% ١٠٠

جول رقم ٣

ملخص نتائج السؤال : هل تعتبر المرشد : كصديق ، كشخص ذي تجربة
كشخص ذي مركز مهم في الكلية - شخص لا تثق به

مرشد لكل	مرشد لكل	مرشد مختاره أنت	مرشد مركز للإرشاد	المجموع
شعبة	قسم	أنت	في الكلية	
٣١٢	٢٢	٩٤	٩٢	٥٢٠
% ٦٠	% ٤,٢	% ١٨,١	% ١٧,٧	% ١٠٠
١٣٦	٢	٥٠	١٦	٢٠٤
% ٦٦,٦	% ١	% ٢٤,٥	% ٧,٩	% ١٠٠
٤٤٨	٢٤	١٤٤	١٠٨	٧٢٤
% ٦١,٩	% ٣,٣	% ١٩,٩	% ١٤,٩	% ١٠٠

جول رقم ٤

ملخص نتائج السؤال : أيهما تفضل : مرشد لكل شعبة - مرشد لكل
قسم - مرشد تختاره أنت - مركز للإرشاد في الكلية

دراسة إجتماعية نفسية عاطفية إقتصادية مشاكل أخرى المجموع

٢٤٠	١٧٠	١٠٨	١١٦	١٧٨	٤٦	٨٥٨	طلاب
النسبة							
٪٢٨	٪١٩,٨	٪١٢,٦	٪١٣,٥	٪٢٠,٧	٪٥,٤	٪١٠٠	المئوية
١٥٤	٧٦	٦٨	٢٦	٢٠	١٨	٣٦٢	طالبات
النسبة							
٪٤٢,٥	٪٢١	٪١٨,٨	٪٧,٢	٪٥,٥	٪٥	٪١٠٠	المئوية
المجموع							
٣٩٤	٢٤٦	١٧٦	١٤٢	١٩٨	٦٤	١٢٢٠	الكل
النسبة							
٪٣٢,٣	٪٢٠,٢	٪١٤,٤	٪١١,٧	٪١٦,٢	٪٥,٢	٪١٠٠	المئوية

جدول رقم (٥)

ملخص نتائج السؤال ما هي أكثر المشاكل التي تواجهك - يمكن التأشير على أكثر من مشكلة واحدة: دراسة . اجتماعية نفسية ، عاطفية ، اقتصادية ، مشاكل أخرى

أما عن المشاكل التي تواجه الطالب فجدول رقم (٥) يعطينا صورة واضحة عن هذا . فمن الواضح أن أكثر المشاكل هي دراسة ٣٢٢ ، تليها مشاكل اجتماعية ٢٠٢٪ ثم مشاكل اقتصادية ١٦٢٪ تليها مشاكل نفسية ١٤٤٪ ثم مشاكل عاطفية ١١٧٪ وأخيراً مشاكل أخرى ٥٢٪ ولأن المشاكل الدراسية هي أكثر المشاكل التي تواجه الطالب نرى أن عدداً

كثيراً من الطلبة فصلوا مرشداً لكل شعبة فمن الواضح أن علاقتهم بمرشد يقوم بتدريسهم ونفس الوقت يعرف مشاكلهم هو الحل الذي ينفضله أكثرهم كما يجب أن لاننس أنه قد يكون لبعض الطلبة أكثر من مشكلة واحدة وقد تكون لقسم منهم كل هذه المشاكل مجتمعة أو قد تختلف هذه المشاكل بين حين وآخر .

طلاب	صفر	واحد	إثنين	أكثر	المجموع
١٣٠	٢٦٠	٥٠	٦٢	٥٠٢	
النسبة المئوية ٢٥,٩%	٥١,٨%	١٠%	١٢,٣%	١٠٠%	
طالبات	٣٨	١٥٠	٢٨	١٤	٢٣٠
النسبة المئوية ١٦,٥%	٦٥,٢%	١٢,٢%	٦,١%	١٠٠%	
المجموع الكلي	١٦٨	٤١٠	٧٨	٧٦	٧٣٢
النسبة المئوية ٢٣%	٥٦%	١٠,٦%	١٠,٤%	١٠٠%	

جدول رقم (٦)

ملخص نتائج السؤال : ماهو عدد المرات التي التقيت بها بمرشدك :
صفر ، واحد ، إثنان ، أكثر

وإذا نظرنا إلى جدول رقم (٦) لوجدنا أن أكثر من نصف الطلبة ٥٦% ،
التقوا بمرشدهم مرة واحدة فقط وإن قسماً منهم ذكروا أن هذه المرة كانت
في الحفلة الترفيهية المقامة من قبل المرشد لشعبتهم . يليهم ٢٣% ذكروا
أنهم لم يلتقوا بالمرشد نهائياً ثم ١٠,٦% قالوا أنهم التقوا به مرتين . ثم ١٠,٤%
ذكروا أنهم التقوا بالمرشد بأكثر من مرتين . فلذاً من الواضح أن أكثر من
نصف الطلبة لم يلتقوا بمرشديهم إلا مرة واحدة وهذه كما نعلم جميعنا غير
كافية فالمرشد يجب أن يلتقي بطلبته مرة كل شهر على الأقل . أي حوالي

ثمانى مرات في السنة فمرة واحدة غير كافية على الإطلاق لمعرفة مشاكل الطلبة . ثم ماذا عن الطلبة الذين لم يلتقوا بالمرشد نهائياً أو الذين التقوا به في الحملة الترفيحية فقط ؟ وهل معنى هذا أنهم لم يستفيدوا من وجود نظام الإرشاد من الواضح أن هؤلاء الطلبة لم يستفيدوا نهائياً من وجود نظام الإرشاد أو أنهم إستفادوا فائدة جزئية .

أما السؤال التاسع فهو : هل كان لقاءك بالمرشد بصورة مفردة أم ضمن مجموعتك ؟ وقد أجاب ٩٣٪ من الطلبة أنهم التقوا بالمرشد ضمن مجموعتهم أي كل شعبة مع مرشدها . ثم ٦٩٪ من الطلبة التقوا مع مرشديهم بصورة مفردة لبحث مشاكل خاصة . ونلاحظ أن نسبة الطلاب الذين التفتوا مع المرشد لبحث مشاكل خاصة هي ٩٧٪ أما مجموع الطالبات اللواتي التقين مع المرشد لبحث مشاكل خاصة فكان ١٧٪ ولعل هذا ، راجع إلى أحجام الطالبات من الكشف عن مشاكلهن الشخصية أكثر من الطلاب وذلك لأن نسبة قد تحاسب ع أسياء كثيرة لا يحاسب عليها الطالب . والسبب في أحجام بعض الفتيات عن الإفشاء بمشاكلهن الشخصية هو كونهن لا يثقن بالمرشد ثقة كاملة أو لأنهن يعتقدن أن المرشد سوف يوضح ببعض هذه المشاكل لأشخاص آخرين ولذلك يرى أهمية وجود مرشدة خاصة للطالبات في الكلية .

والسؤال العاشر في استمارة الطلبة هو هل كان لقاءك بالمرشد بأي شكل كان : مشمراً ، غير مشمر .

ويظهر أن ٥٩٢٪ من الطلبة كان لقاءهم بالمرشد مشمراً في حين أن ٤٠٨٪ من الطلبة كان لقاءهم بالمرشد غير مشمر . كما وان قسماً من الطلبة ذكروا أنه لم يكن مشمراً وذلك لأنهم لم يبحثوا أي مشكلة مع المرشد فإذا الطلبة الذين كان لقاءهم بالمرشد مشمراً هم أكثر من الطلبة الذين كان وقد ضمت استمارة الاساتذة الاسئلة التالية :

- ١ - هل تعتقد أن نظام الإرشاد الحالي في الكلية :
ممتاز - جيد - مقبول - ضعيف
 - ٢ - أيهما تفضل :
مرشد لكل شعبة - مرشد لكل قسم - مركز للإرشاد في الكلية .
 - ٣ - ماهي أكثر المشاكل التي تواجه الطالب
دراسية - اجتماعية - نفسية - عاطفية - اقتصادية - مشاكل أخرى
 - ٤ - ماهو عدد المرات التي التقيت بها مع طلبتك ؟
صفر - واحد - اثنان - أكثر
 - ٥ - بأي شكل كان لقاءك مع الطلبة .
كلأ على انفراد - بشكل مجموعات
 - ٦ - في أي حقل يستطيع المرشد أن يساعد طلبته
علمي - اجتماعي - نفسي - اقتصادي
- الاساتذة

ممتاز	جيد	مقبول	ضعيف	المجموع
٦	٤	٦	٢	١٨
النسبة المئوية	٤٠٪	٦٦,٧٪	٣٣,٣٪	١٠٠٪
مدرس	٤	٦	٢	١٢
النسبة المئوية	٤٠٪	٦٠٪	٢٠٪	١٠٠٪
معيد	٤	٤	٢	١٠
النسبة المئوية	٤٠٪	٤٠٪	٢٠٪	١٠٠٪
العدد الكلي	٨	١٤	٤	٢٦
النسبة المئوية	٣٠,٨٪	٥٣,٨٪	١٥,٤٪	١٠٠٪

جدول رقم ٧

ملخص نتائج السؤال : هل تعتقد أن نظام الإرشاد الحالي في الكلية :
ممتاز - جيد - مقبول - ضعيف

إذا نظرنا إلى جدول رقم ٥ ٧ نجد أن أكثر من نصف الأساتذة أي ٥٣,٨% يعتقدون أن نظام الإرشاد الحالي مقبول في حين يعتقد ٣٠,٨% منهم أنه جيد وهناك قسمٌ قليلٌ منهم ١٥,٤% يعتقدون أنه ضعيف . فحوالي النصف إذن يعتقدون أنه مقبول . وهذا بخلاف الطلبة إذن إنه ٣٧,٦% من الطلبة فقط إعتقدوا أن النظام الحالي للإرشاد مقبول (لاحظ جدول رقم - ١ -) وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أجوبة الطلبة وأجوبة الأساتذة معاً نجد أنه أقل من نصف مجموعهم يعتقدون أن نظام الإرشاد الحالي مقبول فهو إذن يحتاج إلى تحسين وتغيير بنظر الأغلبية .

مرشد لكل شعبة مرشد لكل قسم مركز للإرشاد المجموع			
أستاذ مساعد	١	٤	٥
النسبة المئوية	٢٠%	٨٠%	١٠٠%
مدرس	٦	٤	١٠
النسبة المئوية	٦٠%	٤٠%	١٠٠%
معيد	٥	٤	١٠
النسبة المئوية	٥٠%	٤٠%	١٠٠%
العدد الكلي	١٢	١٢	٢٥
النسبة المئوية	٤٨%	٤٨%	١٠٠%

جدول رقم - ٨ -

ملخص نتائج السؤال : أيهما تفضل مرشداً لكل شعبة - مرشداً لكل قسم - مركزاً للإرشاد في الكلية

أما جدول رقم (٨) فبرينا أن ٤٨% من الأساتذة يفضلون مركزاً للإرشاد . كما يفضل نفس العدد أيضاً مرشداً لكل شعبة . في حين فضل

٤/ فقط من الأساتذة مرشداً لكل قسم . وإذا ما قارنا هذا بجدول رقم (٤) الذي يوضح إجابات الطلبة على هذا السؤال نجد أن ٦٦,٩٪ من الطلبة يفضلون مرشداً لكل شعبة أي أكثر من نسبة الأساتذة الذين يفضلون ذلك . كما أن عدد الطلبة الذين يفضلون مركزاً للإرشاد هو ١٤,٩٪ أي أقل بكثير من نسبة الأساتذة الذين يفضلون ذلك .

والأساتذة يفضلون وجود مركز للإرشاد لأن هذا يخلصهم من قسم الأعباء وبفس الوقت يتسلم مهمة المرشد أساتذة راغبون في هذا العمل ويتمكون منه .

أما السؤال الثالث في استمارة الاساتذة فكان عن أكثر المشاكل التي تواجه الطالب وظهر أن ٢٤,٣٪ يعتقدون أن المشاكل الدراسية هي أكثرها يليهم ٢١,٤٪ مشاكل نفسية ثم ٢١,٤٪ مشاكل اقتصادية . ثم ١٧,٩٪ مشاكل عاطفية وأخيراً ٢٠,٩٪ مشاكل أخرى . أي أن أهمها مشاكل دراسية وهذا نفس اعتقاد الطلبة لاحظ جدول رقم (٥) .

ونلاحظ من جدول رقم (٩) أن ٤١,٧٪ من الأساتذة ذكروا أنهم التقوا بطلبتهم مرتين في حين أن ٢٩,١٪ من الأساتذة التقوا مرة واحدة بطلبتهم و ٢٥٪ منهم التقوا بأكثر من مرتين مع طلبة وشاهد أن قسماً قليلاً منهم حوالي ٤,٢٪ ذكروا أنهم لم يلتقوا نهائياً مع الطلبة وإذا ما نظرنا إلى العدد الحقيقي نجد أن نسبة ٤,٢٪ تشير إلى وجود استاذ واحد وربما لم يكن هذا الاستاذ مرشداً لأي شعبة . في حين إذا نظرنا إلى جدول رقم (٨) الذي يحتوي على إجابات الطلبة عن هذا السؤال نجد أن ٢٣٪ من الطلبة ذكروا أنهم لم يلتقوا بمرشدهم نهائياً . ومن الملاحظ أيضاً أن العدد الأكبر من الأساتذة ٤١,٧٪ ذكروا أنهم التقوا بطلبتهم مرتين وهذا العدد من اللقاءات قليل جداً كما نعلم إذ أنه كما ذكرنا سابقاً يجب أن يلتقي المرشد بطلبته مرة كل شهر على الأقل أي حوالي الثماني مرات بالأسبوع ومن المستحسن أن يكون العدد أكثر من ذلك نيتسنى للمرشد التعرف على مشاكل طلبة أكثر ومساعدتهم في حلها . فمرتان بالأسبوع فقط لاتساعد الطلبة في شيء إذا ما ،

ودارنا إلى عدد كبير من الطلبة الذي تتكون به كل فئة . فحصل
 "صفر" بلا يكون في عدد من المعلمين الذين كانوا في دراسة كل فئة .
 حوالي الخمسين فإتمة منتهي فحصلت "صفر" أو "واحد" أو "اثنان" فقط
 لتكلم عن المسئلة مع المرشد خلال السنة كـ "واحد" فليس بأكثر ولكن
 ليس مع "اثنان" بل يزيد عدد إشارات المرشد بزيادة كمية خطأ . لا
 أن يعتقد الكثير يزدي من اعتماد الطالب الكلي على المرشد ويشجع الطالب
 على الاتكال . ولكننا نرى أن حوالي ثلثي مرات في السنة على الأقل شيء
 معقول أضف إلى ذلك أن الطلبة يستطيعون التلبس من المرشد أن يتبع
 بهم إذا ما دعيت السجدة إلى ذلك .

الدرجة	واحد	اثنان	ثلاثة	أكثر	المجموع
أستاذ مساعد	١	٢	١	٤	٨
نسبة مئوية	١٢,٥	٢٥	١٢,٥	٥٠	١٠٠
مدرس	٧	١١	١١	١١	٤٠
النسبة المئوية	١٧,٥	٢٧,٥	٢٧,٥	٢٧,٥	١٠٠
معيد	١	٥	٢	٩	١٧
النسبة المئوية	٥,٩	٢٩,٤	١١,٨	٥٢,٩	١٠٠
المجموع الكلي	١	٧	١٠	٢٤	٤٢
النسبة المئوية	٢,٤	١٦,٦	٢٤,٧	٥٦,٣	١٠٠

جدول رقم ٩

محصى نتائج السؤال : ماهو عدد المرات التي التفتت بها
 مع طلبتك؟
 صفر - واحد - اثنان - أكثر

أما السؤال الخامس في استمارة الاساندة فكان : أي شكل كان لقاءك مع الطلبة كلا على افراد ، بشكل مجموعات

والنتائج بنت لنا أن ٧١٩٪ من الاساندة ذكروا أنهم التفتوا بطلبهم بشكل مجموعات و ٢٨١٪ منهم ذكروا أنهم التفتوا بهم على افراد وربما أن قسماً من الاساندة التفتوا بطلبهم بشكل مجموعات ثم على افراد للطلبة الذين خضعوا مشاكل خاصة . فنتيجة الذين ذكروا أنهم التفتوا بطلبهم بشكل مجموعات هي أكثر بكثير من نسبة الذين التفتوا بطلبهم على افراد . وقد اعطينا نتائج السؤال نفسه موجهاً للطلبة النتائج الآتية : ٩٣٪ من الطلبة الذين التفتوا بالمرشد ضمن مجموعتهم ثم ٦٩٪ فقط التفتوا مع مرشديهم بصورة منفردة لمبحث مشاكل خاصة. فالنتائج غير متوزنة نهائياً بين عدد اللقاءات المنفردة واللقاءات بشكل مجموعات ، وهذا يرجع كما ذكرنا إلى قلة الثقة الموجودة بين الطلبة ومرشديهم فمعظم مشاكل خاصة يفضل الطلبة حلها بأنفسهم أو مع أحد أصدقائهم .

أما السؤال الأخير في استمارة الاساندة فكان في أي حقل يستطيع المرشد أن يساعد طلبته ، علمي اجتماعي ، نفسي ، اقتصادي . ومن النتائج يرى أن المرشد يستطيع مساعدة طلبته في الحقل الآتي : ٣٩٪ علمي ثم ٢٨٪ نفسي ، يليهم ٢٦٪ في الحقل الاجتماعي . وأخيراً ٦٥٪ في الحقل الاقتصادي . ولقد ظهر من نتيجة السؤال الثالث تلوحه للاستفادة عن نوعية المشاكل التي يواجهها الطالب أن أكثر المشاكل هي دراسية ، تليها المشاكل النفسية .

مقترحات لتطوير نظام الارشاد الحالي :

من الممكن أن نجعل الارشاد الحالي في كلية الاداب نظاماً مفيداً حقاً يخدم جميع الطلبة وله أهداف تربوية قيمة . ومن أهم النقاط التي : أن نلاحظ هي :

١ - زيادة النشاط اللاصمية والسرعات والحفلات واشترك المرشدين والطلبة فيها لان ذلك يساعد على التصرف على بعضهم وزيادة الثقة المتبادلة بينهم

٢ - يجب زيادة عدد المرشدين التي بها المرشد بطلته بحيث تخصص ساعة كل اسوعين مثلاً على الأقل من قبل القسم والعمادة للمرشد ليلتقي بطلته ومن الممكن أن تكون هذه الساعة للكلية بأجمعها ولجميع المرشدين ليلتقوا بطلتهم في وقت واحد .

٣ - أن يدعم المرشد من قبل العمادة لان المرشد في بعض الاحيان يحتاج إلى دعم واساد من قبل العمادة أو الجهات المسؤولة في الجامعة . فإذا أخذنا مثلاً امشاكل الاقتصادية فالامكان حلها إذا كان هناك تعاوناً وثيقاً بين الطالب والمرشد وعمادة الكلية .

٤ - تشكل لجنة مكونة من عدد من الاساتذة في الكلية لسطر بالمشاكل التي لا يستطيع المرشد حلها بنفسه كاللجنة الموحدة الآن . وتجتمع اللجنة كل اسوعين أو كل شهر بوقت معين لبحث مشاكل الطلبة . التي قد يطلب بعضهم بحثها مع اللجنة أو مع أحد أعضاء اللجنة . وهذه الطريقة تكون قد مزجت بين فضاء المرشد لكل شعبة ونظام الارشاد في الكلية الذي في الحقيقة يتكون من لجنة الارشاد ويجتمع بانتظام كعادتنا .

٥ - يجب أن يعلم الطلبة جميعاً منذ بداية السنة الدراسية أسماء لجنة الارشاد في الكلية . وذلك لان الطالب في بعض الاحيان قد لا يتفق مع مرشد شعبته فيكون أمامه فرصة أخرى وهي فرصة التحدث إلى اللجنة .

٦ - تخصص مرشدة للطالبات في كل كلية .

٧ - الاهتمام بالاستشارات العائدة للطلبة فيجب أن يكون المرشد في الاستشارة كل المعاولات المتوفرة عن الطالب . وعلى المرشد ملاحظة التقدم الدراسي لطلابه ومحاولة بحث أسباب تأخر قسم من الطلبة في الدراسة وبحث الاسباب المؤدية إلى ذلك . اذ قد لا تكون الاسباب دراسية فقط بل قد تكون نفسية أو اجتماعية .

المصادر

- ١ - الدكتور فخري «دباغ» ((أصول الطب النفسي)) مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ١٩٧٤
- ٢ - جيبس شاكر (كيف تتكامل الشخصية) مؤسسة فرانكاين للطباعة والنشر القاهرة ١٩٥٤

3. Goldman, Leo. Using Tests in Counseling. Appleton - Century - Crofts, Inc. New York. 1961 .
4. Hatch, Raymond N. and Steffice, Buford. Administration of Guidance Services. Prentice-Hall Inc. Englewood Cliffs, New-Jersey 1965 .
5. Jackson, Lee E. Career Information in Counseling and Teaching. Allyn and Bacon, Inc. Boston. Mass. 1966 .
6. Miller, Carrol H. Guidance Services Harper and Row. New York. 1966
7. Patteron, C H. Theories of Counseling and Psychotherapy. Harper and Row. New York. 1966 .
8. Thorndike, Robert, L. and Hagen, Elizabeth. Measurement and Evaluation in Psychology and Education. John Wiley and Sons, Inc. New York. 1965 .

منى - خروقة

مدرسة قسم اللغة الإنكليزية
كلية الاداب جامعة الموصل

الاخبار العلمية
للسنة الدراسية ١٩٧٤-١٩٧٥





١ - رار السيد رئيس جامعة الموصل الدكتور محمد صادق المشاط كليتنا بتاريخ ٧٤/١٠/٢٩ وافتح مختبر الصوت في قسم اللغات الأوربية . ويسمى المختبر (٢٠ طالماً) . أما أجهزته فحديثة من صنع شركة فيليبس وقام القسم باستعمال مختبر الصوت لطلاب الصفوف الأولى في هذه السنة حيث قسم الصف إلى مجموعتين تقوم المجموعة الأولى بالتدريب العملي على النطق داخل المختبر تحت إشراف مدرس مختص ، أما المجموعة الثانية فيتولاهما مدرس آخر يقوم بمناقشة التطبيق العملي في المختبر . وقد رُود المختبر بالمواد التعليمية الضرورية من أشرطة صوتية مسجلة للطلبة وتمجيلات متنوعة يستعملها المدرس حسب الحاجة والغرض من استعمال مختبر الصوت هو تدريب الطلبة على النطق الصحيح فيما يتعلق بالأصوات المفردة والكلمات والجمل ولغة الحديث .

٢ - وافق مجلس جامعة الموصل في جلسته الثامنة للسة الجامعية الثامنة على اقتراح كليتنا باستيراد أجهزة وحدة المخطوطات بـ ١٧٨٨٩/٩٣ دولاراً من شركة كوداك حيث ستساعد الباحثين على تصوير وقراءة وتحقيق المخطوطات العربية كما ستفتح أفاقاً رحبة للتعاون بين كلية الآداب وبين جميع الكليات والمعاهد ومراكز البحوث المهمة بالثقافة العربية والإسلامية في العالم . وستضم هذه الوحدة أجهزة لتصوير الكتب والوثائق إضافة إلى أجهزة لقراءة المايكرو فيلم وتصويرها أيضاً . كما قامت الكلية بشراء جهاز عرض سينمائي حجم ١٦ ملم لعرض أفلام تعليمية على الطلبة حيث يتمكن الأقسام العلمية المختلفة من الاستفادة منه أثناء التدريس .
الاساتذة الزائرون

٣ قام المؤلف برسي هوارد نيوي Percy Howard Newby الروائي البريطاني بزيارة لقسم اللغات الأوربية في كليتنا وألقى محاضرة بعنوان

«علاقة المؤامرات» ، ردت تحت عنوان «الذكور عن حربه» في كتابه الرواية وعن مؤامرات بعض الروايات .

٤ - زار الدكتور مصطفى سدا الحيد العبادي رئيس قسم تاريخ اليونان والرومان في جامعة الاسكندرية الموصل وألقى محاضرة في كليتنا عن أهمية دراسة التاريخ اليوناني والروماني في فهم التاريخ العربي والإسلامي .

٥ - زار الدكتور جلال يحيى رئيس قسم التاريخ في جامعة أسبوت بجمهورية مصر العربية مدينة الموصل وحل ضيفاً على جامعة الموصل وألقى محاضرة في كليتنا عن أسباب الثورة الفرنسية وآثارها مائدة لأورن وأشرف العرب .

٦ - قام السيد Baker الموفد من مركز الثقافي العربي في بغداد بزيارة لقسم اللغات الأوروبية وأطلع على أوضاع القسم وحفظه في تطوير تدريس موضوع اللغة الانكليزية

٧ - زار كليتنا الدكتور سيد يعقوب بكر عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة وأستاذ فقه اللغة واللغات السامية وألقى عدداً من المحاضرات على طلبة قسم اللغة العربية منها (العربية لغة سامية عالمية) . وقد استغرقت زيارته عشرة أيام .

٨ - زار الدكتور جمال زكريا قائم أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس قسم التاريخ بكليتنا وألقى محاضرات يومية على طلبة القسم . وقد استغرقت زيارته مدة اسبوع واحد .

٩ - زار الدكتور عبد المنعم ماجد رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة وأستاذ التاريخ الإسلامي كليتنا حيث قام بالقاء محاضرات يومية على طلبة قسم التاريخ إضافة لآلقاله محاضرة عامة

حضرنا طلبة وأساتذة قسم التاريخ - وقد استغرقت زيارته مدة ثمانية أيام .

١٠ - قام الدكتور Dr. John Burton رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة سانت أندروز في أسكتلندا بالمملكة المتحدة بزيارة كليتنا لفترة مابين ١٩٧٥/٤/١٩ ولغاية ١٩٧٥/٤/٣٠ وألقى عدداً من المحاضرات في مواضيع اللغة العربية والدراسات القرآنية على طلبة كليتنا في قسم اللغة العربية كما ألقى بعض المحاضرات في قسم التاريخ وقسم اللغات الاوربية .

١١ - قام البروفيسور William Murry عميد مدرسة الدراسات الإنكليزية جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة بزيارة قسم اللغات الاوربية في كليتنا وألقى محاضرة على طلبة الصفوف الثالثة والرابعة في قسم اللغات الاوربية عن (الشاعر الإنكليزي شكسبير W.Shakespeare) . وقد رافقه في زيارته لمؤصل السيد هابل المازون عن تدريس اللغة الإنكليزية في المركز الثقافي البريطاني في بغداد - وقد استغرقت زيارته مدة ثلاثة أيام .

١٢ - زار كليتنا المستشرق الروسي الدكتور بيمولا لوتلوف والمستشرقة الدكتورة يلينا عولويوفكايا والتبا محاضرات عن تاريخ اليمن الشمالية على طلبة قسم التاريخ - وقد استغرقت زيارتهما أربعة أيام .

١٣ - ضمن زيارة وفد الأساتذة المصريين للقطر إستاداً إلى الدعوة الموجهة لهم من مجلس قيادة الثورة زار كليتنا كل من الأساتذة

• الدكتور أحمد دراج	رئيس قسم التاريخ	جامعة القاهرة
• الدكتور محمود السروجي	رئيس قسم التاريخ الحديث	جامعة الإسكندرية
• الدكتور لطفي عبد الوهاب	رئيس قسم التاريخ القديم	جامعة الإسكندرية

• الدكتور أحمد النعوي رئيس قسم التاريخ كلية العلوم القاهرة
 • الدكتور عبدالمعزم محمد حسين عميد الدراسات الشرقية جامعة الأزهر
 • الدكتور مصطفى الشكعة رئيس قسم الدراسات العربية جامعة عين شمس
 • الدكتور حوزيف نسيم أستاذ قسم التاريخ جامعة عين شمس
 • الدكتور أحمد مختار عبادي أستاذ قسم التاريخ جامعة عين شمس
 وقد اطلع الأساتذة المذكورون على أقسام الكلية وبعض نشاطاتها
 كما القوا بعض المحاضرات على الطلبة في الكلية .

١٤ - زار الدكتور خليل حماش عميد كلية الآداب جامعة بغداد كليتنا
 لمدة يوم واحد والقى محاضرة على طلبة وأساتذة قسم اللغات الأوروبية
 حول مناهج اللغة الإنكليزية الجديدة .

١٥ - زار الدكتور حكمت الاوسي مدير شؤون الإسانيات العامة في
 وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كليتنا والقى محاضرتين على طلبة
 قسم اللغة العربية ومحاضرة عامة بعنوان (من مظاهر التأثير العربي
 في الثقافة الإنسانية . وقد استغرقت زيارته مدة ثلاثة أيام .

١٦ - استضافت كليتنا مجموعة من طلبة قسم التاريخ بجامعة بغداد يرافقهم
 الدكتور عبدالله فياض حيث القى محاضرة عامة على طلبة قسم التاريخ .

المؤتمرات

١٧ - أوفد الدكتور أحمد الحسو للمشاركة في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب
 وحضرته والذي انعقد في تونس في ٢٤، ٢٥ كانون الأول ١٩٧٤
 وقد مثل جامعة الموصل وكلية الآداب فيه .
 وقد شارك الدكتور أحمد الحسو بالقاء بحث يمثل نصوصاً تاريخية
 تتعلق بتاريخ المغرب والاندلس .

١٨ - شاركت جامعة الموصل بثلاثة من أساتذتها في المؤتمر التاريخي الأول الذي انعقد في بيروت لفترة من ١٠ / ٣ / ١٩٧٥ - ١٦ / ٣ / ١٩٧٥ تحت شعار (الحضارة العربية بين الأصالة والتجديد) وهم الدكتور هاشم الملاح عميد كلية الآداب والدكتور محيي الدين توفيق رئيس قسم اللغة العربية في الكلية والدكتور خضر الدوري الأستاذ المساعد في قسم التاريخ بالكلية. وقد ساهم الوفد في المشاركة الإيجابية في مناقشات المؤتمر ودفعها في الاتجاه العربي التقدمي. وقد تمخض المؤتمر المذكور عن توصيات إيجابية فيها لموافقة على عقد المؤتمر التاريخي الثاني في جامعة الموصل وعلى أن يكون شعار المؤتمر القادم (الحضارة العربية في حاضرها ومستقبلها) .

١٩ - أوفدت جامعة الموصل الدكتور محمد أزهر السماك للمشاركة في الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز الخليج العربي الذي انعقد في جامعة البصرة خلال الفترة ٢٩ - ٣١ آذار ١٩٧٥ والتي شاركت فيه وفود من (٢٢) دولة عربية وأجنبية وقد القى الدكتور السماك بحثاً بعنوان (دور عوائد النفط في التنمية الاقتصادية لأقطار الخليج العربي)

المناسرات العلمية

٢٠ - تمت مناقشة أبحاث السادة المدرجة أسماؤهم أدناه من قبل مجلس قسم اللغة العربية .

الاتجاه الرومانسي في القصة العراقية القصيرة

للدكتور عمر الطالب

« صورة القصيدة الجاهلية » للسيد علي محمد الحيويني

« نظرة في موسيقى الشعر العربي وعروضه »

للسيد محمد علي الحسيني

« دراسة تحليلية في همزتي (إن وأن) »

للسيد عبد الوهاب العادلي

٢١- « أقام قسم التاريخ عدة سيمينارات علمية لمناقشة البحوث التالية :
عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري وكتابه التاريخية في الميرة
والمغازي »

للسيد محمود ياسين التكريتي

« بغداد منذ تأسيسها وحتى الغزو المنوي دراسة في التغيير السكاني »
للدكتور خضر الدوري

« مكانة العرب ونفوذهم في العصر العباسي الأول »

للسيد صلاح شكري

« المسكوكات الفضية العباسية في مجموعة مركز بحوث الآثارية
والخضارية بجامعة الموصل »

للسيد عبد الواحد نرمضاني

« التحول الرأسمالي في الحجاز خلال العصر الأموي »

للانسة نجلة الصباغ

المحاضرات العامة

٢٢- ألقى الدكتور هاشم الملاح عميد كلية الآداب محاضرة عن دستور
المدينة في زمن الرسول (ص) على قاعة النشاط المدرسي بدعوة من
جمعية التراث العربي في الموصل وقد حضرها جمهور كبير من المثقفين
والمهتمين بشؤون الفكر والتراث وأعقبها نقاش مفتوح حول مضمون
المحاضرة .

٢٣- ألقى الدكتور محمد عبدالرحمن برج الأستاذ في قسم التاريخ بكليتنا
محاضرة بعنوان (المغرب العربي المعاصر وموقف بعض المؤرخين الأجانب
منه) .

٢٥ - افتتح قسم اللغة العربية موسمه الثقافي للعام الدراسي ١٩٧٥/١٩٧٤ بمحاضرة السيد فاضل ياسر الزبيدي - المدرس في القسم المذكور بعنوان التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبدالرحمن - دراسة وقد في ٩٧٤/١١/٢٥ .

٢٦ - الدورات التأهيلية

أعد قسم اللغة العربية في كليتنا دورة تأهيلية لمدرسي اللغة العربية في محافظة نينوى لمدة شهرين وكان عدد المشاركين فيها حوالي (٥٠) مدرساً وساهم في إلقاء المحاضرات فيها جميع مدرسي القسم المذكور . كما أعد قسم التاريخ دورة مماثلة لمدرسي التاريخ ولمدة شهرين وبلغ عدد المشاركين فيها (٥٠) مدرساً وساهم في إلقاء المحاضرات فيها جميع أساتذة القسم .

٢٧ - شارك قسم اللغات الأوربية بإعداد دورة لتدريس اللغة الانكليزية في المركز الثقافي الاجتماعي بجامعة الموصل حيث تم تنصيب اثنين من أعضاء القسم لتدريس فيها وبمعدل أربعة محاضرات في الاسبوع .

٢٨ - المطبوعات <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قام كل من الأساتذة الدكتور محي الدين توفيق والدكتور توفيق اليوزبكوي والسيد صلاح الدين أمين بتنقيح كتاب دراسات في الوطن العربي وقد تم اخراجه وطبعه بشكل أنيق .

٢٩ - قامت جامعة الموصل بطبع محاضرات التي ألقاها الدكتور نوري القيسي - رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بغداد - على طلبة قسم اللغة العربية في كليتنا بصفته اساتذاً زائراً حول (وحدة القصيدة في الشعر الجاهلي) .
٣٠ - قامت الكلية بتوزيع مجموعة الشعرية والتقصية لبعض الأدباء الشباب من طلبة كلية الآداب وقد طبعت على نفقة الجامعة .

الموسم الثقافي للكلية

١. أفتتح الأستاذ فليح حسن الجاسم محافظ نينوى الموسم الثقافي الأول لكلية الآداب بجامعة الموصل بمحاضرة قيمة بعنوان (دراسات في قانون الحزب القائد) وذلك في الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء المصادف ١٩٧٥/١/٢١ وقد تفضل السيد المحافظ بشرح أبعاد قانون الحزب القائد ووضح طموحات حزب البعث العربي الاشتراكي في قالب الواقع العربي المتخالف عن كافة الأصعدة والجوانب داخل القطر وعلى الصعيد القومي أيضاً من أجل تجاوز كل السليات التي وقفت عائقاً في طريق وحدة وتقدم وازدهار الأمة العربية وفي كافة أرجاء الوطن العربي .. وكيف أن الحزب القائد يستند في نضاله إلى الجماهير العربية التي هي الغاية والوسيلة في نضال الحزب وإلى الأسس العلمية والموضوعية أيضاً من أجل ترسيخ نهجه الثوري التقدمي . وقد أعجب . . . مرة نقاش مفتوح مع الجمهور الصغير الذي اكتسب به قاعة الإدارة المحلية في الموصل وقد استغرق النقاش أكثر من ساعة أيضاً .

٢. وضمن نشاطات الموسم ، ألقى الدكتور هاشم الملاح عميد كلية الآداب محاضرة بعنوان (نظريات السيادة وتطور أنظمة الحكم في العراق) عصر يوم الثلاثاء المصادف ١١ - ٢ - ١٩٧٥ على قاعة المتحف ، حضرها السيد رئيس الجامعة وعدد كبير من الأساتذة والأدباء والمثقفين في الموصل ... أستمع خلالها موضوع السيادة وتطور أنظمة الحكم في العراق منذ مطلع القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر ... وقد أكد من خلال محاضرته بأن (السيادة) كانت محصورة في يد الحكومات الرجعية والدكتاتورية دون أن تجسد آمال وطموحات الشعب العراقي وأنها كانت مفرغة من أي تطبيق ديمقراطي واقعي إلا ثورة الرابع عشر من رمضان وثورة السابع عشر من تموز التي جاءت تعبيراً عن إرادة الشعب في تغيير الواقع والسير بالبلاد في طريق التطور والتقدم والازدهار وقد أعقب المحاضرة نقاش مفتوح أستمع أكثر من ساعة .